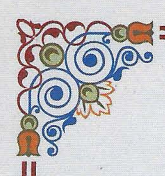
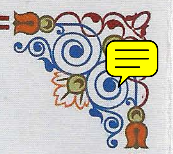
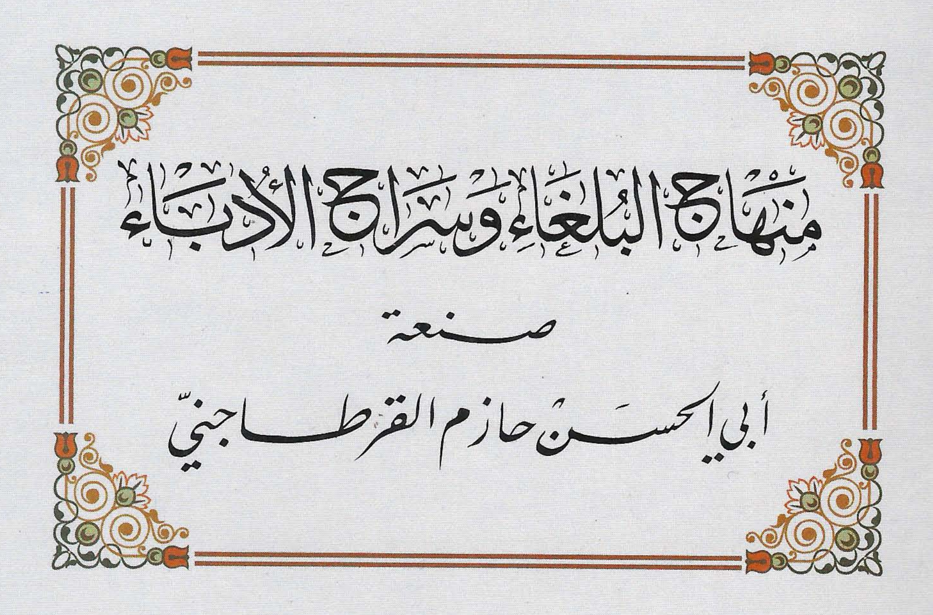



وزارة الثقافة والمحافظة على التراث

سلسلة «الذاكرة الحية»

الأعمال الكاملة
للدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة



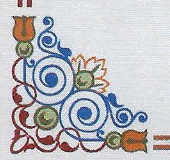
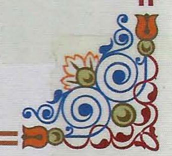
منهاج البلغاء وسراج الأدباء

صنعة

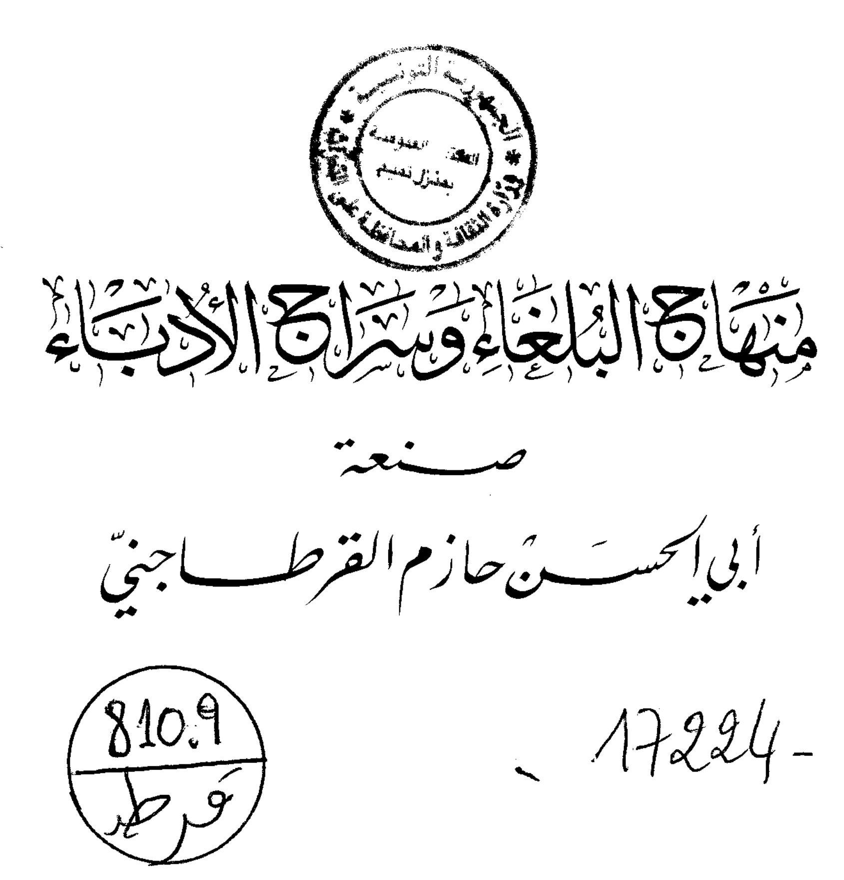
أبي الحسن حازم القرطاجني

**

الدار العربية للكتاب





منهاج البلغاء وسراج الأدباء

صنعة

أبي الحسن حازم القرطاجنّي

تقديم وتحقيق

محمد الحبيب ابن الخوجة

الدار العربية للكتاب

ابن الخوجة (محمّد الحبيب)، «**منهاج البُلغاء وسراج الأدباء**»، (تحقيق وتقديم)،
حجم: 17 / 24 سم ـ 552 صفحة، الدار العربية للكتاب ـ تونس ـ فيفري 2008

ر. د. م. ك.: I.S.B.N.: 978-9973-10-251-5

رسالة جامعيّة نال بها صاحبُها بعد مناقشتها يوم 4 جوان (حزيران) 1964
درَجة الدكتوراه مع تقدير مشرّف جدًّا من جامعة باريس

أنجز هذا العمل بدعم من وزارة الثقافة والمحافظة على التراث ـ تونس

التنفيذ والتوزيع: الدار العربية للكتاب
4، شارع محيي الدين القليبي ـ المنار 2 ـ 2092 تونس (الجمهورية التونسية)
الهاتف: 255 888 71 216 + ـ الفاكس: 365 888 71 216 +
البريد الالكتروني: E-mail: mal@gnet.tn

الطبعة الأولى: دار الكتب الشرقية ـ تونس 1966
الطبعة الثانية: دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1981
الطبعة الثالثة: الدار العربية للكتاب ـ تونس 2008



مقدّمة الطبعة الثالثة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علّمه البيان، وألهمه أسرار التعبير وتصرّفات الكلام البالغة أوج الإبداع والإتقان، وصلّى الله على سيدنا ونبيّنا محمد المتميّز على الخلق كافّة بجوامع الكَلِم وجميل القول وذرابة اللّسان، استمدّ ذلك كلّه من فيوض الحكمة التي أودعها فيه الرحمان، مُنزل القرآن.

وبعد، فقد صدرت الطبعة الأولى من كتاب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» لحازم القرطاجنّي عن دار الكتب الشرقية بتونس سنة 1966 وهو في الأصل رسالة جامعية نال بها صاحبها بعد مناقشتها يوم 4 جوان «حيزران» 1964 درجة الدكتوراه بتقدير مشرّف جداً من جامعة السربون بباريس،. وأعيد طبع الكتاب بدار الغرب الإسلامي ببيروت سنة 1981 مصوّرًا عن الطبعة الأولى،بعد إجراء تصويبات طفيفة ممّا يسمح به الطبع المصوّر دون زيادة أو تغيير كبيرين.

ورغم بعدنا عن هذا الكتاب واشتغالنا بميادين أخرى كثيرة كان تعلّقنا وارتباطنا به يحملاننا على العودة إليه وتصفّحه حيناً بعد حين. وهكذا عثرنا على جوانب تحتاج إلى الإصلاح وتملي علينا ضبط كلمة أو إضافة تعليق ممّا لم يتسنّ لنا القيام به مباشرة أثناء التحقيق من نسخة فريدة ولبعدنا عن جملة من الكتب والمراجع التي لم تكن ظهرت إلا بعد زمن إعداد الرسالة أو لم تكن تصل إليها يدنا.

وقد كان بعض المهتمّين بموضوع الكتاب من المختصّين من علماء البلاغة والنقد وموازين الشعر يمدّوننا بملاحظاتهم واقتراحاتهم مشكورين. وتلاقت بعض تصويباتنا وتعليقاتنا مع بعض ما تفضّل به أهل الاختصاص فأخذنا بما اعتددنا به ورأيناه صوابًا من آرائهم واعتمدناه، فدعانا ذلك إلى إعادة النظر في بعض كلمات المنهاج وأجَلنا القلم بالإصلاح والتقويم والإضافة والتوضيح والتعليق فيما رأيناه موافقًا للصّواب. وقمنا بإصلاح ما كان متعيناً إصلاحه ممّا اهتدينا إلى تصويبه قبل الاطلاع على ما وصَلَنا من القرّاء والمراجعين.

وإني لأرى من الواجب أن أتقدم إلى كلّ من كتب عن هذا العمل منوّهاً أو مصوّباً أو مقترحاً سواء اتّفقنا معه أو لم نتّفق. والذي يعنينا في المحل الأول هو خدمة اللّغة والأدب اللذين حرص عليهما مؤلّف كتاب المنهاج وبذل فيهما جهده. فلا يكون ما صدر عنّا بشأن منهاجه ـ إن شاء الله ـ إلا موافقًا لغرضه ومنهجه.

وأخصّ بالذّكر من هؤلاء السّيدين الفاضلين الدّكتور نور الدين صمّود الشّاعر الملهم المبدع أستاذ اللّغة والآداب بالجامعة الزيتونية، والدّكتور محمد الحافظ الرّوسي الأستاذ بكلّية الآداب بتطوان (المغرب) على ملاحظاته الجيّدة وتعليقاته الدقيقة على تحقيقنا لمنهاج البلغاء لحازم، أدام الله فضلهما ونفع بهما طلاّبهما وقراءهما وجزاهما عن تراثنا كلّ خير. كما أتوجّه بالشّكر إلى وزارة الثقافة والمحافظة على التراث التي دعمت مشكورة نشر أعمالنا الكاملة، والدار العربية للكتاب التي نشرتها.

وإني لأحمد الله العلي الكريم أن أتاح لنا هذه الفرصة بإصدار الطبعة الثالثة من الكتاب مراجعة ومنقحة قدر الإمكان. وأملي أن لا ينفكّ أهل الاختصاص عن العناية بفنّ الشعر الذي توّجه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله «إن من الشعر لحكمة» فيقومون بدراسته ونقده والتعريف بمذاهبه ومدارسه على مرّ التاريخ؛ كما أرجوهم مواصلة الدراسة لهذا الكتاب فهو ممّا لا يسقط بالتقادم ولا يستغنى عنه في ميدانه لعنايته باللفظ والمعنى والأسلوب في بناء الشعر ومقارنته بين ما اشتهر به قديمًا عند اليونان وما اكتمل به من توسّع وتفصيل وعمق عند العرب. وهذا ممّا يؤهّله لأن يكون قانونًا لعلم الشعر المطلق.

والله الموفق وهو من وراء القصد. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

تونس ـ سكرة 2008 **د . محمد الحبيب ابن الخوجة**

تقديم
العلّامة الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور

هما أمنيتان، من أمانيّ الغوالي التي عشت بها زمناً رغدًا[1]، قد جاءتا معًا تتحقّقان اليوم، في هذا السفر القيّم الذي يسعدني أن أقدّمه إلى منتظريه، وأتحف به أهله وذويه.

فقلد كانت أيام شبابي الأولى، المتصرّمة بين أساطين جامع الزيتونة الأعظم ومكتبته العبدلية، قد أشرقت بأمل عزيز، كنت حريصًا على أن أحقّقه بنفسي أو أن تحقّقه لي نفس أعزّ عليّ من نفسي وهو إبراز كتاب **المناهج الأدبية** للأديب الفذّ الأندلسي التونسي أبي الحسن حازم القرطاجنّي.

كنت قد عرفت حازماً، وعلقت حبّه من عهد الصبا، أيام كنت أحفظ مقصورته الخالدة، وأتطارح مع مولاي الوالد، أبقاه الله في العز والعافية[2]، أبياتاً من عيونها، ونحن في الجولات الربيعية، حول «الحنايا ورأس الطابية» وبقايا البرك من جنات «أبي فهر»، أو في بعض الجولات الأخرى الواسعة، التي نستقبل فيها جبل زغوان الأشم، إذا امتدّت الرحلة حتى انتهت إليه. ونمت مع الأيام تلك المطارحات والمفاكهات. فبدأ الوالد، تولى الله عنّي جزاءه بالحسنى، يذاكرني حازما وعلو منزلته وقصّة مقدمه على تونس وما إلى ذلك حتى عرفت من حديثه أن لحازم كتابا ذا شأن، كان الوالد ينوّه به، وكان يزيد في تنويهه به أن يحدّث عن صديقه الحميم، أستاذنا الأكبر، الشيخ محمد الخضر حسين[3]، أنّه كان معجباً مولعاً بهذا الكتاب، وهو كتاب **المناهج الأدبية** الذي يوجد أصله المخطوط بالمكتبة العبدلية. فدخلت أنا جامع الزيتونة بهذا الحافز المحبّب، الذي يدفعني إلى كتاب حازم، ويقرّبه مني، ويجرئني عليه كأنّه بعض عشرائي الأولين في البيت. فكنت في تردّدي على المكتبة العبدلية، أتناول هذا المخطوط، وأتصفّحه قدر طاقتي، وأعود إليه مرّة أخرى. فربّما فهمت صوابا، وربّما فهمت خطأ، وربّما توقّفت دون الفهم حائرا. وكنت، كلما أردت أن أرجع بموضوع من كتاب حازم إلى كتاب من كتب الأدب المشهورة: **المثل السائر** لابن الأثير، أو **نقد الشعر** لقدامة، أو **العمدة** لابن رشيق، أدركت اختلافا بيّنا بين ما لحازم في تناول الموضوع وعرضه، وتأصيله وتفصيله، وما لغيره من رجال النقد الآخرين، ممّن سبقه أو من لحقه، فازددت يقينا بأن لكتاب حازم ميزة تجعله نسيج وحده. فكانت أمنية نشره ومقارنته، وبيان خصائصه، وضبط مصادره ومراجعه، تقوى في نفسي يومًا فيوماً.

---

1. تضمين لمعنى قول الشاعر:

مُنًى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى .:. وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

2. توفّي والده الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بعده سنة 1972.

3. عالم تونسي من مواليد 1876 بنفطة، وهاجر إلى المشرق حيث تولّى مشيخة جامع الأزهر وتوفّي سنة 1958.

وجاءت الشواغل والكلف، تحول بيني وبين الكتاب، والتقادير في شأن ما افترقت به **مناهج** حازم عن المناهج المسلوكة من قبله ومن بعده تبيض وتفرّخ، وتستقرّ وتتردّد. فربما أرجعتها للطوابع الاقليمية للأدب المغربي، وربما انصرفت بها إلى صلة البلاغة بالحكمة عند أرسطوطاليس وابن سينا وابن رشد وأنا في كلّ ذلك أحلم بدرس شافٍ، وبيان مفصّل لتلك التقادير المرتجلة، وتلك الفروض المجملة. وكلّما زادت الأيام بعدا بيني وبين الكتاب ازدادت تلك الأمنية من نفسي قربا، وفيها تمكّنا. فلم أزل استحثّ الواحد بعد الآخر من أبنائي وإخواني، لينتدب إلى تحقيقها. (البسيط).

حتى إذا مخض الله السنـين لـها　　　مخض الحليبة كانت زبدة الحقـب[4]

وذلك حين منّ الله عليّ بهذه البنوّة الروحية، غير ذات النظير، في الولد المختصّ الأثير «حبيب الرحمان» كما يعرفه الأصحاب وترتضيه وشائج الآداب، أو الأستاذ الجليل الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، كما تقتضيه الرسوم، ويعرفه الأباعد من أهل الآداب والعلوم. فكانت أمنيتي الغالية سارية في نفسه الكريمة مسرى غيرها من نفحات نفسي ومدارك عقلي وحسّي. فإذا به يصل ما كان انقطع بيني وبين حازم من عهد، وكفى الولد برّا أن يصل أهل ودّ أبيه. وإذا هو يكشف عن كنه الكتاب، ويضعه بإحكام، في منزلته من كتب النقد. ويزيح الأستار عن الخصائص ومناشئها، والمذاهب وعواملها، ويبرز للناس كتاب حازم القرطاجنّي لونا بديعا من ألوان الدراسات المنهجية السامية في نقد الشعر. فيحقّق بذلك لي الأمنية الأولى من أمنيتيّ الغاليتين.

أمّا الأمنية الأخرى فهي تتمثّل في أن أرى دراساتنا العلمية السائرة على الطرائق الأصيلة للثقافة الإسلامية العربية، تتّصل بالطرائق الحديثة التي تسير عليها الجامعات الجليلة في أروبا، فتعرف هذه لتلك منزلتها، وتفيد تلك من هذه وضعيتها ومنهجيتها. وأنا موقن بأنّ هذا الالتقاء لن يعود على ثقافتنا إلاّ بكلّ خير: زكاء عنصر وبعد صيت.

فلمّا سمت بابني «الحبيب» همّته القعساء إلى اقتحام هذا الملتقى العجيب، واتّجه إلى جامعة باريس، فأكرمت مثواه ومثوى درجته الجامعية الزيتونية، واحتضن عبقريته أحد أيّمة الاستشراق وأساطين البحث العلمي في فنون الثقافة الإسلامية، وهو صديقنا العلاّمة الأستاذ ريجيس بلا شار، وكان بينهما ذلك الاتّصال الشريف الذي أغبطهما عليه، وانكبّ الأستاذ الكبير على عمل تلميذه النابغ، طيلة عامين يعالجان مواضيع البحث، ويقوّمان طرائقه، خرج بهذا الإشراف الزكي كتاب حازم في حلّة سيراء: زيتونية باريسية: تحقيقا، وتعليقا، ودراسة، ومعجما، وفهارس.

---

4. من قصيدة أبي تمام في عمورية التي طالعها:

السيـف أصـدق أنبـاء من الكتـب　　　في حـدّه الحـدّ بين الجـدّ واللّعبِ

ثم كان ذلك اليوم، من أواخر الربيع الضاحك، وأنا في السهول الفيحاء لأروبا الوسطى، إذ جاءتني برقية عزيزة: تنبئ بأنّ كليّة الآداب في جامعة باريس قد منحت الابن الحبيب، بعد مناقشة عمله العلمي في كتاب حازم، درجة دكّترة الآداب بملاحظة «الامتياز الفائق» فتكلّلت بذلك جهوده الحميدة، وزكي طموحه العجيب، وقررت أنا عينا بهذا الفوز الباهر، وقد جمع لي في قرن، تحقيق أمنيتي الغاليتين.

فها هو كتاب حازم القرطاجنّي يطلع على الناس اليوم، بلون غريب من ألوان الدراسة الأدبية، يحتار كلّ متتبّع له في الفنّ الذي يلحقه به، والكتب التي يصنّفه إليها، ويقارنه بها.

فإذا كان من الواضح أنّ هذا الكتاب في الأدب، فإنّ الماهر في خدمة الأدب، الحاذق في تفصيل أصنافه وأبوابه، يدرك أنّ من الأوضاع الأدبية ما يرجع إلى البلاغة المطلقة، ومنها ما يرجع إلى فن الإنشاء، أو صناعة الخطابة، أو نقد الشعر، أو يرجع إلى علم العروض أو فن البديع. كما أن كلّ ناحية من هذه النواحي تندرج تحتها صور من المعارف والأنظار، وأساليب من الجمع والتآليف، ومناهج من التحرير والتقرير، تجعل كلّ طائفة من التآليف الراجعة إلى تلك الناحية من نواحي الأدب متميّزة بخصائص ومفارقات، يحقّ باعتبارها لكلّ طائفة من التآليف أن تعتبر بابا غير باب الطائفة الأخرى، أو قبيلا لا يمت بنسب إلى قبيلها.

فاذا استطعنا أن نصنّف كتابي الشيخ عبد القاهر: **أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز**، مع القسم الثالث من **المفتاح** للسكّاكي، ومع كتاب **البديع** لابن المعتز، فسمّيناها كلّها «بلاغة» وأن نضع كتاب **البيان والتبيين** للجاحظ، مع كتاب **المثل السائر** لابن الأثير، ثم مع كتاب **صبح الأعشى** للقلقشندي، فسمّيناها كلّها «إنشاء» كما هو المصطلح عليه عند مصنّفي العلوم ومرتّبي الكتب، ثم استطعنا أن نضع كتاب **نقد الشعر** لقدامة، مع كتاب **العمدة** لابن رشيق، و**رسائل الانتقاد** لابن شرف، وكتاب **الموازنة** بين أبي تمام والبحتري للآمدي فسمّيناها «نقد الشعر» فإننا نكون مجازفين مستهترين إذا نحن لم نقف، بعد هذا التّصنيف الصحيح، وقفة نصنّف بها تلك المصنّفات، داخل كلّ عنوان من العناوين الجامعة، تصنيفا آخر، يكون تحليليّا، حين نرجع إلى النظر في المبادئ والغايات، والمناهج والاستمدادات، وأساليب العرض، وقواعد التطبيق، فندرك حينئذ، ما بين كتاب السكاكي وكتاب ابن المعتز من فوارق، وإنّ تناول أحدهما من مسائل البديع ما تناوله الآخر، حتى نجد أنفسنا، في النهاية مضطرّين إلى أن نصنّف كتب البلاغة أصنافا تفصيلية جزئية: بين بلاغة الإعجاز القرآني، وبلاغة الطابع الأدبي أو بين بلاغة علمية وبلاغة ذوقية. وكذلك نجد أنفسنا، في كتب الإنشاء بين منهج نظري ابتكاري، كالذي في **المثل السائر**، ومنهج تطبيقي التزامي، كالذي في **صبح الأعشى**، كما نجد أنفسنا، في كتب نقد الشعر، بين نقد توجيه وتأصيل، كالذي في كتاب ابن رشيق، ونقد مقارنة كالذي في كتاب **الموازنة**.

وعلى هذا النحو نرجع إلى حازم و**مناهجه**، فنجده يصرّح تصريحا مردّدا في أثناء كتابه بأنه إنّما يتكلّم في «البلاغة» ويبحث عمّا تتحقّق به وتتفاضل فيه. فلا يبقى لنا بعد ذلك محل للتردّد في أنّ كتابه

- كيفما كانت تسميته - هو كتاب في البلاغة كما وصفه بذلك أيمة الصناعة الذين ذكروه، مثل الصفدي في **الوافي بالوفيات**. وسرعان ما يتّجه الذهن عند ذكر «البلاغة» إلى تلك السلسلة التي امتدت من الشيخ عبد القاهر، فانتظم فيها أيمة علم البلاغة وفحوله: الزمخشري، والرازي، والسكاكي، والقزويني، والسبكي، والسعد، والسيد، ومن بعد هؤلاء من رجال التلخيص والمطوّل والمختصر. فتثور في ذاكرته مباحث التشبيه والاستعارة، والتمثيل والكناية، والتقديم والتأخير، والحذف والإثبات، والتعريف والتنكير، وأدوات القصر، والجملة الإسمية والفعلية، وأحوال القيود والمتعلّقات إلى غير ذلك من المسائل الجزئية المعروفة من علم البلاغة، ثم يردّها إلى معاقدها الكلية من مباحث الفصاحة وقوادحها، والبلاغة ودرجاتها، وحدّ الإعجاز ووجوهه، حتى يعود الذهن إلى حازم، متطلّعا إلى تلك المسائل باحثا عن مواقعها من كتابه، وهو يتوقّع أن قد يكون عرضه إياها على صورة تختلف عن صور عرضها في كتب البلاغة المشتهرة، وأن قد يكون لحازم في تحقيق بعضها رأي يختلف عمّا في **دلائل الإعجاز** أو **الكشّاف**، أو **المفتاح**. ولكنّ الفجاءة تكون غريبة عنيفة عندما يأخذ في مجاراة حازم في مناهجه ومأمّه، مستبصرا بإضاءاته وتنويراته، حتى يجد نفسه على موقف من المعارف، ومسلك من الأنظار، لا يكاد يتّحد مع المواقف والمُسالك التي عرفت في كتب عبد القاهر، وحزبه.

هنالك يقف الذهن خاسئاً محتارًا، أيّ فن من البلاغة هذا؟ وهل الذي بين أيدينا من الكتاب يقع منه في الصميم؟ وإذا كان حازم قد ترك ما تناوله الآخرون، وترك الآخرون ما تناوله هو، فما الذي حدا به وبهم إلى ما أخذ كلّ وما ترك؟ ونرجع حينئذ، إلى تقدير المفقود من الكتّاب، فنقدر أنّ من شأنه أن يكون مشتملا على أصول عامة في صناعة البيان، وموقعها، وفنونها، والشعر، وبواعثه، وخصائصه، والنظر في الألفاظ، وهيآتها، ودلالاتها، ونسبتها إلى المعاني، وإلى أيّهما يرجع الحسن البلاغي. فيرجّح عندنا أنّ حازما إنّما أخلى كتابه ممّا أقام عليه أيمة البلاغة الآخرون كتبهم. ونزيد مضيّا في مطالعة الكتاب وتقليبه، فتطالعنا هذه الجملة ذات الوزن: «ينبغي لمن طمحت همّته إلى مرقاة البلاغة المعضودة بالأصول المنطقية والحكمية، ولم تسفف به إلى حضيض صناعات اللّسان الجزئية المبنية أكثر آرائها على شفا جرف هار أن لا يعتقد الخ...» ونقف على الجملة الأخرى التي هي أرجح وزنا في غرضنا: «وقد سلكت في التكلّم في جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه، وتوعّر سبيل الوصول إليه. هذا على انّه روح الصنعة، وعمدة البلاغة.... فإني رأيت الناس لم يتكلّموا إلاّ في بعض ظواهر ما اشتملت عليه، فتجاوزت أنا تلك الظواهر، بعد التكلّم في جمل مقنعة ممّا تعلق بها، إلى التكلّم في كثير من خفايا هذه الصنعة ودقائقها» ونقف في النهاية، عند قوله، في الفصل الذي انتهت أثناءه النسخة، ويقدّر برجحان أنّه آخر الكتاب: «معرف دال على طرق المعرفة بمبلغ هذا الكتاب من أصول هذه الصناعة» فإذا به ينبّهنا إلى أنّ كتابه ليس متّجها إلى «صناعات اللسان الجزئية» وإنّما هو قاصد إلى «بلاغة تعضدها الأصول المنطقية والحكمية» فتتبيّن من ذلك جليا أنّ لكتاب حازم من علم البلاغة ناحية خاصة يحتلّها من بين الكتب المشهور، يمكن أن ننزلها من العلم منزلة الأصول من الفروع، أو منزلة فلسفة العلم من العلم، كمنزلة **رسالة** الإمام الشافعي من علم الفقه، أو منزلة **مقدمة** ابن خلدون من علم التاريخ.

فيكون موضوع النظر، بين حازم وعلماء البلاغة، متّحدا وهو البيان، باعتبار صفة الحسن التي تروع منه. ويقبل بها. إلاّ أنّ بعض الناس تناول تلك الصفة فأخذ يضبط مظاهرها ويستقصي جزئياتها، والبعض ـ وليس غير حازم ـ أخذ ينظر في أسبابها، ومآتيها، وبواعثها، ويردّها إلى علم النفس، وعلم المنطق، فيقول «قصدنا أن نتخطّى ظواهر هذه الصناعة، وما فرغ الناس منه، إلى ما وراء ذلك ممّا لم يفرغوا منه» وبهذا يكون لكتاب حازم صنف خاص به داخل تصنيف كتب البلاغة، ليس هو صنف **دلائل الإعجاز**، كما أنّه ليس صنف كتاب **العمدة** لابن رشيق، ويحقّ أن يسمّى «أصول البلاغة» أو «فلسفة البلاغة» أو «روح الصناعة» كما اختار هو ذلك بنفسه، لأن الناحية التطبيقية العملية، التي يراد بها تكوين ملكة البلاغة، أو التي يراد بها تكوين ملكة المقارنة النقدية لمعرفة إعجاز القرآن، ناحية ليست مقصودة لحازم بل إن مقصوده أن يتخطّاها. فإذا كان أهل لبلاغة يريدون أن يعرّفوا البلاغة ما هي في ذاتها، وما هي الأسباب المحصّلة لها؟ فإنّ حازما يريد أن يعرف لمَ كانت كذلك؟ ولم كانت تلك الأسباب محصّلة لها؟ فلزم أن يتّجه الجمهور إلى العلوم اللّسانية يفحصون الأساليب، والاعتبارات، والنكت، والخصائص، ويرجعون إلى تحليل التراكيب ومقارنة الاستعمالات، مُستعينين بنقود ابن العميد والصاحب ابن عباد، وتعاليق أبي العلاء المعري والإمام المرزوقي، ومستندين إلى ضوابط سيبويه وابن جني وأبي عليّ الفارسي، وأن يتّجه حازم إلى العلوم الحكمية: يبحث عن مواقع البلاغة من طبيعة الإنسان، وعن الفرق بين الخطابة والشعر، وما يرجع إلى ذلك من ملائمة النفوس ومنافرتها، ويرجع المعاني إلى متصوّرات أصيلة، ومتصوّرات دخيلة، ويتطلّع إلى استخلاص ماهية البلاغة المصطلح عليها في عصر من العصور، وعند قوم من الأقوام، من ماهية البلاغة المطلقة، معتمدا في ذلك على أرسطاطاليس ومقتديا بأبي علي بن سينا في ما أدخله أبو علي على ذلك من آثار اجتهاده، ولائد ابتداعه، ليجعل موضوع نظره وبحثه، وتحصيله وتأصيله، البلاغة العربية، خاصة، لما يوجد في شعر العرب «من اختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى».

وهكذا ينفرد حازم عن قافلة علماء البلاغة، جانحا إلى طريق من النظر الحكمي في موضوعهم، ينتهي به إلى موقف تأصيل: يخرج به «ما وراء البلاغة» من البلاغة، كما يخرج «ما وراء الطبيعة» من الطبيعة، بدون أن يأوى إلى قافلة الحكماء، إذ لا يريد أن يبقي النظريات معلّقة غير مطبّقة، ولا أن يتركها مجرّدة مشاعة بين اللغة العربية واللغات الأخرى.

فإذا كان هذا موقع كتاب حازم من كتب البلاغة المعتمدة: ليس منها، ولكنّه لا يغني عنها، ولا يخالفها، فما الذي زهّد الناس، يا ترى، في هذا الوضع الغريب حتى خمل ذكره، وخفي أمره، وتلاشت نسخه؟ فلم يصل إلى أيدينا، اليوم، إلاّ مبتورا، منقوصا، في هذه النسخة التي لا ثاني لها.

لا شك أنّ هذا كان مصير أسفار قيّمة، من قبل كتاب حازم، ومن بعده، لم تنل من التقدير، في عصرها والقرون التي تلته، ما نالت في عصرنا الحاضر لمّا برزت من بين نوادر المخطوطات.

وهذا إنّما يرجع إلى أمر من التناسب والوضعي، كان رابطا بين الفنون والكتب، في وحدة الثقافة

الإسلامية: هو الذي بمقتضاه اتّخذ كلّ فن من الفنون: الشرعية، والأدبية، والحكمية، زيادة على كيانه الذاتي، قواما تناسبيا في ما يصل عامّة الفنون بعضها ببعض، في الغايات العملية، الراجعة إلى عمود الثقافة الإسلامية: وهو المعرفة العالمية الكلية. فإنّ كلّ علم من العلوم قد اكتسبَ من استناده إلى العلوم الأخرى، من فصيلته ومن غير فصيلته، ما جعله، في غاياته واستمداداته، مرتبطا بوضع عام تتصرّف بمقتضاه العلوم تصرّفا تناسبيا توالديا، لا يتمكن بعده لعلم منها أن ينفصل عن وحدة الحركة التصرّفية، حتى يضرب عليه بذلك حاجز يحجزه عن أن يمتدّ بعيدا، إلى ناحية يحتلّ بامتداده إليها وضعه من سائر العلوم المنتظمة معه في الوحدة الكبرى. فيكون ذلك قاضيا على محاولات كثيرة تتّجه إلى أن تدخل على علم من العلوم توجيهات، وأنظارا، تعتمد في استنباطها على صميم العلم بذاته، ولا تلوي على نواحي الترابط التي بينه وبين غيره، فتأتي الحركة الكبرى، في مدارها الأوسع، نافية لتلك العناصر الجديدة، التي لم تتّخذ لنفسها ما يصلها بمدار الحركة، ويزلفها إليه. فبذلك تبقى خارج المدار، منفردة، تسبح، حول نفسها سبحا طويلاً، لا تزال تبتعد به عن الاتّصال بما تهفو إلى الاتّصال به، حتى تتضاءل، وتختفي، ثم تهوي، في كلالة، إلى الأفق المظلم، الذي يزخر بأوضاع فكرية كثيرة، لم تستطع الثبات حول المدار الأوسع، في الأفق الأعلى.

كذلك كان شأن حازم مع علماء البلاغة، في كتابه وكتبهم، ظهر وقد اكتمل علم البلاغة واشتد، وارتبط بالنحو وبالنقد، ثم تعلّق، تعلّقه الأسمى، بإعجاز القرآن، فجاء حازم يستجلي روحه، ويستخرج أصوله، ويتجاوز منه ظواهره التي وقف الناس عندها، لكنّه لم يصل يده بيد السابقين من أصحابه، ولم يشدّ موقفه بموقفهم في صفّ مرصوص. فجاء الكتاب يقف من علم البلاغة موقف المهيمن المتعالي، حتى ظهرت الجفوة. وبدت النبوة، واستمرّ هو في واد وعلم البلاغة في واد: فلا هو صحّ له ما يريد من تأصيل نظرياته العليا، لأنّ مادّة استنباطها قد بقيت مفصولة عنها، ولا علم البلاغة استفاد من تلك النظريات زهرة وتجدّدا، لأنّها بقيت بعيدة عنه. (المتقارب - ق - المترادف)

فلا تستطيع إليه الصّعــود ولا يستطيع إليها النــزولا

فلذلك يحقّ لنا اليوم، وقد برز الكتاب، ودرس هذا الدرس المتقن، الذي قام به ابننا الشيخ الحبيب، أن نتطلّع إلى درس وراء هذا الدرس، يتتبّع علم البلاغة في موقعه من كتبه المتداولة، فيصبّ عليه من الأنظار التأصيلية، التي ابتكرها حازم، ما يحييه ويلقحه، ويهزّ أرضه ويربيها، ويخرج علم البلاغة، بعد دراسة عميقة مزدوجة، وقد امتدّ له جسر على الهوة التي كانت بينه وبين كتاب حازم، فاتصل تحصيله بتأصيله، وارتبطت جمله بتفاصيله.

م. ف. ابن عاشور

كلمــة

منذ زمن ليس بالقصير عكفتُ على دراسة النقد ومناهجه في الآداب العربية وغيرها. وقد حملني على ذلك ولوعي بفن القول، أتتبّعه في كلّ ظواهره، وأبحثه في جميع أشكاله وصوره. وأسعفني الحظ سنة 1956 بتدريس أدب حازم القرطاجنّي ومذهبه النقدي الذي احتواه كتاب **المناهج الأدبية** لطلبة كليّة أدب اللغة العربية التابعة يومئذ للجامعة الزيتونية.

وقد كان كتاب **المناهج** هذا جزاءً من مجموع مخطوط بالعبدلية، أوقفني عليه وحثّني على تحقيقه ودرسه شيخي مقامُ والدي سيدي محمد الفاضل ابن عاشور، مفتي الجمهورية وعميد الكليّة الزيتونية، شكر الله يده، وأقدرني على الوفاء بما له عليّ من حقّ وفضل.

وما أن أقبلت على أقسام كتاب حازم وأبوابه، مقاصده وفصوله، أنظر فيها وأتأمّلها وأحصر ما بها من خصائص يُفارق بها هذا الكتاب غيره من كتب النقد المعروفة المتداولة، حتّى تعلّقت الهمّة بإعداده للنشر إعدادا علميّا، مشاركة منّي في إحياء التراث العربي القومي التونسي، وتطلّعا إلى إماطة اللثام عن بعض الحقائق التي لا تزال إلى اليوم خفيّة في فلسفة النقد والنظر التحليلي لفنّ الشعر عند العرب.

وتوًّا تقدّمتُ بطلب إلى جامعة باريس، مسجّلاً بذلك موضوع أطروحتي.

وهناك في العاصمة الفرنسية بالسربون بمدرسة البحوث العليا، وبمعهد الدراسات الإسلامية، وبمنزل العلامة ريجيس بلاشار، مكثت عامين كاملين لا أنقطع عن العمل والدرس بأحد هذه المراكز الثلاثة إلاّ لقضاء ساعات بمكتبة اللغات الشرقيّة أو المكتبة الوطنية، أراجع بها بعض الكتب القيّمة المخطوطة ونحوها من أمّهات مصادر البحث.

ولقد لقيت من العلامة المستشرق الكبير أستاذي ريجيس بلاشار ما لا أقدر على وصفه

من ألوان العناية والاختصاص، فكان بالرغم من تدهور صحّته سنة 64/63 حريصًا على مراقبة عملي وحسن توجيهي. فأفادني ذلك خبرة واسعة وأورثتني ملازمته دقّةً وتثبّتاً في البحث، وانتظاماً ومثابرة في العمل.

فأنا أشكر له بين يدي هذه الرسالة التي أقدّمُها إيثاره لي، وعنايته بي. كما أتوجّه بخالص شكري وعظيم امتناني إلى كافة شيوخي وأساتذتي الذين أمدّوني بألوان إعاناتهم وبذلوا لي النّصيحة، راجياً من الله أن يوفّقني ويسدّد خُطاي فيما أستقبله من عمل علمي، وأقدم عليه من بحث ودرس، إنّه سميع مجيب.

تونس، في نوفمبر (تشرين الثاني) 1966

رُمـوز وإشـارات

أسفله = بعد.

أعلاه = قبل

تع. = تعليق

ج. = جمع

س. = سطر. وربما وضعنا(:) بدل الحرف. وذلك كما في المعجم والفهارس.

ف. = متبعة بحرف = معلم أو معرف أو مأم. وهي بمعنى فصل.

ف. = متبعة برقم = إضاءة أو تنوير. وهي بمعنى فقرة.

ق. = قسم

ق. = متبعة باسم كتاب أو مؤلف = قابل.

م. = ملحق.

م. = متبعة برقم = منهج.

متد. = متداول، كثير الورود.

مثله. = نفس المكان.

مج. = مجموع.

مخط. = مخطوط.

مق. = مقابل، ضد.

و. = واحدُه، مفرده.

و...أ = ورقة، وجه.

و...ب = ـ، ظهر.

التواريخ

يسبق في كل تاريخ الرقم المشير للسنة الهجرية، ثم يذكر مقابله للسنة الميلادية أو الشمسية ويفصل بينهما بخط صغير مائل.

الأرقام

كل **الأرقام عربيّة**، إلا الموضوعة للتعريف بالقسم أو بالجزء فهي غبارية.



ثبْت المصَادر والمرَاجع

المصـــادر العربيــة :

- ابن الأبار. **التكملة لكتاب الصلة**. (2) القاهرة، 1375/ 1956 مجلدان.
- ابن الأثير. **المثل السائر**. نشر محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1358/ 1939، 3 مجلدات.
- أرسطو. **فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد**؛
  (1) ترجمة وشرح عبد الرحمن بدوي، القاهرة، 1953، مجلد واحد.
  (2) ترجمة ونشر وتحقيق هواردي، باريس، 1952، مجلد واحد.
- الأصفهاني (أبو الفرج) **الأغاني**. (3)، القاهرة، 1923 وما بعدها، 17 جزءً.
- ابن أبي أصيبعة. **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**. القاهرة، 1299 / 1882، مجلدان
  الأعشى. (2) نشر قيار، لندن، 1928، مجلد واحد.
  (3) نشر محمد حسين، القاهرة، مجلد واحد.
- الأعلم = الأعلم الشنتمري. **شرح ديوان طرفة**. نشر وترجمة سلكسون، باريس، 1901، مجلد واحد.
- الأعلم = الأعلم الشنتمري. **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**. القاهرة، مجلد واحد.
- **الأغاني**. راجع الأصفهاني
- **إلى طه حسين**. انظر بدوي
- الأمير. **حاشية على المغني**. القاهرة، 1317، مجلدان.
- ابن الأنباري. **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**. نشر إبراهيم السامرائي، بغداد، 1959، مجلد واحد.
- البحتري. . **الديوان**. نشر المطبعة الأدبية، بيروت، مجلدان.
  . **الحماسة**. نشر كمال مصطفى، القاهرة، 1929، مجلد واحد.
- بدوي (عبد الرحمن). **حازم القرطاجني ونظرية أرسطو في البلاغة والشعر**، مع نشر المنهج الثالث من القسم الثاني من المناهج في: **إلى طه حسين**، 85 . 146.
- البرقوقي. **شرح ديوان المتنبي**.
  (1) القاهرة، 1348/1930، مجلدان.
  (2) القاهرة، 1357/1938، 4 مجلدات.

- برنشفيق (روبارت). **شرقي بلاد البربر في العهد الحفصي**. باريس، 1940 - 1947، مجلدان.
- بروكلمان (كارل). **تاريخ الأدب العربي**، ويمار - برلين، 1898 - 1902،
  - مجلدان. م = **ملحقات**. ليدن، 1937 وما بعدها، 3 مجلدات.
- بلاشار (ريجيس). **تاريخ الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الخامس عشر** م. باريس، 1952، مجلدان.
  - **فصل عن عروض الشعر العربي حسب ما دلت عليه المنشورات الحديثة**.
  - **مجلة** أربيكا، ج 7، سبتمبر 1960، 225 - 236.
- بيريس (هنري) **فحول العرب في علم الأدب (شرح ديوان كثير)**. الجزائر - باريس، 1928، مجلد واحد.
- التبريزي. **شرح ديوان أبي تمام**. نشر ذخائر العرب 5، دار المعارف تحقيق محمد عبده عزام القاهرة، 4 مجلدات.
- التجاني. **الرحلة**. نشر حسن حسني عبد الوهاب، تونس 1958/1377، مجلد واحد.
- ترّاس (هنري). **تاريخ المغرب الأقصى منذ العصور القديمة إلى انتصاب الحماية الفرنسية**. الدار البيضاء، 1949 - 1950، مجلدان.
- التفتزاني. **شرح مختصر المعاني**. دلهي، 1955، مجلد واحد.
  - أبو تمام. انظر التبريزي.
  - **أبو تمام**. انظر المرزوقي
  - أبو تمام **الديوان**. (1) نشر محمد سعيد، مجلد واحد.
  - أبو تمام **الديوان**. (2) نشر جمال، مجلد واحد.
- التهامي (أبو الحسن). **الديوان**، الإسكندرية، 1892، مجلد واحد.
- الثعالبي. **يتيمة الدهر**. (1) دمشق، 1303، 4 مجلدات.
- الثعالبي. **يتيمة الدهر**. (2) القاهرة، 4 مجلدات.
- الجاحظ. **البيان والتبيين**، نشر السندوبي، القاهرة، 1927/1345، 3 مجلدات.
- الجاحظ. **الحيوان**. نشر عبد السلام هارون، القاهرة، 1357 وما بعدها، 7 مجلدات.
- جرير. **الديوان**. نشر الصاوي، القاهرة، مجلد واحد.
- الجمحي. **طبقات فحول الشعراء**. نشر ذخائر العرب، القاهرة، مجلد واحد.
- ابن الجهم (علي) **الديوان**. نشر خليل مردم، دمشق، مجلد واحد.
- جوليان (شارل أندري). **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح العربي إلى سنة 1880**. باريس، 1952، مجلد واحد.
- حازم القرطاجني، راجع **الديوان**.
- حازم القرطاجني، **رسالة القوافي**. مخط. عدد 2804، جامع الزيتونة، تونس.

- حسان ابن ثابت. **الديوان**. تونس، 1281، مجلد واحد - د. وليد عرفات. دار صادر.
- الحطيئة. **الديوان**. بيروت، 1951، مجلد واحد.
- الحموي (ابن حجة). **خزانة الأدب**. القاهرة، 1291، مجلد واحد
- الحميري. **جذوة المقتبس**. القاهرة، مجلد واحد.
- ابن أبي حازم (بشر). **الديوان**. دمشق، 1960، مجلد واحد.
- الخزرجي (علي). **الخزرجية**، ترجمة ونشر روني باسي، الجزائر، 1902، مجلد واحد.
- ابن الخطيب (لسان الدين). **الإحاطة**. نشر عنان، القاهرة، مجلد واحد.
- ابن خفاجة. **الديوان**. بيروت، 1951، مجلد واحد.
- الخفاجي (ابن سنان). **سرّ الفصاحة**، نشر علي فودة، القاهرة، 1932/1350، مجلد واحد.
- خليفة (حاجي).**كشف الظنون**. القاهرة، 1274، مجلدان.
- الخنساء. **الديوان**. بيروت، 1951، مجلد واحد.
- **دائرة المعارف الإسلامية** = د.م.إ. (1) ليدن - باريس، 1908 - 1934، 1934 - 1938، 4 مجلدات وملحق.
- **دائرة المعارف الإسلامية** = د.م.إ. (2) ليدن - باريس، بدأ الصدور من 1954.
- ابن دراج.**الديوان**. نشر محمد علي المكي. دمشق، 1961/1381، مجلد واحد.
- الدماميني. **الحواشي الهندية** (حاشية على المغني لابن هشام)، صدر مجلد واحد.
- الدماميني. **شرح الخزرجية: كتاب العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة**. القاهرة، مجلد واحد.
- دير انبورغ (هنري). **المخطوطات العربية للأسكوريال**، 3 مجلدات.
- **الديوان**: شعر حازم القرطاجني. نشر الكعاك، بيروت، 1964، مجلد واحد، حقّقه ونشره محمد الحبيب ابن الخوجة - الدار التونسية للنشر.
- ابن رشد. انظر أرسطو (1)
- ابن رشيد. **ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين: مكة وطيْبة**.
- مخط.، 1680، 1735، 1736، 1737، الاسكوريال. ونشره محمد الحبيب ابن الخوجة.
- ابن رشيق. **العمدة**. القاهرة، 1925/1344، مجلدان.
- الرعيني. **برنامج**. نشر إبراهيم شبّوح، دمشق، 1962/1381، مجلد واحد.
- ابن الرومي. **الديوان** (1) نشر كامل كيلاني، مجلد واحد.
- ابن الرومي. **الديوان** (2) نشر محمد شريف سليم، الهيئة المصرية - القاهرة. 3 مجلدات.
- ابن الرومي. **الديوان**(3)، نشر بتحقيق د حسين نصار الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.
- الزّبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن). **طبقات النحويين**، نشر أبي الفضل إبراهيم، القاهرة،

1954/1373، مجلد واحد.
- الزّبيدي (المرتضى) **تاج العروس** = التاج. القاهرة، 1306، 10 مجلدات.
- الزّجّاجي. **مجالس العلماء**. نشر عبد السلام هارون، الكويت، 1962، مجلد واحد.
- الزّركشي (بدر الدين). **البرهان في علوم القرآن**. القاهرة، 4 مجلدات.
- الزّركشي (محمد). **تاريخ الدولتين**. تونس، 1259، مجلد واحد.
- الزِّركلي. **الأعلام**. القاهرة، 10 مجلدات.
- زهير بن أبي سلمى. انظر الأعلم. الزّوزني. شرح المعلقات السبع. القاهرة، 1950، مجلد واحد.
- زيدان (جرجي) **تاريخ أدب اللغة العربية**. القاهرة، 1924 وما بعدها، 4 أجزاء في مجلدين.
- السّبكي (بهاء الدين). **عروس الأفراح**. انظر القزويني.
- السّبكي (تاج الدين) **طبقات الشافعية**. القاهرة، 1324، 6 مجلدات.
- السراج. **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**. تونس، 1287، مجلد واحد.
- ابن سعيد. **اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى**. نشر إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1959، مجلد واحد.
- ابن السّكيت. **شرح ديوان عروة بن الورد**. الجزائر، 1926، مجلد واحد. ابن سلام. انظر الجمحي.
- سلامة (إبراهيم). **بلاغة أرسطو بين العرب واليونان**. القاهرة، مجلد واحد.
- السندوبي. **شرح ديوان امرئ القيس**. (2) القاهرة، 1939/1358.
- السندوبي. **شرح ديوان امرئ القيس**. (3) القاهرة، مجلد واحد.
- سوتر (هـ). **فصل عن ابن الهيثم** في د.م.ا.
- سيبوية. **الكتاب**. بولاق، القاهرة، مجلد واحد.
- السيد (الجرجاني). **التعريفات**. القاهرة، 1283، مجلد واحد.
- ابن سينا. **الشفاء**. مخط. عدد 6829 المكتبة الوطنية بباريس؛ **الشفاء**، الطبيعيات - 1 - **السماعيات** تصدير ومراجعة الدكتور إبراهيم مدكور - تحقيق سعيد رايد بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس - الهيأة المصرية العامة للكتاب 1983.
- ابن سينا. **النجاة**. القاهرة، 1913/1331، مجلد واحد.
- ابن سينا. **النجاة** راجع أرسطو (1).
- السّيوطي. **بغية الوعاة في طبقات النّحاة**. القاهرة، 1326، مجلد واحد
- السّيوطي. **المزهر**. (2) القاهرة. مجلدان.
- السّيوطي. **الإتقان في علوم القرآن**، القاهرة، 1278، مجلدان.
- السيوطي. **الاقتراح**. مخط. جامع الزيتونة، تونس.
- الشّريف الرّضيّ. **الديوان**. بيروت، مجلدان.
- الشّماخ بن ضِرار. **الديوان**. القاهرة، مجلد واحد

. ابن أبي شنب (محمد). **فصل عن ابن الأبار**، د.م.أ.
. شيخو (لويس). **شعراء النصرانية قبل الإسلام**. بيروت، 1890، مجلدان.
. صبّاغ. **الاستعارة في القرآن**. 1943، مجلد واحد.
. الصّفدي (صلاح الدين). **اختراع الخُراع**. مخط. العاشورية، تونس.
. الصّفدي (صلاح الدين). **الغيث المنسجم في شرح لامية العجم**. القاهرة 1305، مجلدان.
. الصّفَدي (صلاح الدين) **الوافي بالوفيات**، مخط. 4840 ـ 4850 جامع الزيتونة، تونس.
. الضّبيّ. **المفضّليات**. (1) **نشر** السندوبي، القاهرة، 1926/1345، مجلد واحد.
. الطرابلسي (أمجد). **نقد الشعر عند العرب إلى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي**. دمشق، 1956، مجلد واحد.
. طرفه. انظر الأعلم.
. ابن عاشور (محمد الطاهر). **المقدمة الأدبية** (شرح لمقدمة المرزوقي على حماسة أبي تمام).
. تونس، 1957، مجلد واحد.
. العباسي (عبد الرحيم بن أحمد). **معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص**.
. (1) القاهرة، 1274، مجلدان
. (2) نشر محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1947/1367، 4 مجلدات.
. ابن عبد ربه. **العقد الفريد**. نشر محمد سعيد العريان، القاهرة، 1940/1359، 8 مجلّدات.
. العبدري. **الرحلة المغربية**. مخط. عدد 5093 جامع الزيتونة، تونس.
. العجلوني (إسماعيل). **كشف الخفاء ومُزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**. القاهرة، 1351، مجلدان.
. العسكري. **كتاب الصناعتين**، نشر محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، 1952/1371، مجلد واحد.
. العسكري. **ديوان المعاني**. القاهرة، مجلدان.
. العكبري. **شرح ديوان المتنبي**. (1) القاهرة، 1308، مجلدان.
. أبو العلاء. انظر المعري.
. علاّم (مهدي). **أبو الحسن حازم القرطاجني وفن المقصورة في الأدب العربي**.
. حولية كلية الآداب بجامعة عين شمس، القاهرة عدد ماي 1951، 1 ـ 31.
. علاّم (مهدي). نص **المقصورة**. حولية كلية الآداب بجامعة عين شمس القاهرة عدد 1953 ـ 1954، 1 ـ 110.
. عنان (عبد الله). **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**. (2) القاهرة، 1958/1378، مجلد واحد.
. عنترة. **الديوان**. نشر كرم البستاني، بيروت، 1956/1377، مجلد واحد.
. العيّاشي (أبو سالم). **الرحلة**. نشر فاس، مجلدان.

- الغرناطي. **رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة** (شرح المقصورة). القاهرة، 1344/1925، مجلد واحد.
- ابن فارس (أحمد). **مقاييس اللغة**. نشر عبد السلام محمد هارون، القاهرة، 1366، 6 مجلدات.
- الفاسي (محمد). **ابن رُشيد الفهري ورحلته إلىٰ الشرق**. 1959، مجلد واحد.
- فان ديك. **محيط الدائرة في علم العروض والقافية**. بيروت، 1857، مجلد واحد.
- الفرزدق. **الديوان**. نشر الصاوي، القاهرة، 1354/1936، مجلدان.
- ابن القاضي. **درة الحِجال**. نشر علوش، الرباط، 1934 ـ 1936، مجلدان
- القالي (أبو علي). **الأمالي**. القاهرة، 1344/1926، مجلدان
- ابن قتيبة. **الشعر والشعراء**. نشر شاكر، القاهرة، مجلدان.
- قدامة بن جعفر. **نقد الشعر**.
  (1) الجوائب، اسطنبول، مجلد واحد.
  (2) بوبنكر، ليدن، 1956، مجلد واحد.
- القـــرآن
- القزويني. **شرح تلخيص المفتاح**. القاهرة، 1317، 4 مجلدات.
- القفطي. **أنباء الرواة في أخبار النحاة**. القاهرة، 3 مجلدات.
- قومز = قارسيا قومز (إميليو). **ملاحظات عامة علىٰ القصيدة المقصورة لأبي الحسن القرطاجني**، فصل بمجلة الأندلس، 1933، 81 ـ 103.
- قواشون. **معجم مصطلحات ابن سينا الفلسفية**. باريس، 1938، مجلدان.
- كازري. **المكتبة العربية الإسبانية بالاسكوريال**. مجريط، 1760، 1770، مجلدان.
- الكتبي (ابن شاكر). **فوات الوفيات**. نشر محمد محيي الدين، القاهرة 1952، مجلدان.
- كثير. انظر بيريس.
- كحّالة (عمر رضا). **معجم المؤلفين**. دمشق، 1381/1961، 15 مجلدا.
- كرد علي (محمد) **رسائل البلغاء**. (4) القاهرة، 1374/1954، مجلد واحد.
- كرنكو. **فصل عن الصّفدي** ب د م ا
- **لسان العرب = اللسان**، راجع ابن منظور.
- ليتري. **معجم اللغة الفرنسية**، باريس، 1877 وما بعدها، 4 مجلدات.
- ليفي بروفانسال. **مؤرخو الأشراف**. باريس، 1922، مجلد واحد.
- ليفي بروفانسال. نشر ترجمة وتقديم لكتاب **الروض المعطار** للحميري، ليدن، 1938، مجلد واحد.
- المتنبي. **الديوان**، بيروت، 1276/1860، مجلد واحد.
- المتنبي. انظر البرقوقي
- المتنبي. انظر العكبري.

- مخلوف. **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**. القاهرة، 1350، مجلدان
- المرزباني. **كتاب الموشح**. القاهرة، 1343، مجلد واحد.
- المرزباني. **معجم الشعراء**، نشر كرنكو عقب كتاب الآمدي، 199 وما بعدها.
- المرزوقي. **شرح ديوان الحماسة** لأبي تمام. القاهرة، 4 مجلدات.
- المرصفي. **رغبة الآمل في شرح الكامل**. القاهرة، 8 مجلدات.
- مسلم بن الوليد. **الديوان**. نشر سامي الدهان، القاهرة، مجلد واحد.
- ابن المعتز. **الديوان**. نشر محمد محيي الدين الخياط. دمشق، مجلد*واحد.
- ابن المعتز. **طبقات الشعراء**. عبد الستار أحمد فرّاج، القاهرة، 1956، مجلد واحد.
- المعري(أبو العلاء) **سقط الزند**. بيروت، 1884، مجلد واحد.
- المعري، أبو العلاء. **التنوير**. القاهرة، 1358، مجلدان.
- المعري، أبو العلاء. **رسالة الغفران**، نشر وتحقيق بنت الشاطئ، مجلد واحد.
- المقري (أحمد). **نفح الطيب**، نشر دوزي، دوقات، كريشل، ورايت، ليدن، 1858 وما بعدها، مجلدان.
- المقري (أحمد) **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**. القاهرة، 1939/1358، 3 مجلدات.
- ابن منظور. **لسان العرب**. بولاق، 1300، 20 مجلدًا.
- مهيار الديلمي. **الديوان**. القاهرة، 1344 - 1925/1349 - 1930 أربعة أجزاء في مجلدين.
- النابغة. **الديوان**. (1) المصباح، بيروت، مجلد واحد.
- النابغة. **الديوان**. (2) بيروت، 1960/1379، مجلد واحد.
- الناصري. **كتاب الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى**. نشر جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء، 1954، 9 مجلدات.
- ابن نباته السعدي. **الديوان**. مخط. عدد 4571 جامع الزيتونة، تونس.
- نللينو (كارلو الفونسو). **تاريخ الأدب العربي من الجاهلية إلى عهد الدولة الأموية**، ترجمة شارل بيلات، باريس، 1950، مجلد واحد.
- النّواجي (شمس الدين محمد). **رسالة تتعلّق بالقوافي** مج. مخط. العاشورية. تونس
- أبو نواس. **الديوان**. (1) التقدم، القاهرة، مجلد واحد.
- أبو نواس. **الديوان**. (2) نشر أحمد عبد المجيد الغزالي، القاهرة، 1953، مجلد واحد.
- وايل. **فصل عن العروض** ب.د.م.ا. (2)، 688 - 698.
- ابن الوليد. انظر مسلم.
- وهب بن منبّه. كتاب **التيجان**. الهند، 1347، مجلد واحد.

المصـــادر الأجنبيـــة :

- BENCHENEB (M.) Art. sur 1. Al-Abbâs. in E.I.
- BLACHERE (R.) Histoire de la littérature arabe des origines à la fin du XVe siècle. J.c. Paris, 1952; 1 vol. in 4°.
    — Métrique et Prosodie arabes à la lumière des publications récentes. in Arabica. T. VII, sept. 1960; fasc. 3, pp. 225-236.
- BROCKELMANN (C.) Geschichte der Arabischen Litteratur. Weimar - Berlin, 1898-1902; 2 vol. in 8°.
    — Geschichte der Arabischen Litteratur. Supplementband. Leyde, 1937 suiv.; 3 vol. in 8°.
- BRUNSCHVIG (R.) La Berbérie Orientale sous les Hafsides. Paris, 1940-1947; 2 vol. in 4°.
- CASIRI. Bibliatheca Arabico-Hispana Escuriaiensis. Madird, 1760-1770; 2 vol. in 4°.
- CATTENOZ (H.G.) Tables de concordance des ères chrétienne et hégirienne. Rabat, 1953, 1 vol. in 4°.
- DEREMBOURG (H.) Les Manuscrits Arabes de l'Escurial. 3 vol. in 4°.
- E.I. = Encyclopédie de l'Islam. Leyde - Paris, 1908-1942; 4 vol. et un supplément, in 4°.
    — Ibidem, 2e ed. en cours de publication. Leyde - Paris, à,partir de 1954.
- GARCIA GOMEZ (E.) Observaciones Sobre la Qasîda Maqsûra de Abu-I-Hasn Al-Qartajanni. in Al-Andalus, 1933, pp. 81-103.
- GOICHON (A.M.) Lexique de la langue philosophique d'Ibn Sînâ. Paris, 1938; 2 vol. in 4°.
- HAZRAGI (Ali) La Hazragyya. Trait de Métrique Arabe. Trad. et Comment. R. Basset; ed. Alger, 1902; 1 vol. in 4°.
- JUUEN (Ch. A.) Histoire de l'Afrique du Nord (Tunisie-Algérie-Maroc) de la Conquête Arabe à 1880. Paris, 1952; 2 vol. in 8°.
- KRENKOW (F.) Art. sur Safadi. in E.I.
- LEVI-PROVENCAL (E.) Les historiens des Chorfas. Paris, 1922; 1 vol. in 4°.
    — La Péninsule Ibérique au Moyen-âge d'après le Kitâb Ar-Rawd al-Mi'târ d'Al-Himyari. Leiden, 1938; 1 vol. in 4°.
- LITTRE (E.) Dictionnaire de la langue française. Paris, 1877 et suiv.; 4 vol. in 4°.
- NALLINO (C. Alfonso) La Littérature Arabe des origines à l'époque de la Dynastie Umeyade. Trad. Charles Pellat. Paris, 1950; 1 vol. in 8°.
- PERES (.H) Fubul al-adab fi llm, al-adab. Comment. du Diwan Kutayyr. ed. Alger-Paris, 1928; 1 vol. in 8°.
- SABBAG (T.) La Métaphore dans le Coran. 1943; 1 vol. in 4°.
- SUTER (H.) Art. sur Ibn-al-Haytam. in E.I.
- TERRASSE (H.) Histoire du Maroc des origines à l'établissement du Protectorat Français. Casablanca, 1949-1950; 2 vol. in 8°.
- TRABULSI (A.) La Critique Poétique des Arabes jusqu'au Ve siècle H. / XIe siècle J.C. Damas, 1956; 1 vol. in 4°.
- WEIL (G.) Art. sur Arûd. in E.I. (2) ed. pp. 688 - 698.

1 . أثبتت بهذه القائمة الكتب الأعجمية التي أحلنا عليها معربة أسماؤها، وتسهيلاً للمراجعة نذكر بعد ذلك قائمتها الأصلية الخاصة بها.

مدخل



تمهيد

لم يكن من بين النقّاد العرب، من عهد قدامة بن جعفر إلى عهد ابن رشيق، من عني عناية ملحوظة بكتاب الشعر لأرسطو المنقول عن السريانية بأقلام كثير من الفلاسفة أمثال الفارابي وابن سينا وابن رشد[1].

وليس من بين المؤلّفين المتقدّمين عامة من قصد في نقد الشعر إلى الجمع بين الطريقتين الهيلينية والعربية غير الرياضي الفيلسوف ابن الهيثم المتوفّي بالقاهرة سنة 430/ [2]1038، وذلك بمصنّفه الذي يبدو أنّه مفقود كجملة آثار ابن الهيثم، والذي عنوانه: «**رسالة في صناعة الشّعر ممتزجة من اليوناني والعربي**»[3].

ونظرًا لهذا الوضع فإنّ من الصعب جدّاً التوصّل إلى تقدير تأثيرات أرسطو على نقد الشّعر عند العرب.

1 ـ راجع في هذا أرسطو، (1)، 149ـ158، 161ـ198، 201ـ250.
2 ـ راجع ترجمته في د.م.ا. (1)، ٢، 405. فصل ابن الهيثم بقلم سوتر.
3 ـ راجع ابن أبي أصيبعة ٢، 94س26.

وهذا غرض قد أحاطت به شكوك كثيرة وتباينت فيه الآراء كما يظهر ذلك بوضوح من كتابي إبراهيم سلامة وأمجد طرابلسي. فإذا كان أوّلهما يسلّم بوجود التأثيرات الهيلينية على نقد الشّعر لدى العرب[4]، فإنّ الثاني ينكر ذلك إطلاقاً[5].

واليوم يمكننا أن نضع حدّاً للشك والغموض السابقين بالوقوف على كتاب حازم القرطاجنّي الأندلسي الذي يمثّل في باب نقد الشعر من جهات كثيرة أهميّة بالغة ويصوّر بغاية الوضوح، كما سنبيّنه، التأثيرات اليونانية في صناعة النقد عند العرب[6].

وللتوصّل إلى بيان ذلك رأينا أن نعرّف بحازم أوّلاً ثمّ نتناول بالتحليل التفصيلي كتابه **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** لإماطة اللثام عن الصبعة الهيلينية في مؤلّفه.

---

4 ـ راجع إبراهيم سلامة، 127 – 200 ،210، 217.
5 ـ راجع أمجد الطرابلسي، 78،س22ـ25.
6 ـ انظر أسفله 99.

مصادر حَياة حَازم

من الضروري، لتدوين حياة حازم، أن نعود إلى مصادر أربعة مختلفة:

أ) أقوال حازم عن نفسه.

ب) المؤلّفات المفقودة التي يحيل عليها أو يذكرها السّيوطي والمقّري.

ج) المعلومات التي تركها حول حازم معاصروه.

د) الترجمات المحرّرة بعدُ والمستمدّة عناصرها ممّا تقدّم ذكره من المصادر المختلفة.

أ) ـ أقــوال حــازم عن نفســه.

يمكن أن نعتبر من هذا القسم في جملة أشعار حازم[7] ورسائله سواء منها ما تعلّق بالعربية[8] أو بأحكام القافية[9]. فإذا قدّر لنا أن نتعمّق دراسة في هذه الآثار لمؤلّفنا استطعنا، بعد الغوص على دقائقها، أن نكشف عن حياة حازم وعن علاقاته بأمراء عصره[10] وعن شيوخه وعن معاصريه. وأزخر مادة من بين هذه الآثار الكثيرة المتنوّعة، **القصيدة المقصورة**[11]. فهي غنيّة، فريدة بما

7 ـ انظر أسفله 73ـ86.

8 ـ انظر أسفله 87ـ88.

9 ـ انظر أسفله 89.

10 ـ خالط حازم من الأمراء: الرشيد الموحدي وأبا زكرياء الحفصي وابنيه المستنصر والواثق) انظر أسفله 59 وتع 160، 71 وتع81،79،78،233.

11 ـ انظر أسفله 81 ـ86.

اشتملت عليه من معلومات دقيقة عن الظروف الملابسة لحياة حازم بمسقط رأسه[12] وبالمغرب العربي[13].

ب) ـ المؤلّفات المفقودة التي يحيل عليها أو يذكرها السّيوطي والمقّري.

أوّل هذه المؤلّفات يُنسب **لأبي حيّان** الأندلسي[14] المولود بغرناطة سنة 654/ 1256، والمتوفّى بالقاهرة سنة 745/ 1344[15] فلقد خصّ هذا المؤلّف حازما بترجمة أثنى عليه فيها[16]، إمّا في **برنامجه** الذي تحدّث فيه عن شيوخه، وهو الذي ينقل لنا المقّري ملخّصه عن الرُّعينيّ[17]، وإمّا بأحد كتابيه تاريخ **نحاة الأندلس أو النضار** الوارد ذكرهما في ترجمة السيوطي له[18].

وثاني المصنّفات المفقودة المشار إليه: **كنّش** ابن المُرابط نزيل تونس[19].

وهو الذي دلّ المقّري على إقامة حازم زمنًا بمرّاكش.

ج) ـ القسم الثالث من المعلومات: ما كتبه معاصرو حازم عنه، وهؤلاء كثير:

1 ـ ابن الأبّار المؤرّخ المحَدّث الذي قتله المستنصر الأوّل الحفصي سنة 658/ 1260[20]. ذكر في **تكملته**، في سطور سبعة، ترجمة لوالد حازم، نقل مضمونها عن ولده[21].

---

12 ـ مثله.

13 ـ مثله.

14 ـ هو أثير محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الأندلسي الغرناطي النفزي نسبة إلى نفزة، قبيلة من قبائل البربر بالمغرب. راجع السيوطي: **البغية**، 121.

15 ـ راجع المقري: **النفح**، (1)، ١، 833ـ862، عدد 214.

16 ـ راجع في ذلك المقري: **الأزهار**، ٣، 172 س4ـ5.

17 ـ هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الأندلسي، تلميذ ابن حيان، وله برنامج. راجع المقري: **النفح**، (1)، ١، 843، س7 وما بعده.

18 ـ راجع السيوطي: **البغية**، 121 س20 وما بعده.

19 ـ راجع لهذا المقري: **الأزهار**، ٣، 173 س 11ـ12، ق. كحالة، ٨، 33، ٩، 21، 284، ١١، 199، ١١، 22، 121، 234.

20 ـ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي المعروف بابن الأبار، راجع المقري: **النفح**، (1)، ١، 866 س12ـ769 س6، **د.م.ا.** ترجمة ابن شنب له (1) ٢، 374ـ375؛ مخلوف، ١، 195 عدد 661.

21 ـ ابن الأبار، ٢، 633 عدد 1650.

2 ـ ابن سعيد الكاتب الشّاعر المؤرّخ الرحّالة. هو من أسرة بني سعيد المشهورة. ولد بقلعة بني سعيد سنة 610/ 1214 وتوفي بتونس سنة 685/ [22]. وقد خصّ حازما بالترجمة الثالثة من **قدحه**. فنوّه بمقدرته وأثنى عليه وذكر هجرته إلى بلاد المغرب وانتسابه إلى بلاط الحفصيين في عهد المستنصر الأوّل. وأورد له بعض قطع من شعره[23].

3 ـ العبدري صاحب **الرحلة المغربية**. ذكر بها ما شاهده في وجهته إلى الحج في 25 ذي القعدة 688/ 11 ديسمبر 1289[24]. وقد أورد في هذه الرحلة كثيرا من أسماء الشيوخ والمحدّثين الذين سمع منهم، من بينهم أبو الحسن علي بن إبراهيم التجاني تلميذ حازم. لقيه بتونس وسمع منه القصيدة اللامية الطويلة التي نظمها القرطاجنّي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلّم[25].

4 ـ ابن رُشيْد العالم المحدّث والشّاعر الرحالة. ولد بسبتة 657/ 1258، وتوفي بفاس 721/ 1321[26]. اشتهر كثيرًا **برحلته** الكبيرة[27] التي ضمّنها سماعاته عن شيوخه وأصحابه الذين لقيهم بالمغرب والمشرق عند قصده إلى الحج، وترجم لهم. والمظنون أنّ هذا الرحّالة لقي حازما بتونس عند الذهاب، أي حين اجتيازه بها للمرّة الأولى، وذلك سنة 683/ 1284.

---

22 ـ هو أبو الحسن بن موسى ابن سعيد. راجع ابن رشد، مخط. 1737. و100أ101أ؛ مخلوف،1، 197 عدد 668؛ د.م.ا.، (1)،2، 439.

23 ـ ابن سعيد، 20ـ21عدد 3.

24 ـ هو أبو محمد محمد العبدري من بني عبد الدار. أصله من بلنسية. راجع د.م.ا.(1)، ١، 69ـ70.

25 ـ العبدري، مخط. 5093، و. 155ب س 14ـ و. 157 ب س 16.

26 ـ هو أبو عبد الله محمد بن عمر الفهري السبتي، المعروف بابن رشيد. راجع السيوطي: **البغية** 85؛ الفاسي.

27 ـ عنوان الرحلة كما أورده الفاسي: **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة.**

وقد حفظ ابن رُشيد لشيخه هذا إكباراً عظيمًا وودّاً كبيراً تدلّ عليهما الإشارات العديدة التي تضمّنتها الرحلة. وفعلا فإنّ المؤلّف أورد ذكره بها، فيما وقفنا عليه منها، اثنتي عشرة مرّة.

1) استحسان حازم لقصيدة أبي الفضل التجاني[28].

2) إيراد أربعة أبيات ميميّة من الوافر رثى بها التجانيّ الشاعرين الكاتبين: حازما والحميري[29].

3) ذكر قصيد صوفي لحازم نفسه نظمه بتونس. وقد مهّد ابن رشيد لذلك برواية خبر يتعلّق بناظمه[30].

4) ذكر بيت لحازم ألغز فيه. وقد عقّبه ابن رُشيد بالتنويه بمقدرة ناظمه والإعجاب ببراعته[31].

5) ذكر سماع التجاني من حازم لثلاثة أبيات في تورية، أنشده حازم إيّاها عند زيارته له ببيت الكتّاب بتونس[32].

6) إيراد قصيدة طويلة لحازم تتألّف من مائة بيت في مدح الأمير الحفصي أبي زكرياء الأول[33].

7) الحديث عن أبي العباس أحمد الكتّاني التونسي واحتفاظه بجملة مصنّفات حازم[34].

8) إيراد قصّة تصوّر اختلاف حازم عن ابن حَبيش في كون الأول يفخّم كلام نفسه ويعتزّ بصناعته وتأليفه فيكشف أحياناً عن بدائع روائع كامنة في

28 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1735 و.5ب س 14ـ15.
29 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1735 و.8 ب س 26ـ و. 9أس3.
30 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1735 و.31 أ س 19ـ و. 32 أ س 5.
31 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1735 و. 34 أ س 5 وما بعده.
32 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1735 و.36 أ س 3 وما بعده.
33 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1735 و. 40 أ س 10ـ و. 42 أ س2.
34 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1737 و. 35 ب س 14ـ20؛ انظر عن الكتاني أسفله43.

فائق كلامه، وكون الثاني يخفي محاسن أدبه. وقد ميّز بينهما ابن رُشيد في الصناعة بقوله عنهما: «كانا الغاية في طريقتيهما، أبو الحسن في جزالته وأبو بكر في حلاوته»[35].

9) إيراد شهادة أبي بكر ابن حَبيش في حازم عن طريق أبي الفضل التجاني وهي قوله: «كان أبو الحسن حامل راية الأندلسيين»[36].

10) ذكر حازم وأخيه أبي علي فيمن حضر مجلس الرشيد الموحّدي بمرّاكش وتذييلهما بيتي ابن الجوزي النونيين فيمن ذيّلهما، الأول بتسعة وعشرين بيتا والثاني بثلاثة أبيات. وذلك نقلا عن مجموع جمع فيه ما وقع في ذلك المجلس، أوقف ابن رشيد عليه بعضُ أصحابه بتونس[37].

11) ذكر تنويه ابن القوبع بسعة علم حازم وفضل كتابه **المنهاج**، وذلك قوله: «وقال لي صاحبنا أبو عبد الله: إنّه انتفع في هذا العلم (البلاغة) بكتاب شيخنا أبي الحسن حازم رحمه الله. قال ولمّا وقفت على قوانينه ووعيتها، وإن كان ترك التمثيل لها، صار كلّ ما أقرأه وأنظر فيه من كلام بليغ أو بديع يصير كلّه لي أمثلة لتلك القوانين»[38].

12) ترجمة ابن رُشيد لحازم. وقد تكون هذه الترجمة في القسم المفقود من الرحلة، يدلّ على ذلك إشارته إليها بقوله قبل إيراده للقصيدة الصادية بطولها التي يرويها له عن التجاني: «وقد تقدّم المقدار الذي أنشدني منها شيخنا أبو الحسن حازم رحمه الله في رسمه»[39]. هذا وقد أورد السّيوطي والمقّرى فقرة من هذه الترجمة جاء فيها: «أبو الحسن حازم حَبر البلغاء وبحر الأدباء، ذو اختيارات فائقة واختراعات رائقة، لا نعلم أحدا ممّن لقيناه

---

35 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1737 و. 40 أس 5 ـ 14.
36 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1737 و.40 أس 20.
37 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1737 و. 106 ب س 7ـ109 أس 16.
38 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1737 و. 117 أس 5ـ14.
39 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1735 و. 40 أس 12.

جمع من علم اللسان ما جمع ولا أحكم من معاقد علم البيان ما أحكم من منقول ومبتدع. وأمّا البلاغة فهو بحرها العذب والمنفرد بحمل رايتها أميرا في الشرق والغرب. وأمّا حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها فهو حَمّاد رواياتها وحمّال أوقارها، يجمع في ذلك جودة التصنيف وبراعة الخطّ، ويضرب بسهم في العقليات، والدراية أغلب عليه من الرواية»[40].

5 ـ التجاني الكاتب الرحّالة المولود بتونس بين سنة 670 ـ 675/ 1272 ـ 1276، المتوفّى عقب سنة 721/ [41]1321. أورد لحازم مرّة واحدة في رحلته قطعة من الشعر بقصد مقارنتها ببيت للشمّاخ ابن ضِرا[42].

6ـ الصفدي المورّخ صاحب الطبقات والتراجم. ولد بصَفد من أعمال فلسطين سنة 696/ 1296 ـ 1297، وتوفي بدمشق سنة 764/ [43]1362. ترجم لحازم في كتابه **الوافي بالوفيات**. فأورد بعض معلومات عن حياته ولقّبه بهنيء الدّين. ذكر من مصنّفاته **سراج البلغاء** في البلاغة وقصيدة في النحو. وختم هذه الترجمة بإيراد قطعة من شعر حازم في النسيب تتألّف من تسعة أبيات ميميّ[44].

7 ـ السُّبْكي: ولد سنة 719/ 1319 وتوفّي سنة 773/ 1371. عالم من علماء البلاغة، واسع المعرفة ومحدّث مشهور أخذ عن المزّي وأبي حيّان الأندلسي ورجال آخرين[45]. وهو صاحب كتاب **عروس الأفراح في شرح**

---

40 ـ راجع السيوطي: **البغية**، 214؛ المقري: **الأزهار**، ٣، 172 س 6 وما يليه؛ **النفح**، (1)، ١، 866 9. 12.

41 ـ هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم، أحد أفراد الأسرة التجانية المشهورة، راجع مخلوف، ١، 206 عدد 716؛ مقدمة **الرحلة**، 19ـ46.

42 ـ راجع التجاني، 186 س 7ـ11.

43 ـ هو صلاح الدين خليل ابن أيبك. راجع **د.م.ا**، (فصل بقلم كرنكو) (1)، ٤ 54ـ56؛ الزركلي، (2). ٢، 365ـ366.

44 ـ انظر أسفله 49 وتع 250.

45 ـ هو بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، راجع السيوطي: **البغية**، 148ـ149؛ بروكلمان، ٢، 12، 13 عدد 16.

تلخيص المفتاح. وبه أورد العنوان الكامل لكتاب حازم عند ذكر مصادره[46]، كما نقل منه فقرا وأحال عليه أخرى[47].

8 ـ ابن الخطيب لسان الدين، الكاتب الشاعر وزير بني الأحمر المولود بغرناطة سنة 713/ 1313 والمتوفّى بفاس سنة 776/ [48]137. أورد في **الإحاطة** قصة يتندّر فيها بحازم[49].

9 ـ الزّركشي. عالم من علماء البلاغة واسع المعرفة ولد بالقاهرة سنة 745/ 1344 وتوفّي بها سنة 794/ [50]1392. من مصنّفاته كتاب **البرهان في علوم القرآن**، وبه أورد الاسم الكامل لتأليف حازم، ونوّه بشأنه ونقل عنه في ثمانية مواضع[51].

د) الترجمات المحرّرة بعدُ، والمستمدّة عناصرها مما تقدّم ذكره من المصادر. وعدد هذه الترجمات كثير نعد من بين أصحابها:

1 ـ الدماميني اللغوي النحوي المولود بالإسكندرية سنة 763/ 1362 والمتوفّى في «كابرجا» من بلاد الهند سنة 827/ [52]1424. وهو صاحب **الحواشي الهندية**. ذكر في شرحه لكتاب **المغني** لابن هشام، عند الحديث عن المسألة الزنبورية، أخبارًا قليلة تتعلّق بحازم. فأشار إلى أصله ومنشئه وبلد هجرته وذكر من مؤلّفاته النّظمية القصيدة **المقصورة** والطريقين اللذين يرويها بهما، كما ذكر له من **قصيدته النحوية** سبعة عشر بيتاً زيادة على ذكره ابن هشام في الأصل وهو أربعة عشر بيتاً[53].

---

46 ـ انظر أسفله 64.

47 ـ انظر م. 383 ـ 387.

48 ـ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني الغرناطي، المعروف بابن الخطيب. راجع بروكلمان، م.٢، 372؛ د.م.ا.، (1)، ٢، 621، مخلوف، 1، 203 عدد 825، الزركلي (2)، ٧، 112-113.

49 ـ راجع ابن الخطيب، 208.

50 ـ هو بدر الدين محمد بن عبد الله، المعروف بالزركشي. واجع بروكلمان، ٢، 108 عدد 18.

51 ـ انظر م. 388 ـ 393.

52 ـ هو محمد بن أبي بكر. راجع بروكلمان، م، ٢، 17؛ كحالة، ٩، 115.

53 ـ راجع الدماميني، ١، 189 ـ 190.

2 ـ السّيوطي العالم المؤرّخ الواسع المعرفة المولود بالقاهرة سنة 849/ 1445 والمتوفّى بها سنة 911/ 1515[54]. ترجم لحازم في **البغية** ملخّصا ثمّة مقالات أبي حيان وابن رُشيد والصَّفدي والسُبكي والزَّركشي حوله. ذكر من مصنّفاته **سراج البلغاء** في البلاغة[55]. واستشهد بنصوص من **المنهاج** ثلاث مرّات في **المزهر**[56]، ومرّتين: واحدة في كتابه **الإتقان**[57]، والأخرى في **الاقتراح**[58].

3 ـ الزَّركشي المؤرّخ التونسي المتوفَّى بُعيد سنة 932/ 1525 [59]لا يذكر في كتابه تاريخ الدولتين غير سنة وفاة حازم[60].

4 ـ ابن القاضي، الفقيه، الأديب، المؤرّخ، الشاعر والرّياضي، المولود بمكناس سنة 960/ 4 ـ 1553 والمتوفّى بفاس سنة 1025/ 1616[61]. ترجم لحازم في كتابه درّة الحِجال ونوّه بشأن صاحب **المقصورة** معقّبا ذلك بإيراد نصّ إجازة بعض العلماء المصريين لحازم[62]. ولم يذكر من بين المتخرّجين عليه غير ابن رُشيد[63].

---

54 ـ هو عبد الرحمن ابن أبي بكر. راجع **د.م.ا.** (1)، ٤، 601 ـ602.

55 ـ راجع السيوطي: **البغية**، 214 س 17.

56 ـ انظر م. 383 تع2، 386 تع2.

57 ـ انظر م. 390 تع1.

58 ـ انظر م. 383 تع2.

59 ـ هو محمد بن إبراهيم ابن لؤلؤ، المعروف بالزركشي، راجع بروكلمان، م. ٢، 677، الزركلي، (2)، ٦، 192.

60 ـ راجع الزركشي: **التاريخ**، 41 س 11.

61 ـ هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد ابن القاضي. راجع د.م.ا، (1)، ٢، 414ـ415.

62 ـ انظر أسفله 69.

63 ـ راجع ابن القاضي، 137 عدد 381.

5 ـ المقّرِي، المؤرّخ، الشّاعر والكاتب، المولود بتلمسان حوالي سنة 1000 / 2 ـ 1591 والمتوفّى بالقاهرة سنة 1041 / 1632[64]. أتمّ ما جمعه السّيوطي[65] من معلومات حول حازم وخصّ صاحب **المقصورة** في **النفح**[66] بترجمة، ثمّ عاد إلى الحديث عنه في **الأزهار**[67] ذاكرا له أبياتا كثيرة من نظمه ومشيرا إلى إقامته القصيرة بمرّاكش زمن الرشيد الموحّدي قبل استقراره بتونس[68]. هذا وقد مهّد للأولى بقوله: «خرج أبو حيان من الأندلس سنة تسع وسبعين وستمائة. وكان جماعة من أعلام الأندلس رحلوا منها، فلمّا وصلوا إلى العدوة أقاموا بها ولم يذهبوا إلى البلاد المشرقية، منهم الشيخ النحوي الناظم الناثر أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجنّي»[69]. ثم أورد له في النفح أيضاً كثيرًا من القصائد والقطع الشعرية[70]، وذكر من مؤلفاته رسالته في الردّ على المقرّب لابن عصفور[71]، وتحدّث عن علوّ درجته العلميّة وعظيم تأثيره على من حوله من العلماء والطلاّب، وعن تقدير الأمير المستنصر بالله الحفصي له وثقته به[72].

6 ـ حاجي خليفة، المولود بالآستانة سنة 1017 / 1609، والمتوفّى به سنة 1067 / 1657[73]. قدّم لنا في مكانين مختلفين من كتابه **الكشف** معلومات تتعلّق بحياة حازم ومؤلّفاته. وذكر له بالخصوص المقصورة[74]، و**منهاج البلغاء في علمي البلاغة والبيان**[75].

---

64 ـ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني. راجع بروكلمان، م.٢، 407 عدد6.

65 ـ انظر أعــلاه 39.

66 ـ راجع المقري: **النفح**، (1)، ١، 862 ـ866 عدد 215.

67 ـ راجع المقري: **الأزهار**، ٣، 171 س 8 ـ 182 س 2.

68 ـ انظر أعلاه 34.

69 ـ راجع المقري: **النفح**، (1)،١، 862 س 4 ـ6.

70 ـ راجع المقري: **النفح**، (1)،١، 862 س 8 ـ 866 س 17، ٢، 409،522.

71 ـ راجع المقري: **النفح**، (1)،١، 522.

72 ـ راجع المقري: **النفح**، (1)،١، 599.

73 ـ هو مصطفى بن الكاتب شلبي. راجع بروكلمان، م.،٢، 635.

74 ـ راجع خليفة، ٢، 323.

75 ـ راجع خليفة، ٢، 352ـ353.

7 ـ العيّاشي، المولود بالقرب من تفيلالت من بلاد المغرب الأقصى سنة 1037/ 1638 والمتوفّى سنة 1091 / 1679[76]. ينقل في رحلته عن ابن رُشيد قطعة من نظم حازم[77].

8 ـ السّرّاج، المتوفّى سنة 1149 ـ 1736 [78] ينقل في **حلله** كلام العبدري عن حازم ويورد قطعتين من نظمه[79].

9 ـ الأمير، المولود بالقاهرة سنة 1154/1741 والمتوفّى سنة 1232/1817 [80]. ذكر في **حاشيته على المغني** لابن هشام شيئا عن حياة حازم.

فتحدّث عن مولده بالأندلس وإقامته بتونس نقلا عن السّيوطي. وعدّ من مؤلّفاته **المقصورة** وكتابا في ستة أجزاء في البلاغة سماه **منهاج البلغاء**، و**القصيدة النحوية** المحتوية حسب زعمه على نحو مائتي بيت. ذكر منها ابن هشام في الأصل أربعة عشر بيتا وأضاف إليها الأمير أربعة وثلاثين أخرى[81].

10 ـ مخلوف، الواسع المعرفة، المؤرّخ المعاصر، من مواليد المنستير بتونس. ترجم لحازم بطبقاته: **شجرة النور الزكية**. فلخّص هناك ما جاء به المقّري في ترجمة حازم وأحال عليه[82].

فممّا تقدّمت الإشارة إليه من المصادر نستطيع أن نلاحظ أننا لا نملك عمليّا ترجمة وافية لحازم. وكلّ ما لدينا لا يعدو أن يكون قصّة أو خبرا أو شهادة تتعلّق

---

76 ـ هو أبو سالم العياش، من آيت عياش قبيلة بربرية بالمغرب الأقصى. راجع ليفي بروفنسال، 262ـ264، بروكلمان، ٢، 711.

77 ـ راجع العياشي، ٢، 254، ق. ابن رشيد، مخط. 1735، و. 36 أ س 3 وما يليه.

78 ـ هو محمد بن محمد الأندلسي. راجع كحالة، ١١، 194.

79 ـ راجع السراج، 219، 303.

80 ـ هو محمد بن محمد الأزهري، المعروف بالأمير. راجع كحالة، ٩، 68.

81 ـ راجع الأمير، ١، 75.

82 ـ راجع مخلوف، ١، 197 عدد 607.

بشخص حازم أو بعلمه. فإذا كانت متعلّقة بشعره وردت في الغالب معقّبة بأبيات أو قطع من نظمه. وأهمّ من يعتمد من الكتّاب السابقين ابن رُشيد والمقرّي. وذلك لما يمتازان به، في الترجمة لحازم، من الأخبار المنتقاة والأحكام الدّقيقة ممّا جعلهما أساسًا لكلّ ما حرّر حتّى الآن من الفصول والدراسات عن حازم.

ومن بين البحوث التي أنارتنا في دراستنا هذه ينبغي أن نعدّ:

1 ـ مقال الأستاذ أميليو قارسيا قومز الذي عنوانه: «**محاولات في الترجمة لحازم القرطاجنّي والشريف الغرناطي**»[83].

2 ـ دراسة الأستاذ محمد مهدي علاّم **للمقصورة**[84].

3 ـ المؤلّف العظيم الأستاذ برنشفيق: **شرقي بلاد البربر في العصر الحفصي**، وهو الذي أعاننا على إبراز الحياتين السياسية والثقافية بشماليّ إفريقيا لعهد حازم[85].

4 ـ مقال الأستاذ عبد الرحمن بدوي عن **حازم القرطاجنّي ونظريات أرسطو في البلاغة والشعر**[86].

---

83 ـ راجع ملاحظات عامة حول القصيدة المقصورة لأبي الحسن القرطاجني، قومز: الأندلس، 1933م.1، عدد1، 81.

84 ـ تتعلق هذه الدراسة بالترجمة لأبي الحسن حازم القرطاجني والتعريف بفن المقاصير. **حولية**، سنة 1951، ١، 1ـ31.

85 ـ في هذه الدراسة الواسعة تعرض المؤلف لذكر حازم في الجزء الثاني، الباب 13، 407.

86 ـ راجع **إلى طه حسين**، 85ـ 146.

حيَـــاة حَـــازم

الحالة السياسية والثقافية بالأندلس في أوّل القرن السابع / الثالث عشر

لقد كان لسنة 609/ 1212 أثر بالغ في تاريخ الأندلس، به تحوّل الوضع تحوّلا كاملا في جنوبي الجزيرة الإيبيرية[87]. فعاد ما كان بين النصارى من تخاذل وانقسام تماسكًا والتآماً وسارعت جميع عناصرهم تضاعف حركة القتال، ومطاردة المسلمين، ابتغاء استرجاع السيادة الكاملة في اسبانيا[88]. وهكذا تحالف ملوك قسطلّة وليون وأراغون ونافار والبرتغال، وعادت الإمارات الثلاث القديمة دولا قوية. فاكتسح ملك البرتغال أراضي المسلمين والواقعة جنوبي بلاده. وشرع ملك قسطلة فردناند الثالث وملك أراغون خايمي في فتنة المسلمين شرقي الأندلس[89]، كما نظّما حركة الزحف على ما بقي بأيدي ملوك الطوائف من إمارات إسلامية، جنوبي الجزيرة[90].

أمّا بنو عبد المؤمن من الموحّدين فإنّهم تأكّدوا، بعد خيبة واقعة العُقاب سنة 609/ 1212، من ذهاب سلطانهم في الأندلس والمغرب جميعا. وتخاذل أشياخ الموحّدين في إدارة شؤون السلطنة، فلم يزد ذلك إلاّ فسادًا وبلبلة. وظهرت في تلك الآونة فتن كثيرة هنا وهناك كانت سبباً في انقسام البلاد[91]. وخرج أبو عبد الله محمد بن هود عن الموحّدين سنة 625/ 1229. فزاد ذلك

87 ـ راجع عنان، 2، 67؛ جوليان. 118 س 3ـ7؛ تراس، ١، 340ـ342.

88 ـ راجع عنان، 78.

89 ـ راجع عنان 80 ـ 81.

90 ـ راجع عنان، 81؛ تراس، ١، 349ـ350.

91 ـ راجع عنان، 81؛ تراس،١، 353 ـ 355.

السلطنة إرهاقا ونكالا. واجتاحت ثورته مرسيّة. وقد سانده في ذلك العبّاسيون وتلقّب بالمتوكّل. وفي ثلاث سنوات استطاع أن يمدّ نفوذه على جيّان وقرطبة والمريّة وباجة وغرناطة. وحاول بمفرده أن يقف في وجه الزاحف النصراني فردناند الثالث، فحرص على فرض سلطانه على الساحل كلّه وعلى الولايات الجنوبية الواقعة بين الجزيرة والمريّة من جهة، وبين قرطبة وغرناطة من جهة أخرى(92). ولم يلق ابن هود في المهمّة التي اضطلع بها أيّة مساندة من ملوك وأمراء المسلمين بالجزيرة. فقد عارضه خصمه ابن الأحمر(93) ملك غرناطة، ووقف في وجهه بعض الأمراء الموحّدين المقيمين إلى ذلك العهد بجنوبي اسبانيا(94). وتبعت ذلك فتنة وحرب داخلية انتهزها الملك النصراني فردناند الثالث فرصة للاستلاء على كثير من القواعد والمدن، وخاصّة على قرطبة سنة 633/ (95)1236.

هذا وقد أصابت حرب الاسترداد القومية في الصميم الحياة الفكرية والثقافية بالأندلس، وكان لسقوط قرطبة بالخصوص من النتائج ما حمل كثيرًا من أسر العلم والأدب على الهجرة. ومن بين من فارق الأندلس في تلك الأثناء:

- ابن عربي، الفقيه الفيلسوف، المولود بمرسيّة سنة560 / 1165 والمتوفّى بدمشق سنة 638/ (96)1240.
- ابن مالك، النحوي اللغوي، المولود بجيّان سنة 600 / 1203 ـ 1204، والمتوفّى بدمشق سنة 672 / 1274/ (97).

92 ـ راجع تراس، ١، 355؛ عنان، 26 ـ 27.
93 ـ راجع ناصري، ٢، 211 س3؛ عنان، 27.
94 ـ راجع عنان، 27.
95 ـ راجع عنان، 28؛ ق. ناصري، ٢، 122 س4.
96 ـ هو محيي الدين بن عربي، وتمام اسمه أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد الحاتمي. د.م.ا، (1)، ٢، 383 ـ 384.
97 ـ هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الجياني. د.م.ا، (1)، ٢، 426 ـ 427؛ السيوطي: **البغية**، 53 ـ 57.

- ابن البيطار، العالم الطبيب، المتوفّي سنة 646 / 1248 [98].
- ابن الرومية، الطبيب والعالم النباتي، المولود سنة 567/ 1171، والمتوفى بإشبيلية سنة 637/ 1239[99].
- ابن الأبّار، الحافظ الشاعر المؤرّخ[100].
- ابن سعيد، الأديب المؤرّخ[101].
- ابن عُميرة، الشاعر الكاتب، أحد أعلام شرقي الأندلس، تولّى الكتابة وقضاء كثير من مدن الأندلس قبل زحف ملك أراغون جاك الأوّل، وتوفّي بتونس سنة 658/ 1260 [102].

ومثل هؤلاء ممن اضطرّ إلى مهاجرة مسقط رأسه الأندلس بدون رجعة إليه كثير. وقد رأيناهم إثر مفارقتهم له مقيمين إمّا بالمغرب بمرّاكش أو بإفريقية، وإمّا بالمشرق بسوريا أو بمصر أو بالحجاز. وهذا بدون شك عامل من عوامل انقراض الحياة الفكرية الإسلامية هناك. وهو مصير لم يحدث فجأة، بل تدريجياً. فقد لوحظ أنّ نشاطا نسبيا بقي عشرات السنين ملموسا في مراكز كثيرة بجنوبي الجزيرة. وكان العلماء يجتمعون هناك جادّين في درس كثير من العلوم والفنون وعاملين على بعث الحياة الفكرية والثقافية بتلك المراكز.

ومن بين المدن أو العواصم الثقافية التي لا يجوز إغفالها في تلك الفترة: قرطبة شريش ومالقة وغرناطة وبلنسية ومرسيّة وإشبيلية.

ففي قرطبة اشتهر من القرّاء والمحدّثين في تلك الظروف:

---

98 ـ هو أبو محمد عبد الله بن أحمد ـ بروكلمان، م. 1، 896 ـ 897؛ المقري: **النفح**، (1)، ١، 1934 عدد 302.

99 ـ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج. راجع المقري: **النفح**. (1)، ١، 870 ـ 871 عدد 218.

100 ـ انظر أعلاه 34.

101 ـ مثله.

102 ـ هو أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، راجع برنشفيق، ٢، 400.

ـ ابن الطليسان الأوسي، المولود سنة 575 / 1179، والمتوفّى بمالقة سنة 642/ 1244. أخذ عن ابن خَلصة وأبي القاسم بن جُرج وابن أبي زمنين، وهو صاحب مؤلّف كبير الأهمية في الحديث[103].

ومن الفقهاء والمحدّثين الذين عرفوا بها:

ـ ابن بقي، المولود سنة 537 / 1142، والمتوفّى سنة 625 / 1227. أخذ عن الخزرجي وابن بشكوال وابن سَمحون وآخرين. وهو معروف في ذلك العهد بميله إلى الظاهرية، مذهب ابن حزم[104].

ومن الفلاسفة والكتّاب والمحدّثين:

ـ ابن الربيع، المولود سنة 563/ 1167، والمتوفّى بمالقة سنة 640/ 1242. أخذ عن ابن بشكوال وابن طلحة وأبي زكرياء الأصبهاني وركن الدين الرُعيني وغيرهم. وقد ترك مؤلّفات في الأصول والكلام وما وراء الطبيع[105].

ومن الشعراء الممتازين الذين ظهروا بهذا المركز:

ـ ابن مَرْج الكُحل، المتوفّى بشقر سنة 634/ [106]1236.

وبشَريش ظهر كثير من العلماء. من بينهم قرّاء ومحدّثون مثل:

ـ اللّخمي، المتوفّى سنة 619/ 1222. أخذ عن التميمي ومظفّر ابن سِوار واليسع[107].

وأدباء ونحاة من أبرزهم:

---

103 ـ هوالقاسم بن محمد بن أحمد. راجع الرعيني، 27 عدد 10، السيوطي: **البغية**، 380.

104 ـ هو أبو القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد، راجع الرعيني، 50 عدد 16؛ ابن الأبار، ١، 115ـ116 عدد 292.

105 ـ هو أبو عامر يحيي بن عبد الرحمن بن أحمد بن الربيع. راجع الرعيني، 72 عدد 23.

106 ـ هو محمد بن إدريس، المعروف بمرة الكحل. راجع الرعيني، 208 عد 111.

107 ـ هو أبو الحسن علي بن هشام بن الحجاج بن الصعب اللخمي، راجع الرعيني، 24 عدد 9.

ـ القَيسي، المتوفّى سنة 619 / 1222. أخذ عن الحجري والسكسكي وابن مقدام وابن الفخّار. وله مؤلّفات متنوّعة منها: **شرح الإيضاح** للفارسي، وثلاثة **شروح لمقامات** الحريري، **وتلخيص النوادر للقالي**(108).

وبمقالة تبرّز العالم النحوي:

ـ الرُّندي، المتوفّى سنة616 / 1219. أخذ عن ابن الجدّ وابن زرْقون وابن بشْكوال والسّهيلي. وأقرأ العربية بمالقة. وله **شرح على الجمل** للزجاج(109).

وبغرناطة تعدّدت ألوان الثقافة وكثر رجالها. فبها من المحدّثين والكتّاب والشعراء جماعة من بينهم:

ـ سهل بن محمد، المولود سنة 559/ 1163، والمتوفّى سنة 639 / 1241. أخذ عن ابن حُبيش والسهيلي والقالي وابن مضاء. وأجاز كما أجيز كثيرا، وترك آثارا أدبيّة متونوّعة شعريّة ونثريّة(110).

ومن رجال الطبقات وأصحاب كتب التراجم:

ـ الملاّحي، المتوفّى سنة 1222/ 619. أخذ عن علماء كثيرين من المغاربة والمشارقة. ومن أبرز مؤلّفاته: كتاب الأسانيد المعروف واسمه **الأربعون، وتاريخ علماء ألْبيرة، وشجرة الأنساب**(111).

وببلنسيّة عرف المحدّث الشهير:

ـ الزّهري، بها ولد سنة 569/ 1173، وكانت وفاته ببجاية سنة 645/ 1247. أخذ عن أبي محمد بن عبيد الله وابن حُبيش وابن خير وغيره(112).

108 ـ هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي. راجع الرعيني، 90 ـ 91. عدد33.

109 ـ هو أبو علي بن عبد المجيد بن عمر الرندي.واجع الرعيني، 86 ـ88 عدد 31.

110 ـ هو أبو الحسن سهل بن محمد الغرناطي. راجع الرعيني، 59 ـ 63 عدد 20.

111 ـ هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم، المعروف بالملاحي، راجع الرعيني، 64 ـ 66 عدد 21.

112 ـ هو القاضي أبو بكر محمد. راجع الرعيني، 166 ـ 167 عدد 89.

وبمرسيّة اشتهر فقهاء ومحدّثون وشعراء من بينهم:

- الكلاعي، بها ولد سنة 565 / 1169، وتوفي ببلنسيّة سنة 634/ 1236. أخذ عن ابن حبيش وابن الجد وابن زرقون. وله مؤلّفات عديدة ذكر جملتها أبو الحسن الرُّعيني[113].

- الطّرسوني، المولود قبل عام 560 / 1164، والمتوفّى بواقعة نبّوت سنة 622 / 1225. أخذ عن ابن حُميد وابن حُبيش وابن البراء والبوصيري. وهو واسع المعرفة في الأدب والعلوم العربية والشرعية والطب. أقرأ بمرسيّة الفقه زمنًا[114].

ومن النحاة والأدباء الذين ظهروا بهذا المركز أيضاً:

- العَروضي، المتوفّى سنة 640 / 1242. أصله من الجزائر، وقد أخذ عن كثير من علماء بجاية، ثم ارتحل إلى الأندلس واستقرّ بمرسيّة إلى أن وافاه الأجل. وبها أقرأ الأدب والنحو[115].

وبإشبيلية، أعظم المراكز نشاطاً بجنوبي الجزيرة، نلتقي في تلك الآونة بعلماء وأدباء كثيرين. من بينهم قرّاء ومحدّثون أمثال:

- السَبئي، المتوفّى بوقعة قصر أبي دانس سنة 614/ 1217. أخذ عن ابن أبي هارون ونُجبة وابن الشرّاط[116].

- القرطبي، المتوفّى سنة 630/ 1232. أخذ عن ابن زرقون والخزرجي وغيرهما. وأقرأ الحديث والفقه والقراءات كما وضع **تلخيصًا لكتاب الاستذكار** لابن عبد البرّ[117].

---

113 ـ هو سليمان بن موسى بن سليم، المعروف بأبي الربيع الكلاعي. راجع الرعيني 66ـ 72 عدد 22.

114 ـ هو أبو القاسم أحمد بن محمد، المعروف بالطرسوني، راجع الرعيني، 163 عدد 84؛ السيوطي: **البغية**، 157؛ ابن الآبار، ١، 113.

115 ـ هو أحمد بن هلال، المعروف بالعروضي. راجع ابن الأبار، ١، 129 عدد 324.

116 ـ هو أبو بكر محمد بن عبد النور، راجع الرعيني، 14 ـ 18 عدد 4.

117 ـ هو أبو بكر محمد بن عبد النور، راجع الرعيني، 11ـ14 عدد 3.

ومن الفقهاء المبرّزين بإشبيلية:

ـ ابن زرقون، المولود سنة 539 / 1144 والمتوفّى سنة 621 / 1224. أخذ عن ابن الجدّ، وترك مصنّفات كثيرة من بينها: **أزهار السُّنن وإيضاح السَّنَن وتلخيص لكتاب الأموال** لابن عبيد[118].

ومن المحدّثين والأدباء والنحاة الذين اشتهروا بسعة المعرفة ورسوخ القدم في العلوم العربية والإسلامية:

ـ ابن طلحة، المولود بيابرة سنة 545 / 1150 والمتوفّي سنة 618 / 1221. أخذ عن ابن صاف وابن ملكون. وتصدّر لتدريس فنون كثيرة. فأقرأ **الجمل** للزجاجي **والإيضاح** للفارسي والأشعار الستّة للأعلم وأدب الكاتب لابن قتيبة **وإصلاح المنطق** لابن السكيت **والفصيح** لثعلب **والحماسة** لأبي تمّام **والمقامات** للحريري وغيرها من الكتب[119].

ـ ابن الدبّاج، المولود سنة 566 / 1170 والمتوفّي سنة 645 / 1247. أخذ عن ابن صاف ونُجبة وابن خروف وغيرهم[120].

وبالرغم عمّا اشتهر به هؤلاء العلماء بإشبيلية من المكانة المرموقة بعين الاعتبار في العلم فإنّ منزلتهم لا تبلغ أبدا ما وصل إليه رجل الإسناد والعربية وإمام النحاة جميعا في ذلك العصر الشَلَوبين. ولد أبو علي هذا سنة 562 / 1166 وتوفي سنة 645 / 1247. وأخذ عن ابن الجَد وابن زرقون وابن حُبيش وغيرهم من الأعلام. وهو وإن كُتب له أن لا يُعرف بغير العربية التي واصل تدريسها وتلقين علومها وفنونها على مذهب أهل البصرة ستين عاما في المناطق الباقية تحت حكم الإسلام بالأندلس، فإنّه من أولئك الأفذاذ الذين

---

118 ـ هو أبو الحسن محمد. راجع الرعيني، 31 ـ 37 عدد 2.

119 ـ هو أبو بكر محمد الأموي. راجع الرعيني، 79ـ80 عدد 27.

120 ـ هو أبو الحسن علي بن جابر بن علي اللخمي، المعروف بالدباج. راجع. 88ـ89 عدد 32.

بثّوا في صدور الرجال العلوم والفلسفة التي تلقّاها عن شيخيه ابن رُشد وابن زُهر. وهو إلى ما عرف به من الإجازات، التي أخذها عن مئات الرجال، قد ترك مصنّفات هامة من أبرزها: **شرحان على الجزولية وتعاليق على كتاب** سيبويه ومقدّمة في النحو أسماها **التوطئة**. هذا وقد هرع إليه، لتبحّره في العلوم وتمكّنه منها، طلبة كثيرون من أطراف الأندلس ومن المغرب[121]. وهو ما يدعونا إلى العودة للحديث عنه عند الترجمة لحازم وبيان مراحل تكوّنه[122].

وممّا قدمنا يتّضح أنّ المراكز العلمية التي سبقت الإشارة إليها متفاوتة الأهمية في تلك الفترة، ومن أجل ذلك كان أعلاها درجة وأبعدها شهرة ومكانة ملتقى للطلاّب والعلماء والشيوخ.

حـــازم وبيئـتـــه

في هذا الوضع الثقافي وفي تلك الظروف السياسية قصد محمد بن الحسن الأوسي مرسَى قرطاجنّة الروماني العتيق الواقع بالجنوب الشرقي من بلاد الأندلس قرب مُرسيّة. واستقرّ بعد ذلك به منتقلا إليه من سرقُسْطة مهد عائلته ومسقط رأسه. وقد كانت ولادته بها سنة 554 / 1159، ولما يفع أخذ عن خالد ابن أبي العافية وعن القاضي ابن أبي جمرة. واشتهر إثر ذلك بسعة المعرفة في العلوم الحديثية والفقهية وفي الأدب. وأسندت إليه في الثامن والثلاثين من عمره خطة قضاء قرطاجنّة ولزمها إلى أن وافاه أجله سنة 632 / 1234 [123]. وفي هذا المرفأ، الذي اختاره مكانا لإقامته، ولد له ابنه الأكبر أبو علي الذي

121 ـ هو أبو علي محمد بن محمد بن عمد الإشبيلي، ويعرف بالشلوبين، راجع الرعيني، 83 ـ 85 عدد 30؛ السيوطي: **البغية**، 364.

122 ـ انظر أسفله 53ـ54.

123 ـ راجع ابن الأبار، ٢، 633 ـ 634 عدد 1650.

نعرض له عند الحديث عن بلاط الرشيد الموحّدي بمرّاكش[124]، ثمّ ابنة حازم مترجمنا وذلك سنة 608 / 1211. وقد اشتهر هذا الأخير بنسبته إلى مسقط رأسه حتى عرف بالقرطاجنّي[125].

وقد نشأ أبو الحسن حازم في وسط ممتاز ذي يسار. وقضى طفولته وشبابه في عيش رغد، متنقّلا بين قرطاجنّة ومُرسيّة كما تدلّ على ذلك مقاطيع كثيرة من **مقصورته**[126]. ولم يكن دائما منقطعا إلى لذائذ الحياة ومتعها موليّا وجهه قبلها، بل كان إلى ذلك مقبلا على التعلّم جادّا في الدرس. وقد بدأ ككلّ الأطفال في عصره بحفظ القرآن وتخرّج في قراءته على شيوخ جلّة من قرّاء بلده. ووجد من والده خير ملقّن وموجّه لمعرفة العربية وتعلّم قواعدها والإلمام بطائفة من قضايا الفقه والعلوم الحديثيّة. ولمّا يفع أقبل مثل معاصريه ابن الأبّار[127] والمخزومي[128] على دراسة العلوم الشرعية واللغوية، وكان ذلك يدعوه إلى التردّد باستمرار على مدينة مرسيّة القريبة منه للأُخذ عن أشياخها أمثال الطرسوني والعروضي[129]. وهناك درس كثيرًا من أمّهات الكتب حتّى فاق نظراءه. واكتملت عناصر ثقافته فكان فقيها مالكي المذهب كوالده، نحوياً بصرياً كعامة علماء الأندلس، حافظًا للحديث، راوية للأخبار والأدب، شاعراً. ولم تقف به همّة البحث والدرس عند هذا الحدّ. بل كان طموحه يدفع به إلى الاستزادة من ذلك والأخذ عن الأعلام المعروفين المقيمين بجنوبي الجزيرة. ودفعه توقه الشديد للمعارف إلى الذهاب إلى غرناطة وإشبيلية. فجمع من الأسانيد والإجازات ما جمع، واتّصل آخر الأمر بشيخه الجليل عمدة الحديث والعربية الذي عرف بالانتساب إليه أبي علي الشلوبين[130].

---

124 ـ انظر أسفله 58 س17.

125 ـ راجع السيوطي: **البغية**، 214.

126 ـ انظر أسفله 82، 83.

127 ـ انظر أعلاه 34.

128 ـ انظر أعلاه 47 وتع.102.

129 ـ انظر أعلاه50.

130 ـ راجع مخلوف، ١، 197 عدد 667.

ومن المقدّر أنّ هذا الإمام لاحظ في مريده شيئا من الاستعداد للأخذ بالعلوم العقلية، فلم يجعل منه راوية كابن الأبّار، أو لغويًا نحوياً فقط، فيقتصر على تدريس **كتاب** سيبوية له، بل حمله على الأخذ بالعلوم الحكمية الهيلينية، ووجّهه إلى دراسة المنطق والخطابة والشعر[131]. وأعجب حازم بعلوّ منزلة أستاذه، وأكبر اتّساع معارفه. فأقبل على مطالعة ما أشار عليه به من مصنّفات شيخه ابن رشد[132]، وكتب غيره من الفلاسفة أمثال الفارابي وابن سينا. وقارب عدد شيوخ حازم حسب مقالة أبي حيان الألف[133]، لكنّنا لسوء الحظ لا نملك في ذلك برنامجًا[134]، ولم توقفنا المصادر القليلة على أكثر ممّا وقعت الإشارة إليه منهم، فلا نقدر أن نعدّ، في هذا السلك بأسمائهم، غير والده والطرسوني والعروضي والشلوبين.

هجرة حازم إلى المغرب الأقصى

تعرّضت حياة حازم المتدفّقة جدّا ونشاطا لأحداث أليمة متوالية قطعتها. فلم يكد يبلغ العشرين حولا من عمره حتّى أصيب في والده الذي توفّي بمُرسيّة سنة 632/ 1234[135]. وبعد ذلك بقليل، في السنة الموالية سقطت قاعدة الأمويين بالأندلس بيد النصارى، واحتلّ الأسبان قرطبة سنة 633/ 1236[136]. وتوالت إثر ذلك الفتن والمحن، وعرفت نفس المصير، على

131 ـ لا شك في كون حازم قد درس بإمعان كتاب **الشعر** لأرسطو من خلال ترجماته الكثيرة. انظر أسفله 99 تع. 325،326.

132 ـ انظر أعلاه 51.

133 ـ انظر أعلاه34 وتع 16.

134 ـ تطلق كلمة «البرنامج» على الكتاب الذي يضعه صاحبه للتعريف بشيوخه والترجمة لهم.

135 ـ راجع ابن الأبار: **التكملة**٢، 633 ـ 634 عدد 1650.

136 ـ انظر أعلاه46.

التعاقب، مدنُ بيّاسة سنة634/ 1237، وبلنسية 636 / 1238، وشاطبة ودانية سنة 638 / 1240[137].

وانطفأ الأمل الوحيد للمسلمين بالأندلس بموت ابن هود سنة 635/ 1237[138]. ولم يكن من آثار تلك الظروف والأحداث غير فزع المسلمين وانقسام جماعتهم: طائفة منهم تَكره ملك غرناطة ابن الأحمر، ولّت وجهها نحو الأمير الحفصي بتونس وبعثت إلى أبي زكريا الأول بسفارتها مبايعة ومستصرخة[139]، وطائفة ترضى عن ملك غرناطة، شايعت الموحّدين، وقد كان على رأسهم يومئذ الخليفة الرشيد[140].

أمّا حازم فقد اضطرّ ككثير من مواطنيه إلى مفارقة وطنه ومسقط رأسه مهاجرا إلى المغرب. ولم نظفر فيما بين أيدينا من مراجع بتاريخ يحدّد هذه الهجرة، غير أنّه يمكن لنا أن نتوصّل إلى تقدير ذلك. فإذا فرضنا أن ذهابه إلى المغرب لم يكن إلاّ بعد موت والده ودخول النصارى قرطبة أي بعد سنة 633 / 1236، وأنّه من جهة ثانية لا يمكن أن يتأخّر سفره عن شهر شوال سنة 639 أفريل ـ ماي 1242[141]، لانّه في تلك الفترة قد كان حتما بتونس قاعدة الحفصيين كما سنبيّنه، فإنّ إقامته القصيرة بمرّاكش التي أشار إليها ابن رُشيد[142] وابن المرابط[143]، يمكن حصرها فيما بين سنة 633 ـ 639 / 1236 ـ 1242، ويكون خروجه إلى المغرب في أوّل تلك الفترة قبل موت الرُّشيد ممدوحه.

137 ـ راجع عنان، 16.
138 ـ راجع عنان، 28.
139 ـ راجع عنان، 32.
140 ـ مثلـه.
141 ـ في هذا التاريخ خرج أبو زكرياء الأول إلى تلمسان، ولم يعد إلى تونس إذ توفّي في طريق رجوعه إليها. راجع برنشفيق، ۱، 31، 38.
142 ـ انظر أعلاه 36.
143 ـ انظر أعلاه 34.

المغرب الأقصى في العهد الموحدي

بين سنة 633 / 1236 وسنة 638 / 1242

يبدو أنّ حازما لم يحسن الاختيار حين قصد إلى مرّاكش متّخذا منها، في مهجره، دار إقامة. فقد كانت الحياة بها مضطربة أيّ اضطراب. وهي لا تفضل من أيّ وجه الأندلس، لما كان يتتابها من حوادث وفتن، وهي مدعاة في كلّ يوم للفوضى وألوان الفزع. فالسلطان الموحّدي آخذ في الأفول، سائرة أركانه إلى الانهيار. والخليفة الشاب الرشيد، الّذي لم يتجاوز سنة 633/ 1236 السابعة عشرة من عمره، لم يكن ليجد في عهده استقرارا ولا أمنا، بالرّغم ممّا بذل يوم توليته من جهود لتدارك الوضع. وهو وإن أمّن أهل مرّاكش عند دخولها، وشمل عفوه كثيرا من الموحّدين، وأعاد ما أزاله المأمون والده من رسوم المهدي ابن تومرت وسنّته سنة 632/ 1234 في بدء ولايته[144]، فإن خصمه المعاند يحيى بن ناصر ومن يظاهره من أهل الفتنة، أمثال عمر بن أوقاريط شيخ هسكورة ومسعود بن حميدان أمير الخلط،[145] لم يكفّوا عن مشاغبته ومقاومته. ونشأت عن ذلك فتن داخلية تمكّن بسببها أعداء الرشيد من الاستيلاء على مرّاكش قاعدة الخلافة الموحّدية. ولم يستطع الأمير قمع الفتنة ولا الرجوع إلى عاصمته وتطهيرها من خصومه وأتباعهم إلاّ سنة 633/ 1236 بفضل مساندة شيخ سفيان جرمون بن عيسى له[146]. وتفرّق إثر ذلك أعداؤه المتنمّرون. فالتحق ابن أوقاريط بالأندلس، ولجأ يحيى بن ناصر إلى بني معقل أين اغتيل قرب تازة[147]. ولم يكن هذا المآل ليدلّ على انفراج الأزمة أو استقامة الأمر للموحّدين، فإنّ عناصر بربرية أخرى - بني مَرين من زناتة - تقاطرت من جهة وهران على المغرب الأقصى وتكاثرت به، تكتسح أطرافه وتضيف إلى ما به من

---

144 - راجع الناصري. ٢، 217.

145 - راجع الناصري. ٢، 217 - 218.

146 - راجع الناصري. ٢، 217-218، تراس١، 356، س2-4.

147 - راجع الناصري. ٢، 219.

أدواء المجاعة والوباء شغبا آخر عجّل بسقوط الدولة الموحّدية وقيام الدولة الجديدة المرينيّة مكانها[148]. وقد أعانت على هذا أحداث كثيرة، عرض لها الأستاذ شارل أندري جوليان بالشرح حين قال: «لقد كان لتفكّك السلطنة، بسبب الهزائم في الأندلس، ما أعان على حدوث بلابل وانتفاضات داخل المغرب. فأمير تلمسان يغمراسن بن زيان أعلن استقلاله، مؤسّسا بهذه الصورة سنة 1235 ـ 1236 مملكة مستقلّة هي مملكة بني عبد الوادي. وبإفريقية انفصل الوالي الحفصي عن دولة الخلافة الموحّدية معلنا بذلك استقلاله[149]». وقد ظهرت من سنة 628 / 1230 مناوأته للمأمون ولابنه من بعد الرشيد. فقد زحف على قسنطينة وبجاية وأخضعهما لطاعته، وفي زمن قليل، مثلما صرّح به الأستاذ برنشفيق استطاع أبو زكريا الأوّل أن يجمع تحت سلطانه بلاد إفريقية وأطرافها مما عرف بعد ذلك بالبلاد الحفصيّة. وهو عبارة عن المناطق والجهات الممتدّة فيما بين بلاد القبائل الكبرى إلى حدود السرت. وقد أضاف إلى ذلك عاصمة الجزائر، وخضعت له من القبائل بنو منديل وبنو توجين. وهكذا أصبح أكثر من نصف البلاد البربريّة خاضعًا لرقابته أو تحت رئاسته المباشرة[150]، ممّا جعل الدولة المومنيّة في عهد المأمون وابنه الرشيد، وبالخصوص فيما بين سنة 633 / 1236 وسنة 638 / 1242 تمرّ بأيّام عصيبة سوداء.

هذا والجدير بالملاحظة أنّ الوضع السياسي القاتم بالمغرب لم يكن ليحول في الواقع دون النشاط الثقافي والعلمي به. ذلك لأنّ الرشيد كان يولي هذا الجانب من الحياة في دولته عناية خاصة. وكان كثيرا ما يتردّد على فاس عاصمة الفكر الإسلامي ببلاده ليغدق على العلماء والأشراف من عطاياه، فينيلهم أملاكًا ورباعًا[151].

148 ـ راجع برنشفيق، ١، 23.
149 ـ راجع جوليان، 120.
150 ـ راجع برنشفيق، ١، 22.
151 ـ راجع الناصري. ٢، 219، س10 ـ 12.

فمن بين العلماء والأدباء الذين ظهروا بتلك الفترة في المغرب الأقصى نجد فقهاء ومحدّثين وكتّابا وشعراء كثيرين.

فمن الفقهاء والمحدّثين:

- التازي، المتوفّى سنة 649 / 1251. أخذ عن ابن عبيد الله وابن جبير والخشني وابن مضاء وغيرهم[152].
- ابن الكمّاد، المتوفّى سنة 663/ 1264. أخذ عن الخشني وابن بقي، وعنه ابن الزبير[153].

ومن المحدّثين وأصحاب التواريخ أو الطبقات:

- ابن فرتون، المتوفّى سنة 660/ 1261. أخذ عن الخشني وابن ملجوم والقرطبي، وعنه ابن الزبير. ومن مصنّفاته تأليف استدرك فيه على السهيلي في كتاب **التعريف والأعلام، والذيل على الصلة**[154].
- ابن عبادة القلعي، المتوفَّى سنة 669 / 1257. أخذ عن البزناسي والملياني، وعنه الغبريني[155].

ومن الخطباء والأدباء:

- المزدغي، المتوفى سنة 655 / 1257. أخذ عن ابن أبي دُلف وابن زيدان، وعنه العمراني. من مصنّفاته: كتاب في العقيدة وتفسير القرآن وصل فيه إلى سورة الفتح[156].

---

152 ـ هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الغافقي، المعروف بالتازي. مخلوف، ١، 186 عدد 618.

153 ـ هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد. راجع مخلوف، ١، 200 عدد 679.

154 ـ هو أبو العباس أحمد بن يوسف. راجع مخلوف، ١، 200 عدد 678.

155 ـ هو أبو محمد عبد الله. راجع مخلوف، ١، 200 عدد 680.

156 ـ هو أبو عبد الله محمد بن يوسف، عرف بالمزدغي. واجع مخلوف، ١، 199 عدد 676.

وإلى جانب هؤلاء المشاهير من العلماء نستطيع بفضل ابن رُشيد أن نذكر جمهرة من الشعراء عرفها بلاط الرشيد. وهي تتألّف من نجم الدين الحَسني وابن القطّان والفزاري وابن الحنّاط والعُشبي وابن حجّاج وابن زغبوش والطهري وابن زنّون وابن غالب وابن موسى والعراقي وابن هشام والجيّاني وابن أبي ثلاثة والمصانعي[157].

وفي ضمن هؤلاء الرجال الذين لم نتوصّل بعد إلى التعريف بأكثرهم نجد حازما[158] وأخاه أبا علي الذي يبدو أسنّ من أخيه، وإن كنّا لم نظفر عنه بمعلومات أخرى غير الأبيات التي نسبها إليه ابن رُشيد[159].

ففي هذا الوسط الثقافي ظهر حازم حريصا على إرضاء ميوله الفكرية. لذلك نجده على اتّصال دائم بالنخبة من المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب، يشارك مشاركة هامّة في الحياة الأدبية بمرّاكش، أين كان يطمح إلى التفوّق بشعره. وعلاوة على السهرات والنوادي الأدبية التي كان يغشاها نلفيه ملازما لبلاط الرشيد منشدا إيّاه بديع مدائحه[160].

خـــروج حــازم إلى تـــونس

بالرغم عن حسن الوفادة والصلات الكثيرة التي كان يغدقها الرشيد على

---

157 ـ وردت أسماء هذه الجمهرة من الشعراء بالوجه التالي: الشريف نجم الدين يونس بن عثمان الحسني، أبو محمد الحسن بن أبي الحسن القطان، أبو زكرياء الفزاري، أبو عبد الله بن الحناط، أبو الحسن العشبي، أبو يوسف حجاج ابن حجاج، أبو عبد الرحمن ابن زغبوش، أبو محمد الطهري، أبو الحسن ابن زنون، أبو محمد ابن غالب، أبو الحجاج ابن موسى، أبو محمد العراقي، أبو العباس ابن هشام، أبو الحسن الجياني، أبو علي ابن أبي ثلاثة، أبو عبد الله محمد بن يوسف المصانعي. راجع ما أورده لهم من أشعار في **الرحلة**. ابن رشيد، مخط. 1737، و. 106 ب س 7ـ و. 109 أ س4.

158 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1737، و 107 أ س 9 ـ و. 107 ب س 8.

159 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1737، و 107 أ س 5ـ8.

160 ـ راجع المقري: **الأزهار**، ٣، 173 س13.

المهاجرين الأندلسيين لم يرض الكثير منهم بالاستمرار على البقاء في مرّاكش لما ينتاب المغرب الأقصى في تلك الظروف من اضطرابات سياسية عنيفة. وقد كانت الوجهة لرجال الفكر من هؤلاء المهاجرين الأندلسيين بجاية أو تونس، لما يرجونه بالإقامة في إحداهما من عيش آمن، يبعد بهم عن غوائل الدهر وعواقب الفتن والأحداث. وقد كان فيمن اختار هذا التحوّل، وتقلّب في بلاد المغرب من أقصاها إلى أقصاها حتّى بلغ محطّ آماله تونس، رجل في عنفوان الصحّة والشباب لم يتجاوز الثلاثين من عمره، هو حازم القرطاجنّي. والمظنون أنّه سافر وحده من مرّاكش إلى عاصمة الدولة الحفصية. وليس لنا لسوء الحظّ أيّ خبر عن أخيه أبي علي، كما أنّ المصادر لم تفدنا شيئا عن وضعه العائلي الخاص به. ونحن، وإن كنّا لا نستطيع تحديد الطريق التي سلكها في سفره من مرّاكش إلى تونس، يجوز لنا أن نفرض، من غير تأكيد، أنّه توقّف قليلا ببجايةُ، مثلما فعل عامّة المهاجرين. وفي تونس يبدو لنا حازم أوّل مرّة، ممتطيا ناقته واصلا إلى باب القصبة ببلاط الأمير الحفصي، أين مثل بين يدي أبي زكرياء الأول وأنشد فيه قصيدته الطويلة الصادية التي أعلن فيها بيعته وطلب من الأمير حمايته واستصرخه مثل مواطنه ابن الأبّار لإنقاذ الأندلس المغلوبة المنكوبة[161].

الوضع السياسي والثقافي بإفريقية
لعهد أبي زكرياء الأول وابنه المستنصر

لم تعد الدولة الحفصيّة، بضع سنين عقب انفصالها عن الموحّدين الذي تمّ تقريبا في حدود سنة 628/ 1230، تريد فقط صيانة استقلالها وسيادتها، بل هي، لوثوقها من مكانتها وصولتها في المغرب، أصبحت تفكّر في مدّ نفوذها على ما وراء بلاد إفريقية[162].

161 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1735، و 40 أ س 13 ـ و. 142 أ س2.
162 ـ راجع برنشفيق، ١، 32.

ولذلك، عند موت الرشيد وتولّي أخيه السعيد مكانه، خرج أبو زكرياء، حفيد أحد رفاق المهدي بن تومرت الملازمين له وأخصّ أتباع مذهب الموحّدين، يريد المغرب. وتوّا استولى على تلمسان، وأخضع له كامل غربي بلاد الجزائر[163]. وقد كان من أمله أن يبعث الدولة الموحّدية بإفريقية حين أخذ نجمها في الأفول ببلاد المغرب الأقصى[164]. وأمام انتصاراته الباهرة أعلنت مدن كثيرة من الأندلس والمغرب بيعتها لأبي زكرياء، ونادت به أميرا عليها. فدخلت في طاعته إشبيلية وشريش وطريف[165]، وغلبت الدعوة الحفصية في شمالي المغرب، وكان لها رواج عظيم بالقصر الكبير وسبتة[166]. وقد قضى هذا الأمر على الدولتين النصرية والمَرينية فيما بعد بالاعتراف بسيادة الأمير الحفصي على شمالي بلاد المغرب الأقصى[167]. وبهذه الصورة أصبح أبو زكرياء أقوى الأمراء نفوذا وسلطانا في شمالي افريقيا. ولمّا توفي بعناية في 25 جمادى الثانية 647 ـ أكتوبر 1249 ولي مكانه ابنه أبو عبد الله محمد وتلقّب بالمستنصر[168].

وبدأت تظهر في أوائل القرن السابع/ الثالث عشر، أوّل ولاية أبي زكرياء بتونس عاصمة الحفصيين الناشئة، ثلّة من رجال الفكر والأدب أمّت هذه المدينة من مختلف أنحاء الأندلس.

فقد قصد إليها من بلنسيّة ابن الأبّار[169]، على رأس السفارة التي أقبل فيها في ربيع سنة 635 / 1238 من قبل زيّان بن مردنيش إلى أبي زكرياء حين حاصر بلنسيّة الملك الإسباني جاك المعروف بالغازي. وحين مثل بين يدي الأمير الحفصي أنشد ابن الأبّار قصيدته السينية العجيبة فزعًا مستصرخًا[170].

163 ـ راجع برنشفيق، ١، 34.
164 ـ راجع برنشفيق، ١، 22.
165 ـ راجع برنشفيق، ١، 33 ـ34.
166 ـ راجع برنشفيق، ١، 34.
167 ـ راجع برنشفيق، ١، 39.
168 ـ مثله.
169 ـ انظر أعلاه 34.
170 ـ برنشفيق، ١، 32. يتألف قصيد ابن الأبار من 67 بيتًا. أورد نصه المقري: **الأزهار**، ٣، 207 ـ210.

وإلى جانب هذا الأديب الشاعر والحافظ المحدّث الذي ولي رئاسة ديوان الكتّاب لأبي زكرياء[171] يمكن أن نذكر من محدّثي وفقهاء بلنسيّة الذين وردوا على تونس مهاجرين إليها:

- ابن الغمّاز قاضي تونس، ولد ببلنسيّة سنة 609 / 1212وتوفي بتونس سنة 693/ 1295. أخذ عن ابن محرز وابن عميرة والكلاعي وابن السّراج وغيرهم، وعنه أبو الحسن التجاني والغبريني وابن جابر الوادي آشي[172].
- الخلاسي، المولود ببلنسيّة سنة 610/ 1213والمتوفّى بتونس بعد سنة 685/ 1286. أخذ عن الكلاعي وغيره من علماء المشرق والمغرب، وعنه ابن رُشيد[173].
- ابن ديسم، المولود ببلنسيّة سنة 1218/ 615 والمتوفّى بتونس سنة1293 ـ1292 / 692ـ[174].

ومن مُرسيَة هاجر إلى تونس كثير نذكر من بينهم:

- ابن بُرطلة الأزدي، المولود حوالي سنة 580/ 1184والمتوفّى بتونس سنة 1262/ 661. أخذ عن ابن المرأة وابن عات والكلاعي. وهو الذي رأس الوفد المكّي الذي قدم إلى تونس سنة 657 ـ 1258/ 1259 مبايعًا المستنصر خليفة وأميرًا[175].

---

171 ـ برنشفيق، ١، 38.

172 ـ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز البلنسي الخزرجي. راجع ابن رشيد، مخط. 1737، 15ب؛ مخلوف، ١، 199 هدد 673.

173 ـ هو أبو الحسن عيسى ابن أبي محمد بن الحسين بن خلف بن أيوب ابن ديسم البلنسي. و.45 ب وما بعدها.

174 ـ هو أبو الحسن عيسى ابن أبي محمد بن الحسين بن خلف بن أيوب ابن ديسم البلنسي. راجع ابن رشيد، مخط. 1737و، 63 أ وما بعدها.

175 ـ هو أبو محمد عبد الحق. راجع مخلوف، ١، 196 عدد 662.

ـ ابن حَبيش اللّخمي، الفقيه المحدّث الشاعر، المولود بمرسيّة سنة 615 / 1218 والمتوفّى بتونس سنة 685 / 1286. أخذ عن ابن الوليّ والرفا وابن محرز والوزير سهل بن مالك وابن السداد وغيرهم. ولّي قضاء مرسيّة، وتنقّل بين كثير من مدن الأندلس والمغرب. هاجر أولا إلى بجاية ومنها انتقل إلى تونس، ووليّ بها القضاء[176].

ـ القمجي، المحدّث الشاعر، ولد ببني قَمج من أعمال مرسيّة سنة 610 / 1213 وتوفي بتونس سنة 684/ 1285[177].

ـ ابن رَزين، ولد بمرسيّة وفارقها إلى سبتة قبل عام 640/ 1242. ومنها انتقل إلى بجاية ثم إلى تونس. أخذ عن ابن نبيل وابن أبي السداد[178].

ـ ابن الاندراس، من أشهر أطبّاء المستنصر[179].

وورد على تونس من إشبيلية علماء كثيرون منهم:

ـ ابن سيّد الناس، فقيه ومحدّث، توفي بتونس سنة 657 ـ 659 / 1261 ـ 1358. أخذ عن ابن خروف وابن جبير وغيرهما من العلماء، وعنه ابن الزبير وابن بكر[180].

ـ ابن عصفور، النحوي الشهير. ولد سنة 597/ 1201 وتوفي بتونس سنة 669 / 1270. أخذ عن الشّلوبين وعن الكتاني. ومن تآليفه المعتبرة في العربية: **المغرب والممتع في الاشتقاق**، و**المقرّب في النحو**[181].

---

176 ـ هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن يونس بن بحر بن غالب بن حبيس. راجع ابن رشيد، مخط. 1736، و.1 أ وما بعدها، مخط. 1737، و. 33ب وما بعدها.

177 ـ هو أبو البركات موسى ابن أبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد. راجع ابن رشيد، مخط. 1736، و. 34 أو ما بعدها.

178 ـ هو أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن رزين. راجع ابن رشيد، مخط. 1737، و.64 أ وما بعدها.

179 ـ هو أبو عبد الله محمد ابن الأندراس، راجع برنشفيق، ٢، 370.

180 ـ هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله. واجع مخلوف، ١، 194ـ195 عدد 657.

181 ـ هو أبو الحسن علي بن موسى ابن الحضرمي. راجع ابن رشيد، مخط. 1737، و. 89أ، وما بعدها؛ مخلوف، ١، 197 عدد 665.

- ابن القصير، من أخص شعراء المستنصر. له فيه مدائح كثيرة[182]. وهو معروف بصلاته مع رجال البلاط، وبالخصوص مع الوزير ابن أبي الحسين العنْسي.

- ابن الرومية، الطبيب والعالم النباتي[183].

وورد من شاطبة عدد كبير من الشخصيات المعتبرة مثل:

- الخزرجي، المتوفّى بتونس 691 / 1291 ـ 1292: وهو من شيوخ الغبريني. ولّي قضاء بجاية ثم تونس، وذهب إلى مصر في سفارة بعثه على رأسها أمير إفريقية إلى السلطان المملوكي لذلك العهد[184].

- ابن حيّان، المحدّث والشاعر. ولد بشاطبة سنة 635 / 1237، وتوفي بتونس بعد سنة 684/ 1285. أخذ عن كثير من شيوخ الأندلس والمغرب لعهده[185].

- ابن عُقاب، المحدّث، ولد سنة 1216 / 613. أخذ عن جماعة من العلماء لقيهم على التوالي بشاطبة وغرناطة ومرّاكش[186].

وممّن ورد من غرناطة، آخر قواعد الإسلام بالأندلس.

- ابن سعيد، الكاتب المؤرّخ الشاعر[187].

- الغرناطي، الفقيه المؤرّخ، المتوفّى بتونس سنة 692 93/ 1292. تصدّر للتدريس بعاصمة الحفصيين، فأقرأ بها العلوم الإسلامية. وممّن أخذ

182 ـ هو أبو العباس أحمد بن القاسم. راجع ابن رشيد، مخط. 1737، و.96أ وما بعدها.
183 ـ انظر أعلاه47.
184 ـ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي. راجع مخلوف، ١، 198 عدد 671.
185 ـ هو عبد الله محمد بن أحمد ابن حيان الأنصاري الشاطبي، راجع ابن رشيد، مخط. 1736، و 20 ب وما بعدها.
186 ـ هو أبو يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن عقاب الجذامي. راجع ابن رشيد، مخط. 1737، و25أ وما بعدها.
187 ـ انظر أعلاه 34، 47.

عنه الغبريني. وله مؤلّفات كثيرة من أهمّها: تفسير للقرآن، وكتاب له في الطبقات أسماه **المشرق في علماء المغرب والمشرق**[188].

وإلى جانب هؤلاء المهاجرين الكثيرين من العلماء الأندلسيين يمكن أن نذكر من الواردين من شقر ابن عميرة المخزومي[189].

ومن لبلة ابن يوسف اللبلي، المؤرّخ اللغوي النحوي ـ المولود سنة 613 / 1216 والمتوفّى بتونس سنة 691 / 1291 ـ 1292 /. أخذ عن الشلوبين والأعلم البطليوسي وابن لب. وترك تآليف كثيرة من بينها: **وشي الحلل الذي تعقّبه حازم**[190].

ومن الواردين على تونس من مالقة الطبيب والعالم النباتي ابن البيطار. وهو صاحب مصنّفات كثيرة، نُشر وترجم أهمها إلى اللغة الفرنسيّة[191].

ومن بيّاسة نذكر الأنصاري المؤرّخ، المتوفّى بتونس سنة 653/ 1255. وهو صاحب تأليف، تحدّث فيه عن الحروب الداخليّة في بلاد الإسلام إلى عهد هارون الرشيد[192].

وممن يذكر من العلماء الوافدين على تونس ممّن خفيت عنا نسبتهم إلى جهات إقامتهم الأصلية ونشأتهم بالأندلس ابن الحاج المتوفّى بتونس بعد سنة 684 / 1285، أخذ عن النباتي والشلوبين وابن الدبّاغ وغيرهم[193].

وتضاف إلى هذه القائمة شخصيات كثيرة أخرى وفدت على تونس من

---

188 ـ هو أبو العباس أحمد بن عبد الله القرشي الغرناطي. راجع مخلوف، ١، 199 عدد 672.

189 ـ انظر أعلاه 74.

190 ـ هو أبو العباس أحمد بن يوسف الفهري اللبلي، راجع ابن رشيد، مخط. 1736، و. 27 أ وما بعدها، 1737، و.63أ.

191 ـ راجع برنشفيق، ٢، 370.

192 ـ هو أبو الحجاج يوسف بن محمد الأنصاري البياسي، راجع برنشفيق، ٢، 384.

193 ـ هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن لب التجيبي، المعروف بابن الحاج، راجع ابن رشيد، مخط. 1736، و.10 أ وما بعدها.

شريش وبطرنة وطرطوشة وشلب، ويمثّل جميعها مع من تقدم ذكرهم نخبة العلماء والأدباء الأندلسيين الذين شاركوا بقسط وافر في بناء الحياة الثقافية بإفريقية[194]. وإليهم وإلى علماء تونس في صدر الدولة الحفصيّة يعود فضل نشر العلوم الدينية والحديثية واللغوية والأدبية. وممّا امتاز به المهاجرون الأندلسيون في تلك الفترة تلقينهم الطلاّب مناهج الدرس وفنون الأدب من ترسّل وشعر على نحو ماكان عليه جميع ذلك في البلاد الأندلسية. وهكذا تخرّج على هؤلاء وأولئك عدد كبير من العلماء والشعراء التونسيين.

فمـــن المحدّثـــين والفقهـــاء:

- ابن البراء، المولود بالمهدية سنة 580 / 1184والمتوفّى بتونس سنة 677/ 1278. أخذ عن الهمذاني والسِلَفي. وعنه ابن الجبّار[195].
- ابن الصائغ، قاضي تونس[196].
- الرُعيني، المولود بسوسة سنة 1171 ـ 1172/ 567 والمتوفّى بتونس سنة 1263 ـ 1264/ 662. أخذ عن ابن الحدّاد والمازري، وعنه ابن بزيزة[197].
- ابن نفيس، قاضي تونس، المتوفّى سنة 682/ 1283[198].
- ابن الخبّاز، قاضي تونس. من مواليد المهدية في سنة 600 / 1203 ـ 1204/ . أخذ عن البرقي وابن البراء[199].

---

194 ـ توجد **برحلة** ابن رشيد ترجمات كثيرة لعدد من الرجال الواردين من المدن المذكورة أعلاه بالأندلس على تونس. راجع ابن رشيد. مخط. 1736، 1737.

195 ـ هو أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء التنوخي المهدوي. راجع مخلوف، ١، 191 عدد 640.

196 ـ هو أبو زيد عبد الرحمن بن علي التوزري. راجع مخلوف، ١، 189عدد631.

197 ـ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي. راجع مخلوف، ١، 190 عدد 637.

198 ـ هو أبو زيد عبد الرحمن بن نفيس. راجع مخلوف، ١، 191 عدد 643.

199 ـ هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الخباز اللواتي. راجع مخلوف، ١، 192 عدد 644.

ـ ابن زيتون، قاضي تونس. ولد عام 621/ 1224 وتوفي سنة 691/ 1291 ـ 1292. أخذ عن الرُعيني وابن البراء[200].

ومن الفقهاء والمحدّثين والشعراء:

ـ ابن بزيزة، المولود بتونس سنة 606 / 1209، والمتوفّي سنة 662 / 1263 ـ 1264. أخذ عن الرُعيني والبرجيني وابن البراء. ترك مصنّفات كثيرة في التفسير والفقه والكلام. ومن تآليفه: **شرحه لكتاب الإرشاد** لإمام الحرمين عبد الملك الجويني[201].

ـ ابن عريبة، المولود بالمهدية سنة 600 / 1203 ـ 1204، والمتوفّى بتبرسق سنة 659 / 1260 ـ 1261. أخذ عن البرقي. وله مصنّفات حديثية وأدبية[202].

ومن الفقهاء والأدباء:

ـ ابن الشبّاط. ولد بتوزر سنة 616 / 1219 وتوفّي سنة 681 / 1282. له **تخميس وشرح على قصيدة الشقراطسي اللاميّة**[203].

ومن الفقهاء والشعراء:

ـ الليّاني، تلميذ البرقي، ومؤلّف **شرح على المدونة**[204].

---

200 ـ هو تقي الدين أبو القاسم وأبو أحمد بن أبي بكر ابن مسافر، راجع مخلوف،١، 193 عدد 650.

201 ـ هو أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم القرشي التميمي التونسي.، راجع مخلوف،١، 190 عدد 638؛ برنشفيق، 2، 376.

202 ـ هو أبو عمرو عثمان بن عتيق القيسي المهدوي، المعروف بابن عريبة، راجع مخلوف،١، 189 عدد 633.

203 ـ هو أبو عبد الله محمد بن علي المصري التوزري المعروف بابن الشباط.، راجع مخلوف،١، 191 عدد642.

204 ـ هو أبو العباس أحمد بن عثمان اللياني، نسبة إلى قرية قرب المهدية، راجع مخلوف،١، 149 عدد 632.

- ابن أبي الدنيا، المولود بطرابلس سنة 606 / 1209 والمتوفّى بتونس سنة 686 / 1285. أخذ عن الصابوني وعن كثير من المشارقة أمثال ابن عطاء الله والصفراوي والربعي وابن عبد السلام، وعنه أبو فارس الطرابلسي وابن القدّاح والغبريني وابن جماعة. ولّي قضاء تونس سنة 671 / 1272.

وله مصنّفات عديدة منها: **العقيدة الدينيّة**، وشرحها **جلاء الالتباس**، ورسالة فقهية في **القياس**[205].

- ابن الصماط، المولود سنة 623 / 1226 والمتوفّى سنة 690 / 1291. أخذ عن البرقي[206].

ومن الشعـــــراء:

- ابن الفكون القسنطيني الأصل[207].

ومن النحاة والفلاسفة والمؤرّخين والأدباء:

- التجاني. تخرّج على عامّة شيوخ تونس في تلك الفترة وبخاصة [illegible] حازم القرطاجنّي. وتحصّل على إجازات عدد كبير من علماء المشرق والمغرب. وكان ابن رُشيد صديقاً ملازماً له أيام إقامته بتونس. له مؤلّفات عديدة منها: كتاب في التراجم أسماه **حشر الأمم الخالية ونشر الرمم البالية**، وبرنامج دعاه **بالحلل المضمّخة في حلى المشيخة**، ومصنّف ترجم فيه لآل بيته من العلماء والأدباء يعرف **بالحلى التجانية**[208].

---

205 - هو أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي. راجع مخلوف، ١، 192 عدد 645؛ برنشفيق، ٢، 376.

206 - هو أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد الملك بن الصماط البكري المهدوي. راجع مخلوف، ١، 192 عدد 647.

207 - هو أبو حسن بن الفكون. راجع برنشفيق، ٢، 408.

208 - هو أبو الفضل محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني. راجع ابن رشيد، مخط. 1735، و. 4ب وما بعدها، وفي ترجمة قريبه الرحالة إبي محمد عبد الله. راجع مخلوف، ١، 206 عدد 716؛ التجاني.

ومن المؤرخين والجغرافيين:

ـ الغسّاني، كاتب المستنصر ومؤرّخ عصره بدون نزاع[209].

ـ ابن الدبّاغ، المولود سنة 605 / 1208 والمتوفّى سنة 699 / 1399. وهو صاحب **معالم الإيمان**، ترجم فيه لعلماء القيروان[210].

ومن اللغويين والنحاة:

ـ ابن أبي الحسين، وزير المستنصر، ومختصر معجم ابن سيده[211].

ـ الحميري، كاتب أبي زكرياء وأمين سرّ ولده المستنصر[212].

ومن العلماء الرياضيين:

ـ ابن الكمّاد، صاحب الجداول الفلكية التي حرّرها وضبطها اعتمادا على بحوث ودراسات ابن الزركلاء الأندلسي[213].

ففي هذا المحيط الثقافي كان استقرار حازم. وفيه بذل الجهود من أجل تكوين نخبة ممتازة من العلماء والأدباء. وقد كان لذلك كبير الأثر في نشر المناهج الأندلسية، فإنّ المهاجرين لم يفتؤوا في بلاد المغرب عامّتها يذكون الحياة الفكرية ويبعثون النشاط العلمي والأدبي بها، بتلقين الناشئين والمتخرّجين طرقهم وأساليبهم، وحمل العلماء والأدباء على الأخذ بمذاهبهم واستملاح أذواقهم.

وفتن هذا المتعصّبين، وغاض الحسّاد من رؤساء وعِلية رجال الدولة الحفصيّة. ولما حرص عليه هؤلاء من حماية مراكزهم الاجتماعية، ولما هالهم

209 ـ هو أبو العباس أحمد الغساني. راجع برنشفيق، ٢، 393.

210 ـ هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد السلام الأسيدي القيرواني. راجع مخلوف، ١، 193 عدد 651؛ برنشفيق، ٢، 383.

211 ـ راجع برنشفيق، ٢، 399 وتع.1.

212 ـ هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد النور المازري الحميري التونسي. راجع ابن رشيد، مخط. 1735، و32أ، وما بعدها؛ برنشفيق، ٢، 399 ووقع1.

213 ـ راجع برنشفيق، ٢، 369.

من المزاحمة الثقافية والسياسية أخذوا يمكرون ويحوكون الدسائس والسعايات حول المهاجرين الأندلسيين. وقد صوّر المقّري المكائد التي لفّقها والطريقة التي دبّرها أحمد الغسّاني للقضاء نهائيا على مزاحمه ابن الأبّار، لاسترجاع مكانته على رأس ديوان الكتّاب[214]. وكان ذلك تخويفا وتحذيرا لكثير من المهاجرين، لكنّه لم يمنع حازمًا، بالرغم عمّا حكاه عنه ابن الخطيب[215]، من الحيطة للأمر وبذل الجهد لاحتلال المكانة المرموقة في بلاط المستنصر. وذلك بفضل سلوكه وحسن سيرته، وقدّر الأمير مواهبه، وجعله موضع ثقته، فأدْخله ديوان الإنشاء[216]. وكلّفه بالنظر في الكتاب الذي رفعه إلى سدّته اللبلي[217]. وتميّز أبو الحسن في هذا الوسط، وفرض نفسه بعلمه ومواهبه، وسار ذكره في الآفاق، ووصلته من المشرق إجازات مثل إجازة ابن العمادية[218] الذي نوّه بشأنه ووصفه بصدر الأفاضل والإمام السيد[219]. وتبوّأ حازم منزلة الشيوخ، وكان من المسيّرين للحياة العلميّة في عهده. فأشفق من صراحته بعض الطلاّب والعلماء أمثال اللبلي وابن عصفور[220]، وبالغ في تقديره وتعظيمه آخرون غيرهم كما يشهد بذلك ابن رُشيد[221]. فهو المرجع في العربية والعروض والبلاغة في زمانه. تخرّج عليه الكثير، ولكنّ قلّة المصادر التي بين أيدينا لم تسمح لسوء الحظ بأن نعدّ منهم إلاّ الرجال الآتية أسماؤهم:

---

214 ـ راجع المقري: **الأزهار**، ٣، 206.

215 ـ راجع ابن الخطيب، 208.

216 ـ راجع ابن رشيد، مخطـ. 1735، و.36أ س 3 وما بعده.

217 ـ انظر أعلاه 41.

218 ـ هو أبو المظفر وجيه الدين منصور بن سالم بن منصور بن الفتوح الهمداني، المعروف بابن العمادية الإسكندري. محدث، ولد سنة 607 / 1276. راجع السبكي: **الطبقات**، ٥، 157.

219 ـ راجع ابن القاضي، 137 عدد 381؛ المقري: **الأزهار**، ٣، 171.

220 ـ انظر 64، 87.

221 ـ راجع ابن رشيد، مخطـ. 1737، و.40أ س 20 وما بعده.

ـ أبو حيان الأندلسي[222].

ـ ابن سعيد[223].

ـ ابن رُشيد[224].

ـ أبو الحسن التجاني[225].

ـ أبو الفضل التجاني[226].

ـ اللبــــلي[227].

ويضاف إلى هؤلاء الأعلام المشاهير بالمشرق والمغرب جماعة منهم:

ـ الكتّاني، تلميذ حازم وابن عصفور وابن الغمّاز. كان كاتب أبي فارس بن إبراهيم بن أبي زكرياء ورافقه في خروجه إلى قسنطينة وبجاية. وعنده كانت مجموعةً جميع تحارير حازم ومؤلّفاته[228].

ـ ابن راشد القفصي، الفقيه الأصولي المتوفّى بتونس سنة 736 / 1335. أخذ عن ابن الغمّاز وحازم وابن التنّسي وابن دقيق العيد وغيرهم من العلماء المغاربة والمشارقة، وعنه ابن مرزوق. ولّي قضاء قفصة. وله مصنّفات عديدة منها في الأصول والفقه: **الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجبوالفائق في الأحكام، والمذهب في ضبط قواعد المذهب، وله في النحو المرتبة السنيّة في علم العربيّة**[229].

ـ ابن القويع، الفقيه النحوي البلاغي. أخذ عن أبي الحسن التجاني وعن

222 ـ انظر أعلاه 34.

223 ـ انظر أعلاه 34، 47.

224 ـ انظر أعلاه 35.

225 ـ انظر أعلاه 35. راجع ابن رشيد، مخط. 1737، و. 117 أ س 4ـ10.

226 ـ انظر أعلاه 35،36.

227 ـ انظر أعلاه 64.

228 ـ هو أبو العباس أحمد بن يوسف بن يعقوب الكتاني التونسي. راجع ابن رشيد مخط. 1737 و 89أ وما بعدها.

229 ـ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد القفصي. راجع مخلوف، ١، 207 عدد 722.

حازم، وشهد بأنّ فضل تكوّنه في علم البلاغة راجع إلى كتاب حازم **المنهاج**. رحل إلى مصر وبها أقرأ، وولّي كثيرا من الوظائف السنّية[230].

ومع من ذكرته من تلامذة حازم هناك جماعات اغترفت من فيض علمه بمطالعة كتبه والوقوف على آثاره[231].

هكذا كانت حياة حازم حالفة بالأدب والعلم، زاخرة بالنشاط الفكري في كلّ مكان حلّ به من بلاد الأندلس والمغرب وإفريقية. ويؤسفنا جدا أنّنا لا نملك بيانات عن أواخر عمره المبارك، غير كونه العمدة والمرجع في العلم بتونس لعهده. فقد قال التجاني تلميذه: «كان أبو الحسن حامل راية الأندلسيين»[232].

وقد عمّر حازم وكانت له علاقة مع بعض الأمراء الحفصيين بعد المستنصر، منهم أبو يحي الواثق[233]. وكانت وفاته ليلة السبت 24 رمضان سنة 684/ 23 نوفمبر 1285[234]، عن ست وسبعين سنة قضاها في البحث والدرس. ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا أي تفصيل عن قبره أو مكان دفنه.

---

230 ـ هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن، المعروف بابن القويع. راجع ابن رشيد، مخط 1737، و. 116 وما بعدها؛ وبالخصوص **البغية**، 97ـ98، فإن السيوطي لم يذكر أخذه عن حازم.

231 ـ يفسر هذا ما قاله ابن القويع بإفريقية والزركشي بمصر عن كتابه **المنهاج**. راجع في هذا الغرض مقالتي الكاتبين العالميين في ابن رشيد، مخط. 1737، و117أ؛ وعند الزركشي: **البرهان**، ١، 311 س3ـ5؛ وفي م. ملاحظة 393.

232 ـ راجع ابن رشيد، مخط. 1737 و.40أ س 20.

233 ـ راجع المقري: **الأزهار**، ٣، 173س15.

234 ـ راجع السيوطي: **البغية**، 214؛ الزركشي: **التاريخ**، 41 س 2؛ المقري: **النفح** (1)، ١، 866.

مصنّفات حازم

تنقسم مصنّفات حازم أقساما ثلاثة متباينة الموضوع: قسم منها أدبي يتمثّل في نظم حازم وما أمكن جمعه أو الوقوف عليه من أشعاره، وقسمان علميان أولهما في النحو وثانيهما في البلاغة والنقد.

أ ـ القسم الأدبي: الآثار الشعرية

رأينا حازمًا، منذ شبابه، كلفًا بنظم الشعر، يرفع به مدائحه إلى الأمير المؤمني الموحّدي الرشيد[235]، ثم إلى عدد من رجال البيت الحفصي[236]. والغالب على الظن أنّ أشعار حازم لم تجمع في ديوان قط. هذا وقد أمكن العثور على مخطوطين بمكتبة الأسكوريال تحتفظان له بمقدار من هذه الأشعار. وفعلا فإنّ المخطوطة ـ الأولى رقم 382 تحتوي علاوة على **المقصورة** في القسم الثاني منها المتألّف من ثمان وثلاثين ورقة على قصائد في المديح، يخاطب بها حازم المستنصر بالله الحفصي أو بعض رجال بلاطة[237]. أما المخطوطة الثانية رقم 454، فهي تحتوي في القسم الثاني أيضاً ـ المشتمل على تسعة عشر ورقة ـ على قصائد تختلف في معظمها عن القصائد التي أشرنا إليها في المخطوطة الأولى[238]. ومن غير دراسة تحليلية وبحث دقيق لمحتوى هاتين المخطوطتين تكون معرفة آثار الشاعر دائما محدودة غير تامة، ذلك لأنّنا لا نعرف آثاره اليوم

---

235 ـ انظر أعلاه 59.

236 ـ انظر أعلاه 71،59.

237 ـ راجع ديرامبورغ، ١، 251؛ كازري، 112ـ113 عدد.380.

238 ـ راجع ديرامبورغ، ١، 299؛ كازري، 132 عدد 452.

إلاّ من خلال النصوص التي أوردها له ابن سعيد وابن رُشيد والتجاني والصفدي ثم المقّري[239]، أو من خلال قصيدته الشهيرة المقصورة التي سوف نتناولها بشيء من العناية في دراسة آثار الشاعر. ومن الجدير بالملاحظة، أنّ القطع الشعرية والقصائد التي تضمنتها لحازم المراجع المذكورة أعلاه متنوعة بين صوفية ووصفية وهزليّة وصناعيّة بلاغية وجدية.

فمن أشعاره الصوفية قصيدته التي نظمها على رويّ الكاف من بحر البسيط والتي مطالعها: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

سبحان من سبّحته الشهب والفلك ... والشمس والبدر والإصباح والحَلَكُ

ذكر منها ابن رُشيد في رحلته ستة وعشرين بيتا، وأشار إلى أنّ حازما أراد بها معارضة قصيدة شيخه الطرسوني التي طالعها: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

إنّي بحبلك يا ذا العرش ممتسك ... ولـي ببـابـك مـرتـاد ومبترك

ولم يذكر من هذا الأصل إلاّ الأبيات الستّة الأولى[240].

ومن الأشعار الوصفية نذكر لحازم قصيدة ومقاطيع. أورد القصيدة بأكملها المقّري وهي من بحر الكامل على روي الجيم في اثنين وثلاثين بيتا ومطالعها:

أدِرِ المدامــةَ فالنسـيم مـؤرّج ... والروض مرقـوم البرود مدبّـج[241]

---

239 ـ صدر بعد مناقشة الأطروحة مجموع شعر لحازم بعنوان ديوان، أثبت به ناشره الكعاك عددا من قصائد القرطاجني المبثوثة هنا وهناك. وقد ضم إليها في آخر المجموع **القصيدة النحوية** التي تعرف بها فيما بعد.

240 ـ طالع قصيدة حازم هذه مثبتة في آخر المخطوط المحتفظ به الاسكوريال تحت عدد 382. انظر أعلاه 36 وتع30؛ **الديوان**؛ 85 عدد 31.

241 ـ المقري: **الأزهار**، 3 174 س 2ـ176 س 6؛ **الديوان**، 28ـ30.

فمن البيت الأول إلى البيت الرابع عشر: يصف الشاعر الطبيعة ويتخلّص من ذلك إلى الدعوة للمنادمة.

ومن البيت الرابع عشر إلى العشرين: ينتقل إلى وصف حبيبته.

ومن البيت العشرين إلى الثاني والثلاثين: يذكر الشاعر يوم الفراق واصفا أهواله وأحواله.

وقد نوّه المقّري بهذه القصيدة مدّعيا أنّ حازما أراد بها معارضة رائية ابن عمار في المعنى ثم قال: «وفضّل غير واحد هذه الجيميّة الحازميّة على تلك الرّائية العمّاريّة»[242].

أمّا المقاطيع والأبيات التي نعدّها له من جنس هذا النوع من الشعر فيما وقفنا عليه له فهي:

1) بيتان من الكامل في وصف السحاب:

[ق ـ المتدارك]

مـن كـلّ بكر حـرّة مـا فارقت   إطـراقـهـا وبـكـاءهـا وحياءها
يبدو احمرار البرق في صفحاتها   خجلا إذا رفع النسيمُ رداءهـا[243]

2) سبعة أبيات من بحر **المديد** يصف بها الإحياء الشعري:

[ق ـ المتراكب]

---

242 ـ ابن عمار هذا هو أبو بكر محمد الأديب الشاعر الأندلسي، كان وزيرا للمعتمد بن عباد. توفي سنة 944 / 1036. راجع **م.د.ا.** (1)،2، 383؛ وذكر قصيدته بأكملها المقري: **النفح**، (1)، ١، 434 ـ 435

243 ـ البيتان من قصيدة طويلة بها 98 بيتا. راجع **الديوان**، 6ـ12 عدد 3؛ انظر أعلاه ابن سعيد 34ـ35 وتع23 وانظر تحقيقنا ص 81.

مــــلأتْ مــن أبــدع الـحِـكـمِ ... دلـــوَ آمـــالـي إلـــى الـــوذمِ
بـنـتُ فـكـرٍ قـمـتُ إذ قدمتَ ... لـتـلـقّـيـهـا عــلــى قَـــدمِ
فـــارتَـــوَى منها علــى ظمإٍ ... خـــاطـري مــن مـــوردٍ شَـبِـمِ
أصبحت أَوْلـــى بما نَسبتْ ... لـي مـن الإحـسـان والـكـرمِ
دونــكــمْ مــا قــد تـكـلّـفـه ... خــاطــرٌ يـشـكـو مـن الـسـأمِ
مـن بـوادي الشعر هـام هـوًى ... فــفــؤادي فـيـه لــم يـهِـمِ
إنّ رسْـــم الشعر في خلدي ... طـلـلٌ أقـــوى عـلـى الـقِـدَمِ[244]

3) أربعة أبيات من بحر **المديد** أيضاً يتناول فيها نفس الغرض.

بـنـتُ فـكـرٍ لا نـظـيـر لها ... صـاغـهـا مـن لا نـظـيـرَ له
وأمـــــدّ اللهُ خـــاطـــره ... بـــهـــداه حــيــن أعـلـمـه
فـحـبـاهـا الله إذ كملت ... مـــا حـــبـــاه حــيــن كـمّـلـه
وعـــلـــى الأقـــوال فضّلها ... مَـــن عـلـى الأقـــوام فضّله[245]

4) ثلاثة أبيات من بحر **الطويل** في وصف وردة بيضاء.

ومبيضّة الأثواب تُدعى بوردة ... تقلُّ لها الأشباه عند التماسها
أنافتْ على ساقٍ لتشرب عندما ... أشارت لها كفُّ البُروق بكاسها
كجارية قامت ببيضٍ غلائلٍ ... مرفّعةٍ أذيالها حول راسها[246]

5) أربعة أبيات من **الكامل** في وصف الطبيعة.[ـ ق ـ المتواتر]

244 ـ راجع **الديوان**، 112 عدد 32؛ انظر أعلاه ابن سعيد 34ـ35 وتع 23.
وانظر تحقيقنا **للديوان** ص 203.

245 ـ راجع **الديوان**، 97 عدد 35؛ انظر أعلاه ابن سعيد 34ـ35 وتع 23.
وانظر تحقيقنا ص 187.

246 ـ المقري، **الأزهار**، 3، 178 س 4ـ6، **الديوان**، 63 عدد 21 وانظر تحقيقنا ص145.

فتَقَ النسيمُ لطائمَ الظلماءِ عن مسكة قطرتْ مع الأنـداءِ
وغدا الصّباح يَفُضُّ خاتم عنبر بالشّرق عن كـافـورة بيضاءِ
والكوكبُ الدريُّ يزهو سابحا فـي مـائـه كـالـدرّة الـزّهـراءِ
وكأنّما ابن ذكاءَ يُذكي مِجمرا منه يفيد الـريـحَ طيبَ ذَكـاءِ[247]

6) ثلاثة أبيات من **البسيط** يصف بها زهر اللوز: [ـ ق ـ المتواتر]

لا نَـوْرَ يعدل نَـوْرَ اللوز في أنقٍ وبهجةٍ عند ذي عدل وإنصافِ
نظام زهـر يظلّ الـدرُّ منتشرًا عليه من كلّ هامي القَطر وكافِ
بينا تُرى وهي أصداف لدرّ حيًا بيضٍ، غدت دُررًا في خُضْر أصدافِ[248]

أمّا شعر الهزل عند حازم فيمثّله لديه غرض النسيب. وهذا يبدو في مطالع القصائد. إمّا في البيت الأول منها كقوله من قصيدة في بحر **البسيط**:

[ـ ق ـ المتراكب]

سلطان حسن عليه للصبا علمُ إذا رأتـه جيوشُ الصبر تنهزمُ[249]

أو في أبيات كثيرة مثل التي أوردها الصفدي. وهي تسعة أبيات من بحر **الطويل** طالعها: [ـ ق ـ المتدارك]

أيعلم ما يلقى من الشوق لائمهْ إذا ما شَجته من حبيب معالمهْ[250]

247 ـ المقري، **الأزهار**، 3، 177 س 10ـ13، الديوان، ١ عدد 1 وانظر تحقيقنا ص75.
248 ـ راجع المقري، **النفح**،(1) ٢، 409 الديوان، 80 عدد 27 وانظر تحقيقنا ص167.
249 ـ انظر أعلاه ابن سعيد34ـ35 وتع 23؛ المقري: **الأزهار**، 3، 178 س2؛ **الديوان** ص 204 وهو بيت مفرد 112 عدد 40.
250 ـ الصفدي: **الوافي**، مخط.4845، ١١، 108. يبدو أن القصيدة أطول من ذلك، بها 60 بيتاً، انظر **الديوان**، 109ـ11، عدد 38. وانظر تحقيقنا ص 199.

وأمّا النظم الصناعي البديعي فتشهد به ثلاثة مقاطيع تدلّ على مدى ولوع حازم بضروب الصناعة وألوان البديع.

وأولى المقاطيع الثلاثة، من بحر **[مجزوء] الكامل**، تمثل لغزا يتعلق بقولك ـ ألغز له ـ وهذه القطعة هي: [ـ ق ـ المتدارك]

يـــا مـــن لــــه فـــكــر مـــنـــيـــر يُـــهـــتـــدَى	بـــســـراجـــهِ
مـــا جَـــمْـــعُ: إن تـــأمـــر بـــه أضـــحـــى كـــقـــولـــك	حـــاجِـــهِ [251]

والقطعة الثانية، تتألّف من ثلاثة أبيات من بحر الوافر، فيها تورية بمسائل نحويّة وذلك قوله: [ـ ق ـ المترادف]

صليه أو كليه لما يلاقي	ولا تتكلّفي خدع المــآقي
ودونـك فانظري طمحان عزمي	إلى أعلى المراتــب والمراقي
بإعمــالي حروفا مضمــرات	نواصب في الهجــير لما تلاقي[252]

والمقطوعة الثالثة ثلاثة أبيات وهي: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

تركتْ مطايا الآملين لما سقت	يمناه ما تسقيه ضرب الزبرجِ
فتجمّ أنفسها لــورد جمامه	بصدودها عن برد ماء الحشرجِ
وتصدّ عن رعي الجميم كأنّما	تلقى من البهمى أخلّة ملهجِ

وقد عارض بهذه القطعة بيتا للشمّاخ. والأبيات الثلاثة من قصيدة طويلة من بحر **الكامل**، أورد هذه الأبيات منها التجاني والسرّاج[253].

وأمّا أشعاره الجديّة فيمكن توزيعها إلى قسمين: مراث ومدائح.

---

251 ـ انظر أعلاه 36 وتع 31. رانظر تحقيقنا ص 112 وفيها ستون بيتاً.

252 ـ انظر أعلاه 36 وتع 32؛ العياشي، ٢، 254. وانظر تحقيقنا ص 173.

253 ـ انظر التجاني، 114 س7 ـ 11؛ السراج 219. تمام القصيدة، وهي ذات 82 بيتا **بالديوان**، 31ـ35 عدد 10. وانظر تحقيقنا ص 107.

أمّا المراثي، فلا نملك منها غير قصيد ومقطوعة كلاهما من بحر مخلّع البسيط، ويتألّف القصيد من تسعة وعشرين بيتا طالعه: [ـ ق ـ المتواتر]

لا تبك حزنا ليوم بينِ وذكرِ ريمٍ بامتينِ

ولا تعْدُو المقطوعةُ خمسة أبيات أوّلها:

أما تراها تسحّ دمعًا كأنَّ عيني بكتْ بعينِ

وكلاهما في رثاء الإمام الحسين بن علي، صنعهما تذييلا لبيتي الجوزي الشهيرين: [مخلع البسيط ـ ق ـ المتواتر]

ولائم لام في اكتحالي يوم استحلّوا دم الحسينِ
فقُلتُ: دعني أحقُّ عضوٍ يَحْظَى بلبسِ السوادِ عيني[254]

هذا ولا يخفى أنّ منظومتي حازم في هذا الغرض لا تخرجان به في الواقع عن النوع الأخير المتقدّم ذكره، إذ كان ذلك منه على سبيل التذييل والمعارضة كما قدّمنا، وهو لم يصدر عن ذلك إلاّ امتحانا واختبارا الملكته البلاغية وقدرته على نظم الشعر ارتجالا.

وأمّا المدائح فهي عديدة منها:

1) مقطوعة ذات بيتين من **الكامل** على روي الراء. هي كلّ ما وقفنا عليه من قصيد لحازم على لسان أهل إشبيلية في بيعة الأمير الحفصي والاعتراف له بالولاء: [ـ ق ـ المتدارك]

مدّت إليك يدَ المطيع وبايعتْ منك الإمامَ المرتضَى المتخيّرَا
فقبلتُها لا لازدياد ضخامة بل رغبةً في أن تُثاب وتؤجرا[255]

---

254 ـ انظر أعلاه 36ـ37 وتع 37. وانظر تحقيقنا الأولى ص 216 والثانية ص 215.

255 ـ انظر أعلاه ابن سعيد 34ـ35 وتع 23؛ القصيدة بأكملها وهي 60 بيتا **بالديوان.** 51ـ54 عدد 17. وانظر تحقيقنا ص 130 وفيها 61 بيتاً.

2) مطلع قصيدة من بحر الكامل أنشدها حازم الأمير المستنصر بالله الحفصي: [ـ ق ـ المتدارك]

في كلّ أفق من صباح دجاكم نور جلا خيط الظلام بخيطه
راقت محاسن مجدكم فبهرن ما كُسِيته من حِبَرِ المديح وريطه(256)

3) مطالع قصيدة من بحر الكامل أيضاً: ـ ق ـ المتدارك]

لم تدر إذ سألتك ما أسلاكها أبكتْ أسًى أم قطّعت أسلاكهَا؟

ويبدو أنّ هذه القصيدة كانت أنْموذجا جرى عليه في المعارضة تلميذ حازم التجاني في قوله:

يا ساحر الألحاظ يا فتّاكَها فتيا جواز الصدّ مَن أفتاكها؟(257)

وبجانب هذه المقاطيع التي أشرنا إليها نجد لحازم قصائد كثيرة كاملة وغير كاملة، في غرض المديح:

وأول هذه القصائد: منظومة ذات مائة بيت من بحر الطويل، تقدم بها إلى أبي زكرياء الحفصي ومطالعها: [ـ ق ـ المتواتر]

مُنَى النفس تدنى منكم والنوى تُقصي فكم ذا يطيع الدهرُ فيكم وكم يَعْصِي(258)

وقد تناول الشاعر فيها أغراضًا كثيرة:

256 ـ راجع المقري: **النفح**، (1)، ١، 866 س 6ـ7. وانظر تحقيقنا ص 160.
257 ـ نفس المرجع، ٢، 522. قصيدة حازم 42 بيتا. واجع **الديوان**، 87ـ88 عدد 32 وانظر تحقيقنا ص 176.
258 ـ انظر أعلاه 36 وتع33؛ لم يثبت منها الكعاك سوى 53 بيتًا. راجع **الديوان** 64ـ67 عدد 2. وانظر تحقيقنا ص 146.

فمن البيت الأول إلى السادس: يشكو الشاعر محنة الاغتراب عن وطنه ويعلن رغبته الشديدة في الاحتماء بالأمير أبي زكرياء.

ومن البيت السادس إلى السابع عشر: يورد في قصيدة الغرض الغزلي.

ومن البيت السابع عشر إلى العشرين: يتخلّص إلى بيان نتيجة تجاربه، فيتنكّر لحياة الدّعة واقتناص اللذائذ مقبلا على حياة الزهد فيها.

ومن البيت العشرين إلى الثامن والستين: يتلو غرض المدح. وقد نوّه هنا بالدولة الحفصيّة ورجالها وخاصّة بأبي زكرياء.

ومن البيت الثامن والستين إلى الحادي والسبعين: يتوسّل الشاعر إلى الأمير أبي زكرياء ضارعا طالبا منه الحماية، مؤمّلا أن يرى جيشه المنصور مكتسحا شرقي بلاد الأندلس المغصوبة.

ومن البيت الحادي والسبعين إلى الحادي والثمانين: يصف الشاعر مركوبه الذي أجهده السير، وهو ناقته.

ومن البيت الحادي والثمانين إلى السابع والتسعين: يفاخر الشاعر بنظمه ويزهو ببراعة شعره.

ومن البيت السابع والتسعين إلى البيت المائة: يختم الشاعر قصيدته بالدعاء للأمير الحفصي. وهذا القصيد المديحي من أبدع ما نظم حازم وهو متميّز بجمال الأسلوب وحسن المأخذ، دفع كثيرا من شعراء البلاط وغيرهم إلى معارضته. ذكر ذلك ابن الأبّار في كتابيه **التحفة وإيماض البرق**[259].

وأول من عارض هذا القصيد الصابوني الإشبيلي، بعث بمعارضته من بلده إلى الأمير أبي زكرياء الحفصي قبل وفادته على حضرة تونس.

ومطلع قصيدته: [طويل ـ ق ـ المتواتر]

---

259 ـ راجع ابن رشيد، مخطط،1735، و. 42أس 26،24.

شخصت لعزم البين فاخترمت شخصي   زيادة وجد تنهك الجسم بالنّغْصِ[260]

وعارضه ابن الأبار نفسه بقصيدته التي طالعها: [طويل ـ ق ـ المتواتر]

أتجحد قتلي ربّةُ الشّنفِ والخُرصِ   وذاك نجيعي في مخضّبها الرَّخْصِ؟[261]

وممن عارضه أيضاً ابن عريبة. ومطالع قصيدته:

أشار لَدَى التوديع بالعنمِ الرّخصِ   وبان فلا أهلاً ببانٍ ولا دِعْصِ[262]

وثاني القصائد المديحية مانظمه، في سبعة وتسعين بيتا على بحر الطويل، يمدح به المستنصر الحفصي. ومطالع هذه المنظومة:

[ـ الطويل ـ ق ـ المتواتر]

أمِنْ بارقٍ أوْرى بجنحِ الدجى سقْطَا   تذكّرتَ مَنْ حَلَّ الأبارِقِ فالسّقْطا؟[263]

ويبدأ هذا القصيد بتسعة وعشرين بيتا في غرض النسيب. وهي من أجود ما نظم من الغزلياتز وبقية القصيد مصروف جميعه إلى مدح المستنصر وأسلافه الميامين.

والقصيدة الثالثة المديحية تتألّف من تسعة وسبعين بيتاً في بحر الطويل، ضمّنها الشاعر أعجاز معلّقة امرئ القيس[264]. وقد جعل هذه البديعية في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلّم ومطالعها: [ـ ق ـ المتدارك]

260 ـ نفس المرجع، و. 42 أس3ـ23.
261 ـ نفس المرجع، و. 42 أس 27 ـ و. 42 ب س 16.
262 ـ راجع ابن رشيد، مخط، 1735، و. 42 ب س 16ـ و.44ب س3.
263 ـ راجع المقري: **النفح**، (1)، ١، 862 س 8ـ 866 س5؛ **الديوان**؛ 68ـ73 عدد 23 وانظر تحقيقنا ص 154.
264 ـ راجع السندوبي.

لعينيك قُلْ، إن زرت أفضلَ مرسلِ: «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزِلِ»[265]

ولِمَا اشتملت عليه هذه القصيدة من خصائص، كانت في عصره أشهر ما علم من نظمه، وتلقّفها الناس بالرواية طبقة عن طبقة وجيلا بعد جيل.

ومن مدائح حازم وأجودها وأطولها وأشهرها قصيدته **المقصورة**[266]، التي نظمها على بحر الرجز، والمحتوية على ستة وألف بيت. ذكر حازم في مقدّمتها أنه عارض بها **مقصورة** ابن دريد[267]. وقد كان داعي نظمها مدح المستنصر الأمير الحفصي على تجديده للحنايا الرومانية التي تحمل كما لا يخفى قنوات المياه من العين النابعة بجبل زغوان إلى جنّات أبي فهر والقصبة بمدينة تونس.

وفي هذه القصيدة **المقصورة** يبلغ الشاعر أبو الحسن حازم القرطاجني الذروة في الإبداع والبراعة النظمية. وقد جعل من مقصورته ألواحا جميلة متجانسة، عرض فيها لشتّى الأغراض والفنون من مدح وغزل وحكمة ومثل، ووصف معالم ومجاهل، ومنازل ومناهل، ورياض وأزهار، وحياض وأنهار، وأزمن وأعصار، ومدن وأمصار، وجواز في قفار، وجوار في بحار، وصيد وقنص، ووعظ وقصص، ومواقف تعجّب واعتبار، ومواطن تبسّم واستعبار، إلى غير ذلك من ضروب المقاصد[268].

وتبدأ المقصورة بمقدّمة غزلية جريا على التقاليد العربية في النظم (1ـ52) ومطلعها: [الرجزـ ق ـ المتدارك]

لله ما قد هِجتَ يا يومَ النَّـــوى   على فؤادي من تباريح الجَـــوَى

265 ـ راجع المقري: **الأزهار**، ٣، 178 س9 ـ 182 س2؛ **الديوان** 89ـ96 عدد 33 انظر تحقيقنا ص179.
266 ـ راجع الغرناطي.
267 ـ هو أبو بكر ابن دريد محمد بن الحسن الأزدي، اللغوي الشاعر، المولود بالبصرة سنة 223 / 838 والمتوفّى سنة 321ـ933. وهو صاحب **الجمهرة**. وقصيدته **المقصورة** تتضمن مدح بني ميكال أمراء فارس، راجع السيوطي: **البغية**، 30ـ33.
268 ـ الغرناطي؛ **الحولية**، ٢، ماي 1953، 16. انظر تحقيقنا ص 17ـ71.

ومن ذلك يتخلّص الشاعر إلى مدح أسلاف المستنصر، وذكر أيادي الأمير وآلائه على البلاد التونسية التي عَرفت في عهده الأمن والازدهار (52 ـ 172). وفي الأبيات الموالية يمتطي الشاعر هذا الغرض مناسبة للتّحوّل إلى ما تهيّجه الذكرى بتونس، مستقبلا بذلك أغراضا جديدة أخرى ينزع به الشوق إليها. فإذا هو معنيٌّ بوصف أيامه الجميلة الخالية، وذكر مرابع شبابه ولهوه، ومدائن الأندلس البهيجة التي كان يقضّي بها حياته، متنقلا بينها، قبل سقوطها بيد الإسبان (172 ـ 187). فيتغنّى بالحبّ ويجري على طريقة ابن هاني الأندلسي في وصف السماء والشهب (185ـ197).

ثم يتحدّث عن شوقه الذي برّح به إلى منازله القديمة، ولذائذه،إلى الصيد والقنص، وإلى مختلف الشواغل والأسفار التي كانت له قبل (197ـ 502). ومن هذا ينتقل إلى النسيب والتشبيب بعشيقته، باكياً حبّه الضائع (502ـ566). ويتولّى بعد ذلك الحديث بشجاعة عن حظّه التعس. فقد انصرفت أيّامه الحبيبة عنه، وعاد يجتاز الأيام السوداء العصيبة التي تتابعت عليه عند اضطرره لمفارقة وطنه، وخروجه إلى مهجره من بلاده شرقي الأندلس. وهنا يصف العواصف والزوابع التي لقيها في طريقه، ويصوّر لنا الدوابّ التي ركبها مشيرًا أحيانًا إلى ما نالها من إجهاد وهزال بسبب طول السفر، ومشاق الطريق، إلى أن بلغت به تونس (566ـ 788).

هذا ولا ينسى الشاعر التذكير بأسباب انهزام المسلمين بالأندلس. ومن ثمّ يعود إلى غرضه الأصلي من **المقصورة**. فيمدح وليّ نعمته وحاميه المستنصر. يمهّد لذلك بتصوير خصال ومناقب القادة الإسلاميين وما بلغوا به العزّة والمنعة. فيذكر بالمناسبة انتصار الأمير يعقوب الموحّدي في واقعه «الارك» سنة 593/ 1195، ثم يجعل وارث الخصال كلّها والمناقب جميعها ممدوحه المستنصر محطّ آمال المسلمين، الذي يستطيع دون غيره أن يعيد للأمة الإسلامية سيادتها وعظمتها. ومن أجل ذلك نراه يستنجده ليفزع إلى وطنه الأندلس (788 ـ

974). وفي ختام **المقصورة** يعود الشاعر إلى نظمه، مفتخرًا بجميل مذاهبه فيه، معلنا أنّه ضارع ابن حزام في نسيبه، والمتنبي في أمثاله (974ـ1006).

هذا و**للمقصورة** جوانب من الأهمية جديرة بالدرس والتحليل. فهي تمتاز بخصائص لغوية وأذواق أدبية ونواحٍ تاريخية وجغرافية. ومن أجل ذلك وقع الإقبال عليها من عصر حازم. ووضعَ كثير من العلماء حولها شروحا نذكر من بينها، ممّا هو مفقود اليوم:

أولاً: شرح التجاني الذي سماه **أداء اللازم نحو مقصورة حازم**. ذكر ذلك له الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في مقدّمته للرحلة حين ترجم الكاتب اللحياني أبي محمد عبد الله التجاني[269].

ثانياً: **شرح المقصورة** للمحبّي الذي تعرّض لذكره حاجي خليفة في كتابه **كشف الظنون**[270].

وكلّ ما وقفنا عليه من الشروح هو شرح الغرناطي، أحد رجال القرن الثامن، المولود بسبتة في السادس من ربيع الثاني سنة 697 / الثاني والعشرين من ديسمبر 1297، والمتوفّى بغرناطة في شهر شعبان سنة 760/ جوان ـ جويلية سنة 1359[271]. ويعرف هذا الشرح **برفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة**. وهو مثال في بابه كما نبّه على ذلك المستشرق الإسباني قومز[272].

افتتحه الغرناطي بشرح الخطبة التي وضعها حازم بين يدي قصيدته. وعقد لألوان البديع الواردة في المقصورة والمذكورة في المقدّمة فصلا للتعريف بها وإيراد الأمثلة المتنوّعة لها. وهو في شرحه للأبيات معتمد الطريقة التطبيقية،

---

269 ـ راجع التجاني، **المقدمة**، 32.
270 ـ انظر أعلاه 41 وتع74.
271 ـ راجـع قومـز، 875.
272 ـ نفـس المرجـع.

مستخدم للقوانين العربية والبلاغية إلى أبعد حد، قصد استجلاء المعاني واستخراجها من مكامنها. فكان من أجل ذلك يعرض لكثير من المسائل النحوية واللغوية والبيانية، ثمّ يبحث عن المعاني بحثاً دقيقاً، فيتتبّعها في المقصورة، وفي الشعر العربي عامّة، مقارنا بذلك بين النظائر ومشيرًا أحياناً إلى المصادر أو المآخذ التي استمدّ منها أو تأثّر بها حازم. فإذا ورد في المقصورة ذكر أعلام لرجال أو مدن أو منازل، أو وردت الإشارة بها إلى أحداث، استغلّ الغرناطي تلك الفرص للتعريف بها وذكر الوقائع ووصفها. وهكذا تهيّأ بهذا الشرح وجود بعض المعلومات الدقيقة عن الأندلس وحضارتها.

وكما وجدت المقصورة عناية من الشراح والباحثين المتقدّمين، نلفيها اليوم مقتضية مثل تلك العناية أو أكثر. ولتعدّد جوانب الأهمية فيها نجد من معاصرينا من لم يُعن إلاّ بالناحية الأدبية الصرفة، ولم يولّ وجهه في دراسة **المقصورة** إلاّ نحو ما انفردت به من خصائص في هذا اللون الشعري الذي تبدو لنا فيه. ومنهم من راعته المعلومات التاريخية والجغرافية التي انفردت بها المقصورة في ذكر أحوال البلاد الأندلسية فوجّه كلّ اهتمامه إلى هاته الناحية.

فمن الصنف الأول من الدارسين الدكتور محمد مهدي علاّم الذي حقّق نصّ **المقصورة** وتحدّث عن هذا الفنّ الشعري ونشأته، وضبط مراحل وجوده وما لحقه من تطوّرات(273). وهو في تعقيبه على **مقصورة حازم**، مقارن بينها في النظم وبين المقامة في النثر، واضع بذلك ابن دِريد محلّ بديع الزمان، وحازما مع الحريري، مُنْتَـهٍ في تُلك المقارنة إلى القول بأنّ حازما قد بلغ في هذا اللون من الشعر الغاية، وأنّه الأستاذ فيه غير منازع، وإن كان خافت الشهرة في عصرنا(274).

273 ـ انظر أعلاه 42 وتع 84.
274 ـ راجع علام، 31.

ومن الصنف الثاني قومز. فهو بعد أن ترجم لحازم وحلّل **مقصورته**، عاد إلى الأبيات الثلاثين والثلاثمائة، التي تصوّر حياة الشاعر بمرسيّة وقرطاجنّة وأريوله، لا ليفحصها من الناحية الأدبية والفنية، ولكن ليستخرج منها ما تضمّنته من معلومات تاريخية وجغرافية هامّة[275]. وهو في هذا الغرض، في الملاحظات التي دوّنها حول قصيدة حازم، يحيل على كازيري وسيموني[276]. وبالاعتماد على نصّ **المقصورة** يشير زيادةً على ما احتواه النظم من وصف للطبيعة وبيان لأحوال المسلمين بالأندلس في تلك الفترة، إلى الأماكن التي تعرّض لها حازم بأسمائها. وهي أكثر من مائة موضع، ويلاحظ المستشرق الإسباني الأهمية البالغة التي يمثّلها النصّ لدراسة التسميات والأعلام الإسبانية العربية للأماكن. فهو مصدر لأسماء جغرافية مجهولة، كالتي أطلقها حازم على بعض الأودية والجبال والجزر والمدن، أو كالتي سمّى بها جملة من المعالم كالقصور والسبّالات والقباب، أو التي عيّن بها جهات، كان شباب عصره يلتقون بها للقنص والصيد.

وفي ملحق البحث قدّم قومز قائمة مرتّبة على الحروف الهجائية لتلك الأعلام والأسامي الواردة **بالمقصورة**[277]. ونبّه في ختام الدراسة على عظيم أهميّة ذلك قائلا: «أعتقد أنّ القصيدة **المقصورة** للقرطاجنّي تمثّل وثيقة من الدرجة الأولى لمعرفة جغرافية وعادات السكّان في تلك المنطقة الجميلة الخصبة من إسبانيا، التي كانت تدعى في القديم كورة تدمير»[278]، وهو يعجب كلّ العجب من إهمال قاسبار رميرو لهذا المصدر، وعدم اعتماده عليه، في التعريف بتاريخ مرسيّة الإسلامية[279].

275 ـ راجع قومز، 91 ـ 95.
276 ـ راجع قومز. 29ـ95.
277 ـ راجع قومز، 99ـ 103.
278 ـ راجع قومز، 95.
279 ـ نفس المرجع.

تلك هي جملة آثار حازم الشعرية. ومن يتعمق خصائصها أو يتعرف إلى مميزاتها ير ميل حازم إلى مناهج المجددين السابقين من شعراء العربية.

ومن أجل ذلك نراه يفضل المتنبي عليهم جميعاً[280]

ويقضي له بالتفوق، لما في طريقته من إبداع في الجمع بين الأسلوب الشعري القائم على التخييل والأسلوب الخطابي القائم على الإقناع[281]. فلا غرو أو وجدناه بعد ذلك متأثّرا به في نظمه، جاريا على طريقته في الإطار أو الشكل والصورة أو الغرض جميعاً. وهو ينحو أيضاً منحى ابن المعتز في استعاراته وتشابيهه[282]. وفعلا فقد برع حازم في مذهب المعاني والجري على الأساليب البيانية والبديعية، ودفعه ذلك إلى الإئتساء بغيره ومسابقته بما وضعه من معارضات[283].

ب ـ القسم العلمي: الآثار النحوية

كان حازم، كما ذكر ذلك السيوطي[284] والمقّري[285]، من النحاة المشاهير، وله مؤلّفان: صنّف ككثير من المشارقة والمغاربة، أمثال ابن هشام[286] وابن

280 ـ راجع **المنهاج**، 5:88.

281 ـ راجع **المنهاج**، 298ـ300، 363 س١ـ4.

282 ـ يظهر هذا بوضوح في غرض الوصف عند حازم، انظر أعلاه 74 ـ 76.

283 ـ من بين المعارضات المشار إليها نذكر **المقصورة** أولا، ثم **القصيدة التصوفية والجيمية** التي من البحر الكامل. انظر أعلاه 81 ـ74.

284 ـ انظر أعلاه 39 وتع55.

285 ـ انظر أعلاه 40ـ41، وتع 69، 71.

286 ـ هو جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام، النحوي المصري الشهير، ولد سنة 708 / 1308 وتوفي سنة 761/ 1359ـ60. وهو صاحب **المغني** ذكر السيوطي له جملة مؤلفات لم يشر من بينها إلى رده على **المقرب**، وليس لنا علم بهذا الكتاب إلا من طريق المقري. راجع في هذا السيوطي: **البغية**، 393 ـ294؛ المقري: **النفح**، (1)، ٢، 522.

الضائع[287]والجزري[288] وابن الحاج[289]، رسالة في الردّ على كتاب **المقرّب** لابن عصفور أسماها **شدّ الزنّار عل جحفلة الحمار**[290]، لكن هذا المؤلّف الذي نحسبه كاشفاً عن مذهب حازم وآرائه النحوية اللّغوية مفقود لسوء الحظ.

وإذا كنّا، بسبب ذلك، قد حرمنا الاطلاع على تصنيف نحويّ لحازم، فإنّا لم نحرم الوقوف على **القصيدة النّحوية** التي ما تزال موجودة بنصّها الكامل في مجموع مخطوط تحتفظ به المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة بتونس تحت عدد 1610 . وتتألّف هذه القصيدة الميميّة من تسعة عشر ومائتي بيت من بحر البسيط. وأغلب الظنّ أنّ مؤلّفها أراد أن يضع بها متنا في علوم العربية على نحو ما صنع ابن معط[291]وابن مالك[292]. ثم وقف عن إتمامها، فلم يبلغ بها الألف بيت مثلهما. وفي خطبة هذه القصيدة التي طالعها: الحمد لله مُعلي قدرَ من علما وجاعل العقل في سبل الهدى علما يذكر حازم، في أبيات، مدينة تونس وهجرة العلماء إليها، ويمدح أميرها المستنصر، لما أغدقه على قصّاد إفريقية من نعمة وأمن. ثمّ يتخلّص من ذلك إلى الموضوع الأصلي من قصيدته،

287 ـ هو علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي الإشبيلي، النحوي الفقيه. توفي سنة 680 / 1281، أخذ عن الشلوبين، وترك مؤلفات كثيرة منها **الرد على المقرب** لابن عصفور. راجع السيوطي: **البغية**، 354.

288 ـ هو إبراهيم بن أحمد بن محمد الأنصاري الخزرجي، أحد أعلام البلاغة والنحو. صنف كتبا كثيرة منها: **المنهج المعرب في الرد على المقرب**، ولم يذكر ابن رشيد ولا السيوطي رده على المقرب. راجع ابن رشيد، مخط، 1737 . و.62أ ـ 63أ؛ السيوطي: **البغية**، 177.

289 ـ هو أحمد بن محمد الأزدي الإشبيلي الشاعر، أحد أعلام النحو والبلاغة. توفي بتونس سنة 651 / 1253 . أخذ عن الشلوبيين، وعد من مؤلفاته رده على **المقرب**. راجع ابن رشيد، مخط. 1355 و. وسط 33أ ـ آخر و 33 ب ؛ السيوطي: **البغية**، 156.

290 ـ راجع في ذلك كله المقري: **النفح**، (1)، ٢، 522.

291 ـ هو زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي الزواوي المغربي، النحوي، ولد سنة 465 / 1169، وتوفي بدمشق 628/ 1231 . تنقل كثيرًا في المغرب والمشرق، ودرس الأدب بجامع عمرو بالقاهرة. وترك مصنفات عديدة منها: **الألفية**. راجع **د.م.ا.** (1)، ٢، 431.

292 ـ انظر أعلاه 46 وتع 97.

فيتحدّث عن صناعة النحو، متعرّضا لمباحث عديدة يشتغل فيها ببيان أنواع الكلم وأحكام الإعراب والبناء ثمّ يذكر العوامل والفعل وأحكامه والنواصب للأفعال والنواصب للأسماء ثم النداء والاستثناء وخفض الاسم وأحرف النصب وعلامات الإعراب ثمّ الابتداء. وعند هذا المبحث ينقطع القول، وذلك بعد الإشارة إلى الخلاف الذي شجر بين زعيم البصرة سيبويه[293] وزعيم الكوفة الكسائي[294] حول المسألة الزّنبوريّة[295]، وذكر آثار المناظرة بينهما معقّبا عليها بقوله: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

والغبنُ في العِلم أشجَى محنةٍ عُلمَتْ وأبرحُ الناسِ شجوًا عالِمٌ هُضِمَا

ج ـ القسم العلمي: الآثار البلاغية والنقدية

يبدو أنّ حازماً ترك ثلاثة أو أربعة تصانيف في فنون البلاغة والشعر:

منها ما هو مفقود لم نقف عليه بعد، وهو كتاب **التجنيس**. ذكر السيوطي أنّ لابن رُشيد شرحًا عليه[296].

ومنها في العروض وعلم القافية كتاب يظنّ أن معظمة مفقود، وقد أحال عليه حازم في **منهاجه**، ولم يصرّح باسمه[297]، ولكنّه أشار إلى عظيم أهميّته في موضوعه. وقد يحتمل أن تكون القطعة الموجودة، في المجموع المخطوط

---

293 ـ هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، شيخ مدرسة البصرة، المتوفى سنة 175 / 791. أخذ عن الخليل بن أحمد، ووضع في العربية أول المصنفات جميعها **الكتاب**. راجع د.م.ا.، (1)، 4، 412-413.

294 ـ هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمان بن فيروز الأسدي. علَم معدود في القراء والنحاة، رئيس مدرسة الكوفة. توفي برنبويه سنة 189 / 1096، السيوطي: **البغية**، 336؛ كحالة،7، 84.

295 ـ انظر خبر المناظرة وتفصيله عند الزجاجي. 8-10.

296 ـ راجع السيوطي: **البغية**، آخر 85.

297 ـ راجع **المنهاج**، 259 س6.

عدد 2804 بالمكتبة العبدليّة بجامع الزيتونة، من هذا الكتاب. وهي تبحث في القافية. وفعلا فقد ظفرنا مع نصّ كتاب **المنهاج** بكتاب آخر لحازم سماه **كتاب القوافي** وهو لا يعدو ثلاث ورقات صنّفه للأمير المستنصر. يدلّ على ذلك قوله من خطبته:

«إنّ هذا الكتاب تعيّن بانتهاج الاسم الإمامي المستنصري وامتثال الأمر المطاع العلي، أن يقصد فيه إلى تعديد ضروب من القوافي»[298]. وفي التعريف بهذا لكتاب والتقديم له كلام يشعر بأنّ محرر الأسطر الموالية أو ناسخها تلميذ لحازم[299]. وقد يجوز أن يكون المقدار الموجود من هذا الكتاب متنا عقّب عليه ابن رُشيد بالشرح، ثم فقد معظم الكتاب فيما فقد. فإنّ المقّري ينسب للرحالة ابن رُشيد شرحا على **كتاب القوافي** لحازم سمّاه **وصل القوادم بالخوافي في شرح كتاب القوافي**[300].

ومنها أخيرًا في فنّ الشعر كتاب ذو أهميّة بارزة، متميّز بموضوعه وبطريقة التناول والبحث لفنّ القريض، وهو المنهاج. ونسخة هذا الكتاب من أوقاف المكتبة الصادقية، كان موجودا بالعبدلية في جامع الزيتونة بتونس تحت عدد 2804، ثم حوّل إلى المكتبة الجامعية بتونس. ولم يتناول المخطوط لحدّ الآن بالوصف.

فهو مسفّر تسفيرًا حديثا. والمخطوطات التي يحويها الثلاث، **المنهاج وكتاب القوافي والرسائل الديوانية** للبيت العزفي[301] مكتوبة بخطّين مختلفين:

---

298 ـ مخط. **المنهاج** عدد 2804، و145ب س14.

299 ـ يقدم كتاب حازم في النسخة المشار إليها ما يلي من قول الناسخ: «قال شيخنا الأوحد البليغ أبو الحسن حازم ابن القاضي أبي عبد الله ابن حازم القرطاجني رحمه الله». وهذا لا ينفي أن يكون الكلام بعد ذلك من تحرير حازم كما يسمح بظن كونه من إملائه.

300 ـ راجع المقري: **الأزهار**، ٣، 350 س10.

301 ـ المراد برجال البيت العزفي هنا من كتب الغافقي عنهما الرسائل. وهما: أبو القاسم محمد ابن أحمد العزفي، أمير سبتة فيما بين سنة 647 / 1250 ـ 677 / 1278، وابنه أبو حاتم أحمد. راجع المقري: **الأزهار**، 2، 374 وما بعدها.

فالقسم الأول وهو كتاب **المنهاج** يتألّف من و1 ب ـ 144 ب. ورقه سميك وخطّه تونسي أندلسي، يرجع تقريبا إلى القرن السابع والثامن/ الثالث عشر ـ الرابع عشر. وتشتمل صفحات هذا القسم على ثلاثة وعشرين سطرًا، والورقة الأولى مجدّدة تحمل من الوجه:

1 ـ اسم الكتاب: **المناهج الأدبية**، واسم المؤلف.

2 ـ تملّكها لشيخ الإسلام بيرم الرابع مؤرّخا بعام 1242/ 1826.

3 ـ تملّكًا بالشراء بخطّ الشيخ سالم بوحاجب، يدلّ على أنّ المخطوط انتقل من تركة بيرم الرابع بالشراء إلى خير الدين، في شهر رمضان 1285/ 1828.

4 ـ فهرسة للمجموع الأصلي، الذي أخرج منه المجموع الحالي، تصوّر بدقّة ما كان يحتوي عليه المجموع الأوّل من كتب ورسائل. فهو علاوة على **المنهاج** و**كتاب القوافي** و**رسائل** العزفي، يضمّ ثلاث مجموعات من شعر حازم و**قصيدته النحرية** ورسالة له غير واضحة العنوان وأشعارًا للغافقي ورسالة في الخلاف بين الكسائي وسيبوية.

وعلى ظهر الورقة الأولى المجدّدة ألصقت الصفحة الأولى من **المنهاج**. وهي منقوصة من جميع أطرافها ومترهّلة شديد الترهّل، فقسط منها العنوان. وللتعريف بها يوجد بأعلى الصفحة لبعض الناسخين بخطّ حديث البسملة والتصلية في سطر، وعقبهما في سطرين الجملة التالية: «قال الإمام الحافظ البليغ الحجّة في مقام الأدب ومضماره حازم بن محمد القرطاجني»، وعلى بياض الجانبين يمنة ويسرة كُتب نصّ تحبيس خير الدين، لهذا المجموع، على المكتبة الصادقية بجامع الزيتونة بتونس.

فالورقة الأولى من كتاب **المنهاج** هذا لا تمثّل، كما سنصوّر ذلك، أوّل المخطوط. والعنوان الذي نجده بها، المطموس غالبه، هو عنوان القسم الثاني من هذا الكتاب. والنسخة ناقصة أيضاً من الآخر. فالورقة 144 ب بها المعرف

(د) من المنهج الرابع من القسم الرابع. وعنوان هذا المعرف: «معرف دالّ على طرق المعرفة بمبلغ هذا الكتاب من أصول هذه الصناعة».

وآخر ما بالورقة يدلّ على وجود بقيّة كلام يقتضيه تمام البيان والشرح. ونصّه: «واعتبار كلّ نمط من أنماط الأوزان بما يصلح به من أنماط اللفظ والمعنى والنظم والأسلوب، والتمييز بين ما يكون ملائمًا لما وضع بإزائه من جميع ذلك وما يكون منافرا لوضعه[302]». وليس ثمّة تنبيه على نهاية الكتاب. وفي الهامش من بعض ورقات المخطوط إصلاح للنصّ، وتوقيفات توذن بحصول المقابلة مع النسخة الأولى المفقودة التي كانت أصل هذه النسخة.

والقسم الثاني، من المجموع الموجود اليوم، مكتوب بخطّ أحدث ممّا كتب به القسم الأوّل. وهو يتألّف من مخطوطين.

من و.145 ب ـ 147 ب قطعة من **كتاب القوافي** لحازم[303].

من و. 148 أ ـ 170 ب **رسائل ديوانية** للبيت العزفي، حرّرها عنهم كاتبهم الغافقي[304].

وليس من غرضنا بدون شك الاشتغال هنا بهذه الرسائل التي تضمّنها المخطوط الأخير من المجموع.

---

302 ـ راجع **المنهاج** 380.

303 ـ انظر أعلاه 89س 6.

304 ـ هو خلف بن عبد العزيز الغافقي القبتوري، إمام الترسل في عصره وكاتب البيت العزفي من أمراء سبتة. ولد باشبيلية سنة 615 / 1218ـ1219، توفي بالمدينة سنة 704ـ705 / 1304. أخذ عن الدباج، وقضى زمنا بالمغرب الأقصى وبتونس أين روى الحديث، وزار القاهرة مرتين وقضى بقية حياته بالحجاز. راجع المقري: **النفح**، (1)، ١، 870 عدد 217.

تحليل منْهاج البلغاء وسراج الأدباء

أ ـ عنوان الكتاب ونسبته:

إنّ كتاب حازم هذا، وإن ذاعت شهرته في العالم العربي شرقيّه وغربيّه، قد توالى التغيير بالاختصار والتبديل على عنوانه الأصلي مرّات كثيرة. وفعلا فإنّ المخطوط الوحيد من هذا الكتاب الموجود اليوم بتونس يحمل على وجه الورقة الأولى منه بخطّ حديث اسم المناهج الأدبية. والظاهر أنّ هذه التسمية من وضع بعض القرّاء أو النسّاخ، كما قدّر ذلك بدوي[305].

ويشهد بأصل التسمية، المذكورة بصدر البحث، ما ذكره السُبْكي في موضوعين من كتابه **عروس الأفراح**. فقد عدّ في المرّة الأولى **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** في قائمة مصادر تصنيفه[306]. وفي المرّة الثانية أحال على كتاب حازم بهذه التسمية في قضيّة التفريق بين التشبيه والاستعارة[307].

ويؤيّد السبكي في ذلك الزركشي في كتابه **البرهان**[308].

---

305 ـ راجع **إلى طه حسين**، 86.
306 ـ راجع م. 387 وتع.1.
307 ـ راجع م. 386.
308 ـ راجع. 388ـ393.

فلا نظر بعد ذلك إلى ما ورد من عنوان هذا الكتاب بصيغ مختصرة عند الصفدي في كتابه الوافي[309]، وعند السيوطي في مؤلّفاته الثلاثة: **المزهر والإتقان والاقتراح**[310]، وعند المقّري في كتابه **الأزهار**[311].

فإنّ التسميات لديهم كانت تختصر العنوان الأصلي لتسهيل الإحالة عليه مع الإيماء له بصيغ **سراج البلغاء، منهاج البلغاء**، والمنهاج.

ومن أجل ما قدّمنا كان من الضروري أن نعتمد تسمية السُبْكي عند تحقيق ونشر هذا الكتاب.

ولتحقيق نسبة هذا الكتاب إلى حازم نكتفي في ذلك بالإحالة على المعلومات الكثيرة المستفادة من المصادر المذكورة أعلاه. وممّا لا شك فيه أنّ النصين اللذين أوردهما الزركشي في الفصل الذي عنون له بالالتفات والفصل الذي عنون له بنفي الشيء رأسًا في كتابه البرهان يتّفقان تمامًا ويطابق لفظهما لفظ ما عندنا في **المنهاج**[312]. أمّا النصوص الأخرى التي وجدناها عند السُبْكي والزركشي[313] فهي من حيث الشكل والطريقة التعبيرية من صنع حازم وهي من حيث الموضوع متّفقة من غير شك مع موضوع القسم الأول من **المنهاج**. وهذا ما لا نملك إقامة البرهان المادّي عليه لأنّ القسم الأول من الكتاب المذكور مفقود تمامًا لا نعرف طريق التوصّل إليه.

ب ـ الموضوعات المحتملة للقسم الأول من المنهاج:

في كلام حازم نفسه[314] إشارات عديدة إلى موضوعات هذا القسم المفقود. فهو يتناول بالبحث القول وأجزاءه، والأداء وطرقه، والأثر الذي يحصل للسامعين عند صدور الكلام.

---

309 ـ انظر أعلاه 38.

310 ـ انظر أعلاه 39.

311 ـ راجع المقري: **الأزهار**، ٣، 172 س 13.

312 ـ انظر م. 392 عدد9،8، ق. **المنهاج**، 348 س 4ـ9، 101 س6ـ10.

313 ـ انظر م. 383ـ393.

314 ـ راجع في ذلك **المنهاج**، 17 ف. 19،15ف.33.2ف.44،1ف.2.

فالسُبْكي في كتاب **عروس الأفراح**، والزركشي في كتاب **البرهان**، يؤكّدان الموضوع المشار إليه، والطريق التي سلكها حازم في تناوله لهذا القسم. وذلك بما يقدّمانه من نصوص نذكرها في الملحق الذي نضعه إثر كتاب **المنهاج**.

فمن يعتمد الشواهد التي أدلى بها السُبْكي يجد حازمًا مشغولاً بالحث عن الضرائر، وبما قصُر أو طال من العبارات والألفاظ، كما يلفه باحثا في الابتذال والغرابة والتشبيه وشروطه[315].

ومن يرجع إلى نصوص الزركشي التي استشهد بها لحازم يلق فيها الحديث عن السجع، وعن الحكم والأمثال، وعن التشبيه وأدواته وأشكاله وصوره، وعن الاحتياط في استعمال بعض الألفاظ وتقدير الاستعمال، وعن الزيادة والقلب والالتفات والترتيب في المعاني والأغراض[316].

ج ـ منهج حازم في الأقسام الباقية من كتاب المنهاج:

تتركّب قطعة **المنهاج** لحازم التي بين أيدينا من أقسام ثلاثة متمايزة تبحث كلّها في صناعة الشعر على العموم وعلى الوجه الذي يراه المؤلّف في عصره[317]. ويتناول حازم بهذا الكتاب درس موضوع الشعر وطريقة نظمه. ونجده يتعمّق ذلك في القسم الثاني والثالث والرابع من **المنهاج** ببحث المعاني والمباني والأسلوب.

وكلّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة موزّع إلى أربعة أبواب. أطلق حازم على كلّ واحد منها اسم منهج، ثمّ جعل المناهج أو الأبواب متألّفة من فصول دعاها على التعاقب بمعلم أو معرف. وهو يتبعها غالباً بملاحظات بلاغية يجمعها في

315 ـ انظر م. 383ـ387.

316 ـ انظر م. 388ـ393.

317 ـ راجع لضبط ذلك مقال حازم في **المنهاج** واستشهاده بكلام ابن سينا المنقول عن أرسطو، 69ـ70.

فصول ختامية، يعنون لها بمأمّ أو مآمّ على الإفراد أو الجمع. هذا وقد جعل فقر **المنهاج** متمايزة هي أيضاً في كلّ فصل من فصول الكتاب، فعنون لها بلفظين على التعاقب إضاءة وتنوير.

والقسم الثاني من **المنهاج**، الذي تبدأ به نسختنا، يبحث في المعاني. وليس المقصود بالمعاني عند حازم العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال[318]، ولكن المراد بها لديه البحث في حقائق المعاني ذاتها وأحوالها وطرق استحضارها وانتظامها في الذهن وأساليب عرضها وصور التعبير عنها. فلا يختلط المراد بالمعاني هنا بمدلول هذا اللفظ في الإصلاح البلاغي. ويكون من غرضه في هذا القسم بيان ما ترتكز عليه الصناعتان الخطابية والشعرية، وما يحتاج إليه فيهما من أساليب وأذواق، مرجعها علم البيان وعلم البديع. وهذا الدرس للمعاني، كما يعرضه علينا حازم، عظيم الأهمية لمعرفة الصناعة الشعرية، وبه تظهر أصالته في ميداني البلاغة والشعر.

ففي هذا القسم الثاني الخاص ببحث المعاني يعرض حازم لمشاكل كثيرة يتناولها في أربعة أبواب أو مناهج مختلفة.

ففي المنهج الأول، الذي عقده للإبانة عن ماهيات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعها، والتعريف بضروب هيئاتها وجهات التصرّف فيها، وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك، لا نظفر بأكثر من فقرتين من المعلم الأوّل. ذلك أنّ نقصا كبيرا ذهب بمعظم ما احتوى عليه الباب من الفصول. وكلّ ما في الفقرتين هو إشارة إلى حظّ الشعر في عصر المؤلّف، وإيماءٌ لداعي تأليفه لكتاب **المنهاج**. هذا ولم ينس حازم بتلك المناسبة التعريض بأهل الصناعة الشعرية في عصره. فقال: «فلم يوجد في شعراء المشرق المتأخّرين، منذ مائتي عام، من نحا نحو الفحول، ولا من ذهب مذاهبهم في تأصيل مبادئ الكلام وإحكام وضعه وانتقاء موادّه التي يجب نحته منها. فخرجوا بذلك عن مهيع الشعر، ودخلوا في محض

318 ـ راجع التفتزاني، ١، 155؛ ق. صباغ9.

التكلّم. هذا على كثرة المبدعين المتقدّمين في الرعيل الأول من قدمائهم، والحلبة السابقة زمانا وإحسانا منهم[319]».

وفي المنهج الثاني، المتألّف من اثني عشر فصلا، يبحث حازم طرق اجتلاب المعاني وكيفيات التئامها وبناء بعضها على بعض، وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك. ويتحدّث عن أغراض الشعر الأول والثواني مقارنا بينها، ويفصّل التأثّرات والانفعالات الحاصلة من القول الشعري، ويفرّق بين مدركات الذهن وتصوّراته ومدركات الحسّ العامة، وينتهي من ذلك إلى بيان المعاني الجمهورية وغيرها والمعاني العلمية والفنية ونحوها، فيفاضل بين كلّ هذه الأنواع قابلا منها ما يصلح أن يكون موضوعا للشعر، ودافعا ما لا يتّفق وطبيعة هذا الفنّ. وهو يذكّر معاصريه الفينة بعد الفينة بأنّ الملكة الشعرية لاتتفتّح ولا تزدهر إلاّ متى كانت موجّهة ومتولّدة عن معرفة نامية وعميقة. وهو من أجل ذلك يدعو الشعراء إلى الأخذ بمناهج القدامى من شعراء العربية. هذا وقد تولّى حازم في هذا المنهج شرح طريقة انتقاء المعاني ووجه التأليف بينها، ثم تحوّل إلى ذكر مصادر الإيحاء الشعري اللازم لكلّ عمل فنّي. فالتأليف الشعري لديه لا بدّ له من مهيئات وأدوات وبواعث. ومردّ الجودة في العمل الفنّي لدى الشعراء قوى ثلاث هي: القوّة المائزة والقوّة الحافظة والقوّة الصانعة. وقد استغرق بحث هذه القضايا، بطريقة فلسفية منطقية، سبعة فصول، وهي التي صدّر بها حازم هذا المنهج.

ومن الملاحظ أنّ المؤلف نفسه أشاد بموضوعات هذه الفصول الدائرة حول بحث المعاني. وقد نبّه على أصالته في هذا الغرض وانفراده فيه بالتأليف عن سائر علماء العربية. يدلّ على ذلك قوله: «وقد سلكت من التكلّم في جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة، لصعوبة مرامه وتوعّر سبيل التوصّل إليه. هذا على أنّه روح الصنعة وعمدة البلاغة». وقد أشار

319 ـ راجع المنهاج، 10 س 7ـ13.

بعد ذلك إلى أنّ علماء البلاغة في القديم لم يتكلّموا إلاّ في بعض ظواهر ما اشتملت عليه تلك الصناعة(320). ثم عقد بعد ذلك فصولاً أخرى إضافية عُني فيها بدرس بعض القضايا البلاغية، فتحدّث كعامّة النقّاد السابقين عن مذاهب المطابقة والمقابلة والتقسيم والتفسير والتفريع.

وفي المنهج الثالث المتألّف من ثمانية فصول يتحدّث حازم عن الاستدلالات وأنواعها في الشعر. ويذكر خصائص الشعر العربي والموضوعاته، مقارنا بينه وبين شعر الإغريق، الذي بلغ الذروة في فنّي المأساة والملهاة. ويعتقد صاحب **المنهاج** أنّ الشعر العربي يفضل اليوناني في غرض الوصف وفي وجوه كثيرة من الصناعة. ومن أجل ذلك يرى عمل أرسطو في كتاب **فنّ الشعر** منقوصًا فيقول: «ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب، من كثرة الحكم والأمثال والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى تبحّرهم في أصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضعها ووضع الألفاظ بإزائها وفي إحكام مبانيها واقتراناتها ولطف التفاتاتهم وتتميماتهم واستطراداتها وحسن مآخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقاويل المخيّلة كيف شاؤوا، لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية». ومن جهة أخرى يُظهر حازم مثل ابن سينا أسَفَه من أجل عدم وقوفه على جانب كبير من كتاب المعلّم الأول. وقد أخذ على نفسه أن يحقّق أمل ابن سينا(321)، وذلك بمحاولة تحرير كتاب في علم الشعر المطلق وفي علم الشعر بحسب عادة أهل زمانه. ويتبيّن لنا هذا من قوله: «وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما أرجو أنّه من جملة ما أشار إليه أبو علي ابن سينا(322)». فالشعر عند حازم لا يتحقق بمثل ما تحقّق به عند قدامة من تآلف واتفاق كاملين بين اللفظ والمعنى

---

320 ـ راجع **المنهاج**، 18ف. 16.

321 ـ **المنهاج**، 69 س 13.

322 ـ **المنهاج**، 70ف. 15.

والوزن والقافية[323]، بل لا بد فيه ليكون خليقا بهذه التسمية أن يثير إغرابا ويحدث تعجيبا عند السامع[324]. ومن ينظر في تعريف حازم للشعر وبحثه في مقوّماته الأصليّة يلمس كبير تأثّره بآراء أرسطو، فحازم من غير شك قد استفاد كثيرا من مطالعته لكتاب **فنّ الشعر** للمعلّم الأوّل، وتكوّنت له بسبب ذلك فكرة في فنّ النظم، فأخذ يبحث في قوانينه وأصول صناعته. وممّا يدلّ على انفعاله هذا بالطريقة الهيلينية في نقد الشعر، استشهاده المتكرّر في هذا المنهج بنصوص من كلام أرسطو في **فنّ الشعر**، اعتمد فيها مرّتين تلخيص الفارابي[325]، وأربعة عشر مرة ترجمة ابن سينا في الشفاء[326]. وفي هذا تبدو ابتكارات حازم وأصالته التي نوّه بها في المنهج الثاني كما قدّمنا[327]، وعن هذه الطريق تنعقد الصلة بين النقد العربي والنقد اليوناني للشعر. فصاحب **المنهاج** يساير أرسطو في دراسة محرّكات الشعر والدوافع إليه، وفي ضبط موضوعه وبحث أشكاله. وهو يأخذ من أوصاف المعلّم الأول لشعر المأساة والملهاة، ما يتّفق معها عند العرب في شعر المديح والهجاء. وبفضل هذه المشاكلة في الطريقة استطاع حازم أن يقيم الفروق بين الشعر والخطابة وغيرهما من الفنون الأدبيّة، وبذلك أيضاً استطاع أن ينزع عن موضوع النظم ما لا يتّصل بطبعه ولا يتجانس معه، فبحث أغراض الشعر وقسّمها إلى حاصلة واقعة ومختلقة كاذبة، ثم فصّل كلّ واحد من الجنسين إلى ما يتفرّع إليه من صور اقتصادية وتقصيرية وإفراطيه، وميّز منها الواجب عن الممكن والمستحيل عن الامتناعي، وبيّن صور التقابل في إيقاع المعاني، وتحدّث عن المحاكاة وطرقها وما يلابسها

---

323 ـ قدامة(2)،2 س 2 ـ12.

324 ـ **المنهاج**، 71، ب، س13ـ17.

325 ـ **المنهاج**، 86 س8 وما بعده، 132 س 10ـ12.

326 ـ مثلما تدل عليه نصوص **المنهاج** نجد إحالات حازم في القسم الثاني على كلام ابن سينا راجعة إلى **فن الشعر**، **والمنطق**، **والخطابة**، من كتاب الشفاء. وهذه الإحالات واردة في **المنهاج**، 69 س1 ـ 3، 2 ـ 14 ـ 74س16 ـ 20، 78س3 ـ 6، 7 ـ 9، 9، 4، 6 ـ 15، 15 ـ 18. 122س7،6 124 ـ 16 ـ 17.

327 ـ انظر أعلاه 97.

من أوصاف الحسن والقبح حتّى تكون به وبحسب ما يقصد إليه الشاعر منها محاكاة تحسينية أو تقبيحية. وبهذا الوجه، من الدقة في بحث موضوعات الشعر وأغراضه وصوره وأحواله، عمد حازم لحماية هذه الصناعة والذود عنها، رادّا على من يدّعي اقتصار الشعر على الكذب واتّسامه به، منبّها على شرفه ومدى تقدير السابقين له، مستشهدا على ذلك بكلام ابن سينا عنهم، في كونهم ينزّلون الشاعر منزلة النبي فينقادون لحكمه ويصدّقون بكهانته.

يتناول حازم كلّ هذه النواحي بأسلوب حكمي فلسفي دقيق. ويستعمل لذلك كثيرًا من ألفاظ واصطلاحات الفلاسفة وبخاصّة المناطقة، حتى إذا همّ بالرجوع إلى منهج النقّاد العرب، اتخذ لذلك الأمر لبوسه وجاراهم في استخدام المصطلحات البلاغيّة. وفي هذا المقام ينوّه عظيم التنويه بأبي الطيب المتنبي الذي يبزّ الشعراء في نظمه بفضل معرفته الواسعة بالبلاغة وطول تجربته الشعرية، وينتقل من ذلك إلى الاشتغال بعديد من الأشكال الفنيّة، يطلق عليه صور المحاكيات التشبيهية والتخييلية[328]. وهو في عرض ملاحظاته النقديّة وآرائه البلاغية لا يعتمد أبدا أنظار المتكلّمين الذين بسبب اشتغالهم بمشكلة الإعجاز في القرآن يظنّون أنّهم يقدرون على القول في هذا الفنّ. فيضعّف مذاهبهم ويصرف الدارسين عنها. وفي آخر هذا المنهج يلجأ حازم إلى علم البيان. وعلى نحو ما فعل أرسطو في كتابه ينبّه على عظيم أهميّة الاستعارة وكبير دور المحاكاة التشبيهية في فنّ الشعر[329].

وفي المنهج الرابع المتألّف من ثلاثة عشر فصلا: يشرح حازم أصول النظريات البلاغية وطرق تطبيق القواعد الراجعة إليها في صوغ الكلام على نحو ما تقتضيه وجوه تأدية المعاني. وهنا، بوصفه الممثّل الأمين لمنهج البلاغيين في تقييم فنّ الشعر، لا يتخلّف عن التذكير بأصول الصناعة الشعرية وبالنظريات

---

328 ـ **المنهاج** 111ـ115.
329 ـ **المنهاج** 116ـ129. ق. أرسطو (2) نهاية 65.

المتّخذة أساسا للنقد لدى السابقين. فهو يستجيد طريقه النظم لدى الشعراء العرب القدامى ويتولّى الدفاع عنها. ويعدّ علماء البلاغة وحدهم قادرين على إدراك خصائص مختلف التراكيب واكتشاف أسرار ألوان الصيغ التعبيرية. ومن أجل ذلك نجده يحيل على مؤلّفاتهم وتصانيفهم للتعريف بأذواق ودقائق الصناعة الشعرية. فيلفت أحياناً الأنظار إلى آراء الجاحظ[330] والآمدي[331]، ويتعرّض بكثرة إلى مقالات قدامة[332]، والخفاجي[333]. وعلى أساس ما يبسطه من نظريات وقواعد يعمد في نهاية بحث المعاني إلى ترتيبها بحسب الوصف والأهميّة. وفي آخر هذا المنهج الرابع الذي بسط فيه حازم القول عن وضوح المعاني وارتباطها ببعضها وحسن تساوقها واختيارها وطرق استعمالها وما يعرض فيها من مبالغة وغلو، يتولّى صاحب **المنهاج** التفرقة بين المعاني القديمة المتداولة والجديدة المخترعة.

والقسم الثالث من **المنهاج** موضوعه المباني والأعاريض الشعرية. وهو يتألّف من أربعة مناهج أو أبواب يبحث فيها المؤلّف الأوزان وما تخضع له من قوانين وأحكام بلاغية ترتبط باللفظ والتركيب والبحر والقافية وسائر ما يتقوّم به فنّ النظم.

ففي المنهج الأول المتفرّع إلى خمسة فصول: يشرح حازم ما يعنيه بالطبع والملكة الشعريّة. ويردّ ذلك إلى الفطرة أو الموهبة. فالطبع لديه استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري أن ينحى به نحوها. وذلك يتحقّق لدى الشعراء بقوى فكرية واهتداءات خاطرية تتفاوت فيما بينهم. وعلى أساس هذا التفاوت يكون لهم السبق والتقدّم. وللتبصير بالملكة الشعرية يستعرض المؤلّف ما يقوّمها من

330 ـ راجع فهرس الأعلام.
331 ـ راجع فهرس الأعلام.
332 ـ راجع فهرس الأعلام.
333 ـ راجع فهرس الأعلام.

قوى واستعدادات شارحا ومفصّلا[334]. وينتهي به ذلك التحليل والبيان إلى ملاحظات نقديّة ناتجة عن وجوه تُحقّق تلك القوى لدى الشعراء. وهو من أجل ذلك يوزّع هؤلاء إلى ثلاثة أقسام متباينة: شعراء على الحقيقة، وغير شعراء على الحقيقة، وطائفة متوسّطة بينهما[335]. ولا ينسى بهذه المناسبة الإشادة بخصائص جماعة من أعلام الشعر كابن الرومي[336] والبحتري وابن المعتزّ والمتنبي وابن الدرّاج وأبي تمّام، كلّ في اللون الذي برع فيه، والوجه الذي اختصّ به[337]. ثمّ يتخلّص من ذلك إلى توجيه الناشئين من الشعراء ببيان الكيفيات التي تتناول بها الأغراض الشعرية من جميع جهاتها، وينهج إلى الطرق المتوخّاة لاختيار الألفاظ والتراكيب مع الإشارة إلى مختلف الأغراض وما يناسبها من أوزان هي أولى بأن تجرى فيها وتبنى عليها. ويختم هذا الباب بالتفرقة بين الأشعار المرتجلة والأشعار المروّاة.

وفي المنهج الثاني المتألّف من سبعة فصول: يولي حازم كلّ عنايته قوانين الشعر من أوزان وأعاريض وقواف. ويتناول بغاية الدقّة تحليل مقوّمات الوزن. فبيت الشعر عنده يتألّف ضرورة من أجزاء تساعية أو سباعية أو خماسية[338]. والأوزان العربية في الشعر بسيطة أو مركّبة، بحسب نوع الأجزاء التي تنتظم منها.

والوزن البسيط هو ما كانت كلّ أجزائه خماسية كالمتقارب، أو سباعية كالرجز والكامل والوافر والرمل والهزج، أو تساعية كالخفيف. هذا ومن الملاحظ أنّ الأجزاء في الأوزان المذكورة أعلاه ثابتة لا تتغير، لكنّها في السريع والخفيف، وإن تماثلت في العدّ، مختلفة في التركيب بدليل أنّها في الأول متباينة بين مستفعلن ومفعولات وفي الثاني بين فاعلاتن ومستفعلن[339].

334 ـ انظر **المنهاج**، 199ـ201.
335 ـ انظر **المنهاج**. 201ـ202.
336 ـ انظر **المنهاج**، 218 س.10ـ11.
337 ـ انظر **المنهاج**، 219ـ220 ف.9.
338 ـ انظر **المنهاج**، 226 س.8ـ17.
339 ـ انظر **المنهاج**، 235 ف.7.

والوزن المركّب هو ما اختلفت أجزاؤه من جهة العدّ بأن كان بعضها متألّفا من خمسة أحرف والبعض الآخر من سبعة كالطويل والبسيط والمديد والمقتضب، أو كان بعضها سباعياً والبعض الآخر تساعياً كالدبيتي[340]، أو كانت أجزاؤه مختلفة بين خماسية وسباعية وتساعية كالمنسرح[341].

ويظهر في تحليل حازم للوزن أخذه بطريقة أرسطو. فالجزء عنده يتألّف من أرجل. والأرجل هي المقاطع الصوتية، لها عنده نفس المعنى المصطلح عليه لدى اليونان. وهي في العربية على ستة أضرب:

1 ـ سبب خفيف مثل قدْ ـ فِي.
2 ـ سبب ثقيل مثل لَكَ ـ به.
3 ـ سبب متوالٍ مثل قالْ ـ جالْ
4 ـ وتد مجموع مثل لقَدْ ـ بلاَ.
5 ـ وتد مفروق مثل منْهُ ـ بَاعَ.
6 ـ وتد متضاعف مثل مَقال ـ مَجالْ[342].

فمن هذا التفصيل يتّضح معنى الرجل، وبه يتمّ تعريف أرسطو له. فلا خلط بعد ذلك في مدلوله والغرض المعتدّ به منه[343].

340 ـ يلاحظ هنا أن حازما يعتدّ بهذا الوزن المستحدث اعتداده بالأوزان العربية فيدخله في زمرتها ويبني عليها نظره التحليلي.
341 ـ انظر **المنهاج**، 233ـ235 ف. 6. 242ف. 13.
342 ـ انظر **المنهاج**، 235 ف، 7.
343 ـ ذكر ابن سينا في كتاب **فن الشعر** الذي نقله عن المعلم الأول أرسطو: «أن الشعر من جملة ما يخيل ويحاكى بأشياء ثلاثة باللحن وبالكلام وبالوزن.» ثم تحدث عن تركب الأوزان. فقال عن الأشعار « إنها قد وزنت إما بوزن إيلاجيا الثالث المؤلف من أربعة عشر رجلاً، وإما بوزن التروكي الرباعي المؤلف من ستة عشر رجلاً.. » ثم عرض للشعر المسمّى ديثورمبي، فقال: «إنه كان يؤلف من أربعة وعشرين رجلاً. وهي المقاطع». راجع أرسطو، (1). 168ـ169 وعلى هذا فإنّ تفسير كلمة رجل بالمقطع ليس واضحًا ولا دقيقًا. ويكون استعمال اللفظ لدى أرسطو وعند العروضيين الفرنسيين متولدًا عن النظريات اليونانية، مرادًا به مجموعة مقاطع. راجع في هذا ليتري، 3، 112، الاستعمال 26 لكلمة رجل.

ويتّضح من جهة أخرى، أنّ حازما لا يرتكز في تحليله لبحور الشعر العربي ارتكازاً مطلقاً على أصول المذهب الخليلي. فهو يرى تمايز الدوائر واستقلالها عن بعضها. فالسريع مثلا لا يمكن بحال تفريعه عن دائرة المنسرح أو ردّه إليها[344]. ومن ثمّ نجده منبّها على خصائص الأوزان، مقارنا ومقابلا بينها، مبديا في ذلك آراء عجيبة مفردة لها أهمّيتها في درس بحور الشعر العربي. وهو لا ينكر المولّد والمستحدث منها، بل يبدي إعجابه به، وينوّه بفضله. ألا ترى إلى قوله: «فأمّا المتركّب من سباعي وتساعي فهو من وضع المتأخّرين من شعراء المشرق، جعلوا الجزء المفرد فيه تساعياً والمتاشافعين سباعيين، فقدّموا التساعي وتلوه بما يناسبه من السباعيات، وجعلوا الجزء الثاني من السباعيين في أكثر استعمال ـ وهو المستطاب في الذوق والأحسن في الوضع ـ ينقص عن الأول ليكون كلّ واحد من الأجزاء أخفّ مما قبله، وتحرّوا في ذلك أن يكون كل جزء مناسبا لما قبله. وذلك هو الوزن الذي يسمّونه الدبيتي»[345].

ويستمرّ حازم في دراسته التحليلية للأوزان، مستعرضا لها، مجموعة إثر مجموعة، ووزنا بعد وزن، فيمكّنه ذلك من إيراد ملاحظاته وآرائه الخاصّة، ويعينه على كشف مذهبه الذي يخالف به المتقدّمين عليه. وهو بعد طول نظره واستيعابه جوانب البحث في البحور ينتهي إلى «أنّ الأوزان التي ثبت وضعها عن العرب أربعة عشر وزنا: وهو الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل والرجز والرمل والهزج والمنسرح والخفيف والسريع والمتقارب والمقتضب والمجتثّ». ويلاحظ من جهة ثانية قلّة استعمالهم للمقتضب والمجتثّ، ويشكّ في وضع العرب للخبب، ويسكت عن المتدارك، وينكر إطلاقا ويردّ المضارع الذي يراه مختلقا عن العرب، وقياسًا فاسدًا مسيئاً لأذواقهم أنتجتْه شعبة من برسام. وبالعكس من ذلك، يقبل الدبيتي، وإن لم يثبت للعرب أصلا. يقول: «ولا بأس بالعمل عليه فإنّه مستطرف ووضعه متناسب»[346].

---

344 ـ انظر **المنهاج**، 235 ف.7.
345 ـ انظر **المنهاج**، 241ف.12.
346 ـ انظر **المنهاج**، 243 ف.14.

هذا ولم يترك حازم في هذا الباب أيّ شيء يتعلّق بتركيب الأبيات من أعاريض وأجزاء إلاّ عرض له. فبحث مقوّمات الوزن كلّها في فصل خصّه بها. وتحدّث عن الأسباب والأوتاد والدوائر والعمود ومقصّرات الأوزان والأقطار(347). وربّما تميّز عن سائر العروضيين بألفاظ اصطلاحية خاصّة، مثل الركن الذي هو لديه عبارة عن الساكن الفاصل بين المتحرّكات في القافية وفي غيرها من أجزاء البيت(348). فهو يقدّر في عروض الكامل «متفاعلن» قطرين هما المقطع الثالث والخامس(349).

ويتبع هذا ببعض البيانات من غير تفصيل أو شرح للدقائق العروضية. وإنّما حمله على هذا السلوك عدم الاحتياج الأكيد هنا للتبسيط، واكتفاؤه بالإحالة على مؤلّف آخر له في هذا الفنّ، يدلّ على ذلك قوله: «ولاستقصاء الكلام في صناعة العروض طول لا يحتمله هذا الموضع، قد فرغت منه في موضع خاص بصناعة العروض. فمن هنا يعرف تفصيل هذا المجمل»(350). ومن هذا الوصف الذي نلاحظه في طريقة حازم يبدو تحليله للأوزان في **منهاجه** تحليلاً نظريّاً غامضًا يدلّ بوضوح على أسلوبه الفلسفي الخاص.

وإلى جانب ما تمتاز به هذه الدراسة، لقوانين الشعر وأحكامه من الأصالة، نجد حازما يعنى غير مرّة بضبط مقادير تناسب الأوزان وما يحصل فيها من التغايير أو يمتنع من ذلك، فيفرد للكلام عن هذا الغرض فصلا خاصا، ويقسّم تبعا لذلك أوزان الشعر إلى مجاميع: منها ما هو متناسب تامّ التناسب متركب

---

347 ـ الأقطار، ج قطر، وهو عبارة عن توالي ثلاثة متحركات أو أربعة متبوعة بمد أو سكون. وتعرف الأقطار لدى العروضيين بالفاصلة الصغرى أو الفاصلة الكبرى ومثالهما: جبل وسمكة. راجع الخزرجي نهاية 4.

348 ـ راجع **المنهاج**، 255 ف.14.

349 ـ مثله.

350 ـ راجع **المنهاج**. 259 س.6ـ8.

التناسب متقابله متضاعفه، وذلك: كالطويل والبسيط[351]. ومن هذه المجاميع ما هو بالنظر إلى وزنه سبط، ومنها ما هو جعد، ومنها ما هو ليّن، ومنها ما هو شديد. ومنها متوسّطات بين السباطة والجعودة، وبين الشدّة واللين، وهي أحسنها[352]. ولما يجوز أن يلحق الأوزان من تغييرات ناشئة عن زيادة أو نقص، يتعرّض حازم إلى بحث جملة الزحافات والعلل غير مفرّق بين هذين. فهو يحدثنا مثلا في هذا الفصل عن الخَرْم الذي يكون بتسكين أول متحرّكات الأوتاد عندما تأتي جزءا من فاصلة لم يتضاعف فيها تغيير، كما يذكر لنا صوره الأخرى التي يتحقّق بها، وذلك بحذف ثواني الأسباب الثقيلة وأوائل الأوتاد المجموعة في صدور الأبيات[353]. وبعد ذكر أمثلة كثيرة لألوان من الزحافات ينكر حازم على العروضيين ما راموا إثباته في متون الأوزان من الزيادة التي يسمّونها الخَزم، فيغلطهم ويردّ عليهم[354]. ويختم هذا الفصل بتقسيم أنواع الزحاف بالإشارة إلى المزدوج والبسيط والمقبول والمستقبح منها[355].

ويلاحظ المؤلّف من جهة أخرى ائتساءً ببعض من سبقه أنّ الأوزان تتقسّمها الأغراض والمعاني بحسب ما يحصل من التجانس بينها وما تقتضيه طبيعة الإيحاء الشعري. لكنّ هذا لا يمنع حازما من ضبط رأيه في تقدير الأوزان وبيان سلّمها، إذ يلاحظ أنّ للكلام الواقع في الأوزان أنماطا مختلفة بحسب اختلاف مجاريها، وأنّ الأوزان ليست على سواء في جواز التصرّف فيها وظهور الافتنان بها، لأنّ ذلك في بعضها أعمّ من بعض. فأعلاها درجة في هذا الطويل والبسيط ويتلوهما الوافر والكامل، ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره. ويتلو الوافر والكامل عند بعض الناس الخفيف، أمّا المديد والرمل ففيهما لين وضعف، والكلام في غيرهما أقوى. واطراد القول في المنسرح لا يخلو من

351 ـ راجع **المنهاج**.259، ف ج.
352 ـ راجع **المنهاج**.260، ف ج.ف.1.
353 ـ راجع **المنهاج**.259 ـ260.
354 ـ راجع **المنهاج**.262 ـ263 ف.4.
355 ـ راجع **المنهاج**.263 ف.5.

اضطراب وتقلقل وإن كان جزلا. أمّا السريع والرجز ففيهما كزازة. أمّا المتقارب فالكلام فيه حسن الاطراد لولا أنّه من الأعاريض الساذجة المتكرّرة الأجزاء. وللهزج حدّة زائدة مع ما فيه من سذاجة. أمّا المجتثّ والمقتضب فهما يجمعان بين الحلاوة والطيش. والمضارع قبيح مردود لا يجوز اعتماده[356].

وبإثر هذه المقارنة بين الأوزان وذكر خصائص كلّ واحد منها يعقد حازم فصلا يتحدّث فيه عمّا يجب اعتماده في وضع القوافي وتأصيلها. فيذكر لذلك أحوالا وشروطا تتكفّل بإبراز الأثر المطلوب من القافية في النظم. وهو يدلّ تبعا لذلك على طرق المعرفة بتأصيل القوافي، وبناء ما قبلها عليها، وبنائها على ما قبلها. فيحدّثنا عن مذاهب للشعراء في بناء أشعارها على أساس مراعاة مقاطع الأبيات أو أجزائها الأخيرة[357]، حتّى إذا فرغ من هذا الموضوع الجليل عاد إلى المباني من حيث هي، فذكر التصريع ووجوهه ومذهب المتقدّمين فيه[358]، وأشار إلى ما يتأكّد الأخذ به من أحكام في المطالع والمقاطع على رأي من قال: هي أوائل البيوت وأواخرها من جهة ما تكون مؤثّرة على السّمع ملائمة للنفس[359].

وفي المنهج الثالث من هذا القسم: يعرض حازم، في أربعة فصول، الأحكام التي ينبغي اعتمادها في كلّ مرحلة من مراحل تأليف القصيد. وبهذه المناسبة يحدّثنا عن التسويم الذي يأخذ به الحذّاق من الشعراء، وهو اعتماد الأغراض الأصلية في رؤوس الفصول ووجوهها أعلاما على مقاصد النظم وإعلاما بمغزى الشاعر فيه. وقد ضرب المثل في ذلك بالمتنبّي وعمد إلى البرهنة عليه بتحليل قصيد له، ليتبين الناس خصائص هذا اللون وعظيم أثره[360]، ثم عقّب التسويم بالتحجيل، وهو تذييل أواخر الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية.

---

356 ـ راجع **المنهاج**. 268 ف.4.
357 ـ راجع **المنهاج**، 278ـ282.
358 ـ راجع **المنهاج**، 282 ف.1.
359 ـ راجع **المنهاج**،286 ف.8.
360 ـ راجع **المنهاج**، 298ـ 300 ف. 4ـ8.

وقد جعل السبق فيه لزهير في آخر مهذّبته وفي آخر قصيدته اللاميّة التي ذكر له موضع الشاهد منها، وجعل من أتباع هذا المذهب المولعين به في المولّدين أبا الطيب المتنبي الذي يقول بشأنه فإنّه: «ولع بهذا الفنّ من الصنعة وأخذ خاطره به حتّى برّز في ذلك وجلّى، وصار كلامه في ذلك منتميا إلى الطراز الأعلى»[361]. وقد عقّب حازم على جميع ذلك بالتنبيه إلى عدم الاستكثار من هذا اللون فرارا من قبح التكلّف وما يوجبه التزام هذا المذهب من الاستكراه والسآمة. وهو إذ يرفع من مقام المتقدّمين الذين يجعلهم المثل الكامل في هذه الصناعة لا ينكر حظّ المولّدين إنّ جروا على وفق ما تقتضيه الصناعة البلاغية، ومن ثمّ نراه يعترف بمزاياهم ويذكر فضائلهم.

وفي منهج الرابع المتألّف من خمسة فصول: يمضي حازم في بيان أحكام مباني القصائد وتحسين هيآتها، وذكر ما تجب أو تتأكّد العناية بالتأنّق فيه. وهو بعد أن يبسط القول في ذلك بالنسبة للقصائد البسيط الموضوع أو المركّبة يتحدّث عن مذهب الإبداع في الاستهلال، موردا أمثلة من ذلك للقدامى والمولّدين من اختياره واختيار غيره ثمّ يشير إلى أنحاء التخلّصات في النظم ومذهب الإبداع فيها وفي الاستطراد، ويختم حديثه عن هذا القسم المتعلّق بأحكام المباني بإيضاح الفوارق بين الشاعرين: المقصّد والمقطع.

والقسم الرابع، والأخير من **المنهاج**، يتناول بالبحث والدراسة الأسلوب. وقد جرى فيه المؤلّف على عادته من توزيع كلّ قسم إلى أربعة مناهج. وفي هذه الأبواب الأربعة الأخيرة التي هي نهاية التأليف: تعرّض حازم إلى الطرق الشعرية ومآخذ الشعراء في كلّ لون من ألوان النظم بحسب ما تقتضيه أحوال الكلام فيه.

وقد عمد في المنهج الأول المتألّف من أربعة فصول إلى تقسيم الشعر إلى نوعين متمايزين هما الجدّي والهزلي. فبحث خصائصهما وتعرّض لما

361 ـ راجع **المنهاج**، 301 ف.3.

يليق بكلّ واحد منهما من الأغراض والمباني. ونبّه إثر ذلك على جواز أخذ كلّ واحد من اللونين بشيء من ملابسات ومتعلّقات الآخر، متى دعت لذلك ضرورة، بشرط أن لا يخرجه مثل هذا التجوّز عن دائرته أو يفصله عن جنس ما أريد به. هذا وقد ركّز نظرياته في هذا الباب على أصول وقواعد فنية بلاغية، ورجع في بعضها إلى الأخذ بمقالات الحكماء المتقدّمين أمثال سقراط الذي ينسب إليه قوله في المفاضلة بين لوني الشعر الجدّي والهزلي: «حكاية الهزل لذيذة سخيف أهلها، وحكاية الجدّ مكروهة، وحكاية الممزوج منهما معتدل. ولا يقبل شاعر يحكي كلّ جنس، بل نطرده وندفع ملاحته وطيبه، ونقبل على شاعرنا الذي يسلك مسلك الجدّ فقط»[362].

وفي المنهج الثاني من القسم الرابع المتركّب من خمسة فصول: يتعمّق حازم دراسة ألوان الشعر بتنويعه إلى مختلف أغراضه وموضوعاته، ويعالج في الفصلين الأوّلين ضروب الإمداد الشعري بالإشارة مرّة إلى واقع الشاعر وتجاربه الشخصيّة، ومرّة أخرى بلفت النظر إلى القوّة المخيّلة. وعلى هذا الأساس من التمييز بين الإمدادات المختلفة وما تحقّقه أنواع الملكات والقوى الإيحائية والتأليفية يشيد المؤلّف بشعراء العربية منوّها بالخصوص بجماعة من بينهم نبغوا في هذه الصناعة وبلغوا منازل السمو والإبداع فيها. وقد ضرب المثل في سهولة الأخذ بكلّ منحى من مناحي الشعر وعجيب التصرّف في جهاته برجال انفردوا بالإبداع في كلّ غرض عالجوه من أغراض النظم أمثال الشريف الرضي ومهيار الديلمي وابن خفاجة الأندلسي[363]. وفي الفصول الثلاثة الباقية يتعرّض إلى جملة من الأغراض الشعرية كالمدح والرثاء والنسيب والفخر والتهاني والاستعطاف والهجاء منبّها إلى ما ينبغي أن يخصّ به كلّ لون من أوجه التصرّف حتى يبلغ به صاحبه الغاية ويتحقّق له الإبداع المنشود[364].

362 ـ راجع **المنهاج**، 330 س. 15ـ18.

363 ـ راجع **المنهاج**،343 ف.7.

364 ـ راجع **المنهاج**،346ـ349.

وفي المنهج الثالث المتألف من فصول أصلية ثلاثة ومن فصل إضافي بلاغي: يبحث المؤلّف الأساليب الشعرية بأنواعها، مشيرا إلى خصائصها، متحدّثا عن وجوه استعمالها بحسب الأغراض المختصّة بها والمنسجمة معها. وهو من أجل ذلك يحثّ على التزام الطريقة المتخيّرة والخضوع لما تقتضيه من أحكام. ولما يلمسه في المتنبّي من جري على أوضح الأساليب وأوفقها ينوّه بشأنه هنا من جديد ويحيل عليه[365].

وأمّا المنهج الرابع من هذا القسم الأخير فهو يتألّف من أربعة فصول، قصر حازم منها الفصلين الأولين على بيان مذاهب الشعراء ومآخذهم في نظمهم. فتحدّث عن ابن المعتزّ والبحتري[366] وذكر من جديد بهذه المناسبة مهيارا وابن خفاجة[367].

وقد عرض مع ذلك شواهد، تنبيها على خصائص بعض الشعراء وإشارة إلى ضروب من الاستعمال انفردت بها طائفة منهم أمثال المتنبّي وابن الضحّاك[368] وأبي تمام[369] وأبي سعيد المخزومي[370].

وفي الفصل الثالث: يتعرّض حازم إلى قضيّة نقد الشعر. فيشير إلى صعوبة وظيفة الناقد متأيّدا في ذلك بأقوال معاصرين له: سهل ابن مالك[371] وابن عُميرة المخزومي[372].

365 ـ راجع **المنهاج**، 358 ف.4.
366 ـ راجع **المنهاج**، 365.
367 ـ راجع **المنهاج**، 366 ف.2.
368 ـ راجع **المنهاج**، 367 ف.5.
369 ـ راجع **المنهاج** 371 ب.
370 ـ راجع **المنهاج**، 371 ف.1.
371 ـ هو أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي الغرناطي، الأديب المحدّث، شيخ كثير من المهاجرين الأندلسيين إلى إفريقية. أخذ عنه القاضي أبو بكر بن حبيش. انظر ابن رشيد، مخط، 173، آخر و.1ب.
372 ـ انظر أعلاه 47.

ثم يبحث بالخصوص قضيّة المفاضلة بين الشعراء. تلك القضيّة المعضلة في رأيه، لما في اختلاف الأزمنة وتفاوت الغايات وتباين المذاهب من عوائق تحول دون التوصّل إلى تحقيق تقديم أحد الشاعرين على الآخر. وهو يشترط على الأقلّ، لإمكان المفاضلة، بين الشاعرين، اجتماعهما في الغرض والوزن والقافية[373]. ولتأييد رأيه والإلزام بما اشترطه من شروط في هذا الشأن يحيل على أبي الفرج الأصبهاني في الخبر الذي يرويه عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، وقد اختصم الناس ذات ليلة من ليالي رمضان في أيّ شعراء العرب أحسن. فقال عليّ عليه السلام: «كلّ شعرائكم محسن، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيّهم أسبق إلى ذلك. وكلّهم قد أصاب الذي أراد وأحسن، فإن أحد فضلهم، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر، فإنّه كان أصحّهم بادرة وأجودهم نادرة»[374].

هذا والملاحظ أنّ حازما لا يفضّل الشاعر لتقدّمه كما لا يؤخّره لتأخّر زمانه، إذ القدامى المعدودون المستحسنة أشعارهم كانوا هم أيضاً مسبوقين بشعراء دونهم في المقدرة والرتبة. وهو يرى أنّ تحرّي الحقيقة في الحكم بين شعراء الأعصار والأمصار ممّا لا يتوصّل إلى محض اليقين فيه، وكلّ ما يقع من ذلك فهو على سبيل التقريب[375]. وبعكس ذلك المفاضلة بين شعراء ممتازين توفّرت لهم القوى والبواعث على النظم وشعراء لم يتوفّر لهم شيء من ذلك. فإن هذا سهل ميسور، ألا ترى إلى إمكان تفضيل شعراء العراق على مصر بدون توقّف، إذ لا مناسبة بين الفريقين في الإحسان في النظم وإن تغيّر حال العراقيين عن الذي كانوا عليه في الزمان المتقدّم[376].

---

373 ـ راجع المنهاج، 376 ف.6.
374 ـ راجع المنهاج، 376 ـ 377 ف. 7.
375 ـ راجع المنهاج، 376 ف.6.
376 ـ راجع المنهاج، 379 ف.9.

وبالحديث عن المفاضلة بين الشعراء وعن أحكامها يُـنهي حازم كتابه في نقد الشعر، وقد سلك في كلّ ذلك طريقة منطقية، إذ بدأ حديثه عن الشعر ببحث المعاني وتحليلها ودرس طرق التصوّر لها وكيفيات إحضارها في الذهن منتظمة، لينتهي من ذلك إلى نقد الشعراء وتقدير آثارهم. وهو في الفصل الأخير من كتابه **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** يعلن عن خطّته في مؤلّفه ويصوّرها لنا بقوله: «قد تكلّمنا عن هذه الصناعة (الصناعة الشعرية) في جملة مقنعة وبقيت أشياء لا يمكن تتبّعها لكثرة تشعّبها وتعذّر استقصائها»[377].

ومن هنا يعود حازم في بقية الفصل الذي يختم به دراسته للشعر إلى استعمال ألوان من الصياغة الحكمية الفلسفية العريقة في الصناعة المنطقية.

---

377 ـ راجع **المنهاج**، 379، د.

المميّزات الأصلية لكتاب المنهاج

المنهاج كتاب بلاغة ونقد، تذكّر موضوعاته المختلفة المتنوّعة بمصنّفات الرّماني 384/ 994 والخطابي 388/ 998 والجرجاني 474/ 1081ـ1082، كما يكمل صنيع كثير من النقّاد أمثال قدامة 337/ 958 والآمدي 371/ 981 والخفاجي 466/ 1073. وهو بالإضافة إلى ذلك يتميّز بخصائص تفارق بينه وبين عامّة المصنّفات من نوعه من جهتي الشكل والمادة.

وقد ساعدنا التحليل الذي قدّمناه لكتاب **المنهاج** على ضبط بعض المميّزات الراجعة فيه إلى طريقة العرض وإلى لغة وأسلوب حازم. فكلّ من يطالع هذا المؤلّف ينتبه من أوّل قراءته إلى الطريقة الترتيبية التي جرى عليها القرطاجَنّي فيه. فالأقسام الأربعة التي تؤلّف الكتاب أو الثلاثة الباقية منها تتّفق جميعها في عدد الأبواب أو المناهج المتضمّنة لعديد من الفصول. والنظريات أو القواعد البلاغية تأتي في الغالب في ختام الأبواب ونهاياتها بعنوان مآمّ. وهو بهذا يفرّق بين الفصول البلاغة وغيرها. وبدل أن يسمّي بقيّة الفصول كعامّة المؤلّفين مقصدًا أو مطلبًا، يطلق عليها لفظ معلم أو معرف، جاعلاً من تلك التسميات المتنوّعة اصطلاحا خاصة به. أمّا الفقر الكثيرة التي يتركّب منها الفصل فهو لا يرقمها تسهيلا على القارىء، إذ لم تكن تلك الطريقة شائعة أو معروفة في ذلك العصر ولكنّه، أمام شعوره بضرورة التمييز بينها، يعنون لها على التناوب بلفظي إضاءة وتنوير[378]. ولعلّ هذه التسمية الأخيرة الغربية لدى المؤلّفين العرب تذكّر بالعنوان الذي أطلق على شرحي **سقط** الزند **والفصول والغايات**

378 ـ لقد وقعت الإشارة أعلاه إلى هذه التفصيلات المتعلقة بأسلوب العرض انظر 95.

للمعرّي. وما من شك في أنّ طريقة العرض هذه تدلّ على المنهج المنطقي الذي تميّز به حازم، لكنّه إلى جانب ذلك كان عارفا واسع الثقافة، تنطق بذلك الشواهد المتنوّعة التي يطرّز بها مصنّفه. فهو يستدلّ أحياناً بالاستعمالات القرآنية التي يحيل عليها، وأحيانا كثيرة أخرى يورد أبيات الشعراء السابقين القدامى أو أبيات أصحاب المعاني. وأكثر ما يحفل منها بأشعار المتنبّي. وهو يختار في الغالب شواهده من شعر امرىء القيس وزهير والنابغة بالنسبة للعصر الجاهلي، ويستشهد بأبيات جرير والفرزدق من العصر الأموي، ويورد ممّن يأتي بعدهم في العصر العباسي شواهد من نظم أبي نواس وأبي تمّام والبحتري وابن الرومي، ودون ذلك استشهاده بشعر المشارقة والمغاربة أمثال أعشى ميمون وابن أبي خازم وابن المعتزّ وابن درّاج وابن خفاجة.

هذا وقد بقي لنا في **المنهاج** أكثر من ثلاثين بيتا لم ينسبها حازم ولم نتوصّل بدورنا لمعرفة أصحابها، إذ غالبها غير موجود في ما وقفنا عليه من كتب الأدب والنقد والبلاغة، ولذلك دعونا تلك الأبيات بالفرائد. أمّا أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فإنّ حازما لم يذكر إلاّ حديثا واحدا منها. وهو لم يستشهد قط بشيء من أقوال الكتّاب كابن المقفّع وابن قتيبة، وهذا طبيعي إذا اعتبرنا كتاب **المنهاج** أوّلا وبالذات كتاب نقد الشعر.

وبالرغم عن الطريقة الترتيبية التي أدخلها حازم على مصنّفه، فجعله أقساما ومناهج ومعالم ومعارف ومآم وإضاءات وتنويرات، نلمس في هذا الكتاب جوانب من التعقيد تقوم في وجه مطالعه. فلغة حازم مستصعبة لا يمكن لمن يجهل الإصلاحات المنطقية النفوذ إلى ما وراءها، كما لا يتسنّى لمن لم يألف الاستعمالات الحكميّة أن يدرك غرضه منها بسهولة. فطالما ركن القرطاجَنّي مثل ابن سينا إلى استعمال ألفاظ فلسفية كالجوهر والعرض واللازم ونحوها. وهو مع ذلك يأتي بكلمات غريبة قليلة الدوران مثل أطراب وإعتاب وصغوى. فإذا تناول بعض التحديدات أو التعاريف أعطى كلمة «طباق» معنى غير الذي سبقه إليه قدامة. واستعمل كلمتي ركن وقطر استعمالاً خاصّاً، واتّخذ لنفسه

مصطلحات جديدة أوضح معناها كالتسويم، وربّما استمدّ من اليونانية بعض تلك الاصطلاحات. فهو أوّل من أدخل من نقّاد **الشعر** إلى صناعة العروض لفظ «رجل» ائتساء منه بصنيع ابن سينا في ترجمته لكتاب الشعر للمعلّم الأول. ومهما تكن صعوبة **المنهاج** فإنّه استطاع في القرن 7 / 13أن يكمّل بوضوح سائر كتب النقد والبلاغة المعروفة في ذلك العصر.

وقد اطلع حازم على الكثير منها، وان كان من العسير أن نضبط بغاية الدقّة ما وقف عليه من تلك المصادر، لكنّنا نستطيع أن نقارب الضبط بتقسيم المؤلّفات التي اعتمدها ثلاثة أقسام:

أولها كتب البلاغيين أمثال الخفاجي الذي يشير إليه وينقل عنه. وليس من السهل هنا أن ندّعي أنّ حازما قرأ **أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز** للجرجاني أو كتاب المفتاح للسكاكي المتوفّى سنة 626/ 1228.

ثانيها مؤلّفات النقّاد كتصنيف قدامة الذي ناقش بعض فصوله و**موازنة** الآمدي التي ذكّر ببعض ما جاء فيها مع تعقيب على نظريات صاحبها.

وأخيرها مؤلّفات بحثت فنّي الشعر والنثر ككتاب **الصناعتين** للعسكري المتوفّي سنة 395/ 1004ـ 1005، وكتاب **المثل السائر** لابن الأثير المتوفّى سنة 606/ 1209 ـ 1210. وما من شك في كون حازم قد عرف معرفة دقيقة **عمدة** ابن رشيق المتوفّى سنة 463/ 1071وإن لم يسمّها أو أغفل ذكر صاحبها. فقد كانت أفخم وأتمّ ما صنّف في علم الشعر لذلك العهد. ويدلّ على وقوف حازم على مجموع التآليف المذكورة في هذا القسم تناوله لموضوعاتها وإشاراته إلى مباحثها.

ولا يظنّ أحد أنّ كتاب **المنهاج** عبارة عن سرد أو جمع لما تفرّق في غيره من الكتب السابقة، فإنّ حازما قد أعاد النظر في جميع قضايا النقد والبلاغة التي تعرّض إليها وبحثها واحدة واحدة. يبدو ذلك جليّا في مثل الفصول المتعلّقة بدراسة أوزان الشعر. فإنّ صاحب **المنهاج**، كما أوضحنا قبل، قد تناول فيها

بصورة تحليلية بديعة مبتكرة مختلف الضروب والأعاريض النظميّة، فأضفى على النظريّات الخليليّة جوانب من الجدّة، وانتهى من تعمّقه الفلسفي لشؤون النظم والقافية إلى نظريات دقيقة شخصيّة.

ويستدعي أسلوب حازم في **المنهاج** انتباهًا خاصًا. فهو مقتضب في عرض الأحكام والقواعد خال في الغالب من الشواهد. لاحظ ذلك ابن القوبع وأشار إلى ما كانت توجبه تلك الطريقة من غموض[379] هذا ويتميّز الكتاب، إلى جانب ذلك، بعدّة خصائص ناتجة عن طبيعة المؤلّف نفسه وعن صورة تفكيره. ففي أسلوبه اتّساق، وفي طريقة الشرح والبيان لكثير من المعضلات ميل إلى التفصيل والتحليل[380]. لا تجد في المصنّف أثرا للتزويق أو التشويق كما في **عمدة** ابن رشيق، بل هو، كما اختار حازم، علمي يرشح بالجدّ والبساطة ويعتمد في الأكثر الجمل القصيرة. فإذا طالت هذه انساقت بين أجزائها الجمل الاعتر ضية على وجه بديع من الترابط والائتلاف التام في ما بينها[381]. وهي في تلك الصور متفاوتة مفرطة في الطول ومعتدلة[382]، غير أنّها أكثر وضوحاً من غيرها وأوفى بياناً. نذكر منها على سبيل المثال قول حازم في الفصل الخامس من المنهج الثالث للقسم الرابع والأخير من الكتاب: «لمّا كانت الأغراض الشعريّة يوقع في واحد واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد، وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد ومسائل منها تقتنى كجهة وصف المحبوب وجهة وصف الخيال وجهه وصف الطلول وجهة وصف يوم النوى وما جرى مجرى ذلك في غرض نسيب وكانت تحصل للنفس بالاستمرار على

---

379 ـ يذكر أبو عبد الله ابن القوبع تلميذ أبي الحسن التجاني ذلك فيقول عن كتاب **المنهاج** لحازم: «ولما وقفت على قوانينه ووعيتها، وإن كان ترك التمثيل لها، صار كل ما أقرؤه وأنظر فيه من كلام بليغ أو بديع يصير كله، لي أمثلة لتلك القوانين.» راجع ابن رشيد، مخط. 1737، و. 117 إس 12 ـ14.

380 ـ راجع **المنهاج**، 40ـ43.

381 ـ من الملاحظ هنا أن أسلوب حازم أصيل وشخصي يذكر بنماذج من مقالات ابن سينا.

382 ـ راجع **المنهاج**، 19ـ40، 20ـ42، 356ـ357 وغيرها.

تلك الجهات والنقلة من بعضها إلى بعض وبكيفيّة الاطراد في المعاني صورة وهيئة تسمى الأسلوب وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ»[383].

383 ـ راجع **المنهاج**، 363 س 7ـ13.



منزلة المنهاج بين كتب النقد العربية

يعتبر الزركشي **المنهاج** لحازم ومقدّمة التفسير لابن النقيب[384] أجمع وأتمّ ما صنّف العلماء في علمي البيان والبديع[385]. وفي نظر آخرين يفوق المنهاج كلّ المؤلّفات السابقة في هذا الفنّ للطريقة الحكمية المنطقية التي أبداها حازم في معالجة مسائله وقضاياه. والقوانين والنظريات النقدية التي احتوى عليها **المنهاج** تقوم كلّها كما سبق بيانه ـ على أصول من علمي البلاغة والمنطق. فهو بذلك يخالف ما تقدّم من مصنّفات جعلت عمادها في النقد مواقف القدامى من النحاة[386]، ويدعو صريحًا إلى المنهج النقدي البلاغي الذي أوضحه وبيّن أحكامه وخصائصه.

لقد استدرك على جملة التآليف النقدية والبلاغية التي تقدّمته ما فاتها بسبب الاختصار أو الاقتضاب. وهو في كامل القسم الثاني ـ عند بحث المعاني وطرق استحضارها منتظمة في الذهن ـ يكشف، كما نبّه على ذلك بنفسه[387]، عن آراء أصيلة ونظريات كثيرة شخصية في هذا الفنّ.

---

384 ـ هو شمس الدين محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي، الفقيه اللغوي، 611ـ689 / 1214ـ1298. راجع الكتبي، 2، 438.

385 ـ انظر م.393 ف.10.

386 ـ راجع **المنهاج**، 265 ف.7.

387 ـ انظر أعلاه 98.

وإذا كان ابن الأثير قد ردّ بعنف آراء أرسطو التي عرض لشرحها ابن سينا في ترجمة **فنّ الشعر** من كتاب **الشفاء**[388]، أو حاول قدامة بغاية الحيطة في كتابه أن يستوحي بعض الشيء من كتابي الخطابة والشعر للمعلم الأول، فإنّ صاحب المنهاج قد تأثّر عميق التأثّر بمؤلّفات ابن سينا. فأخذ بطريقته وأحال على تعاريفه وحدوده واستعمل كثيرا من ألفاظه وصيغه وذكر أحياناً نفس الأمثلة والشواهد التي ذكرها الشيخ الرئيس. ولقد اعتمد كتاب فنّ الشعر لابن سينا لنقل كثير من فقر كتاب **الشعر** لأرسطو. وكلّ إحالاته عليه كانت ليتأيّد بذلك فيما عرضه من نظريات وآراء، أو ليجعل من تلك النقول أساسا لأفكار يشرحها ويمعن في تحليلها والبناء عليها. وبقدر ما يبدو انفعال حازم وتأثّره بابن سينا عظيما فإنّ اعتماده على أبي نصر الفارابي وإحالته على ترجمته لكتاب الشعر لم تكن إلاّ مرتين يعرض فيهما رأيه ويناقشه. أمّا **الشرح الوسيط** لابن رشد فهو يغفل ذكره قصدًا ولا يحيل عليه. ولا ندري أسباب ذلك على التحقيق. ولعله وجده غير أمين في ترجمته لكتاب الشعر لأرسطو أو كان مقصّرا لديه عن أن يضيف من ذلك شيئا إلى أصول النقد الشعري عند العرب، فدعاه هذا إلى الاستدراك عليه، وهو شيخ شيخه الشلوبين، بوضع كتاب **المنهاج** الذي جمع بين المبادىء والأصول الهيلينية والعربية.

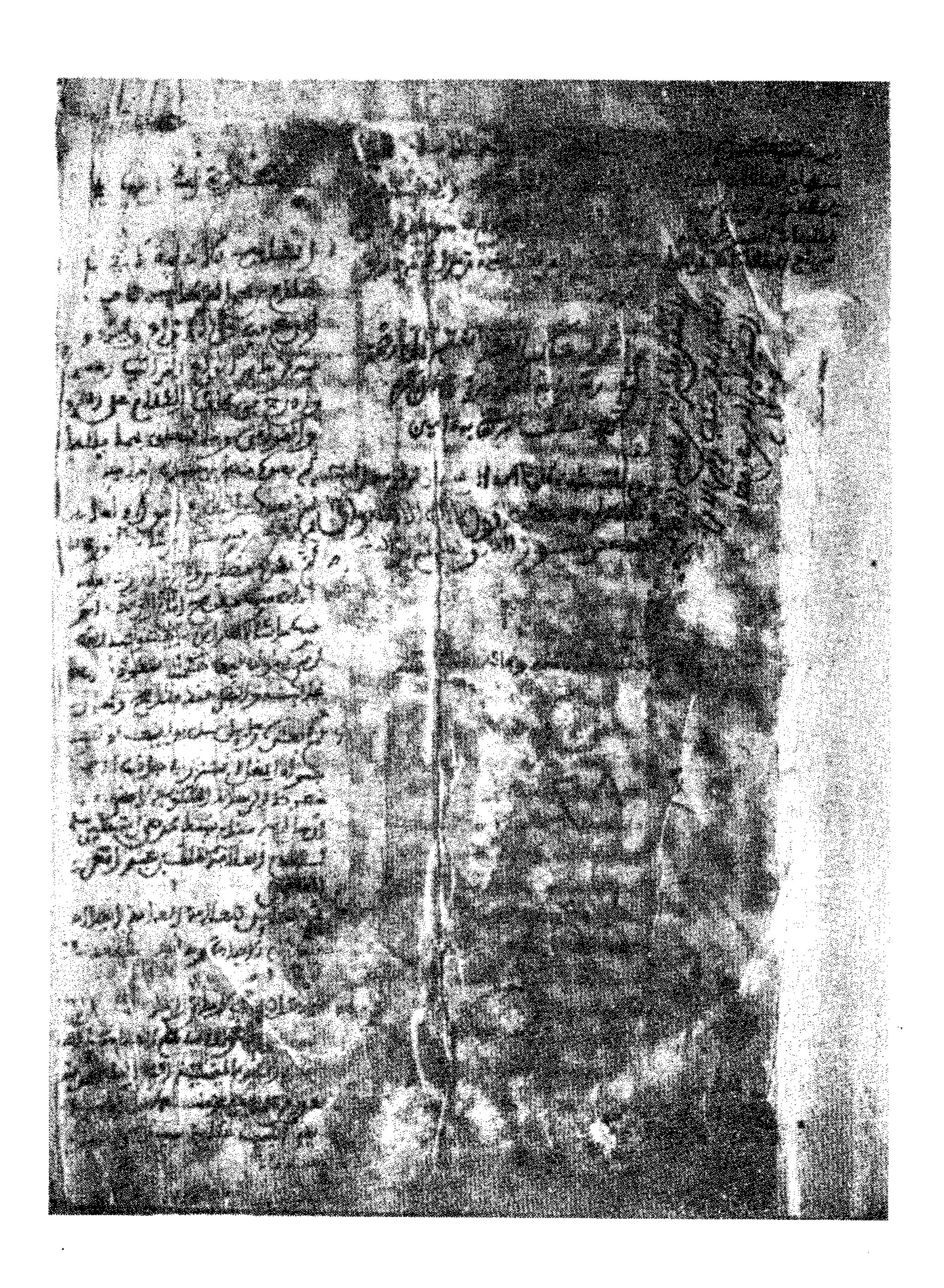
فمن خلال هذا العمل الجليل الأصيل، وبعد بحث موضوعات **المنهاج** بصفة تحليلية للكتاب تتناول أغراضه وأهدافه وخصائصه ومميّزاته، تبدو لنا جهات شخصية حازم القرطاجنّي المتعدّدة. فهو ليس فقط بالشاعر الفحل الذي برّ ابن دريد في **مقصورته** كما شهد بذلك الدكتور مهدي علام[389]، ولكنّه في نظرنا

388 ـ يظهر هذا من الجملة الآتية: « ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا، وانساق الكلام إلى شيء ذكر لأبي علي ابن سينا في الخطابة والشعر، وذكر ضربًا من ضروب الشعر اليوناني يسمى «الطراغوذيا» وقام فأحضر كتاب **الشفاء** لأبي علي، ووقفني على ما ذكره، فلما وقفت عليه استجملته، فإنه طول فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان، وكل ما ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئًا» راجع ابن الأثير، 1، 311.

389 ـ راجع علام 30ـ31.

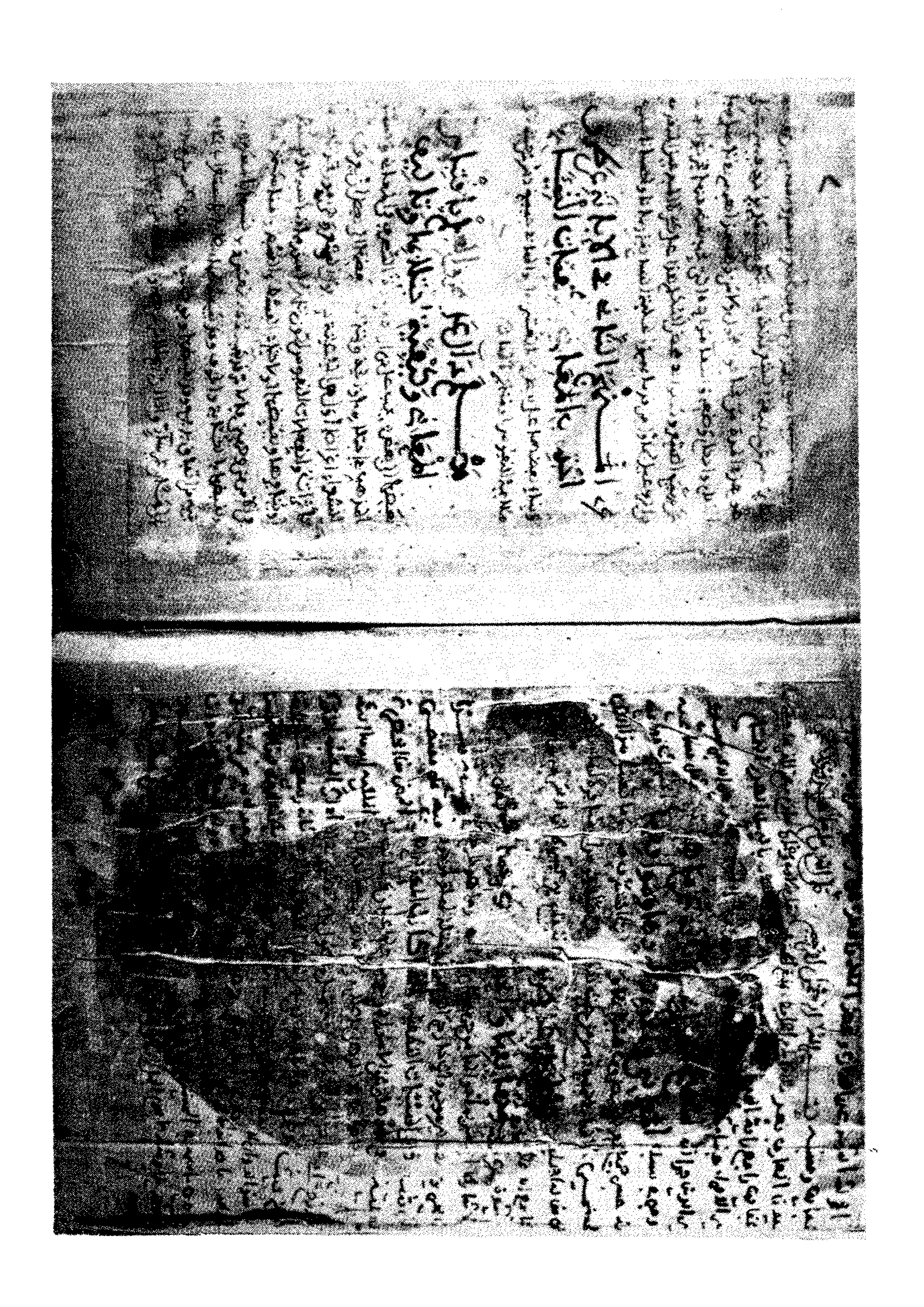
عالم واسع الرواية، له قدم راسخة في اللغة والنحو والبلاغة مع دراية عجيبة بالنظريات الهيلينية تدلّ عليها فصول كثيرة من كتاب **المنهاج**. هذا ويمكن أن نستخلص فعلا منها أنّه ألمّ بفلسفات سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس من خلال الترجمات العربية، فهو بهذا الاعتبار رجل فرد في عصره، تميّز من بين الأندلسيين المهاجرين بنظمه، كما كان مرجعا بينهم في علوم اللغة والنحو والبلاغة والمنطق والشّعر.

فهرس

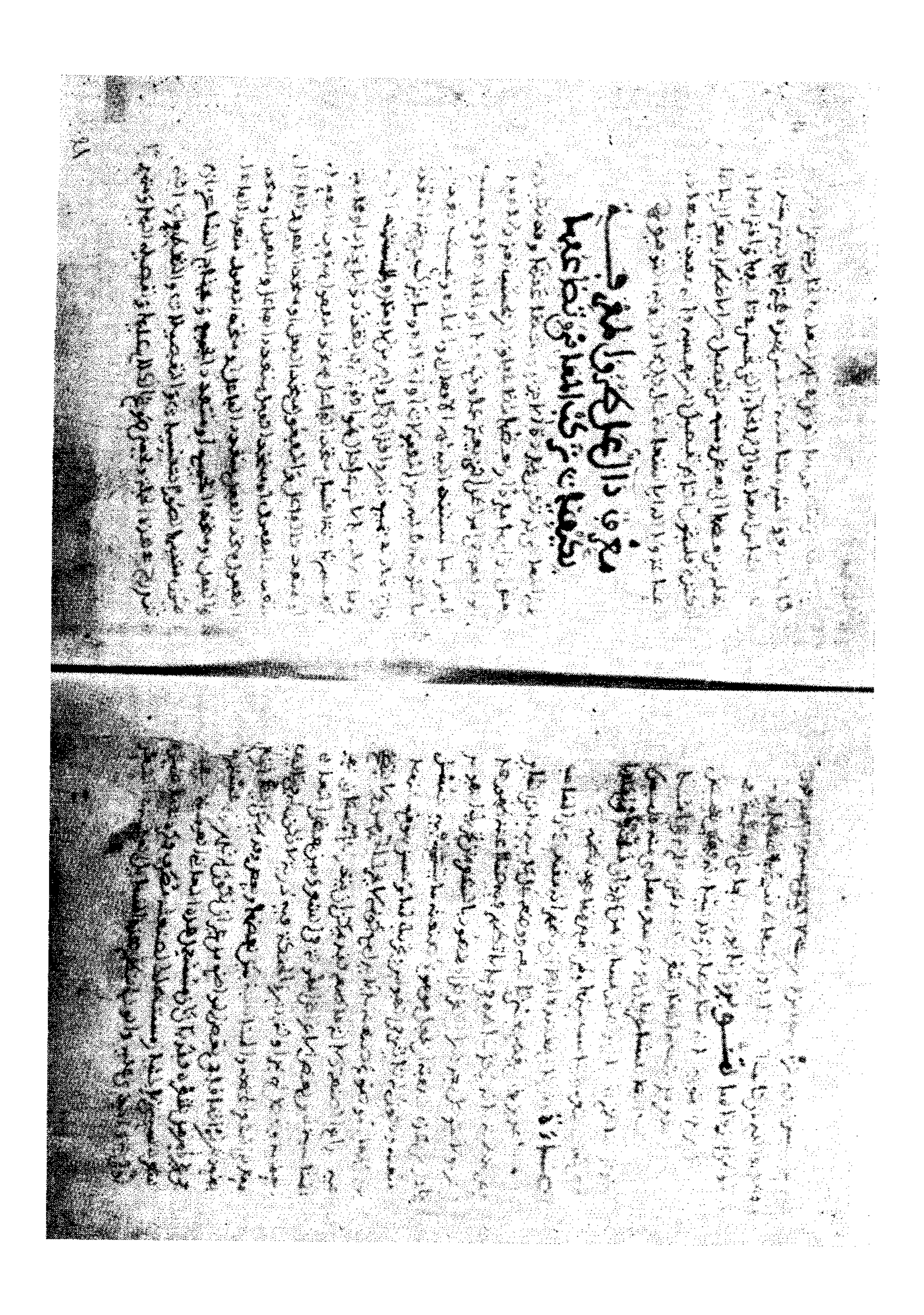


وجه الورقة الأولىٰ من المخطوطة

وبه تسمية للكتاب مع نسبته وفهرست للمجموع الأصلي



أول كتاب المنهاج مع نص التحبيس



بين و. 10 ب - و. 11 أ نقص مقدار ورقة بالأصل

آخر نسخة كتاب المنهاج

مِنهَاج البُلغَاء وسِرَاج الأدَبَاء

صنعة

أبي الحسن حازم القرطاجنّي

ولمّا وقفتُ على قوانين هذا الكتاب ووعْيتها، وإنْ كان ترك التّمثيل لهَا، صار كلّ ما أقرَأه وأنظر فيه، من كلام بليغ أوْ بديع، يصيرُ كلّه لي أمثلة لتلك القوانين

ابـــن القَوْبـــع

ملء العيبة، بماجُمع بطول الغيبة، في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين: مكة وطَيبَة، (المعروفة برحلة ابن رُشَيد)

لأبي عبد الله محمد بن عمر بن رُشَيْد الفهري السبـتي

المتوفَّىٰ بفاس سنة 721 هـ / 1321 م



[1 ـ أ] المنـــاهـــج الأدبـيّـــة

للإمام المحقّق ذي[1] الفصاحة السائغة والبلاغة البالغة

أديب إفريقية أبي الحسن حازم بن محمّد الأنصاري القرطاجَنّي

قدّس الله روحــه وبرّد ضريحــه

---

1) بالأصل ذو مقطوع إلى الرفع.



المعـــاني



[1 ـ ب] بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد

قال الإمام الحافظ البليغ الحجّة في مقام الأدب ومضماره حازم بن القرطاجنّي[1].

* * *

(..)

أو منافرة (.........) إلى (.........) صحيح (.............)[2].

المنهج الأوّل في الإبانة عن ماهيات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعها، [والـ] تعريف بضروب هيئاتها و[جهات] التصرّف فيها وما تعتبر [به] أحوالها في جميع ذلك، من حيث تكون [ملائمة] للنفوس أو منافرة لها.

أ ـ معلم [دالّ] على طرق [العلم بالمعاني] وحقائقها وأنحاء [النظر] فيها [وبما ينبغي] أن تعتبر به أحوالها، من جهة ما يرجع إليها وما هو خارج [عنها] (.......)[3] هناك موجودات خارجَ الذهن عن أمثلة لها وجود (.........)[4] وهي الهيئات النطقيّة.

---

1 ـ الأسطر الثلاثة مكتوبة بخط مغاير هو أحدث من الخط الذي كتبت به النسخة.

2 ـ هذا كلّ ما بقي من العنوان الأول المثبت بأعلى الصفحة في الأصل. وهو، حسبما تدل عليه المقارنة بين أقسام الكتاب، ترجمة لمحتوى القسم الثاني الباحث في المعاني وما تعرف به أحوالها من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.

3 ـ بتر في الورقة بالأصل بمقدار ثلاث كلمات.

4 ـ بتر مثله.

لمّا كانت المعاني إنّما [تتحصّل] في الأذهان عن الأمور الموجودة في الأعيان وكانت تلك [المعاني] إنّما تتحصّل في الذّهن بأعلام من العبارة.

توضع للدّلالة عن (..........)[5] علم على صورة صورة منها، فتتمثّل بحصول تلك الصورة في الـ (............)[6] الموجودة في الأعيان التي تلك الصّور الحاصلة في الذّهن (.......)[7] كانت تلك الصّور الذّهنية إنّما يتخيّل بها ما هي صور (.......)[8] [خارجة] عن الذّهن [بوجه] مخصوص وترتيب مخصوص (........)[9] تلك الصّور الذّهنية في الألفاظ إنّما تدلّ على (...)[10].

[2 - أ] (......)[11] عليها هو الذي ران على قلوب شعراء المشرق المتأخّرين [وأعمى] بصائرهم عن حقيقة الشّعر منذ مائتي سنة. فلم يوجد فيهم على طول هذه المدّة من نحا نحو الفحول ولا من ذهب مذاهبهم في تأصيل مبادئ الكلام وإحكام وضعه وانتقاء موادّه التي يجب نحته منها.

فخرجوا بذلك عن مهيع الشّعر ودخلوا في محض التكلّم. هذا على كثرة المبدعين المتقدّمين في الرّعيل الأوّل من قدمائهم والحلبة السّابقة زمانا وإحسانا منهم.

---

5 ـ بتر مثله.
6 ـ بتر مثله.
7 ـ بتر بمقدار أربع كلمات.
8 ـ بتر مثله.
9 ـ بتر بمقدار أربع كلمات.
10 ـ نقص أوراق ذهب فيها معظم المنهج الأول من القسم الثاني.
11 ـ طمس في أول الصحيفة بالأصل بمقدار كلمتين.

المنهج الثاني في الإبانة عن طرق اجتلاب المعاني وكيفيات التئامها وبناء بعضها على بعض، وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.

أ- مَعْلَم دالّ على طرق العلم باقتباس المعاني وكيفيّة اجتلابها وتأليف بعضها إلى بعض.

يجب على من أراد جودة التّصرّف في المعاني وحسنَ المذهب في اجتلابها والحذقَ بتأليف بعضها إلى بعض أنْ يعرف أن للشّعراء أغراضًا أوَّل هي الباعثة على قول الشّعر. وهي أمور تحدث عنها تَأثُّرات وانفعالات للنّفوس، لكون تلك الأمور ممّا يناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين. فالأمر قد [يبسط] النفس ويُؤْنِسُها بالمسرّة والرّجاء ويقبضها بالكآبة والخوف. وقد يبسطها أيضاً بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع. وقد يقبضها ويوحِشها بصيرورة الأمر من مبدإ سارّ إلى مآل غير سارّ. وإذا ارتيح للأمر من جهة واكترث له من جهة على نحو ما **[2 - ب]** (..........)[12] جرى مجرى ذلك كانت أقوالاً شاجيَة.

1 - إضـاءة: والارتياحُ للأمر السارّ إذا كان صادرا عن قاصد لذلك أرضى فحرّك إلى المدح. والارتماض للأمر الضارّ إذا كان صادرا عن قاصد لذلك أغضب فحرّك إلى الذمّ. وتُحرّك الأمور غير المقصودة أيضاً، من جهة ما تناسب النفس وتسرّها ومن جهة ما تنافرها وتضرّها، إلى نزاع إليها أو نزوع عنها وحمد وذمّ أيضاً. وإذا كان الارتياح لسارّ مستقبل فهو رجاء. وإذا كان الارتماض لضارّ مستقبل كانت تلك رهبة. وإذا كان الارتماض لانقطاع أمل في شيء كان يؤمّل، فإن نُحِيَ في ذلك منحى التصبّر والتجمّل سمّي تأسّيا أو تسلّيا، وإن نُحي به منحى الجزع والاكتراث سمّي تأسّفا أو تندّما. ويُسمّى استدفاع

12 - هذا محل سطر كامل مطموس بالأصل.

المخوف المستقبل استلطافا. وإذا استدفع المتكلّم ذلك فأسعف به وضمَّن وصفَ الحال في ذلك كلاما سمّي إعتابا. والتعزير على الأمر المرتمض منه والملامةُ فيه تسمّى معاتبة. فإن كان الارتياح لأمر شأنه أن يَسُرّ محضره إلاّ أنّه يكون بعيدا من المتكلّم، من جهة زمان ماض أو مستقبل أو مكان أو إمكان، حرّك ذلك إلى الاستراحة لذكره والتشوّف إليه، فتكون الأقوال في الأشياء التي عُلْقتها بأغراض النّفوس على هذا النحو متنوّعة إلى فنون كثيرة نحو التشوّقيات والإخوانيات وما جرى مجرى ذلك.

2ـ **تنوير:** فقد تبيّن بهذا أنّ أغراض الشّعر أجناس وأنواع تحتها أنواع. فأمّا الأجناس الأول فالارتياح والاكتراث وما تركّب منهما نحو إشراب الارتياح الاكتراثَ أو إشراب الاكتراث الارتياح، وهي الطرق الشاجية. والأنواع التي تحت هذه الأجناس هي: الاستغراب والاعتبار والرضى والغضب والنزاع والنزوع والخوف والرجاء. والأنواع الأخر التي تحت تلك الأنواع هي: المدح والنسيب والرثاء **[3 ـ أ]** (...............................)[13] والتذكّرات وأنواع المشاجرات وما جرى مجرى هذه الطرق من المقاصد الشعريّة. وسيأتي تفصيل هذه الجملة في موضعها في القسم الرابع[14] إن شاء الله.

3ـ **إضـاءة:** فمعاني الشعر، على هذا القسم، ترجع إلى وصف أحوال الأمور المحرّكة إلى القول أو إلى وصف أحوال المتحرّكين لها أو إلى وصف أحوال المحرّكات والمحرّكين معا. وأحسن القول وأكمله ما اجتمع فيه وصف الحالين.

4ـ**تنويـر**: ولا يخلو الشيء في جميع تلك الأحوال من أن ينسب إلى الشيء بإيجابه له أو تزال نسبته إليه بسلبه عنه أو ينسب إليه لا على جهة إيجاب ولا سلب ولكن على جهة الاحتمال والإمكان. وكلّ ذلك لا تخلو أن تكون النسبة

13 ـ سطر كامل مطموس بالأصل.
14 ـ انظر ق٤، المنهج 2، المعلم أ.

الوجوبيّة أو السلبيّة أو المتردّدة بين الإيجاب والسلب فيه من أن تكون راجعة إلى ما يرجع إلى الشيء ويخصّه في ذاته أو يكون غير راجع إلى ما يخصّه في ذاته بل لأمر عرض له من غيره أو لما تدركه منه القوى الحسيّة أو التصوّرية أو بحسب نسبته إلى شيء تأخّر في زمان أو مكان أو بحسب موقعه من اعتقاد ما أو بحسب ما يجعل شرطه فيه أو بحسب مقايسته بشيء آخر أو بحسب الفرض.

5ـ **إضـــاءة**: والمتصرّف في هذه المعاني لا يخلو من أن يكون مثبتا لشيء ببعض تلك الاعتبارات أو مبطلا أو مُسوِّيًا بين شيئين أو مُباينًا بينهما أو مرجّحا أو متشكّكا، ولا يخلو من أن يكون معمّما أو خاصّا حاصرا أو غير حاصر آخذًا للشيء بجملته أو محاشيا بعضه. وللعبارة عن جميع ذلك أدوات وضعت للاختصار. وقد يعبّر عن جميع ذلك بغير تلك الأدوات. فهذه وأشباهها من المعاني، التي تدلّ على مقاصد المتكلّم واعتقاداته وأحكامه في التصوّرات والتصديقات المتعلّقات بغرضه، معان ثوان ينوطها بمعاني كلامه لتبيّن فيها أحكامًا وشروطًا.

6 ـ **تنويـــر**: وهنا معان أُخَرُ، وهي أنحاء المخاطبات مثل أن يكون المتكلّم مخبرا أو مستخبرا آمرا أو ناهيا داعيا أو مجيبا.

7 ـ **إضـــاءة**: فقد تبيّن بهذا أنّ المعاني صنفان: وصف أحوال الأشياء التي فيها القول، ووصف أحوال القائلين أو المقول على ألسنتهم، وأنّ هذه المعاني تلتزم معاني أخر تكون متعلّقة بها وملتبسة بها، وهي كيفيات مآخذ المعاني ومواقعها من الوجود أو الفرض أو غير ذلك ونسب بعضها إلى بعض، ومعطيات تحديداتها وتقديراتها، ومعطيات الأحكام والاعتقادات فيها، ومعطيات كيفيّات المخاطبة.

8 ـ **تنويـــر**: ويجب على من أراد حسن التصرّف في المعاني، بعد معرفة ضروبها التي أجملتُ ذكرها، أن يعرف وجوه انتساب بعضها إلى بعض فيقول: إنّه قد يوجد لِكُلِّ معنى من المعاني التي ذكرتها معنى أو معان تناسبه وتقاربه،

ويوجد له أيضاً معنى أو معان تضادّه وتخالفه. وكذلك يوجد لمضادّه في أكثر الأمر معنى أو معان تناسبه. ومن المتناسبات ما يكون تناسبه بتجاور الشيئين واصطحابهما واتّفاق موقعهما من النفس، ومنه ما تكون المناسبة باشتراك الشيئين في كيفيّة، ولا يشترط فيه التجاور ولا الاتّفاق في الموقع من هوى النفس. وما جعل فيه أحد المتناسبين على هذه الصفة مثالا للآخر ومحاكيا له فهو تشبيه.

9 ـ **إضــاءة**: فإذا أردت أن تقارن بين المعاني وتجعل بعضها بإزاء بعض وتناظر بينها فانظر مأخذا يمكنك معه أن تكوّن المعنى الواحد وتوقعه في حيزين، فيكون له في كليهما فائدة، فتناظر بين موقع المعنى في هذا الحيّز وموقعه في الحيّز الآخر فيكون من اقتران التماثل، أو مأخذا يصلح فيه اقتران المعنى بما يناسبه فيكون هذا من اقـتران المناسبـة أو مأخذا يصلح فيه اقتران المعنى بمضاده فيكون **[4 ـ أ]** [هذا مطابقة أو مقابلة، أو مأخذا يصلح فيه اقتران الشيء بما يناسب][15] مضادّه فيكون هذا مخالفة، أو مأخذا يصلح فيه اقتران الشيء بما يشبهه ويستـعار اسم أحدهما للآخر فيكون هذا من تشافع الحقيقة والمجاز.

10 ـ **تنويــر**: وقد يكون المأخذ في العبارة المقترن فيها معنيّا بأحد هذه الاقترانات على أن يكون كلا المعنيين عمدة في الكلام وركنا يثلم الغرض إزالته. وقد يكون المأخذ فيها على أن يكون أحد المعنيين عمدة والآخر فضلة أو كالفضلة لضروب من التتميميات والعريضات وتحقيق صحّة مفهوم أحدهما ببيان الصحّة في مفهوم الآخر كمن يقول: العفاف فضيلة كما أنّ الفسوق رذيلة[16].

---

15 ـ سطر مطموس بالأصل أمكن الكشف عنه بمقابلة وجوه الاقتران المذكورة بعضها ببعض.
16ـ راجع أرسطو، (1)، 172.

11 ـ **إضــاءة:** وإذ قد عرفنا كيفيّة التصرّف في المعاني التي لها وجود خارج الذهن والتي جعلت بالفرض بمنزلة ما له وجود خارج الذهن فيجب أيضاً أن [يشار] إلى المعاني التي ليس لها وجود خارج الذهن أصلا، وإنّما هي أمور ذهنيّة محصولها صور تقع في الكلام بتنوّع طرق التأليف في المعاني والألفاظ الدالّة عليها والتقاذف بها إلى جهات من الترتيب والإسناد، وذلك مثل أن تنسب الشيء إلى الشيء على جهة وصفه به أو الإخبار به عنه أو تقديمه عليه في الصورة المصطلح على تسميتها فعلا أو نحو ذلك.

فالإتباع والجرّ وما جرى مجراهما معان ليس لها خارج الذهن وجود لأنّ الذي خارج الذهن هو ثبوت نسبة شيء إلى شيء أو كون الشيء لا نسبة له إلى الشيء. فأمّا أن يقدّم عليه أو يؤخّر عنه أو يتصرّف في العبارة عنه نحوًا من هذه التصاريف فأمور ليس وجودها إلاّ في الذهن خاصة.

12 ـ **تنويــر:** وإذ قد تبيّن هذا فيجب أن نشير إلى ما يحسن اعتماده في التصرّف في هذه المعاني الذهنيّة. وإن تعدّدت في شيء الواحد بحسب وضعه [و] ترتيبه فالواجب أن يعتمد من تلك الصور المتعدّدة وإن استوت دلالة **[4 ـ ب]** ومعنى به يليق (......)[17] عبارة لا تسدّ مسدّ عبارة في حسن وقع وإن كان مفهومهما واحدا، لأنّ إحداهما أليق بالموضع وأشدّهما مناسبة لما وقع في جنبتي الكلام المكتنفتين له أو لما وقع (..............)[18] إحداهما. ويكون هذا التناسب يقع بين المفوهومات أو بين المسموعات الدّالة عليها.

13 ـ **إضاءة:** ويحسن أيضاً أن يقصد تنويع الكلام من جهة الترتيبات الواقعة في عباراته وفي ما دلّت عليه بالوضع[19] في جميع ذلك والبعد به عن التواطؤ والتشابه، وأن يؤخذ الكلام من كلّ مأخذ حتّى يكون كلّ مستجدّا بعيدا من

---

17 ـ كلمتان مطموستان بالأصل.

18 ـ كلمة مطموسة.

19 ـ بالأصل الوضع بلا جرّ.

التكرار، فيكون أخفّ على النفس وأوقع منها بمحلّ القبول. ويُقتدر على هذا بمعرفة كيفيّات تصاريف العبارات وهيآت ترتيبها وترتيب ما دلّت عليه، والبصيرة بضروب تركيباتها وشتّى مآخذها، وبقوّة ملاحظات الخواطر لضروب تلك العبارات وأصناف هيآتها وهيآت ما دلّت عليه، وللحيل التي تنتظم بها تلك العبارات على الهيآت المختارة لمسلك الوزن باختصار أو حشو أو إبدال لفظة مكان لفظة أو تقديم أو تأخير، وبسرعة التنبّه للموضع الذي تطابقه العبارة من الورن في ترتيب الحركات والسكنات فيطبعها في ذلك الموضع ويصلها بما قبلها بزيادة أو نقص أو إبدال أو غير ذلك وإن اتفق ألاّ يحتاج في صلتها بما قبلها إلى شيء من ذلك فهو أحسن. ولمّا كان التّصرف في ترتيب العبارات بإزاء التصرّف في ترتيب المعاني جعلت هذه الإضاءة الموضّحة عن الوجوه التي يجب اعتمادها في جميع ذلك.

14ـ **تنوير:** يشترط في النقلة من بعض هذه المعاني الذهنيّة إلى بعض أن يكون ذلك غير خارج عن الهيآت التي وقعت للعرب في النّقلة من بعض ذلك إلى بعض. ويشترط في المعاني التي خارج الذهن أن ينتقل في أمثلتها الذهنيّة **[5 ـ أ]** (......)[20] يكون النظر في صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدّال على الصور الذهنية في نفسه ومن جهة ما يكون عليه بالنسبة إلى موقعه من النفوس من جهة هيأته ودلالته، ومن جهة ما تكون عليه تلك الصور الذّهنيّة في أنفسها، ومن جهة مواقعها من النفوس من جهة هيآتها ودلالاتها على ما خارج الذهن، ومن جهة ما تكون عليه في أنفسها الأشياء التي تلك المعاني الذهنيّة صور لها وأمثلة دالّة عليها، ومن جهة مواقع تلك الأشياء من النفوس.

15ـ **إضاءة:** وقد تقدّم الكلام[21] في ما تكون عليه الألفاظ في أنفسها وبالنظر إلى هيآتها ودلالتها وكيفيّة مواقع تلك الهيآت بدلالتها من النفوس. وبقي الآن

---

20 ـ محو وطمس بمقدار ثلاث كلمات.

21 ـ إشارة إلى بعض موضوعات القسم الأول المفقود.

أن نتكلّم في المعاني الذهنيّة وفي بعض ما يحتاج إليه في هذه الصناعة ممّا يتعلّق بالأشياء التي تلك المعاني الذهنيّة صور لها ممّا تكون عليه تلك الأشياء وما تكون عليه صدورها، ومن جهة مواقعها من النفوس، وكونها ممّا يستميل النفس أو ينفّرها لكونها ملائمة لها أو منافرة، أو بإيهام النفس ذلك فيها بتخييل شعريّ أو إقناع خطابيّ وما يكون فيه معونة على تقويّة ذلك.

16ـ **تنوير:** وأنا أدرج تفاصيل هذه الجملة في ما أشرعه إثر هذا من المعالم والمعارف بحسب ما يتوجّه إليه النظر في معلم معلم ومعرفٍ معرف من ذلك، لتعرف بذلك الطرق الصحيحة في اعتبار ما تكون عليه أحوال المعاني الذهنيّة وما هي أمثلة له بالنظر إلى ما يستحسن في كلّ مذهب من مذاهب هذه الصناعة وما لا يستحسن من ذلك. وقد سلكت من التكلّم في جميع ذلك مسلكًا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه وتوعّر سبيل التوصّل إليه. هذا على أنّه روح الصنعة وعمدة البلاغة. وعلى هذا جريت في أكثر ما تكلّمت به فيما عدا هذا القسم من أقسام الكتاب. فإنّي رأيت الناس **[5 ـ ب]** لم يتكلّموا إلاّ في بعض ظواهر ما اشتملت عليه تلك الصناعة، [فتجاوزت أنا تلك الظواهر] بعد التكلّم في جمل مقنعة ممّا تعلّق بها إلى التكلّم في كثير من خفايا هذه الصنعة ودقائقها على حسب ما تقدّم وما يأتي إن شاء الله.

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء وجود المعاني.

إنّ المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكلّ شيء له وجود خارج الذهن فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنيّة الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظُ المعبّر به هيئة تلك الصورة الذهنيّة في أفهام السامعين وأذهانهم. فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالته الألفاظ. فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخطّ تدلّ على الألفاظ من لم يتهيّأ له سمعها من المتلفّظ بها

صارت رسوم الخطّ تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضاً وجود من جهة دلالة الخطّ على الألفاظ الدالّة عليها.

1ـ **إضاءة**: قد تبيّن أنّ المعاني لها حقائق موجودة في الأعيان ولها صور موجودة في الأذهان ولها من جهة ما يدلّ على تلك الصور من الألفاظ وجود في الأفهام، ولها وجود من جهة ما يدلّ على تلك الألفاظ من الخطّ يقيم صور الألفاظ وصور ما دلّت عله في الأفهام والأذهان.

2ـ **تنوير**: وقد تقدّم الكلام في كثير ممّا يجب معرفته من المعاني من حيث توجد في الألفاظ[22]. وبقي أن نتكلّم الآن فيها من حيث توجد في الأذهان، وأن نشفع ذلك بذكر بعض ما يتعلّق بها من جهة وجودها خارج الذهن ممّا يتأكّد معرفته في هذه الصناعة، وأن نستدرك ما لعلّنا لم نذكره ممّا يتعلّق بجهة وجودها في الألفاظ[23]. فأمّا الوجود الذي لها من جهة الخط فليس التكلّم فيه **[6 ـ أ]** من مبادئ هذه الصّناعة.

ج ـ معلم دالّ على طرق العلم بكيفيّات مواقع المعاني من النفوس من جهة ما تكون قويّة الانتساب إلى طرق الشعر المألوف والأغراض المعروفة عند جمهور من له فهم بالطبع، أو ضعيفة الانتساب إلى ذلك.

لمّا كان[24] علم البلاغة مشتملاً على صناعتي الشعر والخطابة وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادّة المعاني ويفترقان بصورتي التخييل والإقناع وكان لكلتيهما أن تخيّل وأن تقنع في شيء شيء من الموجودات الممكن أن يحيط

---

22 ـ إشارة إلى بعض موضوعات القسم الأول المفقود من المنهاج.
23 ـ إشارة إلى موضوعات القسم الأوّل.
24 ـ فعل لما وبعده المعطوفات عليه.

بها علم إنساني وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده وكانت النفس إنّما تتحرّك لفعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلّي عن واحد واحد من الفعل والطلب والاعتقاد بأن يخيّل لها أو يوقع في غالب ظنّها أنّه خير أو شرّ بطريق من الطرق التي يقال بها في الأشياء إنّها خيرات أو شرور.

1ـ **إضـاءة:** والأشياء التي يقال فيها إنها خيرات وشرور أو يتوهّم أنّها كذلك منها أمور يشترك في معرفتها وإدراكها الخاصّة والجمهور ومنها أمور ينفرد بإدراكها ومعرفتها الخاصّة دون الجمهور وكانت علقة جلّ أغراض الناس وآرائهم بالأشياء التي اشترك الخاصّة والجمهور في اعتقادهم أنّها خير أو شرّ، وكان أحقّ تلك الأشياء بأن يميل النّاس إليها أو ينفروا عنها الأشياء التي فطرت النفوس على استلذاذها أو التألّم منها أو حصل لها ذلك بالاعتياد، وجب[25] أن تكون أعرق المعاني[26] في الصّناعة الشعريّة ما اشتدت علقته بأغراض الإنسان وكانت دواعي آرائه متوفّرة عليه، وكانت نفوس الخاصّة والعامّة قد اشتركت في الفطرة على الميل **[6 ـ ب]** إليها أو النفور عنها أو من حصول ذلك إليها بالاعتماد، ووجب أن يكون ما لم لم تتوفّر داعي أغراض الإنسان عليه وما انفرد بإدراكه المكتسب الخاصة دون الجمهور غير عريق في الصّناعة الشعريّة بالنسبة إلى المقاصد المألوفة والمدارك الجمهوريّة.

2ـ **تنويـــر:** فأمّا بالنظر إلى حقيقة الشعر فلا فرق بين ما انفرد به الخاصّة دون العامة وبين ما شاركوهم فيه، ولا ميزة بين ما اشتدّت علقته بالأغراض المألوفة وبين ما ليس له كبير علقة إذا كان التخييل في جميع ذلك على حدّ واحد، إذ المعتبر في حقيقة الشعر إنّما هو التخييل والمحاكاة في أيّ معنى اتّفق ذلك.

---

25 ـ هذه الكلمة وما بعدها، إلى آخر الإضاءة، جواب لما في علم البلاغة التي افتتح بها المعلم.
26 ـ بالأصل لا معاني.

3ـ **إضـــاءة:** ولنبيّن الآن الطرق التي بها تكون علقة المعاني بالأغراض المألوفة عند الجمهور أكيدة وكيف لا تكون علقتها بذلك متأكّدة.

فأقول: إنّ الأقاويل المخيّلة لا تخلو من أن تكون المعاني الخيّلة فيها ممّا يعرفه جمهور من يفهم لغتها ويتأثّر له، أو ممّا يعرفه ولا يتأثّر له، أو ممّا يتأثّر له إذا عرفة، أو ممّا لا يعرفه ولا يتأثّر له لو عرفه. وأحقّ هذه الأشياء بأن يستعمل في الأغراض المألوفة من طرق الشعر ما عرف وتؤثّر له، أو كان مستعدّا لأن يتأثّر له إذا عرف وكان في قوّة كلّ واحد من جمهور من جبلّته في الفهم صالحة أن يتصوّر ذلك إذا عُرّف به وذلك كالأخبار التي يحيل عليها الشعراء.

4 ـ **تنويــر:** وأحسن الأشياء التي تُعرف ويُتأثّر لها أو يتأثّر لها إذا عرفت هي الأشياء التي فطرت النّفوس على استلذاذها أو التألّم منها أو ما وجد فيه الحالان من اللذّة والألم كالذكريات للعهود الحميدة المتصرّمة التي توجد النفوس تلتذّ بتخيّلها وذكرها وتتألّم من تقضّيها وانصرامها. فإذن طرق الشعر إذا (............)[27] في ثلاث جهات: إمّا أن تكون مفرحة محضة يذكر فيها لقاء الأحبّة في حال وجوده واجتلاء الرّوض والماء وما ناسبهما والتنعّم بمواطن السرور ومجالس الأنس، وإمّا أن تكون **[7 ـ أ]** [مفجعة] يذكر فيها التفرُّق والتوحّش وما ناسب ذلك وبالجملة أضداد المعاني المفرحة المنعّمة، وإمّا أن تذكر فيها مستطابات قد انصرمت فيلتذّ لتخيّلها ويتألّم لفقدها فتكون طريقة شاجية. واستقصاء القول في هذا يجيء في القسم الرابع[28] ولعلّي أن أدرج أيضاً في هذا القسم فضل بيان لذلك.

5ـ **إضـــاءة:** فما فطرت نفوس الجمهور على استشعار الفرح منه والحزن أو الشجو أو حصل لها ذلك بالعادة هو المعتمد في الأغراض المألوفة في

---

27 ـ بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

28 ـ انظر ـ ق ـ ٤، منهج 3، ف ب، ج، 356 ـ360.

الشعر والمبني عليه طرقها. وما لم توجد نفوسهم مفطورة عليه من ذلك بما اعتادته فإنّما تقع في الأغراض المألوفة بحسب التبعيّة لما كانت مفطورة عليه أو معتادة له. وذلك بأن يستدرج ممّا وجد في النّفس بحسب الجبلّة والعادة إلى ما وجد بالكسب والاستفادة. وتذكر هذه على أنّها أمثلة لتلك: إذا كان بينهما شبه فتحاكى بها، وتكون المحاكاة إذ ذاك بعيدة عن التأثير. فلذلك لا يحسن إيراد لكل مثل هذه الأقاويل في الأغراض المألوفة من الشعر ولا يحسن أن تحاكى الأشياء العريقة في الشعر التي اشترطنا فيها الشروط المتقدّمة إلاّ بمثلها ممّا توجد فيه تلك الشروط.

6ـ **تنويــر:** فالمتصوّرات التي في فطرة النفوس ومعتقداتها العاديّة أن تجد لها فرحا أو ترحا أو شجوا هي التي ينبغي أن نسمّيها المتصوّرات الأصيلة. وما لم يوجد ذلك لها في النفوس ولا معتقداتها العاديّة فهي المتصوّرات الدخيلة، وهي المعاني التي إنّما يكون وجودها بتعلّم وتكسّب كالأغراض التي لا تقع إلاّ في العلوم والصناعات والمهن. فالمعاني المتعلّقة بهذه الطرق الخاصّة ببعض الجماهير لا تحسن في المقاصد العامّة المألوفة التي ينحى بها نحو ما يستطيبه الجمهور أو يتأثّرون له بالجملة. فإذا استعملت فيها فإنّها معيبة لكونها دخيلة في الكلام بحسب الغرض. وإنّما تكون أصيلة في الشعر إذا كان غرض الكلام مبنيّا على محاكاتها وإيقاع **[7 ـ ب]** التخييل فيها بالقصد الأوّل. فإنّ للشاعر أن يبني كلامه على تخيّل شيء شيء من الموجودات ليبسط النفوس له أو يقبضها عنه. ولا يكون كلامه في ذلك معيبا إذا كان الغرض مبنيا على ذلك. فأمّا إذا لم يكن قصده بِنْيَة الكلام على تخييل ما لا يعرفه الجمهور ولا تتأكّد علقته بالأغراض، ولكن يورد ذلك على سبيل التبعيّة على جهة من المحاكاة أو غير ذلك، فإنّ ذلك غير أصيل في الشعر، ويكون الكلام معيبا بذلك.

7ـ **إضــاءة:** والمعاني الشعريّة منها ما يكون مقصودًا في نفسه بحسب غرض الشعر ومعتمدا إيراده ومنها ما ليس بمعتمد إيراده ولكن يورد على أن يحاكى به

ما اعتمد من ذلك أو يحال به عليه أو غير ذلك. ولنسمّ المعاني التي تكون من متن الكلام ونفس غرض الشعر المعاني الأوَل، ولنسمّ المعاني التي ليست من متن الكلام ونفس الغرض ولكنّها أمثلة لتلك أو استدلالات عليها أو غير ذلك لا موجب لإيرادها في الكلام غير محاكاة المعاني الأُول بها أو ملاحظة وجه يجمع بينهما على بعض الهيآت التي تتلاقى عليها المعاني ويصار من بعضها إلى بعض المعاني الثّواني. فتكون معاني الشعر منقسمة إلى أوائل وثوان[29].

8ـ **تنوير:** وحقّ الثواني أن تكون أشهر في معناها من الأُول لتستوضح معاني الأُول بمعانيها الممثّلة بها، أو تكون مساوية لها لتفيد تأكيدا للمعنى. فإن كان المعنى فيها أخفى منه في الأُول قَبُح إيراد الثواني لكونها زيادة في الكلام من غير فائدة، فهي بمنزلة الحشو غير المفيد في اللفظ، ولمناقضة المقصد الشعري في المحاكاة والتخييل يكون إتباع المشتهر بالخفيّ حيث يقصد زيادة المشتهر شهرة أو تأكيد ما فيه ما الاشتهار مناقضًا للمقصد من حيث كان الواجب في المحاكاة أن يتبع الشيء بما يَفْضُلُه في المعنى الذي قصد تمثيله به أو يساويه أو لا يبعد عن مساواته، وهي أدنى مراتب المحاكاة.

فالأُول هي التي يكون مقصد الكلام **[8 - أ]** وأسلوب الشعر يقتضيان ذكرها وبنية الكلام عليها. والثواني هي التي لا يقتضي مقصد الكلام وأسلوب الشعر بنية الكلام عليها.

9ـ **إضـاءة:** ومن المتصوّرات ما يليق بحقيقة مقاصد الشعر المألوفة وأغراضه المتداولة، وتصلح أن تورد فيها أوائل وثواني، ومنها ما لا يليق بها ولا يصلح فيها أن تورد أوائل ولكن تورد ثواني على ما تقدم ذكره فالتي يصلح أن تورد أوائل وثواني هي ما تعلّق المتصوّر فيه بشيء معروف عند الجمهور من شأنهم أن يرتاحوا إليه أو يكترثوا له، كان ذلك الشيء مدركًا بالحسّ أو بغيره.

---

29 ـ انظر معجم المصطلحات والألفاظ الغريبة، مادة: أول.

والتي لا يصلح أن تورد أوائل وتورد ثواني هي ما تعلّق التصوّر فيها بحقيقة شيء لا تعمّ معرفته جميع الجمهور.

10 ـ **تنوير:** فالأصيل في الأغراض المألوفة في الشعر من هذين الصنفين ما صلح أن يقع فيها أوّلا وثانيا متبوعًا وتابعًا، لأنّ هذا يدلّ على شدّة انتسابه إلى طرق الشعر وحسن موقعه منها على كلّ حال. وهي المعاني الجمهوريّة. ولا يمكن أن يتألّف كلام بديع عال في الفصاحة إلاّ منها.

والصنف الآخر وهو الذي سمّيناه بالدخيل لا يأتلف منه كلام عال في البلاغة أصلا إذ من شروط البلاغة والفصاحة حسن الموقع من نفوس الجمهور، وذلك غير موجود في هذا الصنف من المعاني. وأيضا فإنّه لا يقع في أغراض الشعر المألوفة إلاّ ثا[نياً وتابعاً]. ومن تتبّع المعاني الواقعة في الشعر التي مرادها ما ذكرت، وكان له أدنى حظ من البلاغة، واعتبر كلاّ منها بالقوانين الموضوعة في أصول البلاغة، علم صحّة ما قلته. وأنا أقرّب على من لم يشْدُ شيئاً من علم البلاغة مرام التوصّل إلى صحّة ما ذكرته، بأن يتتبّع في كتب الآداب والبلاغة مذاهب العلماء بالشعر في أيّ بيت قالته الشعراء من ا لمتقدمين والحدثين أو شعر في كلّ طريق من طرق الشعر التي منها النسيب والمديح والرثاء والهجاء. فإنّه لا يجد موادّ مانصّ على فضله إلاّ من المعاني التي ذكرت أنّها تقع أُولاً **[8 ـ ب]** وثواني، ولا يجد فيها من الموادّ التي ذكرت أنّها لا تقع إلاّ ثواني شيئاً التبّة. ولو[30] لم يكن في ذلك إلاّ أنّ البصراء بهذه الصناعة، كأبي الفرج قدامة وأضرابه[31] قد نصّ جميعهم على قبح إيراد المعاني العلميّة والصناعيّة والعبارات المصطلح عليها في جميع ذلك، ونهوا عن إيراد جميع ذلك في الشعر.

---

30 ـ جواب لو يُتصيد من بقية الكلام.

31 ـ مثل قدامة في هذا ابن سنان الخفاجي حيث قال:«ومن وضع الألفاظ موضعها: أن لا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور، من الرسائل والخطب، ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم، والألفاظ التي يختص بها أهل المهن والعلوم». انظر 159، ص 5 ـ 7.

وسيأتي في ما أذكره بعد[32]، في هذا القسم إن شاء الله، ما يؤكد صدق القول وصحّة المذهب في تقبيح تلك المعاني بالنسبة إلى الأغراض المألوفة في الشعر.

11 ـ **إضـاءة:** وإنّما احتجت إلى هذا لأنّ الطباع منذ اختلّت، والأفكار منذ قصّرت، والعناية بهذه الصناعة منذ قلّت، وتحسين كلّ من المدّعين صناعة الشعر ظنّه بطبعه، وظنّه أنّه لا يحتاج في الشعر إلى أكثر من الطبع[33]، وبنيته على أنّ كلّ كلام مقفّى موزون شعر، جهالةً منه: أنّ الطباع قد تداخلها من الاختلال والفساد أضعاف ما تداخل الألسنة من اللحن، فهي تستجيد الغثّ وتستغثّ الجيّد من الكلام ما لم تقمع بردّها إلى اعتبار الكلام بالقوانين البلاغية، فيعلم بذلك ما يحسن وما لا يحسن.

ولا شكّ أن الطباع أحوج إلى التقويم في تصحيح المعاني والعبارات عنها من الألسنة إلى ذلك في تصحيح مجاري أواخر الكلم، إذ لم تكن العرب تستغني، بصحّة طباعها وجودة أفكارها، عن تسديد طباعها وتقويمها باعتبار معاني الكلام بالقوانين المصحّحة لها، وجعلها ذلك علما تتدارسه في أنديتها ويستدرك به بعضهم على بعض وتبصير بعضهم بعضا في ذلك. وقد نقل الرّواة من ذلك الشيء الكثير لكنّه مفرّق في الكتب[34]، لو تتبّعه متتبّع متمكّن من الكتب الواقع فيها ذلك لاستخرج منه علما كثيراً موافقا للقوانين التي وضعها البلغاء في هذه الصناعة.

12ـ **تنويـر:** وكيف يظنّ ظانّ أن العرب، على ما اختصّت به من جودة الطباع لنشئهم على الرياضة واستجداد المواضع وانتجاع **[9 ـ أ]** الرياض العوازب فضلا عن هذه الطباع التي داخلها الفساد منذ زمان واستولى عليها الخلل،

32 ـ انظر الفقرة 17و 18، 19 من هذا المعلم.
33 ـ انظر ق.3 منهج 1،ف.أ، 177، محمد الطاهر ابن عاشور، 82.
34 ـ ابن عبد ربه ٦، 99، وما بعدها، المرزباني، 59، 46، 29 ونحوها.

كانت تستغني في قولها الشعر الذي هو بالحقيقة شعر ونظمها القصائد التي كانت تسمّيها أسماط الدهور عن التعليم والإرشاد إلى كيفيّات المباني التي يجب أن يوضع عليها الكلام، والتعريف بأنحاء التصرّف المستحسن في جميع ذلك، والتنبيه على الجهات التي منها يداخل الخلل المعاني ويقع الفساد في تأليف الألفاظ والمعاني.

وأنت لا تجد شاعرًا مجيدًا منهم إلاّ وقد لزم شاعرا آخر المدّة الطويلة، وتعلّم منه قوانين النظم، واستفاد عنه الدربة في أنحاء التصاريف البلاغيّة. فقد كان كُثير أخذ الشعر عن جميل، وأخذه جميل عن هدبة ابن خشرم، وأخذه هدبة عن بشر بن أبي خازم، وكان الحطيئة قد أخذ علم الشعر عن زهير، وأخذه زهير عن أوس بن حجر، وكذلك جميع شعراء العرب المجيدين المشهورين. فإذا كان أهل ذلك الزمان قد احتاجوا إلى التعلّم الطويل فما ظنّك بأهل هذا الزمان، بل أيّة نسبة بين الفريقين في ذلك؟!

13ـ **إضاءة:** وأنت تجد الآن الحريص على أن يكون من أهل الأدب المتصرّفين في صوغ قافية أو فقرة من أهل زماننا يرى وصمة على نفسه أن يحتاج مع طبعه إلى تعليم معلّم أو تبصير مبصّر. فإذا تأتّى له تأليف كلام مقفّى موزون، وله القليل الغثّ منه، بالكثير من الصعوبة، بَأَى وشمّخ، وظنّ أنّه قد سامَى الفحول وشاركهم، رعونة منه وجهلاً، من حيث ظنّ أن كلّ كلام مقفّى موزون شعر. وإنّ مَثَله في ذلك مثل أعمى أنس قوما يلقطون دُرا في موضع تشبه حصباؤه الدرّ في المقدار والهيئة والملمس، فوقع بيده بعض ما يلقطون من ذلك فأدرك هيأته ومقداره وملمسه بحاسّة لمسه، فجعل يعنّي نفسه في لقط الحصباء على أنّها درّ، ولم يدر أنّ ميزة الجوهر وشرفه إنّما هو بصفة أخرى غير التي أدرك. وكذلك ظنّ هذا أنّ الشعريّة في **[9 ـ ب]** الشعر إنّما هي نظم أيّ لفظ اتّفق كيف اتّفق نظمه وتضمينه أيّ غرض اتّفق على أيّ صفة اتّفق، لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم موضوع. وإنّما المعتبر عنده إجراء الكلام على الوزن والنفاذ به إلى قافية. فلا يزيد بما يصنعه من ذلك على أن يبدي عن عواره، ويعرب عن قبح مذاهبه في الكلام وسوء اختياره.

14 ـ **تنويـر:** وإنّما احتجت إلى الفرق بين الموادّ المستحسنة في الشعر والمستقبحة وترديد القول في إيضاح الجهات التي تقبح وإلى ذكر غلط أكثر النّاس في هذه الصناعة لأرشد من لعلّ كلامي يحلّ منه محلّ القبول من الناظرين في هذه الصناعة إلى اقتباس القوانين الصحيحة في هذه الصناعة، وأزع كلّ ذي حِجْرٍ عمّا يتعب به فكره ويَصِمُ شعره.

15ـ **إضـاءة:** واعلم أنّ من المعاني المعروفة عند الجمهور ما لا يحسن إيراده في الشعر. وذلك نحو المعاني المتعلّقة بصنائع أهل المهن لضعتها. [فإنّ غالب] عباراتهم لا يحسن أن تستعار ويعبّر بها عن معان تشبهها لأنّها مزيلة لطلاوة الكلام وحسن موقعه من النفس.

16 ـ **تنويـر:** ومن المعاني التي ليست بمعروفة عند الجمهور ما يستحسن إيراده في الشعر، وذلك إذا كان ممّا فطرت النفوس على الحنين إليه أو التألّم منه، وبالجملة على ما تتأثّر له النفس تأثّر ارتياح أو اكتراث بحسب ما يليق بغرض غرض من ذلك، وكان من أوائلها الأصيلة أو ما يناسبها ممّا هو بها شديد التعلّق، ومن شأنه أن يستطرد منه إليها أبدا كأوصاف البروق. هذا إذا كان في قوّة جميع الجمهور أن يعرف المعنى الذي بهذه الصفة إذا ألقي إليه كيفية وقوعه في الوجود ويستحسنه بعد المعرفة، وذلك كالإحالات على الأخبار القديمة المستحسنة وطرف التّواريخ المستغربة. فإنّها حسنة الموقع من النفوس وفي قوّة جميع الناس أن يحصلها إذا ألقيت إليه. فيحسن أن يورد في الشعر ما اشتهر من هذا **[10 ـ أ]** القبيل، ويعبّر عنه بحسان العبارات حتى يُعرف الخبر منه مفصّلا (..................)[35]. ومن قصّر عن تفهم شيء من ذلك لم يُعْوِزْه وجدان من يفهمه إيّاه، كما أنّ اللفظ المستعذب، وإن كان لا يعرفه جميع الجمهور، مستحسنٌ إيراده في الشعر لأنّه مع استعذابه قد يفسّر

35 ـ كلمة مطموسة بالأصل.

معناه، لمن لا يفهمه، ما يتّصل به من سائر العبارة. وإن لم يكن في الكلام ما يفسّره لم يعوز أيضاً وجدان مفسّره لكونه ممّا يعرفه خاصّة الجمهور أو كثير منهم. والإتيان بما يعرف أحسن.

17 ـ **إضاءة:** وليس الأمر في ما ذكرته كالأمر في المسائل العلمية. فإنّ أكثر الجمهور لا يمكن تعريفهم إيّاها، مع أنّ أحدهم إذا أمكن تعريفه إيّاها لم يجد لها في نفسه ما يجد للمعاني التي ذكرنا أنّها العريقة في طريقة الشعر، لكون تلك المعاني المتعلّقة بإدراك الذهن ليس الحسن والقبح والغرابة واضحًا فيها وضوحه في ما يتعلّق بالحسّ. وأيضًا فإنّ المعاني التي تتعلّق بإدراك الحسّ هي التي تدور عليها مقاصد الشعر، وتكون مذكورة فيه لأنفسها. والمعاني المتعلّقة بإدراك الذهن ليس لمقاصد الشعر حولها مدار. وإنّما تذكر بحسب التبعيّة للمتعلّقة بإدراك الحسّ لتجعل أمثلة لها، أو ينظّر حكم في تلك بحكم في هذه، فيكون التمثيل والتنظير فيهما من قبيل تمثيل الأشهَر بالأخفَى وتنظير الأظهر بالأخفى. وهذه الحال، في التمثيل والتنظير، مناقضة للمقصود بهما، إذ المقصود بهما محاكاة الشيء بما النفوس له أشدّ انفعالاً حيث يقصد بسطها نحو شيء أو قبضها عنه. وأيضا فإنّ المسائل العلميّة يستبرد إيرادَها في الشعر أكثرُ الناس ولا يستطيب وقوعها فيه إلاّ من صار من شدّة ولوعه بعلم مّا، بحيث يتشوّف إلى ذكر مسائل ذلك العلم، ويحبّ إجراءها ولو في المواطن التي لا تليق بها ولا تقبلها البتّة لكون التفرّغ الكلّي للراحة والأنس والتفرّج أو ضدّ ذلك قد حجّر ذكرها. وأكثر **[10 ـ ب]** الناس يستبردون ذكر الشيء من ذلك، حيث لا يليق، استبرادهم قول القائل[36]: «والله إن كانت إلاّ أُثَيَّابًا في أُسَيفَاط قبضها عشّاروك» في الموطن الذي قالها.

36 ـ هو عيسى بن عمر، قاله لابن هبيرة وهو يضرب بالسياط بين يديه. وردت قصة ذلك بألفاظ مختلفة. انظر: **اللسان**، مادة عشر، ٦، 24، **التاج**، ٣، 401، ابن الأنباري، 12، الزّبيدي، 37، السيوطي: **البغية**، 270، القفطي، 347.

18 ـ **تنويـر:** وإنّما يورِد المعاني العلميّة في كلامه من يريد التمويه بأنّه شاعر عالم[37]. وقد بينّا أنّه فعل نقيض ما يجب في الشعر. فلم يثبت له أنّه قال شعرا إلاّ عند من لا علم له. وأمّا العلم فلا يثبت أيْضًا للشاعر بأن يودع شعره معاني منه[38]. فليس يبعد على الناظم إذا كان قد تصوّر مسائل من علم، وإن قلّت، أن يعلّقها ببعض معاني شعره ويناسب بينها وبين بعض مقاصد نظمه.

19ـ **إضـاءة:** ومن كان مقصده أيضاً أن يظهر أنّه مقتدر على المناسبة بين المتباعدين وأن يغطّي بحسن تأليفه ووضعه على ما بينهما من التباين بعض التغطية، فإنّه يكدّ خاطره في ما لا تظهر فيه صناعته ظهورها في غيره، ولا يتوصّل بعد ذلك إلى الغرض المقصود بالشعر من تحريك النفوس. فأولى بمن هذه صفته أن يجعل موضوع صنعته ما يتّضح فيه حسن صنعته ويكون له تأثير في النفوس وتحريك لها وحسن موقع منها من أن يجعل موضوع صنعته ما لا يدلّ، مع كونه لا يحرّك الجمهور ولا يتّضح فيه إبداع الصنعة، دلالة قاطعة. فقد يمكن أن يتدرّب إنسان في المناسبة بين بعض الأغراض المقولة في الشعر وبين بعض المعاني العلميّة. وتحصل له، بمزاولة ذلك والحنكة فيه، دربة لا تكون له في تأليف معاني الشعر المحضة والمناسبة بين بعضها وبعض. وقد يمكن أيضاً أن يقع ذلك له اتّفاقا في بعض المواضع من غير أن تكون له تلك قوّة مستمرّة في غير ذلك من شعره. فقد بان أنّ مستعمل هذه المعاني العلميّة في شعره يسيء الاختيار، مستهلك لصنعته، مصرّف فكره في ما غيره أولى به وأجدى

---

37 ـ ممّا نحن بصدده قول الأرّجاني:

أنا أشـعر الفقـهاء غير مدافـع — في العصـر، لا بل أفقه الشعـراء.

الصفدي: الغيث، 1،123 س18.

38 ـ إلى هذا يشير بعضهم بقوله:

هو في الفقه شاعـر لا يبــارَى — وهـو في الشعر أوحـد الفقهـاء

لا إلى هـؤلاء إن طلـبوه — وجـدوه، ولا إلى هـؤلاء

الصفدي:الغيث،20،123،1ـ21.

عليه. والولع بنظم هذه المسائل العلميّة في الشعر (............)[39] **[11 - أ]** (................)[40] التي يتصوّر بها الغرض في تلك المعاني الخارجة عن الذهن على أكمل ما ينبغي وأشدّه مناسبة للنفس.

فهذه لمحة إجمالية ترشد إلى جهات اقتباس المعاني، وإلى الأنحاء التي تستحسن في تأليفها واقترانها والنقلة من بعضها إلى بعض. ومنع من تفصيل ذلك الاضطرارُ معه إلى الإطالة الكثيرة. فليتولّ الناظر تفصيل ذلك بنفسه، فإنّه مفيد في هذه الصناعة وبالله الاستعانة على كلّ محاول، وبه التوفيق.

د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بكيفيّات تركيب المعاني وتضاعفها.

إنّ المعاني قد تكون مفردة الأجزاء ومتضاعفتها، وقد يكون بعض أجزائها مفردا وبعضها مضاعفاً. وذلك بحسب تعدّد الأفعال الواقعة في المواطن التي يعبّر عمّا وقع فيها أو اتّحادها، وبحسب تعدّد ما تستند إليه تلك الأفعال أو اتّحاده، وبحسب تعدّد ما تتوجّه لطلبه من المفعولات أو اتّحاده.

وما يتركّب من جهة التعدّد والاتّحاد في جميع ذلك، واقتران كلّ واحد من الأفعال وما تستند إليه، وما تطلبه بالآخر على حال موافقة له في التعدّد والاتحاد أو مخالفة، تنقسم[41] ثمانية أقسام: 1ـ متّحد الفاعل، متّحدالمفعول، متعدّد الفعل 2 أو متعدّد الفاعل والمفعول، متّحد الفعل 3 أو متّحد الفعل والفاعل، متعدّد المفعول 4 أو متّحد الفعل، متعدّد الفاعل والمفعول 5 أو متّحد المفعول، متّحد الفعل، متعدّد الفاعل 6 أو متّحد المفعول، متعدّد الفاعل والفعل 7 أو متّحد الجميع 8 أو متعدد الجميع.

39 ـ هنا نقص: مقدار ورقة ناقصة من الأصل بين 10 و11.

40 ـ كلمة مطموسة بالأصل.

41 ـ المعاني التي تتركب من جهة التعدد والاتحاد الخ. وقد عبر عنها أول الجملة بما الموصولية.

ويحتاج الشاعر أن يكون متنبّها لصور التقسيمات والتفصيلات والتقطيعات التي تتدرّج في هذه الجملة، ويحسن صوغ الكلام عليها وتفصيله إليها، ومتهدّياً **[11 ـ ب]** إلى المآخذ المستحسنة في جميع ذلك.

1 ـ **إضـاءة:** وهذه الأفعال المشترك فيها قد يكون وضعها على أن يصل من الشيء إلى غيره مثل ما وصل إليه من غيره، وقد يتسلسل هذا. ولا ينبغي أن يتجاوز في ذلك المقدار الذي توجب مقاييس البلاغة الوقوف عنده. وقد تقدّم ذلك في القسم الأوّل[42]. ويكون التسلسل أيضاً في الأفعال المتعدّدة للمرفوعات المتعدّدة على هذا النحو. ولا تحسن الإطالة في ذلك. بل يجب أن يحتال في تفصيل الكلام إلى مقادير لا تسلسل فيها.

2 ـ **تنويـر:** وقد يشترك الشيئان أيضاً في فعل ويكون كلاهما متوجّها لفعل آخر. وهذا إذا كان في قضيّة واحدة خفّفوا بعض ما يقع فيه من التكرار بالكناية والحذف. فإذا كان في قضايا كثيرة تضاعف المقدار الباقي من التكرار بالكناية والحذف، فلم يحسن ذلك، على أنّهُ قد يقع فيعدل إذ ذاك عن العبارة التي وقع فيها التكرار بكونها جملتين يلزم في إحداهما ذكر ما في الأخرى إلى عبارة مفردة تفيد ما تفيده تلك. وهي صيغتا تفاعل وفاعل نحو تضارب وضارب. فحينئذ لا يثقل تضاعف المعاني التي بهذه الصفة.

3ـ **إضـاءة:** وقد يكون الكلام المؤتلف من معان كثيرة ممّا ذكر للأفعال فيه مفعولات، وقد يكون ممّا لا ذكر فيه لذلك، وقد يكون مؤتلفا من النوعين.

فأمّا ما تعدّدت فيه الأفعال ومرفوعاتها ومنصوباتها وتباينت فيحتاج إلى أن يناسب بين المعاني الواقعة بهذه الصفة في وضع عباراتها وتفصيلها إلى مقادير وصور تكون متلائمة الوضع متناسبة التفصيل ليقع في الكلام بذلك خفّة وتناسب.

---

42 ـ الإحالة سبقت في 2، ف.أ، ف.15.

4 ـ **تنويـر:** فأمّا ما تلازمت فيه المعاني وارتبطت فطالت فلا يحسن تضاعفها إلاّ بعد اقتضاب العبارات وتصييرها إلى صيغ مختصرة. وكلّما اختلفت جهات الصيغ، في ما لم يذهب به **[12 ـ أ]** مذهب مناظرة أو تقسيم أو ما ناسب ذلك، كان أحسن.

5 ـ **إضـاءة:** وتحسُن للكلام، أيضاً بحسب نسب بعض المعاني الواقعة فيه من بعض، من جهة مواقعها في زمان أو مكان ووضع بعضها في ذلك من بعض، ومن جهة التقاذف بالعبارات إلى تلك الأنحاء، صور أخر ربّما وجد مثلها في ما تقدّم وربّما لم يوجد، لأنّ الشيء يقع مع الشيء في زمان أو مكان أو يقع بناحية منه وفي زمان غير زمانه متقدّم عليه أو متأخّر عنه. وقد تَكْتَنِفُ الشيء أشياء من جميع نواحيه. وكذلك تقع مكتنفاته في الزمان سابقة له وتالية. وتترتّب في القرب والبعد، في الزمان والمكان من أقرب ما يمكن إلى أقصى ما يمكن. وقد يقع الشيء في جميع نواحي الشيء في مرار عدّة، أو بأن يكن شيئاً يعمّ جهاته وكذلك في الزمان. ويتركّب من هذه الأحوال شتى صور من الكلام. وتكون المعاني الواقعة بهذه الاعتبارات بحسب ما قدّمته من تعدّد الأفعال وتعدّد مرفوعاتها ومنصوباتها أو اتّحاد جميع ذلك أو اتّحاد بعض من ذلك وتعدّد بعض[43]. فتتضاعف صور المعاني بذلك تضاعفا يعزّ إحصاؤه. والتركيبات التي تتنوّع بها هيآت العبارات وما تحتها من المعاني من جهة مواقع بعض المعاني من بعض في الأزمنة والأمكنة على ما تقدّم راجعة إلى المعاني التي تقدّم التعريف بأنّها تقع تحديدات في الأزمنة والأمكنة. وكثيرا ما يتأتّى في هذه التركيبات تقسيم الكلام وتفصيله إلى مقادير متعادلة متناسبة.

6 ـ **تنويـر:** وتتضاعف صور العبارات بما يوقع في معانيها من تحديدات ترجع إلى ما تكون عليه في نفوسها، من كونها عامّة أو خاصّة، كليّة أو جزئيّة. وتتضاعف أيضاً بحسب الأحكام الواقعة في المعاني بعد تحديداتها، من نفي وإثبات ومساواة أو ترجيح أو غير ذلك، ومن جهة كيفيّات المخاطبات في

---

43 ـ انظر 29.

المعاني **[12 ـ ب]** وكون ذلك يكون تأديّة أو اقتضاء ونحو ذلك. وكلّ واحد من هذه (.......)[44] له صيغ شتّى يعبّر بها عنه، فمع أنّ المعاني تتضاعف صورها بحسب ما تقدّم فإنّ هذه الأشياء أيضاً ممّا تتضاعف بها الصيغ والعبارات عن تلك المعاني فيؤدّي تنوّع صور المعاني والعبارات بجميع ذلك وبما قد ذكر أيضاً في غير هذا الموضع من هذا الكتاب ممّا تتكاثر به صور المعاني إلى وقوع المعاني على هيآت وصور يعزّ حصرها ولا يتأتّى استقصاؤها لكثرتها. وإنّما يعرف صحّتها من خللها أو حسنها من قبحها بالقوانين الكليّة التي تنسحب أحكامها على صنف صنف منها، ومن ضروب بيانها. ويعلم من تلك الجمل كيفيّة التفصيل. ولا بدّ مع ذلك من الذوق الصحيح والفكر المائز بين ما يناسب وما لا يناسب وما يصحّ وما لا يصحّ بالاستناد إلى تلك القوانين على كلّ جهة من جهات الاعتبار في ضروب التناسب وغير ذلك ممّا يقصد تحسين الكلام به.

7 ـ **إضـاءة:** وللأفكار تفاوت في تصرّفها في ضروب المعاني وضروب تركيبها من جميع هذه الجهات التي ذكرت. ويُتقوّى على ذلك بالطبع الفائق والفكر النافذ الناقد الرائق، وبالمعرفة بجميع ما يحتاج إلى معرفته في هذه الصناعة من حفظ الكلام والقوانين البلاغيّة التي تضمّن هذا الكتاب جملة كبيرة منها.

8 ـ **تنويـر:** وصور المعاني ضربان: صور متكرّرة وصور غير متكرّرة. والتكرار لا يجب أن يقع في المعاني إلاّ بمراعاة اختلاف ما في الحيّزين اللذين وقع فيهما التكرار من الكلام. فلا يخلو أن يكون ذلك إمّا لمخالفة في الوضع: بأن يقدّم في أحد الحيّزين ما أخّر في الآخر، أو بأن تختلف جهات التعلّق في الحيّزين، أو بأن يفهم المعنى أوّلا من جهة من جهات الإبهام ثمّ يورد مفسّرا من الجهة التي وقع فيها الإبهام، أو بأن يجمل ثم يفصّل وهذا يجتمع مع ما قبله من جهة ويفارقه من جهة أو **[13 ـ أ]** بأن يفصّل ثم يجمل الضرب من المقاصد، أو بأن يورد على صورة من الجمع والتفريق كما يقال: أنت وزيد بحران لكن أنت

---

44 ـ قطع بالورقة ذهب بمقدار كلمة.

للعذوبة وذلك للزعوفة[45] أو بأن تبان الجهتان اللتان توافى بهما الضدّان على الشيء كقوله[46]: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

........يُخْشَى ويتَّقى يُرَجّى الحَيَا منه وتُخْشَى الصواعقُ[47]

فعلى هذه الأنحاء وما ناسبها يقع التكرار في المعاني فيستحسن. وكثيرًا ما تقع التفصيلات والتفسيرات والتقسيمات في المعاني التي تكون من هذا القبيل.

9 ـ **إضاءة:** فمن أحكم التصرّف في هذا الضرب من المعاني المتكرّرة والضرب الآخر، وتصرّف فيهما من جهات أنواع التركيبات التي أشرنا إليها في ما تقدّم من هذا المعرف، كان كلامه ممتعا من كلّ فنّ من فنون البلاغة، وكان حسن الموقع من النفوس.

ومن كان له ذهن يتمكّن به له أن يفصّل ما أجملت في هذا الباب ويفرّغ ما أصّلت انتفع بهذا الباب نفعا كثيراً في هذه الصناعة، إذ لم يمكنّا نحن أن نتفرّغ إلى تفريع ذلك وتفصيله وتمثيله. فإنّ ذلك محوج إلى إطالة كثيرة. وإنّما نتحرّى أن نعدل بين الأبواب أو نقارب العدل في ما نذكره، ليكون كلّ باب قد تضمّن قسطا مقنعا ممّا يجب. فأما ما وراء الإقناع. فلا يمكن استقصاء ذلك في باب، فإنّ ذلك يضاعف حجم الكتاب، ويؤدّي إلى إقطاع هذه الصناعة من

---

45 ـ انظر أرسطو، (1) 165.

46 ـ المتنبي.

47 ـ البيت في النص غير تام، ومختلف الرواية عما هو عليه بالديوان وتمام البيت،:

فتى كالسحاب الجون يُخْشى ويُرتَجى يُرجَّى الحيا منه وتخشى الصواعق

وهو في قصيدة مدح بها أبو الطيب الحسين إسحق التنوخي مطلعها:

هو البيْن حتى ما تأنّى الحَزَائِق ويا قلبِ حتى أنتَ ممّن أفَارقُ؟

كلمة جون رواها أبو الفتح مضمونه الجيم، وغيره رواها مفتوحة، وهي على الأول جمع وعلى الثاني مفرد. وأختار الثاني لأنه أشدّ مناسبة في الظاهر للمنعوت وهو سحاب وآخر الصدر يرجى لا يتقى كما ورد في كلام حازم، وهو أملح وأدل على الاختلاف أو الطباق. العكبري(1) 1، 454 وأورد ابن سينا نفس المقدار من البيت شاهدًا على ما يأتي من ضروب التفصيل البياني. انظر أرسطو (1)،165.

عناية النفس فوق ما يجب لها إذ قدر العناية بالشيء إنّما يجب أن يكون بإزاء قدر المستفاد منه، وفائدة هذه الصناعة بحسب ما سحب عليها الزمان من أذيال الإذالة وألحفها من معرّة الخمول قليلة نزرة، بل إنّما غاية محكمها إذاية أهل الفدامة له ممّن يظنّ أنّ له قدما في الفصاحة، وهو منها بمنزلة الحضيض من السِّماك. فلذلك كان خليقا أن تكون العناية بهذه الصناعة غير بالغة أو تُصرَف عنها العناية بالجملة. ولا توفيق إلاّ بالله.

[13 ـ ب] هـ ـ معلم دالّ على طرق العلم باستثارة المعاني من مكامنها واستنباطها من معادنها.

لمّا كانت الموصوفات والأوصاف وجهات انتساب بعضها إلى بعض وجهات تعلّق الأغراض بها من ذوي الأغراض لا تحصى كثرة، وجب أن تكون المعاني التي هي مركّبة من تلك الأوصاف على حسب الأغراض أجدر بأن لا يستطاع إحصاؤها، ولكن يمكن أن ينبّه على الطرق التي بها تتطرّق الخواطر إليها وتتهدّى منها إلى تأليفها.

فأقول: إنّ الأصل الذي به يتوصّل إلى استثارة المعاني واستنباط تركيباتها هو التملّؤ من العلم بأوصاف الأشياء وما يتعلّق بها من أوصاف غيرها، والتنبّه للهيئات التي يكون عليها الْتآم تلك الأوصاف وموصوفاتها ونسب بعضها إلى بعض أحسن موقعاً من النفوس، والتفطّن إلى ما يليق بها من ذلك بحسب موضع موضع وغرض غرض.

1 ـ **إضاءة:** ولاقتباس المعاني واستثارتها طريقان: أحدهما تقتبس منه لمجرد الخيال وبحث الفكر، والثاني تقتبس منه بسبب زائد على الخيال والفكر.

فالأوّل يكون بالقوة الشاعرة بأنحاء اقتباس المعاني وملاحظة الوجوه التي منها تلتئم، ويحصل لها ذلك بقوّة التخيّل والملاحظة لنسب بعض الأشياء من بعض ولما يمتاز به(48) بعضها من بعض ويشارك به بعضها بعضا. ولكون خيالات مَا في الحسّ منتظمة في الفكر على حسب ما هي عليه، لا يتباين فيه ما تشابه في الحسّ ولا يتشابه فيه ما تباين في الحسّ. فإذا كانت صور الأشياء قد ارتسمَت في الخيال على حسب ما وقعت عليه في الوجود وكانت للنفس قوّة على معرفة **[14 - أ]** ما تماثل منها وما تناسب وما تخالف وما تضادّ، وبالجملة ما انتسب منها إلى الآخر نسبة ذاتيّةً أو عَرَضيَّةً ثابتةً أو منتقلةً أمكنها أن تركّب من انتساب بعضها إلى بعض تركيبات على حدّ القضايا الواقعة في الوجود التي تقدّم بها الحسّ والمشاهدة، وبالجملة الإدراك من أيّ طريق كان أو التي لم تقع لكن النفس تتصوّر ووقوعها لكون انتساب بعض أجزاء المعنى المؤلّف على هذا الحدّ إلى بعض مقبولا في العقل ممكنا عنده وجوده، وأن تنشئ على ذلك صورا شتّى من ضروب المعاني في ضروب الأغراض.

2 ـ **تنوير:** والطريق الثاني الذي اقتباس المعاني منه بسبب زائد على الخيال هو ما استند فيه بحثُ الفكر إلى كلام جرى في نظم أو نثر أو تاريخ أو حديث أو مثَل. فيبحث الخاطر فيما يستند إليه من ذلك على الظفر بما يسوغ له معه إيرادُ ذلك الكلام أو بعضه بنوع من التصرّف والتغيير أو التضمين فيُحيل على ذلك أو يضمّنُه أو يدمج الإشارةَ إليه أو يورد معناه في عبارة أخرى على جهة قلب أو نقل إلى مكان أحقّ به من المكان الذي هو فيه، أو ليزيدَ فيه فائدة فيتمّمه أو يتمّم به أو يحسّن العبارة خاصّة أو يصيّر المنثور منظومًا أو المنظوم منثورًا خاصّة. فأمّا من لا يقصد في ذلك إلاّ الارتفاق بالمعنى خاصّة، من غير تأثير من هذه التأثيرات، فإنّه البكيّ الطبع في هذه الصناعة الحقيقُ بالإقلاع عنها وإراحةِ خاطره ممّا لا يجدي عليه غيرَ المذمّة والتعب.

---

48 ـ بالأصل بها.

3 ـ **إضـاءة:** وبحثُه في ما استند إليه من تاريخ، على أن يناسب بين بعض مقاصد كلامه وبينه، فيحاكيه به أو يحيل به عليه أو يستشهد في ذلك على الحديث بالقديم، ويتصرّف فيه بالجملة نحوًا من التصاريف التي قدّمنا ذكرها.

4 ـ **تنويـر:** وبحثُه فيما استند إليه من حكمة أو مثل على أن يردف معاني كلامه بها مضمّناً لها بالجملة أو مشيرًا إليها **[14 ـ ب]** على جهة استدلال أو تعليل أو نحو ذلك. وقد يتصرّف في المثل بإبرازه في عبارة جديدة لا تشبه عبارته الأولى. وقد تُختصَرُ العباراتُ عن الأمثال فيورَدُ منها في البيت الواحد المثلان والثلاثة. وقد يُتمثّل بالمثل على غير ما تَمثّل به الأوّل. فربّما حسن موقعه من الكلام الثاني أكثر من حسنه في الكلام الأوّل. فإن كان موقعه في الكلام الأول أحسنَ عُدّ مُورده في الكلام الثاني مسيئاً مقصّراً. وقد يتصرّف في الأمثال والتواريخ والمنظوم والمنثور أنحاءَ من التصرّف غير هذه. وإنّما ذكرت من ذلك ماتيسّر.

و ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما توجد المعاني معه حاضرةً منتظمةً في الذهن على ما يجب أن يكون من بعض عائد إلى بعضٍ، وما به يكون كمالُ التصرّف فيها وفي سائر أركان هذه الصناعة على المذهب المختار.

لمّا كان[49] الشعرُ لا يتأتّى نظمُه على أكمل ما يمكن فيه إلاّ بحصول ثلاثة أشياء، وهي: المهيّئات والأدواتُ والبوعثُ، وكانت هذه المهيئات تحصل من جهتين:

1 ـ النشءُ في بقعة معتدلة الهواء، حسنة الوضع، طيّبة المطاعم، أنيقة المناظر، مُمْتِعةٍ من كلّ ما للأغراض الإنسانيّة به علقةٌ.

2 ـ والترعرع بين الفصحاءِ الألسنة المستعملين للأناشيد المقيمين للأوزان.

وكان المهيئ الأوّل موجّها طبعَ الناشئ إلى الكمال في صحّة اعتبار الكلام وحسن الرويّة في تفصيله وتقديره ومطابقة ما خارجَ الذهن به وإيقاع كلّ جزء منه في كلّ نحو ينحى به أحسنَ مواقعه وأعدلها حتّى يكون حسن نشءِ الكلام مُشبها

49 ـ فعل (لما) وبعده معطوفات كثيرة عليه، بإثرها الجواب وهو (وجب).

حسنَ نشءِ المتكلّم به. وقد تكون النشأة حسنة على غير هذا النحو. وذلك بأن تُستَجدّ الأهوية للناشئ وترتاد له مواقع المزن ومواضع الكلإ والنبات الغضّ، ولا يخيّم به في الموضع إلا ريثما يصوّح [15 - أ] كلأه ويغيض ماؤه، فإنّ الطباع الناشئة أيضاً على هذه الحال، وإن لم تكن في الأقاليم المعتدلة، جارية مجرى تلك في سداد الخاطر والتنبّه لما يحسن في هيآت الألفاظ المؤلّفة والمعاني وما لا يحسن. وعلى هذه الحال الثانية كان نشء شعراء العرب، وبذلك تهدّوا من تشقيق الكلام وتحسين هيآته اللفظيّة والمعنويّة إلى ما تهدّوا. ولو اتفق النشء على هذه الحال من استجداد الأهوية وارتياد الأماكن أزمنة شبابها لأمّة تكون أرضهم التي يتردّدون فيها أحسن الأرض بقعة وأمتعها وأعدلها هواء وكانت دواعيهم تتوفّر على جعل الكلام عدّة لما يراه من استثارة الأفعال الجمهوريّة أو كفكفتها بالإقناعات والتخاييل المستعملة فيه نحو توفّر دواعي العرب إلى ذلك لكانت هذه الأمّة أجدر أمّة أن تحوز قصبات السبق في الفصاحة وأن تستولي على الأمر الأقصى في ذلك. وأفصح قبائل العرب من شارف هذه الحال التي وصفنا أو قاربها.

والمهيّئ الثاني موجّه إيّاه لحفظ الكلام الفصيح وتحصيل الموادّ اللفظيّة والمعرفه بإقامة الأوزان.

وكانت الأدوات تنقسم إلى العلوم المتعلّقة بالألفاظ والعلوم المتعلّقة بالمعاني.

وكانت البواعث تنقسم إلى أطراب وإلى آمال. وكان كثير من الأطراب إنّما يعتري أهل الرحّل بالحنين إلى ما عهدوه ومن فارقوه، والآمال إنّما تعلّق بخدّام الدول النافعة وجب[50] ألاّ تكمل تلك المهيّآت للشاعر إلاّ بطيب البقعة وفصاحة الأمّة وكرم الدّول ومعاهدة التنقّل والرحلة. فقلّما برع في المعاني من لم تنشئه بقعة فاضلة، ولا في الألفاظ من لم ينشأ بن أمّة فصيحة، ولا في جودة النظم من لم يحمله على مصابرة الخواطر في إعمال الرويّة الثقة بما يرجوه من

---

50 ـ جواب (لما) المذكورة في أول المعرف.

تلقاء الدولة، ولا في رقّة أسلوب النسيب من لم تشطّ به عن أحبابه رحلة ولا شاهد موقفَ فُرقة.

1 ـ **إضـاءة:** ولمّا كان القول **[15 ـ ب]** في الشعر لا يخلو من أن يكون وصفاً أو تشبيهًا أو حكمةً أو تاريخاً احتاج الشاعر أن تكون له معرفة بنعوت الأشياء التي من شأن الشعر أن يتعرّض لوصفها، ولمعرفة مجاري أمور الدنيا وأنحاء تصرّف الأزمنة والأحوال، وأن تكون له قوّة ملاحظة لما يناسب الأشياء والقضايا الواقعة من أشياء أخر تشبهها، وقضايا متقدّمة تشبه التي في الحال.

2 ـ **تنويـر:** ولا يكمل لشاعر قول على الوجه المختار إلاّ بأن تكون له قوّة حافظة وقوّة مائزة وقوّة صانعة،

فأمّا القوّة الحافظة فهي أن تكون خيالات الفكر منتظمة، ممتازا بعضها عن بعض، محفوظا كلُّها في نصابه. فإذا أراد مثلاً أن يقول غرضا مّا في نسيب أو مديح أو غير ذلك وجد خياله اللاّئق به قد أهّبته له القوّة الحافظة بكون صور الأشياء مترتّبة فيها على حدّ ما وقعت عليه في الوجود، فإذا أجال خاطره في تصوّرها فكأنّه اجتلى حقائقها. وكثير من خواطر الشعراء تكون معتكرة الخيالات، غير منتظمة التصوّر، فإذا أجال خاطره في أوصاف الأشياء وخيالاتها اشتبهت عليه واختلطت وأخذ منها غير ما يليق بمقصده وبالموضع الذي يحتاج فيه إلى ذلك.

وكان المنتظم الخيالات كالناظم الذي تكون عنده أنماط الجواهر مجزّأة محفوظة المواضع عنده. فإذا أراد أيّ حجر شاء على أيّ مقدار شاء عمد إلى الموضع الذي يعلم أنّه فيه فأخذه منه ونظمه. وكذلك من كانت خيالاته وتصوّراته منتظمة متميّزة فإنّه يقصد بملاحظة الخاطر منها إلى ما شاء فلا يعدوه.

والمعتكر الخيالات كناظم تكون جواهره مختلطة، فإذا أراد حجرًا على صفة مّا تعب في تفتيشه، وربّما لم يقع على البغية، فنظم في الموضع غير ما

يليق به. والمعتكر الخيالات في هذه الحال أجدر بطول السَدَر لكون الأشياء التي في الحسّ أوضح من التي في التصوّر **[16 - أ]** والذهن.

3 ـ **إضـاءة:** والقوّة المائزة هي التي بها يميّز الإنسان ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب والعرض ممّا لا يلائم ذلك، وما يصح ممّا لا يصح. والقوى الصانعة هي القوى التي تتولّى العمل في ضمّ بعض أجزاء الألفاظ والمعاني والتركيبات النظمية والمذاهب الأسلوبية إلى بعض والتدرّج من بعضها إلى بعض، وبالجملة التي تتولّى جميع ما تلتئم به كليّات هذه الصناعة.

وهذه القوى التي هي الحافظة والمميّزة والملاحظ والصانعة وما جرى مجراها، في احتياج الشاعر أن تكون موجودة في طبعه على ما سنفصّله في القسم الثالث[51] إن شاء الله، هي المعبّر عنها بالطبع الجيّد في هذه الصناعة.

ز ـ معلَم دالّ على طرق العلم بالمناسبة بين بعض المعاني وبعض، والمقارنة بين ما تناظر منها.

إنّ المعاني منها ما يتطالب بحسب الإسناد خاصّة، ومنها ما يتطالب بحسب الإسناد وبحسب انتساب بعض المعاني إلى بعض في أنفُسها بكونها أمثالاً أو أشباها أو أضدادًا أو متقاربات من الأمثال أو الأضداد.

فالنسب الإسناديّة تلاحظ الأفكار فيها أربعة أشياء وهو: البيان والمبالغة والمناسبة والمشاكلة التي يكون سببها من الخفاء بحيث قد يتعذّر عرفان كنهه.

1 ـ **إضـاءة:** فأمّا ما التطالب فيه بحسب انتساب بعض المعاني إلى بعض فلا تخلو النسبة فيه من أن تقع بين المعنيين بواسطة أو بغير واسطة، فأمّا ما وقعت فيه بغير واسطة فيمكن حصر أنواعه وصوره، وأمّا ما تقع فيه النسب بواسطة فعزيز حصرها فيه لكون كلّ معنى يمكن أن يكون جهة للتطالب بين

---

51 ـ انظر 177، وما بعدها.

معنيين بتوسّطه، وجهة التطالب هي النسبة. ولقوى النفوس تفاضل في ملاحظة الجهة[16 ـ ب] النبيهة في نسبة معنى إلىمعنى والتنبّه إليها، ومبحثها في ذلك على الجهات التي تفيد معان كالتشبيهات والتتميمات والمبالغات والتعليلات وغير ذلك من ضروب الوجوه التي تكسب الكلام حسنا وإبداعا.

2 ـ **تنويـر:** واعلم أنّ النسب الفائقة إذا وقعت بين هذه المعاني المتطالبة بأنفسها على الصور المختارة التي تقدّم ذكرها في القسم الأوّل في الكلام على ما تناظر من الكلم[52] من حيث إنّ المعاني متناظرة كان ذلك من أحسن ما يقع في الشعر. فإنّ للنفوس في تقارب المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادّات وما جرى مجراها تحريكاً وإيلاعاً بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأنّ تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سنوح ذلك لها في شيء واحد. وكذلك حال القُبح وما كان أملك للنفس وأمكن منها فهوأشد تحريكا لها. وكذلك أيضاً مثول الحسَن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن ممّا يزيد غبطة بالواحد وتخلّيا عن الآخر لتبين حال الضدّ بالمثول إزاء ضدّه. فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبا.

3 ـ **إضـاءة:** وإذا كان في كلّ صورة من هذه المتقابلات زيادة معنى على التقابل المفرد زادت الصيغة حسنا كالقلب الذي يعرض في المتماثلات وذلك كقول بعضهم[53]: [البسيط ـ ق ـ المتواتر]

فَلْيَعْجَبِ النّاسُ منّي أنّ لي بدنًا لا رُوحَ فيه، ولي رُوحٌ بِلاَ بَدَنِ

وكإيراد المتشابهات بلفظ التماثل، كقول حبيب[54]:

[الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

52 ـ إشارة إلى بعض أغراض القسم المفقود من **المنهاج**.

53 ـ لم أقف على نسبة البيت في كتب الأدب والدواوين ولعله من الفرائد المشهورة.

54 ـ البيت من قصيدة يمدح بها أبو تمام إسماعيل بن شهاب ومطلعها:

أيها البرق بت بأعلى البِراق واغد فيها بوابلٍ غيداقِ!

التبريزي، ٢ ، 447.

دِمـنٌ طالمـا التَقـَت أدْمـع ألمُـزْ   نِ عليْـهَـا، وأدْمـعُ العُـشّـاق

4 ـ **تنويـر:** واعلم أنّ التماثل والتشابه والتخالف قد يقع في أشياء كثيرة الوجود، وقد لا تقع هذه النسب إلاّ في أشياء قليلة، وقد لا توجد واقعة في أكثر من شيئين. فربّما وجد متماثلان لا يوجد لهما **[17 ـ أ]** مماثل ثالث بالجملة، أو بالنسبة إلى مثل حالهما في الوجود، وكذلك قد يوجد المتشابهان والمتخالفان على مثل هذه الحال.

5 ـ **إضـاءة:** وكلّما كانت المتماثلات أو المتشابهات أو المتخالفات قليلاً وجودها وأمكن استيعابها مع ذلك أو استيعاب أشرفها وأشدّها تقدّماً في الغرض الذي ذكرت من أجله كانت النفوس بذلك أشدّ إعجابًا وأكثر له تحرّكًا. فإن كانت الأمثال أو الأشباه عتيدة الوجود لم يحسن الاستيعاب، ووجب التخطّي فيها من الأشرف إلى الأشرف، وكان جديرًا ألاّ يناسب منها إلاّ بين ذوات الشهرة والمناسبة لغرض الكلام. ولا تجد النفس للمناسبة بين ما كثر وجوده ما تجد لما قلّ، من الهزّة وحسن الموقع، لكونها لا تستغرب جلب العتيد استغرابها لجلب ما عزّ.

6 ـ **تنويـر:** وإذا كان معنى التمثال أو التشابه منتسبًا إلى شيئين أو أشياء مشتركة فيه كان الوجه ألاّ يُعاد ذلك المعنى مع كلّ واحد من الشيئين أو الأشياء، وأن يكتفي بذكره مرّة مع أحد تلك الأشياء على نَحْوٍ من العبارة يَغنى بها فيه عن التكرار إيثارا للاختصار، فيقدّم محلّ التماثل أو التّشابه على الأشياء المشتركة في ذلك أو يؤخّر عنها، وتورد تلك الأشياء متناسقة، وتقديمه أحسن. ويتّفق على هذا الوجه أن يكون الكلام، مع كونه من هذا الباب، معدودًا في التقسيم كقول التّهامي: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

أبَـان لنـا مِـن دُرّه يـومَ ودَّعَـا   عُقُـودًا وألفاظًـا وثَغـرًا وأدْمُعَـا[55]

فاكتفى بذكر الدرّ مرة، واورد الأشياء المنتسبة إليه إيرادًا تقسيميّاً

55 ـ البيت مطلع قصيدة لأبي الحسن التهامي، يمدح بها أبا غانم البابلي، **الديوان**، 100.

وقد يتّفق أن ينضاف فيه إلى التقسيم التفسير. كقول الشاعر: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

ثلاثـةٌ تُشـرق الدنيـا ببَهْجَتِهـم: شمسُ الضحى، وأبو إسحاقَ، والقمرُ(56)

وقد يعدّ من هذا النّحو قول البحتري: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

فـي حُلَّتَـيْ حِبَـرٍ وروضٍ فالْتَقَـى وَشْـيَانِ: وَشـيُ رُبًـى ووَشْـيُ بُـرودِ(57)

[17 ب] وقد يسوغ إجراء الشيئين مجرى الأشياء في الاكتفاء بذكر محلّ التماثل والتشابه مرّة وإجراء الأشياء مجرى الشيئين في إعادة محلّ التماثل مع كلّ واحد منهما.

7 ـ **إضـاءة:** وأمّا المتخالفات والمتضادّات فقد تكون الصيغ أيضاً فيها تقسيميّة وتفسيريّة. واستقصاء الكلام في ما أشرنا إليه بهذا المعلم يُخْرِجُ عن غرض الاختِصار والاقتصاد. وإنّما أوردت ما أوردت من الكلام فيه كاللمحة الدالّة، ومن فهم أصول هذا الباب سهُل عليه تتبّع فروعه واعتبار مواقع النسب فيها، وهو باب شريف.

ح ـ مأمّ من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعلم وما تقدّم في المعلم المفتتح به هذا المنهج الذي فيه يقول، وهو المذهب الذي تقصد فيه المطابقة.

وذلك بأن يوضع أحد المعنيين المتضادّين أو المتخالفين من الآخر وضعًا متلائماً. وقدامة يخالف في هذه التسمية. فيجعل المطابقة تماثل المادّة في لفظين

56 ـ البيت لمحمد بن وهيب. وهو مطلع قصيدة يمدح بها الشاعر الخليفة المعتصم. والبيت بلفظ بهجتها مكان بهجتهم. العباسي، (2)، 1، 215.

57 ـ البيت من قصيدة يمدح بها البحتريّ أبو عبادة الوليد الخليفة المتوكل، مطلعها:

شغلان من عذل ومن تفنيـد .:. ورسيسُ حبّ طارف وتليـد

الديوان، 8، 1.

متغايري المعنى، ويسمّي تضادّ المعنيين تكافؤا[58]. ولا تشاحّ في الاصطلاح. ولفظ المطابقة مشتقّ إمّا من قولك: هذا لهذا طَبَق أي مقدار لا يزيد عليه ولا ينقص. وإذا كان حقيقة الطباق مقابلة الشيء بما هو على قدره ومن وِفْقِهِ سُمّي المتضادان إذا تَقَابَلاَ ولاءم أحدهما في الوضع الآخر متطابقين. قال الخليل: «يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حدّ واحد وألصقتهما».

وإمّا من قولك: طابق الفرس إذا وقعت رجلاه في موضع يديه. قال الجعدي: [المتقارب - ق - المتواتر]

وخَيْلٍ يُطابقنَ بالدّارِعِين طِبَاق الكلاب، يَطَأنَ الهِرَاسَا[59]

1 - **إضاءة:** والمطابقة تنقسم إلى محضة وغير محضة.

فالمحضة مفاجأة **[18 - أ]** اللفظ بما يضادّه من جهة المعنى كقول جرير:

[الطويل - ق - المتدارك]

وبَاسِطَ خيرٍ فيكُمُ بيمينه وقابِضَ شرٍّ عنكُمُ بشماليَا[60]

فقوله باسط وقابض وخير وشرّ من المطابقات المحضة. ومن ذلك قول دعبل: [الكامل - ق - المتراكب]

لا تعجَبي يا سَلْمَ من رجُل ضحِك المشيبُ برأسه فبكى[61]

---

58 - يراجع لتحرير التسمية فصل: ومن نعوت المعاني التكافؤ قدامة،(3)، 92،78 وفي تفصيل الخلاف: الخفاجي، 188- 190.

59 - البيت وارد بمفرده. **اللسان**، ١٢، 80.

60 - البيت من قصيدة واردة في النقائض، نظمها جرير يخاطب بها الفرزدق، ومطلعها:

ألا حي رهبَى ثم حي المطاليا فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا

ويقول أبو عبيدة: هي نقيضة لقصيدة الفرزدق:

ألم تر أني يوم جوّ سويقة بكيت، فنادتني هنيدة، ماليا؟

الديوان، 605.

61 - البيت من قصيدة له مطلعها:

أين الشباب وأية سلكا؟ لا، أين يطلب؟ ضل، بل هلكا

قدامة، (1)، 53. العباسي، (2)،٢، 202،184.

وغير المحضة تنقسم إلى مقابلة الشيء بما يتنزّل منه منزلة الضدّ وإلى مقابلة الشيء بما يخالفه.

فأمّا ما تنزّل منزلة الضدّ فمثل قول الشريف: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

أبكـي ويَبسِـمُ والدُجـى مَـا بيننـا حتّـى أضَـاء بِثَغْـرِه، ودُمُوعـي[62]

فتنزّل التبسم منزلة الضحك في المطابقة.

وأمّا المخالف فهو مقارنة الشيء بما يقرب من مضادّه كقول عمرو ابن كلثوم: [الوافر ـ ق ـ المتواتر]

بأنّـا نُـورِد الرَّايَاتِ بِيضــهـا ونُصْدرُهُـنّ حُمَـرا قَـدْ روينـا[63]

ومن أبدع ما ضوعفت فيه المطابقة وجاءت العبارة الدالّة عليها في أحسن ترتيب وأبدع تركيب قول أبي الطيّب المتنبّي: [البسيط ـ ق ـ المتواتر]

أَزُورهُـم وسَـوادُ اللّيـل يَشْـفَعُ لِي وأَنْثَنِـي وبيَـاضُ الصُبْـحِ يُغْـري بـي[64]

وقد اجتمع في هذا البيت صنفا المطابقة: المحضة وغير المحضة.

2 ـ **تنويـر:** وقد تكون المطابـقة بالإيجاب والسلب كقول السموءل:

---

62 ـ البيت من قصيدة له في الغزل مطلعها:

يا صاحب القلـب الصحيح أما اشتفى ألمُ الجوى من قلـبيَ المصـدوعِ؟

الديوان، 496،1.

63 ـ البيت من المعلّقة ومطلعها:

ألا هـبِّي بصحنِك فاصبحـينا ولا تبـقي خمـور الأنـدرينـا

العباسي، (2)، ٢، 180.

64 ـ هذا البيت أمير شعر المتنبي، وهو من مفاخره ونوادره الغالية، وهو من القصيد المشهورة جدا، الغريبة المنزع البديعة المشرع، التي مدح بها كافور الإخشيدي صاحب مصر، وهي التي مطلعها:

من الجـآذر في زي الأعاريـب حمر الحلى، والمطايا والجلابيـب؟

العكبري، (1)،104،1.

[الطويل ـ ق ـ المتواتر]

ونُنْكِرُ إنْ شِـئْنَا على النـاس قولَهمْ ولا يُنكِـرون القـولَ، حيـن نَقُـولُ [65]

وقول البحتري: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

تقيَّضَ لـي من حيث لاَ أعلَمُ النَوى ويَسْـرِي إلَيَّ الشوقُ، من حيثُ أعلَمُ [66]

وقد تقع المطابقة بغير اللفظ الصريح فيها، كقول بعضهم:

[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

فـإنْ تَقْتُلونـي فـي الحَديـد فإنَّنـي قَتَلْـتُ أخاكـم، مُطلَقـا لـم يُكبَّـلِ [67]

وقد يوجد في الكلام ما صورته صورة الطباق وليس بمطابقة من جهة المعنى كقول قيس بن الخطيم: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وإنِّـي لأغنَـى النـاسِ عـن مُتَكَلِّفٍ يـرى النـاسَ ضُـلاّلاً وليـس بِمُهتـدِ [68]

3 ـ **إضـاءة:** ويجري مجرى المطابقة تخالفُ وضع الألفاظ لتخالـف في **[18 ـ ب]** وضع المعاني، ولنسبة بعضها من بعض، فيقع بذلك بين جزءين

---

65 ـ البيت من قصيدة له مطلعها:

إذا المـرء لم يدنس من اللـؤم عرضـه فكـل رداء يرتديـه جميـلُ

المرزوقي، 1، 120.

66 ـ البيت من قصيدة له في مدح الوزير الفتح بن خاقان مطلعها:

خيـالٌ ملمّ أو حبيـب مسلـم وبرق تجـلى أو حريق مضـرم؟

الديوان، 1، 96.

67 ـ روي البيت بـ«لم يقيد»، بدل لم يكبّل كما في النص، وهو منسوب إلى الهدبة بن خشرم العذري، قاله عند الاقتصاص منه، كما هو وارد في القصة التي ذكرها المبرد في **كامله**.

المرصفي، ٨، 243.

68 ـ البيت من قطعة له أولها:

تراءت لنا يوم الرحيل بمقلـتيْ غرير بملتـفّ من الدر مفـرد

الجمحي، 192.

من أجزاء الكلام نسبتان متخالفتان، فيجري ذلك مجرى المطابقة في الألفاظ المفردة كقول بعضهم: [الرمل ـ ق ـ المتدارك]

أنــتَ للمـالِ إذَا أصلحْتَـهُ فـإذا أنفقْتَـهُ فالمـالُ لَـكْ[69]

ومن هذا النحو قول بعضهم: «إنّ من خوّفك حتّى تَلْقَى الأمنَ خيرٌ ممّن أمَّنك حتّى تلقى الخوف»[70]. ويسمّى هذا النوع من الكلام التبديل.

وقد تكلّم الناس في ضروب المطابقات وبسطوا القول فيها فلا معنى للإطالة إذ قصدنا أن نتخطّى ظواهر هذه الصناعة وما فرغ الناس منه إلى ما وراء ذلك ممّا لم يفرغ منه.

ط ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بالمعلم المتقدّم أيضاً وهو مذهب المقابلـة.

وإنّما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضا والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب، على صفة من الوضع تلائم بها عبارةُ أحد المعنيين عبارةَ الآخر كما لاءم كلا المعنيين في ذلك صاحبه.

1 ـ **إضـاءة:** وأنواع المقابلات تتشعّب. وقلّ من تجده يفطن لمواقع كثير منها في الكلام. كما أنّ كثيرًا من الناس يعدّ من المقابلة ما ليس منها. وأكثر ما يشعر به منها مقابلة التضاد والتخالف، كقول الجعدي: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

فتًـى تَـمَّ فيـه مَـا يَسُـرُّ صديقَـهُ علـى أنّ فيـه مـا يَسُـوءُ الأعاديَـا[71]

---

69 ـ روي الصدر بغير الوجه الذي هو عليه في هذا النص، فجاء بإذا أمسكته بدل إذا أصلحته، وهو أصوب لتحقيق المطابقة فيما يظهر، ابن رشيق، ٢، 8.

70 ـ هو قول الحسن البصري . انظر الخفاجي، 192.

71 ـ البيت في الديوان بلفظ كان بدل تم. وهو من مقطوع مزدوج، يليه بيت ثان. انظر المرزوقي، ٢، 969.

2ـ **تنويـر:** فإذا وضع أحد المعنيين **[19 - أ]** (.....)[72] هذه الصفة بإزاء الآخر ومقابلا له كان الكلام بذلك (.........)[73] بعضه بعضا، ومتسبا أواخره إلى أوّله. فكان للكلام بذلك حسن موقع من النفس.

3 ـ **إضـاءة:** وليس يشترط تحاذي عبارتي المعنيين المتقابلين في طرفي الكلام في الرتبة. وإذا أمكن تقابلهما فهو أحسن. وأنشد قدامة في ما تحاذت فيه العبارة: [الطويل ـ ق ـ المتدارك

فَيَـا عَجَبًـا، كيـفَ اتفَقْنـا فَنَاصـحٌ   وفِـيٌّ، ومَطْـويٌّ علـى الغِـشِّ غَـادِرُ[74]

فقابل النصح والوفاء بالغشّ والغدر.

وأنشد أيضاً فيما لم تتحاذَ فيه عبارتا المعنيين المتقابلين:

[والوافر ـ ق ـ المتواتر]

أَسَرْنَاهـــم   وأنعَـــمْنَـا   عليهــم   وسَـقَّـيْنَا   دمَـاءَهُـمُ   الــترابا

فمـا صَبَـروا لِضَـربٍ عنـدَ حـرْبٍ   ولا أَدّوْا لحُسْـنِ يـدٍ ثَـوابـا[75]

فقابل ما في صدر البيت الأوّل بما في عجز الثاني، وما في عجز الأوّل بما في صدر الثاني.

وأنشَدَ الخفاجي: [الطويل.ق ـ المتواتر]

72 ـ قطع بأعلى الصفحة مقدار كلمة.

73 ـ قطع مثله.

74 ـ ورد البيت غيرمنسوب. وهو شاهد المقابلات. قال ابن رشيق: «مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء.» وهذا يؤكد ما ورد في النص من نسبة إنشاد البيت لصاحب نقد الشعر، وقد ذكر قدامة، (3)، 72، عدد 400 في باب المقابلات، والشاهد موجود كما ذكرنا في العمدة. انظر ابن رشيق، 14، 2.

75 ـ ورد ذكر البيتين ونسبتهما للطرماح. والبيت الثاني بلفظ بأس بدل ضرب. انظر قدامة، (1)، 48، الخفاجي، 252.

جــزَى اللهُ خيرا ذاتَ بَعْـلٍ تَصَدَّقت   علـى عَـزَبٍ حتّـى يكـونَ لـه أهْـلُ
فإنّــا سـنَجْزيها بحُسـنِ فِعَالهـا   إذا مَـا تزوّجنـا وليـس لهـا بَعْـلُ[76]

فجعل في مقابلة أن تكون المرأة ذاب بعل وهو لا زوج له أن يكون هو ذا زوج وهي لا بعل لها، وحاجته وهو عزب بحاجتها وهي كذلك، وهذه مقابلة صحيحة.

4- **تنويـر:** ومن ضروب المقابلـة أيضاً قـول تأبّـط شـرّا:

[الطويل - ق - المتدارك]

أَهُـزُّ بِهَـا فـي نَـدْوةِ الحَـيِّ عِطْفَـه   كَمَـا هَـزَّ عِطْفـي بالهِجـانِ الأوارِكِ[77]

فقابل هزّ عطفه بالْمنحة بهزّ عطف ممدوحه بالمدحة.

ومن المقابلة الصحيحة قول الفرزدق: [الطويل - ق - المتدارك]

وإنَّـا لَتَمضِـي بالأكُـفِّ رِمَاحُنـا   إذا أُرْعِشَـت أيديكـمُ بالمَعَالِـقِ[78]

---

76 - أنشد هذين البيتين قدامة والخفاجي في كتابيهما ولم يصرّحا باسم صاحبهما واكتفيا بقولهما: ومن ذلك قول الآخر أو ولآخر. وتختلف رواية صدر البيت الثاني عما ها هنا عند قدامة إذ يقول: (فإنا سنجزيها كما فعلت بنا)، بدل (فإنا سنجزيها بحسن فعالها).
قدامة،(1)،48، الخفاجي.252.

77 - البيت من قصيدته التي مطلعها:
إني لمهـــد من ثنــائي فقاصــدٌ   به لابن عم الصدق: شمس بن مالك
المرزوقي،94،1.

78 - يروى البيت في الديوان بلفظ لتروي بدل لتمضي، والروايتان صحيحتان، والبيت من قصيدة له في النقائض مطلعها:
إن تك كلبا من كليب، فإنـــني   من الدراميّين الطوال الشقاشــق
وفي هذا المطلع خرم لا يستقيم به الوزن ولعله مسبوق ببيت أو بأبيات، حذفت فحذف معها حرف عطف مكان الواو الذي يستقيم به الوزن.
وهي نقيضة قصيدة جرير التي هجاه بها، ومطلعها:
ألا حي أهل الجـوف قبـل العوائـق   ومن قبل روعات الحبيب المفارق
الديوان، ٢، 594.

ومن صحيح المقابلة في النثر قول هند بن النعمان: «شكَرَتْكَ يدٌ نالتها خَصَاصَةٌ بعدَ نعمةٍ، ولا ملَكَتْكَ **[19 ـ ب]** يدٌ نالت ثروةً بعد فاقة»(79). وكتب بعضهم: «ولو أنّ [الأقدارَ إذْ] رَمَت بكَ من المراتب في أعلاها بلغتَ في أفْعال السؤدد إلى [ما وأزاها]، فوازيتَ بمساعيك مراقيك وعادلتَ النعمة عليك بالنعمة فيك، ولكنّك قابلتَ سُمُوّ الدرجة بدُنُوِّ الهمّة ورفيعَ الرتبة بوضيعَ الشيمة، فعاد علوّك بالاتّفاق إلى حال دنوّك بالاستحقاق وصار جَناحُك في الانهياض إلى ما عليه قدرك في الانخفاض. فلا لوم على القدر إذ أذنب فيك فأناب وغلط بك فعاد إلى الصواب»(80).

وهذه مقابلات صحيحة كلّها.

5ـ **إضـاءة:** ومن فساد المقابلة قول أبي عديّ: [الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

يـا ابنَ خيرِ الأخيار من عبدِ شـمسٍ   أنـتَ زيـنُ الدنيـا وغيـثُ الجـودِ(81)

لأن غيث الجنود ليس مقابلاً لزين الدنيا من طريق المقاربة ولا التضادّ.

ي ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بالمعلم المتقدّم أيضاً وهو مذهب التقسيم.

والتقسيم ضروب. فمن ذلك تعديد أشياء ينقسم إليها شيء لا يمكن انقسامه إلى أكثر منها، ومنها تعديد أشياء تكون لازمة عن شيء على سبيل الاجتماع أو التعاقب، ومنها تعديد أشياء تتقاسمها أشياء لا يصلح أن ينسب منها شيء إلاّ

79 ـ وردت هذه الجملة بلفظ قريب ممّا رواه حازم. قالت الحرقة هند بنت النعمان بن المنذر: «شكرتك يَـدٌ أفْقَرَتْك بعد غنى، ولا ملكتك يد استغنت بعْد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه، ولا أزال عن كريم نعمة إلا جعلك سببًا لردها إليه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، وعقد لك المنن في أعناق الكرام» شيخو، 26.

80 ـ ورد هذا النص مع خلاف قليل في لفظه. انظر الخفاجي، 252.

81 ـ البيت مفرد، وبهذا الوجه أورده قدامة،(1)،77، الخفاجي، 252.

إلى ما نسب إليه من الأشياء المتقاسمة، ومنها تعديد أجزاء من شيء تتقاسمها أشياء أو أجزاء من شيء، وتكون الأجزاء المعدودة إمّا جملة أجزاء الشيء أو أشهر أجزائه وأليقها بغرض الكلام، ويكون كلّ جزء منها لا يصلح أن ينسب إلى غير ما نسب إليه بالنّظر إلى صحّة المعنى، ومنها تعديد أشياء محمودة أو مذمومة من شيء متّفقة في الشهرة **[20 - أ]** والتناسب.

1 ـ **إضـاءة:** فما ركّب من هذا القسم[82] الأخير وما قبله ممّا ليس انقسامه إلى ما قسّم إليه ضروريّا لا تمكن الزيادة عليه ولا النقص منه، فإنّه يسمّى تقسيما على التسامح، ويسمّى أيضاً تقطيعا. وما ركّب من الأقسام المتقدّمة فإنّه التقسيم الصحيح.

2ـ **تنويـر:** وينبغي أن يتحرّز في القسمة من وقوع النقص فيها أو التداخل أو وقوع الأمرين فيها معا. فإنّ ذلك ممّا يعيب المعاني ويسلب بهجتها ويزيل طلاوتها. كما أنّ القسمة إذا تمّت وسلمت من الخلل الداخل فيها من حيث ذُكر وطابق حسن تركيب العبارة فيها حسن ترتيب المعاني كان الكلام بذلك أنيق الديباجة قسيم الرواء والهيئة.

واستقصاء الكلام في ما أشرت إليه من أنحاء القسمة وتفصيل القول في تمثيل ما رسمناه في ذلك مُحْوِج إلى إطالة تخرج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب. وقد تقدّم التعريف بذلك، ولكنّي سألمع بأمثلة يسيرة من القسمة الصحيحة وما وقع فيه الخلل من ذلك عند التكلّم في ما تكون عليه المعاني من كمال أو نقص. فليتصفّح ذلك في المنهج الرابع[83]، من هذا القسم، إن شاء الله تعالى.

---

82 ـ بالأصل الاسم.
83 ـ انظر 136، 139.

يا ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بما تقدّم أيضاً، وهو مذهب التفسير.

والتفسير أيضاً أنواع. فمنه تفسير الإيضاح وهو إرداف معنى فيه إبهام مّا بمعنى مماثل له إلاّ أنّه أوضح منه. ومن ذلك قول أبي الطيب:

[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

ذَكِيٌّ تَظَنّيه طَليعةُ عَيْنه يَرَى قلبُه فِي يومِهِ مَا تَرى غَدا[84]

ومنه تفسير التعليل نحو قول أبي الحسن مهيار ابن مرزويه:

[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

بَكَيْتُ على الوادِي فحَرَّمتُ مَاءَهُ وكَيْفَ يَحِلُّ [الماءُ] أكثَرُه دَمُ؟[85]

[20 ـ ب] ومنه تفسير السبب نحو قوله: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

..........يُرْجَى ويُتَّقَى يُرَجَّى الحَيَا منه وتُخْشَى الصَواعِقُ[86]

ومنه تفسير الغاية، ومنه تفسير التضمّن نحو قول ابن الرومي:

[البسيط ـ ق ـ المتواتر]

خبِّرْهُ بالدّاء، واسألْهُ بحيلته تُخبَرْ وتَسْألْ أخَا فَهْم وإفْهام[87]

---

84 ـ البيت من القصيدة التي مدح بها أبو الطيب سيف الدولة، وهنأه فيها بعيد الإضحى، مطلعها:
لكل امرئ من دهره ما تعوّدا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
العكبري، (1)، 1، 175.

85 ـ البيت من قصيدة لمهيارالديلمي في عتاب الكافي الأوحد، مطلعها:
أجيراننا بالغور، والركب متهم أيعلم خال كيف بات المتيّم؟
ومابين معقفين ليس في أصل الديوان.
الديوان، ٢، 344.

86 ـ انظر ما قدمناه فيما يتعلق بهذا البيت 33 تع 2.

87 ـ لم نقف عليه في القسم المطبوع من ديوان ابن الرومي، ولا في كتب الأدب المتداولة ولا في كتب النقد، [ثم عثرنا عليه في ديوان ابن الرومي تحقيق حسين نصّار 2247:6 وفيه «تَسَلْ» بدل و«تسألْ» وهو من قصيدة بها اثنان وثمانون بيتاً].

ومنه تفسير الإجمال والتفصيل كقول بعضهم: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

أذْكَى وأخْمدَ للعَدَاوة والقِرَى ناريْن: نارَ وغًى، ونارَ زنادِ[88]

1ـ **إضاءة:** ويجب أن يُتَحرّى في التفسير مطابقة المفسِّر المفسَّر وأن يُتحرّز في ذلك من نقص المفسِّر عمّا يحتاج إليه في إيضاح المعنى المفسّر، أو أن تكون في ذلك زيادة لا تليق بالغرض، أو أن يكون المفسّر زيغ عن سَنَنِ المعنى المفسِّر وعدول عن طريق حتى يكون غير مناسب له ولو من بعض أنحائه، بل يجهد في أن يكون وفقه من جميع الأنحاء.

2ـ **تنوير:** وممّا جاء من التفسير غير وفق للمعنى المفسّر قول بعضهم: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

فَيَا أيُّها الحَيْرانُ في ظُلَم الدُجى ومَن خاف أن يَلْقاهُ بغيٌ منَ العِدَا

تعالَ إليه تَلْقَ من نُورِ وَجْهِهِ ضِيَاءً، ومن كفَّيهِ بحرًا من النّدا[89]

فمقابلة ما في عجز البيت الأوّل بما في عجز الثاني غير صحيحة. والتسامح في إيراد التفسير على مثل هذا مُخلّ بوضع المعاني ومُذْهِبٌ لطلاوة الكلام، فينبغي أن يُتحرّز منه وألاّ يُتسامح في مثله.

يب ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بالمعلم المتقدّم أيضاً وهو مذهب التفريع.

وهو أن يصف الشاعر شيئاً بوصف مّا. ثمّ يلتفت إلى شيء آخر يوصف بصفة مماثلة، أو مشابهة، أو مخالفة لما وُصف به الأوّل، فيستدرج **[21 ـ أ]** من

88 ـ البيت لبكر بن النطاح الحنفي، وروايته: أذكى وأوقد. وهو أصح لأن هذا، وإن فاتَهُ حسن الطباق، لا يفوته تمام المناسبة للزّناد وهو في الإيقاد لا في الإخماد: ابن رشيق، ٢، 15.

89 ـ أورد البيتين قدامة مصرحا أن صاحبهما من معاصريه وتلاميذه ولم يسمه. وقال الخفاجي: «وأما فساد التفسير فكقول بعضهم» وذكرهما المرزباني في عيوب التفسير كما فعل قدامة، وفي نسبتهما: «مثل قول بعض المحدثين». قدامة، (1) 78، الخفاجي، 255، المرزباني، 235.

أحدهما إلى الآخر، ويستطرد به إليه على جهة تشبيه أو مفاضلة أو التفات أو غير ذلك ممّا يناسب به بين بعض المعاني وبعض، فيكون ذكر الثاني كالفرع عن ذكر الأوّل. ومن ذلك قول الكميت: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

أحلامُكُــــم لسِقام الجَهْل شــافية   كَمــا دماؤُكــمُ يُشْـفَى بهــا الكلَـبُ[90]

وقول ابن المعتزّ: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

وكَأَنَّ حُمـرةَ لونِهـا مـن خـدِّه   وكأنّ طيـبَ نَسـيمِهَا مـن نَشْـره
حَتّى إذا صـبَّ المِـزَاجَ تَبَسَّـمت   عـن ثغْرهـا فحسبته مـن ثَغـره
مَـا زَالَ يُنْجِـزُ لـي مواعـدَ عينِـه   فَمُـهُ، وأحْسَـبُ ريقَـه مـن خَمْـرِه[91]

وقول الصنوبري: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

مَـا أخْطـأتْ نُوناتُـه مـن صُدغـه   شَـبَهًا، وَلاَ أَلِفاتُـه مـن قـدّه

90 ـ للبيت روايتان: إحداهما رواية حازم، وقد جرى عليها صاحب العمدة، انظر ابن رشيق، ٢، 34.
والرواية الثانية رويها مجرور وهي (من الكلب)، لا (بها الكلب) والبيت من قصيدة مطلعها:
هل للشباب الذي قد فات من طلب   أم ليس غابره الماضي بمنقلب؟
دع البكاء على ما فات مطلبه   فالدهر يأتي بألوان من العجب
انظر العباسي، (2)، ٣، 88.

91 ـ وردت الأبيات مع تغيير قليل، غير موصول بعضها ببعض ضمن قطعة صغيرة:

قد حثني بالكأس أو في نحوه   ساق علامة دينه في خصره
وكأن حمرة خده في لونها   وكأن طيب رياضها من نشره
حتى إذا صب المزاج تبسمت   عن ثغرها فحسبته عن ثغره
يا ليلة شغل الرقاد غيورها   عن عاشق في الحب هتكة ستره
إن لم تعودي للمتيم مرة   أخرى فإنك غلطة من دهره
ما زال ينجز لي مواعد عينه   فمه وأحسب ريقه من خمره
وإذا تحرك ذعره في قلبه   قطع الشفاء على ضنى لم يبره

الديوان، 222.

فَكَأَنَّمـا أَنْقاسُـه مِـن شَـعْرِه وكَأَنَّمـا قِرطاسُـه مِـن جِلـدِه[92]

1ـ **إضـاءة:** وكلّ معنى فُرِّعَ عن معنى فقد يكون واقعا معه في حيّز واحد،وقد يكون بينهما تباين في ذلك، وقد يكون المأخذ فيهما واحدا، وقد يكون متخالفا، وقد يكون أحدهما موجّها من بعض جهات التوجيه نحو النسب الإسناديّة إلى ما وجّه إليه الآخر، وقد يكون أحدهما موجّها إلى غير ما وجّه إليه الآخر، ومن ذلك قول محمّد بن وهيب: [الكامل الأحذ ـ ق ـ المتراكب]

طَلَلاَنِ طَـال عليهمـا الأمَـدُ دَرَسَـا فـلا عَلَـمٌ ولا نَضَـدُ
لَبِسَـا البِلـى، فكأنّمـا وجَـدَا بَعْـدَ الأحبَّـة مثـلَ مـا أجِـدُ[93]

2ـ **تنويـر:** وينبغي أن تكون النقلة من أحد المعنيين إلى الآخر فيما قصد فيه التفريع متناسبة، وأن يكون المعنى الثاني ممّا يحسُن اقترانه بالأوّل ويفيدَ الكلامَ حسنَ موقع من النفس. وما وقع من التفريع غير متناسب الوضع ولا متشاكل الاقتران لم يحسن، وكان من قبيل التذييل والحشو الذي لا يحسن.

3 ـ **إضـاءة:** ولا ينبغي أن **[21 ـ ب]** يُذهب بالمعاني مذهبَ التفريع في قصيدة بجملتها، ولا أن يتابع ذلك في جملة فصول من القصيد، بل يلمع بذلك في بيت أو فصل غير طويل. وإن وقع ذلك في فصول أو أبيات غير متّصلة، بحيث تقع المراوحة بينه وبين غيره من الصناعات، لم يكن مكروها، إذ المذهب المستحسن في الكلام أن يفتنّ في ضروب الإبداعات الموقعة فيه، وأن يتوخّى في جميع ذلك تناسب الانتقالات وحسن الاقترانات. وكلّما كان الكلام مقتصرًا به على فنّ واحد من الإبداعات، وإن كان حسنا في نفسه، لم يحسن لأنّ ذلك مؤدٍّ إلى سآمة النفس، فإنّ شيمتها الضجر ممّا يتردّد والولع بما يتجدّد.

---

92 ـ ورد البيتان بغير الوجه المذكور في الأصل والرواية الثانية:

مـا أخـطـأت نـونـاتـه مـن صدغه شـيـئـاً ولا ألِـفـاتـه مـن قـده
وكـأنـما أقـلامـه مـن شعـره وكـأنـمـا قـرطـاسـه مـن جـلـده

العباسي، (2)، ٣، 90.

93 ـ لم نقف إلا على صدر البيت الأول، العباسي، (2)،٣ ، 227.

المنهج الثالث، في الإبانة عمّا به تتقوّم صنعتا الشعر والخطابة من التخييل والإقناع، والتعريف بأنحاء النظر في كلتا الصنعتين، من جهة ما به تقوّمت، وما به تعتبر أحوال المعاني في جميع ذلك، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.

أـ معلم دالّ على طرق العلم بما تتقوّم به صناعة الشعر من التخييل، وما به تتقوّم صناعة الخطابة من الإقناع، والفرق بين الصناعتين في ذلك.

لمّا كان[94] كلّ كلام يحتمل الصدق والكذب إمّا أن يَردَ على جهة الإخبار والاقتصاص وإمّا أن يردَ على جهة الاحتجاج والاستدلال، وكان اعتماد الصناعة الخطابيّة في أقاويلها على تقوية الظنّ لا على إيقاع **[22 ـ أ]** اليقين اللّهمّ إلاّ أن يعدل الخطيب بأقاويله على الإقناع إلى التصديق، فإنّ للخطيب أن يلمّ بذلك في الحال بين الأحوال من كلامه واعتماد الصناعة الشعريّة على تخييل الأشياء التي يعبّر عنها بالأقاويل وبإقامة صورها في الذهن بحسن المحاكاة، وكان التخييل لا ينافي اليقين كما نافاه الظنّ، لأنّ الشيء قد يخيّل على ما هو عليه وقد يخيّل على غير ما هو عليه، وجب[95] أن تكون الأقاويل الخطبيّة اقتصاصيّة كانت أو احتجاجيّة غير صادقة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق، لأنّ ما يتقوّم به وهو الظنّ مناف لليقين، وأن تكون الأقاويل الشعريّة اقتصاصيّة كانت أو استدلالية غير واقعة أبدا في طرف واحد من النقيضين اللذين هما الصدق والكذب، ولكن تقع تارة صادقة وتارة كاذبة، إذ ما تتقوّم به الصناعة الشعريّة وهو التخييل غير مناقض لواحد من الطرفية. فلذلك كان الرأي الصحيح في الشعر[96]أن مقدّماته تكون صادقة وتكون كاذبة، وليس يعدّ شعرا من حيث هو صدق ولا من حيث هو كذب بل من حيث هو كلام مخيّل.

94 ـ فعل لما والجواب هو وجب الذي يقع التنبيه عليه بعد.

95 ـ هذا جواب «لما كان كلّ كلام» في أول المعلم.

96 ـ هذا خروج من الاختلافات والآراء المتباينة فيه، الواردة في ترجمات **الشعر** لأرسطو وفي كتب النقد العربية.

1 ـ **إضاءة:** ولمّا كانت الأقاويل الصادقة لا تقع في الخطابة بما هي خطابة إلاّ بأن يعدل بها عن طريقتها الأصليّة وكان ما وقع منها في الشعر غير مقصود من حيث هو صدق كما لا تكون الأقاويل الكاذبة فيها مقصودة من حيث هي كذب بل من حيث هي أقاويل مخيّلة رأيت ألاّ أشتغل بحصر الطرق التي بها يماز القول الصادق من غيره وتفصيل القول في ذلك، فإنّ ذلك مخرج إلى محض صناعة المنطق. وإن كنت قد أشرت إلى الأنحاء التي يتعرّف منها ذلك إشارة إجمالية لأرشد الناظر في هذه الصناعة إلى جهات الفحص عن ذلك، وأدُلّه على مظانّ التماسه، فإنّ الخطيب واجب عليه والشاعر متأكّد في حقّه أن يعرف **[22 ـ ب]** الوجوه التي تصير بها الأقاويل الكاذبة موهمة أنّها صَدق.

2 ـ **تنوير:** وإنّما يصير القول الكاذب مقنعا وموهما أنّه حقّ بتمويهات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له. وتلك التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنّه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرّب في احتذائها.

3 ـ **إضاءة:** والتمويهات تكون في ما يرجع إلى الأقوال. والاستدراجات تكون بتهيّؤ المتكلّم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيّته وتقريظه، أو باطّبائه إيّاه لنفسه وإحراجه على خصمه حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلامُ خصمه غير مقبول.

4 ـ **تنوير:** والتمويهات تكون بطيّ محلّ الكذب من القياس عن السامع، أو باغتراره إيّاه ببناء القياس على مقدّمات توهم أنّها صادقةً لاشتباهها بما يكون صدقا، أو بترتيبه على وضع يوهم أنّه صحيح لاشتباهه بالصحيح، أو بوجود الأمرين معا في القياس أعني أن يقع فيه الخلل من جهتي المادّة والترتيب معا، أو بإلهاء السامع عن تفقّد موضع الكذب وإن كان إلى حيّز الوضوح أقرب منه إلى حيّز الخفاء بضروب من الإبداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة

محلّ الكذب والخلل الواقع في القياس من جهة مادّة أو من جهة ترتيب أو من جهة المادّة والترتيب معاً.

5 ـ **إضـاءة:** فلمّا كان كثير من التمويهات التي تكون من غير جهة اشتغال النفوس بالتعجيبات والإبداعات البلاغيّة عن تفقّد محلّ الكذب يقصدها كثير من الناس بطباعهم ويتهدّون إليها بأفكارهم وإن كان تحصيل القوانين في حصر طرق تلك التمويهات أنفع شيء للخطيب **[23 - أ]** في التوصّل إلى الملك الخطابيّة رأيت ألاّ أشتغل بحصر تلك الطرق عمّا هو أنسب إلى هذه الصناعة من ذلك عن إبانة وجوه النظر البلاغي في الأقاويل الخطابيّة والشعريّة من جهة ما يخصّ كلتا الصناعتين ويعمّهما، وأن نشير في ما أشرنا إليه من ذكر طرق التمويهات الخطابية على ما أصّله أهل صناعة المنطق كابن سينا وغيره.

6 ـ **تنويـر:** وليس تَرِدُ المقاييس في الأقاويل الشعريّة والخطابيّة المقصود بها البلاغة إلاّ محذوفة إحدى المقدّمتين أو النتيجة في الحمليات، ومحذوفة الاستثناءات والنتائج في الشرطيّات المتّصلات، لأنّ القياس كلام تلازمت فيه القضايا فصار مسئما بطوله مع ما يقع فيه من تكرار الأسوار والحدّ الأوسط وأجزاء النتيجة. وكذلك المقدّمات والتوالي في الشرطيّات المتّصلات يقع فيهما وفيما يتّصل بهما التكرار أيضاً بما يعاد من أجزائهما في الاستثناء والنتيجة. فلمّا كان القول القياسي قد لزمه الطول والتكرار لم يكن لهم بدّ، فيما قصدوا به البلاغة من كلامهم، من أن يعدلوا مقداره ويميطوا تكراره. فإنّ الكلام إذا خفّ واعتدل حسن موقعه من النفس، وإذا طال وثقل اشتدّت كراهة النفس له.

7 ـ **إضـاءة:** وليس يُحْمَدُ في الكلام أيضاً أن يكون من الخفّة بحيث يوجد فيه طيش، ولا من القصر بحيث يوجد فيه انبتار، لكنّ المحمود من ذلك ما له حظّ من الرصانة لا تبلغ به إلى الاستثقال، وقسط من الكمال لا يبلغ به إلى الإسآم والإضجار. فإنّ الكلام المتقطّع الأجزاء المنبتر التراكيب غير ملذوذ ولا مستحلى، وهو شبه الرشفات المتقطّعة التي لا تروي غليلا. والكلام المتناهي في

الطول يشبه استقصاء الجرع المؤدّي إلى الغصص، فلا شفاء مع التقطيع المخلّ ولا راحة مع التطويل **[23 - ب]** المملّ، ولكنّ خير الأمور أوساطها.

8 ـ **تنوير:** ولا يحذف من المقاييس إلاّ ما يكون في قوّة الكلام دليل عليه من مقدّمة أو نتيجة أو قضيّة مستثناة. وهذا المحذوف قد يكون القصد به طيّ المقدّمة التي يظهر فيها الكذب، وقد تكون مقدّمات القياس كلّها صادقة وتطوى إحداها لما ذكرته من قصد التخفيف خاصّة.

9 ـ **إضاءة:** وقد يكون اقتضاء ما أبقي من القياس لما أميط عنه اقتضاء صحيحا. وقد يكون غير مقتض له في الحقيقة ويظهر في مبادئ الرأي أنّه مقتض له على الصحّة. وأكثر ما يكون هذا في الاستثناءات الشرطيّة نحو قول امرئ القيس: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وإنْ كنتِ قدْ ساءَتْكِ منّي خليقَةٌ فَسُلّي ثيابِي من ثيابِكِ تَنْسُلِ (97)

ففي قوّة هذا الكلام، على ما يترامى إليه غرض القول، أن يكون الاستثناء نقيض المقدّم والنتيجة نقيض التالي، أي «لكنّكِ لم تسؤكِ منّي خليقة» فيوهم أنّه منتج: «فلا تسلّي ثيابي من ثيابك». وهذا استثناء وإنتاج غير صحيحين، وإنّما يستعمل هذا في الخطابة على جهة الإقناع. وإنّما تصحّ نتيجة الشرطيّة المتّصلة إذا استثني فيها عين المقدّم فأنتج عين التالي، أو استثني نقيض التالي فأنتج نقيض المقدّم. والمقدّم هي القضية التي تلي حرف الشرط، والتالي هي القضية التي تكون جوابا للشرط.

10 ـ **تنوير:** فإذا كان الاستثناء والإنتاج على هذا النحو الذي ذكرته آخرا وكانت القضايا صحيحة مسلّمة كان القياس صحيحا وكان لزوم النتيجة لما تقدّمها من أجزاء القياس واجبا، لأنّ القياس قول مؤلّف من مقدّمات وقضايا إذا كانت مسلّمة ورتّبت الترتيب الذي يجب في القياس الصحيح لزم عن ذلك القول المرتّب لذاته قول آخر يسمّى نتيجة.

---

97 ـ البيت من معلقته الشهيرة، السندوبي، (3)، 147.

11 ـ **إضـاءة:** فما كان من الأقاويل القياسية مبيّنا على تخييل وموجودة فيه المحاكاة فهو يعدّ قولا شعريّا، سواء كانت **[24 ـ أ]** مقدّماته برهانيّة أو جدليّة أو خطابية يقينيّة أو مشتهرة أو مظنونة. وما لم يقع فيه من ذلك بمحاكاة فلا يخلو من أن يكون مبنيّا على الإقناع وغلبة الظنّ خاصّة، أو يكون مبنيّا على غير ذلك. فإن كان مبنيّا على الإقناع خاصّة كان أصيلا في الخطابة دخيلا في الشعر سائغا فها. وما كان مبنيّا على غير الإقناع ممّا ليس فيه محاكاة فإنّ وروده في الشعر والخطابة عبث وجهالة سواء كان ذلك صادقاً أو مشتهرًا أو واضح الكذب.

12 ـ **تنوير:** وأكثر ما يستدلّ في الشعر بالتمثيل الخطابي. وهو الحكم على جزئي بحكم موجود في جزئي آخر يماثله، نحو قول حبيب:

[البسيط ـ ق ـ المتراكب]

أَخْرَجْتُمُـوه بكُـرْهٍ مـِنْ سَـجيَّتِهِ والنـارُ قـد تُنْتَضَى مـن ناضِرِ السَـلَمِ[98]

فالأقاويل التي بهذه الصفة خطابيّة بما يكون فيها من إقناع، شعريّة بكونها متلبّسة بالمحاكاة والخيالات.

13ـ **إضـاءة:** والاستدلالات الواقعة في الشعر والأمثال المضروبة فيه إنّما تجيء تابعة لبعض ما في الكلام، أو لما قد أشير إليه ممّا هو خارج عنه. فهي إمّا محاكاة لمتبوعاتها، أو تخييلات فيها أو من أجلها. فكثير من الأمثال أيضاً يكون قولاً شعرياً، ويكون منها ما هو قول حق، ومنها ما ليس بحق كما كان ذلك في المحاكاة والاستدلالات.

---

98 ـ البيت من قصيدة يمدح بها مالكَ بن طوق التغلبي، مطلعها:

سلـم على الربـع من سلـمى بـذي سَلَـم عليـه رسـم من الأيـام والقِـدَمِ

التبريزي،٣، 189.

14 ـ **تنويـر:** وإنّما اتّسع في المحاكيات الشعريّة، على هذه الأنحاء التي أشرت إليها وعلى ما نذكره بَعْدُ في أصناف المحاكيات وكيفيّات التصرّف فيها، في لسان العرب خاصة. فلذلك وجب أن توضع لها من القوانين أكثر ممّا وضعت الأوائل.

فإنّ الحكيم أرسطاطاليس، وإن كان اعتنى بالشعر بحسب مذاهب اليونانية فيه ونبّه على عظيم منفعته وتكلّم في قوانين عنه، فإنّ أشعار اليونانيّة إنّما كانت أغراضًا محدودة في أوزان مخصوصة[99]، ومدار جلّ أشعارهم على خرافات كانوا يضعونها **[24 ـ ب]** يفرضون فيها وجود أشياء وصور لم تقع في الوجود، ويجعلون أحاديثها أمثالا وأمثلة لما وقع في الوجود. وكانت لهم أيضاً أمثال في أشياء موجودة نحوا من أمثال كليلة ودمنة ونحوا ممّا ذكره النابغة من حديث الحيّة وصاحبها[100]. وكانت لهم طريقة أيضاً ـ وهي كثيرة في أشعارهم ـ يذكرون فيها انتقال أمور الزمان وتصاريفه[101]، وتنقّل الدول وما تجري عليه أحوال الناس وتؤول إليه.

فأمّا غير هذه الطرق، فلم يكن لهم فيها كبير تصرّف، كتشبيه الأشياء بالأشياء،

---

99 ـ أورد نحوا من هذه الجملة ابن سينا في ترجمته لكتاب **الشعر** لأرسطو، وإثر ذلك ذهب كغيره إلى عد الأنواع والتعريف بها وبموضوعاتها وأغراضها واحدًا واحدًا. أرسطو،(1)، 167، 165.

100 ـ الحديث المشار إليه هنا هو الذي تضمنته القصيدة الرائية التي عاتب بها النابغة بني مرة على إيثارهم وتحالفهم عليه وعلى قومه ومطلع القصيدة:

ألا أبلغـــا شيبـــان عني رسالـــة ... فقد أصبحت في منهـــج الحـــق حائره

وأول الحديث المشار إليه:

وإني لألقى من ذوي الضعن منـــهم ... وما أصبحت تشكو من الوجـــد ساهره

وما بعده ثلاثة عشر بيتا إلى قوله:

أبـــى لي قـــبر لا يـــزال مقابـــلي ... وضربـــة فـــأس فـــوق رأسيَ فاقـــره

الديوان، 62، 61.

101 ـ الملحمة في الشعر اليوناني.

فإنّ شعر اليونانيين ليس فيه شيء منه، وإنّما وقع في كلامهم التشبيه في الأفعال لا في ذوات الأفعال[102].

ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيّين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال، والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى، وتبحّرهم في أصناف المعاني وحسن تصرّفهم في وضعها ووضع الألفاظ بإزائها، وفي إحكام مبانيها واقتراناتها ولطف التفاتاتهم وتتميماتهم واستطراداتهم، وحسن مآخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقاويل المخيّلة كيف شاؤوا، لزاد[103] على ما وضع من القوانين الشعريّة.

فإنّ أبا علي بن سينا قد قال عند فراغه من تلخيص كتابه في الشعر:

«هذا هو تلخيص القدر الذي وجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الأوّل. وقد بقي منه شطر صالح ولا يبعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق وفي علم الشعر، بحسب عادة هذا الزمان، كلاما شديد التحصيل والتفصيل. وأمّا ها هنا فلنقتصر على هذا المبلغ»[104]. انتهى كلام ابن سينا.

وفي كلامه إشارة إلى تفخيم علم الشعر، وما أبدت فيه العرب من العجائب، وإلى كثرة تفاصيل الكلام في ألفاظه ومعانيه ونظمه وأساليب، واتّساع مجال القول في ذلك.

[25 ـ أ] 15 ـ **إضـاءة:** وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما أرجو أنّه من جملة ما أشار إليه أبو علي ابن سينا.

---

102 ـ هذا مأخوذ من كلام الشيخ الرئيس حين قال:«والشعر اليوناني إنّما كان يقصد فيه، في أكثر الأمر، محاكاة الأفعال والأحوال لا غير. وأما الذوات فلم يكونوا يشتغلون بمحاكاتها أصلاً كاشتغال العرب. فإن العرب كانت تقول الشعر لوجهين: أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور تعد به نحو فعل أو انفعال، والثاني للعجب فقط. فكانت تشبه كلّ شيء لتعجب بحسن التشبيه. وأما اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحثوا بالقول على فعل أو يردعوا بالقول عن فعل. وتارة كانوا يفعلون ذلك على سبيل الخطابة وتارة على سبيل الشعر. فلذلك كانت المحاكاة الشعرية عندهم مقصورة على الأفاعيل والأحوال. أرسطو، (1)، 169 ـ 170.

103 ـ جواب لو التي في أول الفقرة.

104 ـ هذا آخر **فن الشعر** كتاب **الشفاء** لابن سينا، انظر أرسطو،(1)، 198.

وقد تركت من ذلك أشياء لم يُمْكِنّي الكلام فيها لكون بعض أغراض النفس تحثّ على الانحفاز في التأليف وتعجيل الإتمام له، ولأنّ استقصاء القول في هذه الصناعة محوج إلى إطالة تتخوّن أزمنة الناظر وتعوقه عمّا يجب أن يترقّى إليه من هذه الصناعة من العلوم النافعة. فإنّ النظر في أسرار هذه الصناعة مفتاح للنظر في تلك ومرقاة لها. وإنّما يجب أن يقتصر في التأليف من هذه الصناعة على ظواهرها ومتوسّطاتها، ويمسك عن كثير من خفاياها ودقائقها لأنّ مرام استقصائها عسير جدّا، مضطرّ إلى الإطالة الكثيرة، ولأنّ هذه القوانين الظاهرة والمتوسّطة أيضاً مَن فهمها وأحكم تصوّرها وعرفها حقّ معرفتها أمكنه أن يصير منها إلى خفايا هذه الصنعة ودقائقها، ويعلم كيف الحكم فيما تشعّب من فروعها، فيحصل له جميع الصنعة أو أكثرها بطريق مختصر. والله وليّ الإرشاد لمن استرشده.

16 ـ **تنوير:** وإنّما صحّ أن تقع الأقاويل الصادقة في الشعر، ولم تصحّ أن تقع في الخطابة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق، لأنّ ما تتقوّم به صنعة الخطابة، وهو الإقناع، مناقض للأقاويل الصادقة، إذ الإقناع بعيد من التصديق في الرتبة. والشعر لا يناقض اليقين ما يتقوّم به وهو التخييل، فقد يخيّل الشيء ويمثّل على حقيقته. فلذلك وجب أن يكون في الكلام المخيّل صدق وغير صدق. ولا يكون في الكلام المقنع ما لم يعدل به إلى التصديق إلاّ الظنّ الغالب خاصّة، والظن مناف لليقين. فالشعر إذن قد تكون مقدّماته يقينيّة ومشهورة ومظنونة. ويفارق البرهان والجدل والخطابة بما فيه من التخييل والمحاكاة، ويختصّ بالمقدّمات المموّهة الكذب. **[25 ـ ب]** فيكون شعرًا أيضاً ما هذه صفته باعتبار ما فيه من المحاكاة والتخييل، لا من جهة ما هو كاذب، كما لم يكن شعرًا من جهة ما هو صادق، بل بما كان فيه أيضاً من التخييل. فلاختصاص الشعر باستعمال المحاكاة في المقدّمات الكاذبة ما يقصر على النسبة إليه كلّ كلام مخيّل مقدّمات كاذبة، فيقال: كلام شعري إذ هو المختصّ باستعمال المقدّمات الكاذبة من حيث يخيّل فيها أو بها لا من حيث هي كاذبة. وإن شارك

جيمع الصنائع في ما اختصّت به، وكان له أن يخيّل في جميع ذلك، فالتخييل هو المعتبر في صناعته[105]، لا كون الأقاويل صادقة أو كاذبة.

ب ـ معرف دالّ على المعرفة بماهية الشعر وحقيقته.

الشعر كلام موزون مقفّى من شأنه أن يحبّب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكرّه إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمّن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلّة بنفسها أو متصوّرة بحسن هيأة تأليف الكلام، أو قوّة صدقه أو قوّة شهرته، أو بمجموع ذلك. وكلّ ذلك يتأكّد بما يقترن به من إغراب. فإنّ الاستغراب والتعجّب حركةٌ للنفس إذا اقترنت بحركتها الخياليّة قويَ انفعالها وتأثّرها.

1 ـ **إضـاءة:** فأفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيأته، وقويت شهرته أو صدقه، أو خفي كذبه، وقامت غرابته. وإن كان قد يعدّ حذقا للشاعر اقتداره على ترويج الكذب وتمويهه على النفس وإعجالها إلى التأثّر له قبل إعمالها الرويّة في ما هو عليه. فهذا يرجع إلى الشاعر وشدّةِ تحيّله في إيقاع الدُلسة للنفس في الكلام. فأمّا أن يكون ذلك شيئاً[106] يرجع إلى ذات الكلام فلا.

وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة، واضح الكذب، خليّا من الغرابة، وما أجدر ما كان **[26 ـ أ]** بهذه الصفة ألاّ يسمّى شعرا وإن كان موزونا مقفّى، إذ المقصود بالشعر معدوم منه، لأنّ ما كان بهذه الصفة من الكلام الوارد في الشعر لا تتأثر النفس لمقتضاه، لأنّ قبح الهيأة يحول بين الكلام وتمكّنه من القلب، وقبح المحاكاة يغطّي على كثير من حسن المحاكَى أو قبحه ويشغل عن تخيّل ذلك. فتجمد النفس عن التأثّر له، ووضوح الكذب يزَعها عن التأثّر بالجملة.

---

105 ـ وردت الكلمة بالأصل بلا إضافة ولا تعريف.

106 ـ بالأصل شيء.

2 ـ **تنويـر:** فإن حسنت الهيأة والمحاكاة ولم يكن الكذب شديد الوضوح، خادعا النفس عمّا تستشعره أو تعتقد من الكذب، وحرّكاها إلى اعتماد الشيء بفعل أو اعتقاد أو التخلّي عنه تحريكَ مغالطة، فهذا أدنى مراتب الشعر إذ لم يعتدّ بما ذكرناه أوّلا.

3 ـ **إضــاءة:** وإنّما يرجع الشاعر إلى القول الكاذب حيث يُعوزُه الصادق والمشتهر بالنسبة إلى مقصده في الشعر. فقد يريد تقبيح حسن وتحسين قبيح، فلا يجد القول الصادق في هذا ولا المشتهر، فيضطرّ حينئذ إلى استعمال الأقاويل الكاذبة.

4 ـ **تنويـر:** فأمّا إذا قصد تحسين حسن وتقبيح قبيح، فإنّه متمكّن من القول الصادق والشهور فيهما. وأكثر أقوال الشعراء في هذين القسمين، إذا لم يقصدوا المبالغة في ما يحاكونه ويصفونه، صادقة.

اللهم إلاّ أن يقصدوا البالغة في تحسين حسن أو تقبيح قبيح فيتجاوزون[107] حدود أوصافه الحقيقيّة ويحاكونه بما هو أعظم منه حالا أو أحقر ليزيدوا النفوس استمالة إليه أو تنفيرًا عنه.

5 ـ **إضــاءة:** ولا يخلو الشيء الحسن من أن يكون أحسن ما في معناه، أو أن يكون ثمّ ما هو أحسن منه. وكذلك القبيح قد يوجد أقبح منه أو لا يوجد. فالحسن الذي لا أحسن منه، والقبيح الذي لا أقبح منه، ولا يوجد مساوٍ لهما في معنييهما، ينبغي أن لا تكون الأقوال فيهما صادقة في الأولى والأكثر، فإنّ محاكاته بما هو دونه[108] تقصير به وليس هناك إلى ما يطمح به. **[26 ـ ب]** فأمّا الحسن والقبيح اللذان يوجد في معناهما ما هو أعظم منهما أو ما يساويهما، فإنّ

107 ـ كذا بالأصل، ولعل الوجه حذف النون منه ومن المعطوف عليه.

108 ـ بالأصل دنه بإسقاط الواو.

الأقاويل الشعريّة تَرِدُ فيهما صادقة وكاذبة، بحسب ما يعتمده الشاعر من اقتصاد في الوصف أو مبالغة.

6 ـ **تنوير:** وإذا حقّق القول وجدت الأقاويل أيضاً في تقبيح الحسن وتحسين القبيح قد تكون صادقة لأنّ كلّ شيء حسن يقصد مُحاكاته وتخييله، وإن كان أحسن ما في معناه، فقد يوجد فيه وصف مستقبح. وكذلك الشيء القبيح، فإنّه وإن كان لا أقبح منه، قد يوجد فيه وصف مستحسن.

فقد قال الجاحظ: «ليس شيء إلاّ وله وجهان وطريقان. فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين، وإذا ذمّوا ذكروا أقبحهما».

وأنا أذكر الأنحاء التي يترامى إليها صدق الشعر أو كذبه بما يقتضيه أصل الصناعة ويوجبه. وهو الذي يعتمده المطبوعون من الشعراء، وهي ثمانية أنحاء:

تحسينُ حَسَن لا نظير له. فهذا يجب أن تكون الأقاويل فيه صادقة وكذلك تقبيح القبيح الذي لا نظير له.

وتحسينُ حسَن له نظير. وكثيرا ما يقع في هذا أيضاً الصدق إذا اقتصد في أوصافه واقتصر على الوقوف عند حدودها. وكذلك أيضاً إن اقتصد في محاكاته بغيره واقتصر به على المشابهة دون الغاية التي يطمح فيها عن محاكاة الشيء بالشيء إلى قولٍ هو هو.

وفرق بين قولك في الشيء: إنّه الشيء الآخر، وبين قولك: إنّه مثله وشبهه، إذا لم تُرد في نفسك معنى تشبيه، وتكون قد حذفت الحرف الدالّ عليه إيجازًا، بل أردت أن يصير به اثنينية شيئين اتّحادا. وهذا يكون في المشابهة وغيرها.

قال أبو علي بن سينا: «المجانسة اتّحاد في الجنس، والمشاكلة اتّحاد في النوع، المشابهة اتّحاد في الكيف، والمساواة اتّحاد في الكمّ، والموازاة اتّحاد في الوضع، والمطابقة اتّحاد في الأطراف، والهُوَ **[27 ـ أ]** هُو اتّحاد في شيء

من اثنين يجعل اثنين في الوضع تصير به اثنينيتهما اتّحادا بنوع من الاتّحادات الواقعة بين اثنين ممّا قيل»[109].

فما وقع من الأوصاف والمحاكاة مقتصدا فيه غير متجاوز فهو قول صدق. فإذا قيل في الشيء: إنّه كالشيء، وكان فيه شبه منه، فهو قول حقّ. لأنّ الكاف وحروف التشبيه إنّما وضعت لأن تدلّ على الشبه من حيث إنّه موجود، قلّ أو كثُر، لا من حيث الكمية، فقد يقوى الشبه ويضعف وتكون المحاكاة مع ذلك صادقة إلاّ أنّها في أحد الحالين أوضح.

وكثير من الناس يغلط فيظنّ أنّ التشبيه والمحاكاة من جملة كذب الشعر، وليس كذلك. لأنّ الشيء إذا أشبه الشيء فتشبيهه به صادق، لأنّ المُشبِّه مُخبرٌ أنّ شيئاً أشبه شيئا، وكذلك هو بلا شكّ. ولأنّ التشبيه بإظهار الحرف وإضماره قول صادق، إذا كان في أحد الشيئين شبهٌ من الآخر ـ ورد التشبيه في القرآن لأنّ الماء يشبه السراب[110] بلا شكّ، والهلال شبيه بالعرجون القديم[111] ولا بدّ. وكذلك جميع تشبيهات الكتاب العزيز، الشبه فيها ظاهر ـ

فقد تبيّن أنّ الوصف والمحاكاة لا يقع الكذب فيهما إلاّ بالإفراط وترك الاقتصاد.

وحكم تقبيح القبيح الذي له نظير حكم ضدّه الذي فرغت منه.

وقد يقع الصدق أيضاً في تحسين القبيح، ووقوعه في ما هو الغاية في القبح أقلّ من وقوعه في ما هو دون الغاية من ذلك. وكذلك حكم تقبيح الحسن، فإنّ الصدق في ما هو الغاية في ذلك أقلّ منه في ما دونها.

---

109 ـ تفصيلات وحدود منطقية وردت في بعض كتب ابن سينا الموضوعة لدراسة علم المنطق. انظر **النجاة**، 324، 325، 369، وغيرها.

110 ـ يشير إلى قوله تعالى:«والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب». قرآن، 24/ 39.

111 ـ و«القمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» **قرآن**، 36/ 38.

وسيأتي لهذا زيادة بيان[112].

7 ـ **إضـاءة:** ولنقسّم الآن الكلام الشعري بالنسبة إلى الصدق والكذب القسمة التي يتبيّن بها كيف يقع الكذب في صناعة الشعر، وما الذي يسوغ منه فيها وما لا يسوغ.

فأقول: إنّ الأقاويل الشعريّة منها ما هو صدق محض، ومنها ما هو كذب محض، ومنها ما يجتمع فيه الصدق والكذب.

والكذب منه ما يعلـم أنّه كذب من ذات القول، ومنه ما لا يعلم كذبه **[27 ـ ب]** من ذات القول. فالذي لا يعلم كذبه من ذات القول ينقسم: إلى ما لام يلزم علم كذبه من خارج القول، وإلى ما يُـعلم من خارج القول أنّه كذب ولا بدّ.

فالذي لا يعلم كذبه من ذات القول، وقد لا يكون طريق إلى علمه من خارج أيضاً: هوالاختلاق الإمكاني. وأعني بالاختلاق: أن يدّعي الإنسان أنّه محبّ ويذكر محبوبا تيّمه ومنزلا شجاه، من غير أن يكون كذلك. وعنَيْتُ بالإمكان:أن يذكر ما يمكن أن يقع منه ومن غيره من أبناء جنسه، وغير ذلك ممّا يصفه ويذكره.

والذي يعلم من خارج القول أنّه كذب ولا بدّ: الاختلاق الامتناعي، والإفراط الامتناعي والاستحالي.

والإفراط: هو أن يغلو في الصفة فيخرج بها عن حدّ الإمكان إلى الامتناع أو الاستحالة.

وقد فرّق بين الممتنع والمستحيل، بأنّ الممتنع: هو ما لا يقع في الوجود وإن كان مُتصوّرًا في الذهن، كتركيب يد أسد على رجل مثلا. والمستحيل: هو ما لا يصحّ وقوعه في وجود، ولا تصوّره في ذهن ككون الإنسان قائمًا قاعدًا في حال واحدة.

---

112 ـ انظر 194.

فأمّا الإفراط الإمكاني فلا يتحقّق ما هو عليه من صدق أو كذب، لا من ذات القول ولا من بديهة العقل، بل يستند العقل في تحقّق ذلك إلى أمر خارج عنه وعن القول، إلاّ أن يدلّ القول على ذلك بالعرض. فلا يعتدّ بهذا أيضاً. وإنّما نسمّيه إفراطا بحسب ما يغلب على الظنّ.

8 ـ **تنوير:** والاختلاق الإمكاني يقع للعرب من جهات الشعر وأغراضه.

وجهات الشعر: هو ما تُوجّه الأقاويل الشعريّة لوصفه ومحاكاته مثل: الحبيب، والمنزل، والطيف في طريق النسيب. فمثل هذه الجهات يعتمد وصف ما تعلّق بها من الأحوال التي لها عُلقة بالأغراض الإنسانية، فتكون مسانح لاقتناص المعاني بملاحظة الخواطر ما يتعلّق بجهة جهة من ذلك.

والأغراض: هي الهيئات النفسيّة التي ينحى المعاني المنتسبة إلى تلك الجهات نحوها ويمال بها في صغوها **[28 ـ ب]** لكون الحقائق الموجودة لتلك المعاني في الأعيان ممّا يهيء النفس بتلك الهيآت، وممّا تطلبه النفس أيضاً أو تهرب منه، إذا تهيّات بتلك الهيآت.

وسيأتي لهذا فضل بيان في القسم الرابع إن شاء الله[113].

9 ـ **إضاءة:** والاختلاق الامتناعي ليس يقع للعرب[114] في جهة من جهات الشعر أصلاً.

وكان شعراء اليونانيين يختلقون أشياء يبنون عليها تخاييلهم الشعريّة ويجعلونها جهات لأقاويلهم، ويجعلون تلك الأشياء التي لم تقع في الوجود كالأمثلة لما وقع فيه، ويبنون على ذلك قَصَصا مخترعا نحو ما تحدّث به العجائز الصبيان في أسمارهم من الأمور التي يمتنع وقوع مثلها.

---

113 ـ طالع تفصيل الجهات والأغراض ومايعتمد من حيل فيها في مكانها من هذا الكتاب 304 > 308 > 318.

114 ـ يوضحه قول ابن سينا بعد، فيما سينقله لنا حازم:«فإن هذا ليس ممّا يوافق جميع الطباع».

وقد قال أبو علي ابن سينا[115]: «وقد كان يستعمل في طراغوذيا[116] أيضاً جزئيات في بعض المواضع مخترعة على قياس المسمّيات الموجودة. ولكن ذلك من النادر القليل. وفي النوادر قد كان يخترع اسم شيء لا نظير له من الوجود ويوضع بدل معنى كلّي»[117].

وقد ذمّ ابن سينا هذا النوع من الشعر فقال: «ولا يجب أن يحتاج في التخيّل الشعري إلى هذه الخرافات البسيطة التي هي قصص مخترعة»[118] وقال أيضاً: «إنّ هذا ليس ممّا يوافق جميع الطباع»[119].

10 ـ **تنويـر:** فأمّا أغراض الشعر المنوطة بالجهات المذكورة، فإنّ العرب كانت لها فيها اختلاقات: منها اقتصاديّة، ومنها إفراطيّة. والإفراطية منها ممكنة، وممتنعة، ومستحيلة.

فالكذب الاختلاقي في أغراض الشعر لا يعاب من جهة الصناعة لأنّ النفس قابلة له، إذ لا استدلال على كونه كذبًا من جهة القول ولا العقل. فلم يبق إلاّ أن يعاب من جهة الدين. وقع رُفِـعَ الحرجُ عن مثل هذا الكذب أيضاً في الدين، فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يُنشَدُ النسيب أمام المدح، فيصغي إليه ويثيب عليه.

والكذب الإفراطي معيب في صنعة الشعر إذ خرج [من] حدّ الإمكان إلى حدّ الامتناع أو الاستحالة.

---

115 ـ أرسطو،(1)،184.

116 ـ الشعر الشاجي أو «التراجيدي».

117 ـ تمام الفقرة: مثل جعلهم الخير كشخص واحد وإطنابهم في مدحه، وذلك لأن أحوال الأمور قد كانت مطابقة لأحوال ما كانوا يخترعون لهذا الاسم، وليس نفع ذلك في التخييل بنفع قليل. انظر أرسطو، (1)، 184.

118 ـ انظر أرسطو، (1)،184.

119 ـ أول الفقرة من كلام ابن سينا: ولكن لا يجب أن يوقف على الطراغوذيا واختراع الخرافات فيها على هذا النحو، فإن هذا ليس....أرسطو، (1)، 184.

والإفراط: هو القسم الذي [28 - أ] يجتمع فيه الصدق والكذب. فإنّ الشاعر إذا وصف الشيء بصفة موجودة فيه، فأفرط فيها، كان صادقا من حيث وصفه بتلك الصفة، وكاذبا من حيث أفرط فيها وتجاوز الحدّ.

فهذا قد يجيء منه ما يستحسنه بعض أرباب هذه الصنعة[120].

وسيأتي تفصيل القول في هذا إن شاء الله.

فأمّا القسم الثالث، وهو القول الصادق، فمنه القول المطابق للمعنى على ما وقع في الوجود، ومنه المقصّر عن المطابقة بأن يدلّ على بعض الوصف ويقع دون الغاية التي انتهى إليها الشيء من ذلك الوصف. فهذا النوع من الصدق في الشعر قَبيحٌ من جهة الصناعة وما يجب فيها.

11 ـ **إضـاءة:** فأغراض الشعر إذًا منها حاصلة، ومنها مختلقة. والحاصلة منها ما تكون الأقاويل فيها اقتصادية وتقصيريّة وإفراطية. وكذلك المختلقة تكون أقاويلها أيضاً اقتصاديّة وتقصيريّة وإفراطيّة، والإفراطية: منها إمكانية ومنها امتناعية ومنها استحالية. يتركّب منها عشرة أصناف:

صنفان منها صادقان: 1 وهي الحاصلة التي أقاويلها اقتصادية، 2 والحاصلة التي أقاويلها تقصيريّة.

وصنف يحتمل الصدق والكذب: وهي الحاصلة التي أقاويلها إمكانيّة. وسبعة أصناف كاذبة: ـ 1 ـ وهي الحاصلة التي أقاويلها ممتنعة ـ 2 ـ والحاصلة التي أقاويلها مستحيلة ـ 3 ـ والمختلقة[121] التقصيريّة ـ 4 ـ والاقتصادية ـ 5 ـ والامكانية ـ 6 ـ والامتناعية ـ 7 ـ والاستحاليّة.

فهذه قسمتها بالنسبة إلى الصدق والكذب.

12 ـ **تنويـر:** وتنقسم من جهة ما يستحسن في الشعر ويستساغ، ومن جهة

---

120 ـ هذا إشارة إلى مذهب الغلو وإلى الخلاف فيه بين أيمة النقد.
121 ـ بالأصل: المختلفة.

ما يستساغ ولا يستحسن، ومن جهة مالا يستساغ ولا يستحسن، إلى عشرة أقسام[122].

أربعة منها مستحسنة: 1 ـ وهي الحاصلة التي أقاويلها اقتصاديّة 2 ـ والحاصلة التي أقوالها إمكانيّة 3 ـ والمختلقة التي أقاويلها اقتصادية 4 ـ والمختلقة التي أقاويلها إمكانيّة.

[29 - ب] وقسمان منها مستساغان غير مستحسنين وهما: ـ 1 ـ الحاصلة التي أقوالها امتناعية، ـ 2 ـ والمختلقة التي أقاويلها امتناعيّة أيضاً.

وأربعة منها غير مستساغة ولا مستحسنة وهي: ـ 1 ـ الحاصلة التقصيريّة ـ 2 ـ والحاصلة الاستحالية، ـ 3 ـ والمختلقة التقصيريّة، ـ 4 ـ والمختلقة الاستحاليّة.

فقد ثبت بهذا أنّ للاستساغة في الكلام الشعري ستّة مذاهب، وللاستحسان أربعة مذاهب، وللصدق ثلاثة مذاهب[123].

كلّ هذه المذاهب الاستساغية والاستحسانيّة والصدقيّة يقع في جميع أنحاء الشعر الثمانية وهي: تحسين حسن له نظير، وتحسين حسن لا نظير له، وتقبيح قبيح له نظير، وتقبيح قبيح لا نظير له، وتحسين قبيح له نظير، وتقبيح حسن لا نظير له[124].

فالصدق في جميعها يدخل من ثلاثة مذاهب على ما بيّنته. وهو أكثر وقوعًا في بعض هذه الأنحاء منه في بعض، كما تقدّم.

13 ـ **إضاءة:** وإنّما احتجت إلى إثبات وقوع الأقاويل الصادقة في الشعر لأرفع الشبهة الداخلة في ذلك على قوم، حيث ظنّوا أنّ الأقاويل الشعريّة لا تكون إلا كاذبة. وهذا قول فاسد قد ردّه أبو علي ابن سينا في غير ما موضع من

---

122 ـ بالأصل: إلى اثني عشر قسما. وهذا لا يماشي التفصيل الذي ذكره بعد من أي وجه.

123 ـ هي الصورتان الصادقتان المذكورتان مفتتح التقسيم الأول مع الصادقة المحتملة للصدق والكذب.

124 ـ والقسمان الباقيان، هما تحسين قبيح لا نظير له، وتقبيح حسن لا نظير له، ذكرهما حازم في آخر الإضاءة الخامسة من المعرف ب عند حديثه عن ماهيةالشعر وحقيقته.
المنهاج: 75.

كتبه، لأنّ الاعتبار في الشعر إنّما هو التخييل في أيّ مادة اتّفق، لا يشترط في ذلك صدق ولا كذب، بل أيّهما ائتلفت الأقاويل المخيّلة منه فبالعرض. لأنّ صنعة الشاعر هي جودة التأليف وحسن المحاكاة، وموضوعها الألفاظ وما تدلّ عليه.

فالصدق والكذب والشهرة والظنّ أشياء راجعة إلى المفهومات التي هي شطر الموضوع، فنسبتها إلى المدلولات التي هي المعاني كنسبة العموميّة والحوشيّة والحال الوسطى بينهما والغرابة إلى الأدلّة التي هي الألفاظ.

وكلّ هذه الأصناف من الألـفاظ تقع في الشعر. وصناعة الشاعر فيها حسن التأليف والهيئة. كما أنّ كلّ تلك الموادّ تقع فيه. وصناعة الشاعر فيها حسن **[29 ـ ب]** المحاكاة والنسب والاقترانات الواقعة بين المعاني. وكما أنّ الألفاظ المستعذبة المتوسّطة في الاستعمال أحسن ما يستعمل في الشعر لمناسبتها الأسماع والنفوس، وحسن موقعها منها، ثمّ إنّ الشاعر مع ذلك يستعمل الحوشيّ والساقط تسامحا واتّساعا، حيث تضطرّه الأوزان والقوافي، فكذلك المعاني التي تكون الأقاويل فها صادقة أو مشتهرة، أفضل ما يستعمل في الشعر لكونها تحرّك النفوس إلى ما يراد منها تحريكاً شديدًا.

وليست تحرّك الأقاويل الكاذبة إلاّ حيث يكون في الكذب بعض خفاء أو حيث يحمل النفس شدّة ولعها بالكلام لفرط ما أبدع فيه على الانقياد لمقتضاه، وإن كان ممّا يكره ولا يصدق الحاضّ عليه. ومع هذا فتحريكها دون تحريك الأقاويل الصادقة إذا تساوى فيهما الخيال وما يعضده ممّا داخل الكلام وخارجه. فتحريك الصادقة عامّ فيها قويّ وتحريك الكاذبة خاص فيها ضعيف وما عمّ التحريك فيه وقوي كان أخلق بأن يجعل عمدة في الاستعمال حيث يتأتّى. كما أنّ ما عَذُب من الألفاظ ولم يكن حوشيّا ولا عاميّا أجدر أن يُعْتَمَد في الشعر من غيره. لكنّ الشاعر أيضاً يضطرّ حيث يريد تحسين قبيح أو تقبيح حسن أو تتميم ناقص بالنسبة إلى ما يراد منه بالمبالغة في وصفه لتزيد النفوسَ

زيادةُ الوصف تحريكا، فيستعمل حينئذ الأقاويل الكاذبة وما لا يوقع الصدق كما يستعمل الحوشيّ والعاميّ من الألفاظ مضطرّا في ذلك، أو مسامحة للفكر في ما يقتضيه من المعاني أو يجتلبه من الألفاظ عفوا دون كدّ، أو لأن يرى بعض الأحوال المقدّرة التي يتخيّلها أهزّ من الأحوال التي وقعت له، فيبني قوله على الحال المخيّلة الممكنة دون الواقعة، ليكون الكلام بذلك أشدّ موقعا من النفس وعُلوقا بالقلب.

14ـ **تنويـر:** فقد تبيّن أنّ أفضل الموادّ المعنويّة **[30 ـ أ]** في الشعر ما صدق وكان مشتهرا، وأحسن الألفاظ ما عذب ولم يبتذل في الاستعمال وكلامنا ليس واجبا على الشاعر لزومُه، بل مؤثرا حيث يمكن ذلك.

وتبيّن بهذا أنّ قول من قال: إنّ مقدّمات الشعر لا تكون إلاّ كاذبة كاذب، وأنّه بمنزلة من يقول: إنّ الألفاظ الشعريّة لا تكون إلاّ حوشية ولا تكون مستعملة، لأنّ الألفاظ المستعملة والمقدّمات الصادقة أولى ما يستعمل في الشعر حيث يمكن ذلك ويكون الوضع والغرض لائقا به. وما مَثَلَه في قَصْر الشعر على الكذب مع أنّ الصدق أنجع فيه إذا وافق الغرض إلاّ مَثَلُ من منع من ذي علّة ما هو أشدّ له موافقة بالنسبة إلى شكاته واقتصر به على أدنى ما يوافقه مع التمكّن من هذا وذلك. فإن كان هؤلاء الذين رأيهم هذا نفسوا على الشعراء وقوع الصدق في كلامهم، فلا خلق أشدّ نفاسة من هؤلاء. وإن كان جرى عليهم سهو وغلط في ذلك، فما أجدر هذه الفطر البشريّة والفكر الإنسانيّة بذلك !

15ـ **إضـاءة:** ولعلّ الغلط إنّما جرى عليهم من حيث ظنّوا أنّ ما وقع من الشعر مؤتلفا من المقدّمات الصادقة فهو قول برهاني، وما ائتلف من المشهورات فهو قول جدلي، وما ائتلفت من المظنونات المترجّحة الصدق على الكذب فهو قول خُطبي، ولم يعلموا أنّ هذه المقدّمات كلّها إذا وقع فيها التخييل والمحاكاة كان الكلام قولاً شعريّاً لأنّ الشعر لا تعتبر فيه المادّة، بل ما يقع في المادّة من التخييل.

وقد قال أبو علي ابن سينا: «الأقاويل الشعريّة مؤتلفة من المقدّمات المخيّلة من حيث يعتبر تخييلها، كانت صادقة أو كاذبة. وبالجملة تؤلّف من المقدمات من حيث لها هيئة وتأليف تقبلها النفس بما فيها من المحاكاة، بل ومن الصدق، فلا مانع من ذلك».[125] فانظر تر[126] كيف قرن هذا الإمام الرئيس صدق الشعر بالمحاكاة، لأنّ المحاكاة الحسنة في الأقوال الصادقة وحسن **[30 - ب]** إيقاع الاقترانات والنسب بين المعاني مثل التأليف الحسن في الألفاظ الحسنة المستعذبة.

ثمّ قال ابن سينا: «ولا يلتفت إلى ما يقال من أنّ البرهانيّة واجبة والجدليّة ممكنة أكثرية والخُطبية ممكنة متساوية لا ميل فيها ولا ندرة، والشعريّة كاذبة ممتنعة. فليس الاعتبار بذلك، ولا أشار إليه صاحب المنطق»[127].

وقال أبو علي أيضاً في موضع آخر: «وليس يجب في جميع المخيّلات أن تكون كاذبة، كما لا يجب في المشهورات وما يخالف الواجب قبوله أن تكون لا محالة كاذبة. وبالجملة التخييل المحرّك من القول متعلّق بالتعجّب منه: إمّا لجودة هيأته أو قوّة صدقه أو قوّة شهرته أو حسن محاكاته[128].

16ـ **تنوير:** واعلم أنّ للأقاويل الشعريّة مواطنَ حقيقةً بتوخّي الصدق، ومواطن لا يليق بها ذلك.

فالحقيقة بالصدق هي الأقاويل المتعلّقة بمناصحة ذوي التصافي، والتي لا يليق بها ذلك هي المقصود بها مغاشّة ذوي الأضغان. فلا تكون في ما كان نصحاً محضاً في الأكثر إلاّ صادقة.

---

125 ـ «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا، نشر يدوي «القسم الأول» تحقيق د. سليمان دنيا. تصدير ومراجعة د. إبراهيم مذكور 462ـ463 دار المعارف القاهرة ط 3 .

126 ـ بالأصل ترى.

127 ـ «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا «القسم الأوّل» تحقيق د. سليمان دنيا تصدير ومراجعة د. إبراهيم مذكور القاهرة ط 3، 363.

128 ـ تقرأ هذه الجملة بهذا الوجه لا كما هي عليه عند بدوي،110 .

وإن كان لقاصد النصح أيضاً أن يتعرّض للكذب النافع في طريق النصح، كمن يحذّر قوما من عدوّ يتوقّع إناخته عليهم، فإنّ له أن يقرّب البعيد ويُكثّر القليل في ذلك ليأخذوا لأنفسهم بالحزم والاحتياط. ولا تكون في ما قصد به الغشّ إلاّ كاذبة.

وأكثر ما يمال بالأقاويل الشعريّة في صغوَى الصدق والكذب بحسب هذين المقصدين في مواطن إدارة الآراء والإشارة بوجوه الحيل والمكائد والتدابير لما يستقبل ويتوقّع.

وهذه الأقاويل هي التي يسمّيها أبو عليّ ابن سينا «بالمشوريات».

17ـ **إضاءة:** فقد تبيّن من هذا وممّا قبله أنّ الشعر له مواطن لا يصلح فيه إلاّ استعمال الأقاويل الصادقة، ومواطن لا يصلح فيها إلاّ استعمال الأقاويل الكاذبة، ومواطن يصلح فيها استعمال الصادقة والكاذبة واستعمال الصادقة أكثر وأحسن، ومواطن يحسن فيها استعمال الصادقة والكاذبة واستعمال **[31 ـ أ]** الكاذبة أكثر وأحسن، ومواطن تستعمل فيها كلتاهما من غير ترجّح. فهي خمسة مواطن، لكلّ مقام منها مقال.

وقد بيّن أبو عليّ ابن سينا كون التخييل لا يناقض اليقين وكون القول الصادق في مواطن كثيرة أنجع من الكاذب. فقال:

«والمخيّل هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط لأمور أو تنقبض عن أمور من غير رويّة وفكر واختيار. وبالجملة تنفعل له انفعالا نفسانيّا غير فكري، سواء كان المقول مصدّقا به أو غير مصدّق به. فإنّ كونه مصدّقا به غير كونه مخيّلا أو غير مخيّل. فإنّه قد يصدّق بقول من الأقوال ولا ينفعل عنه، فإن قيل مرّة أخرى أو على هيئة أخرى انفعلت النفس عنه طاعة للتخيّل لا للتصديق. فكثيرًا ما يؤثر الانفعال ولا يحدث تصديقا، وربّما كان المتيقّن كذبه مخيّلا. وإن كانت محاكاة

الشيء لغيره تحرّك النفس وهو كاذب فلا عجب أن تكون صفة الشيء على ما هو عليه تحرّك النفس وهو صادق، بل ذلك أوجب، لكنّ الناس أطوع للتخييل منهم للتصديق. وكثير منهم إذا سمع التصديقات استكرهها وهرب منها. وللمحاكاة شيء من التعجيب ليس للصدق لأنّ الصدق المشهور كالمفروغ منه، ولا طراءة له. والصدق المجهول غير ملتفت إليه. والقول الصادق إذا حرّف عن العادة وألحق به شيء تستأنس به النفس فربّما أفاد التصديق والتخييل معًا، وربّما شغل التخييل عن الالتفات إلى التصديق والشعور به»[129].

وقد قال أبو نصر في كتاب الشعر: «الغرض المقصود بالأقاويل المخيّلة أن ينهض السامع نحو فعل الشيء الذي خيّل له فيه أمر ما من طلب له أو هرب عنه»[130].

ثم قال: «سواء صدّق بما يخيّل إليه من ذلك أم لا كان الأمر في الحقيقة على ما خيّل له أو لم يكن»[131].

فأنت ترى هذين الرجلين كيف جعلا التخييل قد يكون بما هو حقيقة في الشيء، وقد يكون بما لا حقيقة له.

[31 ـ ب] 18 ـ **تنوير:** وإنّما غلط في هذا فظنّ أنّ الأقاويل الشعريّة لا تكون إلاّ كاذبة قوم من المتكلّمين لم يكن لهم علم بالشعر، لا من جهة مزاولته ولا من جهة الطرق الموصلة إلى معرفته.

ولا مُعرّج على ما يقوله في الشيء من لا يعرفه، ولا التفات إلى رأيه فيه. فإنّما يطلب الشيء من أهله. وإنّما يقبل رأي المرء فيما يعرفه.

129 ـ وردت الفقرة كلها مع خلاف في اللفظ قليل في أرسطو، (1) 161.
130 ـ يبدو أن هاتين الجملتين مأخوذتان من كتاب الفارابي في الشعر والقوافي وهو الكتاب الذي أشار إليه ابن أبي أصيبعة،٢، 139.
131 ـ المصدر نفسه.

وليس هذا جرحة للمتكلّمين ولا قدحا في صناعتهم، فإنّ تكليفهم أن يعلموا من طريقتهم ما ليس منها شطط.

والذي يورّطهم في هذا أنّهم يحتاجون إلى الكلام في إعجاز القرآن، فيحتاجون إلى معرفة ماهيّة الفصاحة والبلاغة من غير أن يتقدّم لهم علم بذلك، فيفزعون إلى مطالعة ما تيسّر لهم من كتب هذه الصناعة. فإذا فرّق أحدهم بين التجنيس والترديد، وماز الاستعارة من الإرداف، ظنّ أنّه قد حصّل على شيء من هذا العلم، فأخذ يتكلّم في الفصاحة بما هو محض الجهل بها. ومثلُهم في هذا مثل رجل، شاهدتُ له هذه القصّة التي أذكرها، بمرسية:

وذلك أنّه مرض له صاحب كان يعزّ عليه ويرى في حياته حياته، ولم يكن له علم بالطبّ ولا تقدّم أن نظر فيه. ففزع في الحين إلى استعارة كتب الطبّ والنظر فيها ليعالج صاحبه المريض. فانسلخت عنه ليلة وهو يتعاطى في غدها من المعالجة الطبّية ما لم يكن يتعاطاه في أمسه، إذ كان قد ظنّ أنّه قد اكتسب معرفة صناعة الطب من ليلته. ثمّ شرع من صبيحته في معالجة صاحبه المريض، فقضى عليه في اليوم الثاني بثريدة أطعمها إيّاه رأى أنّها تصلح به. فكما أنّ هذا الرجل أصبح جالينوسا من ليلته كذلك يريد المتكلّم في الفصاحة من المتكلّمين أن يصبح من ليلته جاحظا وقُدامة إن شاء. [الطويل ـ ق ـ المتواتر]

وإنّ كَـلاَمَ المرءِ، ما لم تكُنْ لـه　　حَصَـاةٌ، عـلى عَوْراتِـهِ لَدَليـلُ[132]

132 ـ البيت، فيما قيل، في الاستدلال على عقل الرجل وحمقه بلسانه وكلامه، نسبه البحتري لطرفه ابن العبد. وقال: ويروى لكعب ابن زهير. والصحيح ما ذكره أولاً، البحتري: **الحماسة**، 367، وورد ذكر هذا البيت في قصيدة لطرفة، هجا بها ابن عمه عبد عمرو ابن بشير خادم عمرو بن هند أولها:

ألا أبلغـا عبد الضـلال رسالـة　　وقد يبلـغ الأنبـاء عنـك رسـول

شيخو، ق، 3، 306.

[32 ـ أ] 19 ـ **إضـاءة:** وكيف يظنّ إنسان أنّ صناعة البلاغة يتأتّى تحصيلها في الزمن القريب. وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها وإنّما يبلغ الإنسان منها ما في قوّته أن يبلغه. ألا ترى أنّ كثيراً من العلوم قد نفذ فيها قَومٌ في أزمنة لا تستغرق إلاّ جزءًا يسيرًا من العمر؟! وهذا أبو الطيب المتنبّي، وهو إمام في الشعر، لم يستقم شعره إلاّ من مزاولة الصناعة عشرين سنة، ثمّ زاولها بعد ذلك زمنا طويلا، وتوفي وهو يصيب فيها ويخطئ. وهذا ليس مختصّاً به وحده، بل كلّ إمام ناظم أو ناثر هذه غايته، إذ كانت هذه الصناعة تتشعّب وجوه النظر فيها إلى ما لا يحصى كثرة. فقلّما يتأتى تحصيلها بأسرها والعلم بجميع قَوَانِينها لذلك. وسائرها من العلوم ممكن أن يتحصّل كلّه أو جلّه. وليس هذا تَفْضيلاً لصناعة البلاغة على غيرها من العلوم، إذ ليس يلزم إذا كان علم أشدّ تشعّباً من علم آخر أن يكون أفضل منه، بل المفاضَلة بين العلوم من جهات أخر وعلى ما ذكرته.

فلو قدّرنا أن إنساناً ذكيّاً ينظر في علم من العلوم شهرا أو عاما لتحصّلت له من ذلك العلم مسائل محقّقة، ولا يحصل له في هذا القدر من الزمان من هذه الصناعة شيء يعتدّ به، إذ أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتّى بحسب المواضع. فقد يحسن في موضع ما يقبح في موضع ويقبح في موضع ويقبح في موضع ما يحسن في موضع، ولا يقف الإنسان على تلك المواضع إلاّ بطول المزالة. ولا يُشرف الإنسان على جمل من تلك المواضع يمكنه أن يستنبط بها أحكام ما سواها إلاّ بكثرة الفحص والتنقيب عمّا يجب اعتماده في جميع أحوال الصناعة من إيثار ما يجب أن يُؤثَر وترجيح ما يجب أن يرجّح بالنظر إلى الشيء في نفسه أو النظر إلى ما يقترن به أو إلى ما هو خارج عن ذلك ممّا تقدّم التعريف به.

[32 ـ ب] ج ـ معلم دالّ على طرق العلم بالأشيـاء المخيّلـة.

الشعر كلام مخيّل موزون، مختصّ في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك. والتئامه من مقدّمات مخيّلة، صادقة كانت أو كاذبة، لا يشترط فيها بما هي شعر غير التخييل.

1 ـ **إضـاءة:** والتخييل في الشعر يقع من أربعة أنحاء: من جهة المعنى، ومن جهة الأسلوب، ومن جهة اللفظ، ومن جهة النظم والوزن.

وينقسم التخييل بالنسبة إلى الشعر قسمين: تخييل ضروري. وتخييل ليس بضروري، ولكنّه أكيد أو مستحبّ، لكونه تكميلاً للضروري وعونًا له على ما يراد من إنهاض النفس إلى طلب الشيء أو الهرب منه.

والتخاييل الضروريّة هي تخاييل المعاني من جهة الألفاظ. والأكيدة والمستحبّة تخاييل اللفظ في نفسه وتخاييل الأسلوب وتخاييل الأوزان والنظم، وآكد ذلك تخييل الأسلوب.

2 ـ **تنويـر:** والتخييل أن تتمثّل للسّامع من لفظ الشاعر المخيّل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيّلها وتصوّرها، أو تصوّر شيء آخر بها انفعالا من غير رويّة إلى جهة من الانبساط أو الانقباض.

3 ـ **إضـاءة:** وطرق وقوع التخييل في النفس: إمّا أن تكون بأن يتصوّر في الذهن شيء من طريق الفكر وخطرات البال، أو بأن تشاهد شيئاً فتذكر به شيئا، أو بأن يحاكى لها الشيء بتصوير نحتيّ أو خطيّ أو ما يجري مجرى ذلك، أو يحاكى لها صوته أو فعله أو هيأته بما يشبه ذلك من صوْت أو فعل أو هيأة، أو بأن يحاكى لها معنى بقول يخيّله لها وهذا هو الذي نتكلّم فيه نحن في هذا المنهج أو بأن يوضع لها علامة من الخط تدلّ على القول المخيّل، أو بأن تفهم ذلك بالإشارة.

[33 ـ أ] د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بجهات مواقع التخييل من الأقاويل وما بإزائها من المعاني وما يحسن أن ينحى بالمحاكاة نحوه من ذلك وما لا يحسن.

وأحسن مواقع التخييل: أن يناط بالمعاني المناسبة للغرض الذي فيه القول كتخييل الأمور السارّة في التهاني، والأمور المفجعة في المراثي. فإنّ مناسبة المعنى للحال التي فيها القول وشدّة الْتباسه بها يعاون الخييل على ما يراد من تأثّر النفس لمقتضاه.

1 ـ **إضـاءة:** ويحسّن موقع التخييل من النفس، أن يترامى بالكلام إلى أنحاء من التعجيب، فيقوى بذلك تأثّر النفس لمقتضى الكلام.

والتعجيب يكون باستبداع ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقلّ التهدّي إلى مثلها. فورودها مستندر مستطرف لذلك: كالتهدّي إلى ما يقلّ التهدّي إليه من سبب للشيء تخفى سببيته، أو غاية له، أو شاهد عليه، أو شبيه له أو معاند، وكالجمع بين مفترقين من جهة لطيفة قد انتسب بها أحدهما إلى الآخر، وغير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس أن تستغربها.

2 ـ **تنويـر:** ويجب ألاّ يسلك بالتخييل مسلك السذاجة في الكلام، ولكن يتقاذف بالكلام في ذلك إلى جهات من الوضع الذي تتشافع فيه التركيبات المستحسنة والترتيبات والاقترانات والنسب والواقعة بين المعاني. فإنّ ذلك ممّا يشدّ أزر المحاكاة ويعضدها. ولهذا نجد المحاكاة أبدا يتّضح حسنها في الأوصاف الحسنة التناسق، المتشاكلة الاقتران، المليحة التفصيل، وفي القصص الحسن الاطراد، وفي الاستدلال بالتمثيلات والتعليلات، وفي التشبيهات والأمثال والحكم، لأنّ هذه أنحاءٌ من الكلام قد جرت العادة في أن يجهد في تحسين **[33 ـ ب]** هيآت الألفاظ والمعاني وترتيباتها فيها.

3 **إضـاءة:** وإذا كان في قوّة القول البسيط أو القريب من البساطة أن يتخيّل منه أشياء لو وضع اللفظ طبقا لها لم يكن إلاّ متركّبا، حسن الهيئة، جرى مجرى

ما قبله في الاستحسان. وذلك كالتشبيه بغير حرف وكالاستعارة وما مجرى مجراهما في ذلك.

هـ ـ معلم دالّ على طرق العلم بما تنقسم إليه المحاكاة.

لا يخلو المحاكي من أن يحاكي موجودا بموجود أو بمفروض الوجود مقدّره. ومحاكاة الموجود بالموجود لا تخلو من أن تكون محاكاة شيء بما هو من جنسه أو محاكاة شيء بما ليس من جنسه. ومحاكاة غير الجنس لا تخلو من أن تكون محاكاة محسوس بمحسوس أو محاكاة محسوس بغير محسوس، أو غير محسوس بمحسوس، أو مدرك بغير الحسّ بمثله في الإدراك. وكلّ ذلك لا يخلو من أن يكون محاكاة معتاد بمعتاد، أن مستغرب بمستغرب، أو معتاد بمستغرب، أو مستغرب بمعتاد. وكلّما قرب الشيء ممّا يحاكى به كان أوضح شبها. وكلّما اقترنت الغرابة والتعجيب بالتخييل كان أبدع.

1 ـ **إضاءة:** وتنقسم التخاييل والمحاكيات بحسب ما يقصد بها إلى: محاكاة تحسين، ومحاكاة تقبيح، ومحاكاة مطابقة لا يقصد بها إلا ضرب من رياضة الخواطر والمُلح في بعض المواضع التي يعتمد فيها وصف الشيء ومحاكاته بما يطابقه ويخيّله على ما هو عليه. وربّما كان القصد بذلك ضربا من التعجيب أو الاعتبار. وربّما كانت محاكاة المطابقة في قوّة المحاكاة التحسينيّة أو التقبيحيّة. فإنّ أوصاف الشيء الذي يقصد في محاكاته المطابقة لا تخلو من **[34 ـ أ]** أن تكون من قبيل ما يُحْمد ويذمّ وإن قلّ قسطها مثلاً من الحمد والذم. والنفس من شأنها أن تميل إلى ما يحمد وتتجافى عمّا يذمّ. فكأنّ التخييل بالجملة لم يخل من تحريك النفس إلى استحسان أو إلى استقباح فلهذا كانت قوة محاكاة المطابقة في كثير من المواضع قوّة إحدى المحاكاتين التحسينيّة أو التقبيحية، لكنّها قسم ثالث على كلّ حال، إذ لم تخلص إلى تحسين ولا تقبيح.

وقد ذكر هذا أبو علي بن سينا، وقسّم المحاكيات هذه القسمة[133].

2 ـ **تنويـر:** وممّا تنقسم إليه المحاكاة وقد كان يليق بهذه القسمة أن تكون مدرجة في القسم المصدّر به هذا المعلم فاستدركناها هنا إذ فاتت هنالك، وقد اندرج في هذه أيضاً بعض ما اندرج في تلك وذلك أنّ المحاكاة إمّا أن تكون محاكاة ومجود أو محاكاة فرض. وكلتاهما لا تخلو من أن تكون محاكاة مطلقة. أو محاكاة شرط، أو محاكاة إضافة، أو محاكاة تقدير وفرض. ومحاكاة الموجود بالموجود إمّا أن تكون محاكاة كلّي بكلّي، أو جزئي بجزئي، أو كلّي بجزئي أو جزئي بكلّي. وكلّ قسم من هذه فإمّا أن يحاكى فيه محسوس بمحسوس، أو محسوس بغير محسوس، أو غير محسوس بمحسوس، أو غير محسوس بغير محسوس. ولا يخلو أن يحاكى الشيء بما هو من نوعه الأقرب، أو جنسه الأقرب أو الأبعد، أو بغير جنسه.

3 ـ **إضـاءة:** وينقسم التخييل بالنظر إلى متعلّقاته قسمين:

تخيّل المقول فيه بالقول، وتخيّل أشياء في المقول فيه وفي القول من جهة ألفاظه ومعانيه ونظمه وأسلوبه.

فالتخييل الأوّل يجري مجرى تخطيط الصور وتشكيلها. والتخليلات الثواني تجري مجرى النقوش في الصورة والتوشيّة في الأثواب والتفصيل في فرائد العقود وأحجارها.

وقد ذكرت في تأليف الألفاظ واقْترَانات المعاني[134]. وأذكر بعد هذا[135] إن شاء الله في الهيآت النظميّة وضمّ بعض الأبيات والفصول إلى بعض وفي نسق أجزاء الجهات في **[34 ـ ب]** أسلاك الأساليب ممّا يستحسن من ضروب الصيغ والهيئات المستحسنة في جميع ذلك ما تغنَى بذكره هناك عن [أن][136] أنصه لك هنا.

---

133 ـ انظر أرسطو، (1) 170و 171.

134 ـ من موضوعات القسم الأول المفقود.

135 ـ إشارة إلى موضوعات القسم الثاني.

136 ـ بالأصل بغير أن.

وتلك الصيغ والهيئات هي التخاييل الثواني. وللنفس، بما وقع به من ذلك تشاكل في الكلام، ابتهاج لأنّ تلك الصيغ تنميقات الكلام وتزيينات له. فهي تجري من الأسماع مجرى الوشي في البرود والتفصيل في العقود من الأبصار. فالنفوس تتخيّل بما يخيّل لها الشاعر من ذلك محاسن ضروب الزينة فتبتهج لذلك. ولهذا نقلوا إلى بعض الهيئات اللفظية التي من هذا القبيل أسماء الصناعات التي هي تنميقات في المصنوعات. فقالوا: الترصيع، والتوشيح، والتسهيم من تسهيم البرود. وكثير من الكلام الذي ليس بشعريّ باعتبار التخييل الأوّل يكون شعرا باعتبار التخاييل الثواني. وإن غاب هذا عن كثير من الناس.

4 ـ **تنويـر:** وتنقسم المحاكاة من جهة ما تخيّل الشيء بواسطة أو بغير واسطة قسمين: قسم يخيّل لك فيه الشيء نفسه بأَوْصافِهِ التي تحاكيه، وقسم يخيّل لك الشيء في غيره.

وكما أنّ المحاكي باليد قد يمثّل صورة الشيء نحتا أو خطّا فتعرف المصوّر بالصورة، وقد يتّخذ مرآة يبدي لك بها تمثال تلك الصورة فتعرف المصوّر أيضاً بتمثال الصورة المتشكّل في المرآة، فكذلك الشاعر تارة يخيّل لك صورة الشيء بصفاته نفسه، وتارة يخيّلها لك بصفات شيء آخر هي مماثلة لصفات ذلك الشيء. فلا بدّ في كلّ محاكاة من أن تكون جارية على أحد هذين الطريقين: إمّا أن يحاكي لك الشيء بأوصافه التي تمثّل صورته، وإمّا بأوصاف شيء آخر تماثل تلك الأوصاف. فيكون ذلك بمنزلة ما قدّمت من أنّ المحاكي للشيء، بأن يضع له تمثالا يعطي به صورة الشيء المحاكى، قد يعطي أيضاً هيئة تمثال الشيء وتخطيطه بأن يتّخذ له مرآة يبدي صورته فيها. فتحصل المعرفة بما لم يكن يعرف: إمّا برؤية تمثاله، وإمّا برؤية صورة تمثاله. فيعرف الشيء بما **[35 ـ أ]** يحاكيه، أو بما يحاكي ما يحاكيه. وربّما ترادفت المحاكاة وبني بعضها على بعض فتبعد الكلام عن الحقيقة بحسب ترادف المحاكاة وأدّى [ذلك][137] إلى الاستحالة.

137 ـ يقتضي المقام تقدير لفظ (ذلك) تصحيحًا للجملة وهو غير موجود بالأصل.

ولذلك لا يستحسن بناء بعض الاستعارات على بعض حتّى تبعد عن الحقيقة برتب كثيرة لأنّها راجعة إلى هذا الباب. فمحاكاة الشيء نفسه هي المحاكاة التي ليست بواسطة، ومحاكاة الشيء بغيره هي المحاكاة التي بواسطة.

5 **إضاءة:** وكلّ واحدة من المحاكاتين: المتّحدة والمزدوجة أعني أنّ الواحدة تشتمل على محاكى خاصّة، والثانية تشتمل على محاكى ومحاكى به وتنقسم قسمين: محاكاة الشيء نفسه على حسب ما ألف فيه، ومحاكاة الشيء بغيره على حسب ما ألف فيهما، ومحاكاته فيه على غير ما ألف. وأعني بغير المألوف أن تكون حاله مستغربة.

ومن محاكاة الشيء بغيره على غير ما ألف فيه قول أبي عمر ابن درّاج:

[الكامل ـ ق ـ المتواتر]

وسلافـةُ الأعنـاب يَشعـلُ نـارُهـا   تُهـدَى إلـيّ بيانـع العُنّـابِ[138]

فالمألوف أن يذوي النبات الناعم بمجاورة النار لا أن ينع، فأغرب في هذه المحاكاة كما ترى.

6 ـ **تنوير:** وللمحاكاة انقسام بحسب تنوّعها إلى المألوف والمستغرب ومقابلة بعضها ببعض. فيحصل عن ذلك ستّة أقسام: ـ 1 ـ محاكاة حالة معتادة ـ 2 ـ ومحاكاة حالة مستغربة ـ 3 ـ ومحاكاة معتاد بمعتاد ـ 4 ـ ومستغرب بمستغرب ـ 5 ـ ومعتاد بمستغرب ـ 6 ـ ومستغرب بمعتاد.

ومحاكاة الأحوال المستغربة إمّا أن يقصد بها إنهاض النفوس إلى الاستغراب أو الاعتبار فقط. وإمّا أن يقصد حملها على طلب الشيء وفعله أو التخلّي عن ذلك مع ما تجده من الاستغراب.

---

138 ـ ورد البيت بلفظ توقد بدل يشعل كما في النص. وهو من قصيدة مطلعها:

أوجفتُ خيلي في الهوى وركابي   وقذفت نبلي في الصّبا وحرابي

الثعالبي، (1) 1، 449.

وللنفوس تَحَرُّكٌ شديد للمحاكيات المستغربة لأنّ النفس إذا خُيّل لها في الشيء ما لم يكن معهوداً من أمر معجب في مثله وجدت من استغراب ما خيّل لها ممّا لم تعهده في الشيء ما يجده المستطرف لرؤية ما لم **[35 - ب]** يكن أبصره قبل. ووقوع ما لم يعهده من نفسه موقعا ليس أكثر من المعتاد المعهود.

وفنون الإغراب والتعجيب في المحاكاة كثيرة. وبعضها أقوى من بعض وأشدّ استيلاء على النفوس وتمكنّا من القلوب.

7 ـ **إضــاءة:** وتنقسم المحاكاة أيضاً من جهة ما تكون متردّدة على ألسن الشعراء قديما بها العهد، ومن جهة ما تكون طارئة مبتدعة لم يتقدّم بها عهد قسمين: فالقسم الأوّل هو التشبيه المتداول بين الناس. والقسم الثاني هو التشبيه الذي يقال فيه إنّه مخترع. وهذا أشدّ تحريكا للنفوس إذا قدّرنا تساوي قوّة التخييل في المعنيين لأنّها أنست بالمعتاد فربّما قلّ تأثّرها له، وغير المعتاد يفجؤها بما لم يكن به لها استئناس قطّ فيزعجها إلى الانفعال بديهًا بالميل إلى الشيء والانقياد إليه أو النفرة عنه والاستعصاء عليه. وأمّا المعنى في نفسه فحقيقة واحدة. ولا فرق، بالنظر إلى حقيقته، بين أن يكون جديدًا مخترعًا وأن يكون قديمًا متداولاً. وإنّما الفضل في المعنى المخترع راجع إلى المخترع له وعائد عليه ومبين عن ذكاء ذهنه وحدّة خاطره.

وسيأتي لهذا فضلُ بيانٍ في المنهج الرابع[139] من هذا القسم إن شاء الله.

8ـ **تنويــر:** وتنقسم المحاكاة أيضاً، بالنظر إلى محاكاة جزء من معنى بجزء من معنى، أو محاكاة معنى بمعنى، أو محاكاة قصّة تتضمّن معاني بقصّة تتضمن معاني، ثلاثة أقسام، الثالث منها تاريخ.

9ـ **إضــاءة:** والتخاييل في المعاني منها محاكيات تقع في أمور من جهة ما ترتّبت في مكان وحصل لبعضها وضعٌ ونسبةٌ من بعض. فتحاكى على ما وقعت عليه من ذلك. ومنها محاكيات تقع في أمور من جهة ما ترتّبت في زمان ووقع فيه بعضها بنسبة من بعض وانتسب شيء منها إلى شيء، فتحاكى **[36 - أ]** أيضاً على ما وقعت عليه من ذلك.

---

139 ـ انظر: 170 ـ 173.

10 ـ **تنويـر:** وإذا خيّلت الأمور المترتّبة في مكان أو زمان فلا يخلو من أن يتعرّض إلى أنّ ما خيّل عليه أمر كلّي في ما كان من ذلك الجنس أو مناقضه لمن يعتقد أنّ ضدّ ما خيّلته المحاكاة حكم كلّي. فيستثني المحاكي بعض ذلك الكلّي فيخرجه عن ذلك الحكم، أو لا يتعرّض. فإن تعرّض فالقول إن كان متعلّقا بأمر للناس به عناية وكان قد خرج في عبارة محكمة حكمةٌ أو مثل أو جَارٍ مجرى الحكمة والمثل، وإن لم يتعرّض فالقول اختصاص أو غير ذلك.

11 ـ **إضـاءة:** ولا تخلو أن تُخيّل نفوس الأمور بأقوال دالّة على خواصّها وأعراضها اللاّحقة التي تقوم بها في الخواطر هيآت تلك الأمور وتتّسق صورها الخيالية، أو تخيّل بأن تحاكى بأقوال دالّة على خواصّ أشياء أخر وأعراضها التي بها تنتظم صورها الخياليّة في النفس فتجعل الصور المرتسمة من هذه الأشياء المحاكى بها أمثلة لصور الأشياء المحاكاة. ويستدلّ بوجود الحكم في المثال على وجوده في الممثّل. فالقول على هذا ينقسم: إلى محاكاة قصص وما جرى مجراه، وإلى محاكاة حكمة، وإلى محاكاة قصص بقصص أو نحوه، وإلى محاكاة قصص بحكمة، ومحاكاة حكمة بحكمة. ولا تحاكى الحكمة بالقصص إلاّ حيث تكون جزئيّة لأنّ الحكمة إذا كانت كليّة كانت أعمّ من القصص، فلا تحاكى لذلك به إلاّ على جهة الاستدلال التمثيلي. وربّما منع من ذلك في بعض المواضع كون الحكمة أشرف من القصص وأجزل موقعًا، فلا يفتقر إلى إعانتها بمحاكاة إذا كانت بالغة. فالحكم على هذا إذا استقصيت أركانها وأعرب عنها بلفظ جَزْلٍ محكم العبارة أنيق النظام خفيفٍ على اللسان مخيّلٍ لمّا دلّ به عليه محاكاة كانت أمثلَة لما قبلها أو لم تكن.

و ـ معرف[140] دالّ على طرق المعرفة بأحكام [36 ـ ب] المحاكيات وما يجب أن يعتبر فيها، والاستبانة لمناقل الفكر في التخيّلات الشعريّة، وكيفية التهدّي إلى التحسينات والتقبيحات التي يُنْحَى بالأقاويل المخيّلة نحوها.

قد قدّمت[141] أنّ المحاكاة تنقسم قسمين: محاكاة الشيء نفسه، ومحاكاة الشيء في غيره. وبقي أن نتبيّن أحكام هذه وأحكام تلك. فلنقدّم أحكام محاكاة الشيء نفسه. فأقول: إنّ الأشياء منها ما يدرك بالحسّ، ومنها ما ليس إدراكه بالحسّ. والذي يدركه الإنسان بالحسّ فهو الذي تتخيّله نفسه لأنّ التخييل تابع للحسّ، وكلّ ما أدركته بغير الحسّ فإنّما يرام تخييله بما يكون دليلاً على حاله من هيئات الأحوال المطِيفة به واللاّزمة له، حيث تكون تلك الأحوال ممّا يحسّ ويشاهد. فيكون تخييل الشيء من جهة ما يستبينه الحسّ من آثاره والأحوال اللاّزمة له حال وجوده والهيئات المشاهدة لما التبس به ووجد عنده. وكلّ ما لم يحدّد من الأمور غير المحسوسة بشيء من هذه الأشياء، ولا خصّص بمحاكاة حال من هذه الأحوال بل اقتصر على إفهامه بالاسم الدالّ عليه، فليس يجب أن يعتقد في ذلك الإفهام أنّه تخييل شعريّ أصلا، لأنّ الكلام كلّه كان يكون تخييلا بهذا الاعتبار.

1 ـ **إضـاءة:** فأمّا الأشياء المدركة بالحسّ فإنّها تخيّل بخواصّها وأعراضها. وكلّما كانت الأعراض في ذلك قريبة شهيرة مناسبة لغرض القول كانت أحسن. ولا يخلو الشيء المخيّل من أن يقصَد تخييلُه على الكمال أو يقتصر فيه على أدنى ما يخيّله. فإنْ قصد تخييله على الكمال وجب أن يقصد في محاكاته إلى ذكر خواصّه وأعراضه القريبة اللاّزمة له في جميع أحواله أو اللاّحقة له في حال

140 ـ بالأصل معلم.
141 ـ انظر التنوير 4 من المعلم السابق.

مّا من [37 ـ أ] جهة هيئته ومقداره ولونه وملمسه. وربّما أردف ذلك بمحاكاة هيئته وحركته أو صوته إن كان ممّا له ذلك. وإن قصد الاقتصار فيه على أدنى ما يخيّله كان الوجه أن يقصد إلى بعض خواصّ الشيء وأعراضه القريبة الشهيرة فيه، كما يقال الضئيلة الرقشاء، فتتخيّل منه الحيّة، ويستحسن في المحاكاة أن يبدأ بالأصل في الشيء والأشهر فيه.

2 ـ **تنوير:** وكلّ شيء حوكي بما تدركه الحواسّ فلا يخلو من أن يكون متساوي الأجزاء متماثلها، أو متخالفها متفاوتها. وكلاهما لا يخلو من أن يكون على صفة واحدة من جميع أقطاره، أو على صفات شيء في هيئته أو لونه أو ملمسه. وكلّ ذلك لا يخلو من أن يكون على شكل واحد في حاليْ حركته وسكونه أو يكون ما يختلف شكله في الحالين. وكلّ ذلك يجب أن يعتبر في المحاكاة إذا قصد تخييل الشيء على جميع هيآته وأوصافه وفي جميع أحواله. فلا يخلط ما تعلّق بوصف حال من ذلك بما تعلّق بحال مغايرة لها. وقد يخيّل الشاعرالشيء ببعض أوصافه دون بعض، وعلى ما يكون عليه في بعض أحواله.

3 ـ **إضاءة:** وكلّ ما تختلف أجزاؤه وأقطاره وأشكاله وهيئاته في حال حال من شؤونه فإنّ المحاكاة فيه لا تخلو من أن تفصّل بحسب الأجزاء والأقطار والأشكال والهيئات وتجعل هذه الأشياء أركانا للكلام تقسم التخاييل إليها، وتبنى المحاكاة عليها كقول امريء القيس: [المتقارب ـ ق ـ المتدارك]

إذا أقبَلَتْ قُلْتَ سُرعُوفَةٌ[142]

وقول الأسْعَر الجُعْفي: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

142 ـ البيت بلفظ أعرضت في الديوان لا أقبلت كما هنا. ورواية الديوان أصحّ، إذ بها تتمّ المطابقة ويُتفادى التكرار. والذي أورد حازم منه الشطر الأول. وهو من قصيدة مطلعها:

أحارُ ابن عمرو كأنّي خَمِرْ ... ويعدو على المرء ما يأتمِرْ
إذا أقبلت قلت دُبّاءة ... من الخضر مغموسة في الغدر
وإن أدبرت قلت أثنية ... ململمة ليس فيها أثر
وإن أعرضت قلت سرعوفة ... لها ذنب خلفها مسبطر

السندوبي، (3)، 99. وقوله أحار. ترخيم اسم حارث المنادَى بالهمزة.

أمّـــا إذا استقْبلْـتَـــهُ (......)   فتقـولُ هذا مثـلُ سرحانِ الغَضَـا[143]

أو تجعل الشيءَ المخيّل بحسب تبايُن أجزائه وأقطاره وأشكاله قطبا لمدار الأوصاف المخيّلة لهيئة جزء جزء وقطر قطر من أجزاء الشيء وأقطاره، ولكلّ ما تتنوّع إليه أشكاله وهيئاته بحسب اختلاف أحوالها مقرونة **[37 ـ ب]** بمخيّلاتها وما هي محاكاة له في الحقيقة على سبيل التخصيص أو مُسْتغْنًى عن ذلك. فيكون الكلام على هذا متناسقاً متسلسلاً، وعلى الوجه الآخر مفصّلاً مقسّماً. وكلّما كثرت التخاييل زاد التفصيل حسناً.

4 ـ **تنوير:** وإذا حوكي الشيء جملة أو تفصيلاً فالواجب أن تؤخذ أوصافه المتناهية في الشهرة والحسن إن قصد التحسين، وفي الشهرة والقبح إن قصد التقبيح. ويبدأ [في الحسن][144] بما ظهور الحسن فيه أوضح وما النفس بتقديمه أعنى، ويبدأ في الذمّ بما ظهور القبح فيه أوضح والنفس بالالتفات إليه أيضاً أعني، وينتقل من الشيء إلى ما يليه في المزيّة من ذلك. ويكون بمنزلة المصوّر الذي يصوّر أوّلا ما جلّ من رسوم تخطيط الشيء، ثم ينتقل إلى الأدقّ فالأدقّ. وهذا في تخييلات الأشياء المقصود تخييل جزء جزء منها واجب، مثل أن يبدأ بتخييل أعالي الإنساني ويختتم بتخييل أسفله، لا سيّما إذا كانت المحاكاة تفصيليّة. فإن كانت الأوصاف المخيّل بها متفاوتة لم يحسن الجمع بينهما كيفما رتّبت إلاّ باستئناف أحدهما في حيّز من الكلام منفصل عن حيّز الآخر أو بمنزلة المنفصل، لأنّ النقلة من الأدنى إلى الأعلى المفاوت طفرة،

---

143 ـ البيت في النص مبتور ملفق، وهو ثالث أبيات أوردها قدامة للأسعر بن حمدان الجعفي، شاهدا في التقسيم ورويها ألف مقصورة:

أمـــا إذا اسـتـقـبـلـتـه فـكـأنـه	بــاز يكفكف أن يطير وقــد رأى
أمـــا إذا اســتـدبــرتــه فـتـفـوقـه	ســاق قـمـوص الـوقـع عـاريـة النسا
أمــا مــا إذا اسـتـعـرضـتـه متمطرا	فتقول هــذا مثل ســرحــان الغضا

فقد حذف منه حازم عروضة كاملة وغيّر لفظه. انظر قدامة(1)، 46.

144 ـ كلمة (في الحسن) ساقطة بعد (يبدأ) في الأصل.

ومن الأعلى إلى الأدنى المفاوت سقوط وانحطاط. فأمّا إذا تناسبت الأوصاف فالوجه تقديم ما عناية النفس به أكبر وهو عندها أشهر في الشيء وأظهر فيه بالنسبة إلى غرض الكلام.

فهذا هو الوجه في المحاكيات والأوصاف إذا تناسبت، وأن يقال كما قال حبيب: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

إنّا غـــدونا واثِقيـــن بواثـــقٍ ... بالله شَمسِ ضُحًى وبدرِ تَمامِ[145]

وكما قال المتنبي: [المنسرح ـ ق ـ المتراكب]

شمسُ ضحاها هلالُ ليلتها[146]

ويحبّون عكس هذا، لكنّ هذا هو الوجه الذي كثر في فصيح كلام العرب.

[38 ـ أ] فأمّا قول القائل: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

تالله لا كَلَّـمتُـــها ولو انَّـها ... كالشمسِ أو كالبـدر أو كالمُكْتَـفِي[147]

فإنّما كان النسق ههنا على سبيل الترقّي لأنّ أوْ يذهب بها حيث يقصد تعجيب المخاطب من زيادة الشيء تعظيما بعد تعظيم أو تحقير بعد تحقير مَذهَبِ من تخطّى الشيء إلى ما هو أبلغ منه في المعنى. فحَسُن هذا لمّا كان هذا المذهب مناسبا لمعنى «أو» وما ينحى بها نحوه.

---

145 ـ البيت يروى في الديوان بلفظ رحلنا بدل غدونا، وتؤيد رواية حازم نسخة الأسكوريال، ودار الكتب المصرية، والبيت من قصيدة لأبي تمام يمدح بها الواثق ويرثي المعتصم، طالعها:

ما للدموع تروم كلّ مـــرام ... والجفن ثاكـل هجعــة ومنــام

التبريزي، 3، 204.

146 ـ 2) البيت من قصيدة مدح بها المتنبي في صباه محمدًا بن عبد الله العلوي، مطلعها:

أهلا بدار سبـــاك أغيدها ... أبعد ما بان عنـــك خردها؟

تمام البيت الذي أورده حازم شاهدًا :

در تقاصـــيرها زبرجُـــــدها

البرقوقي، (1)، 1، 200.

147 ـ البيت لأحد المولدين، ولم نتمكن من الوقوف على صاحبه.

5 ـ **إضاءة:** وإنّما قدّمت العرب أدنى المعينين على الآخر في مواضع معلومة من كلامها لمعان أخر: إمّا لأنّ الأحقر من جهةٍ مّا متقدّم على ما هو أجلّ منه من جهة أخرى، أو لأنّ أحدهما في ضمن الآخر ويخيّل بعض ما خيّل لا يكون بينهما تباين إلاّ من جهة الأزيد والأنقص والأعمّ والأخصّ. فَذِكرُ القاصر منهما بعد الآخر فضل. فلا يمكن أن يقرن به إلاّ بتقديمه عليه، أو لأنّ الأحقر بالنسبة إلى غرض الكلام أبلغ نحو قولهم: ما أخذت منه قليلا ولا كثيراً لأنّ إنكار القليل أبلغ من جهة الجحود فكان القليل لذلك أولى بالتقديم، أو لأنّ الأحقر يكون فيه استدراج لذكر الأجلّ وتسبّب له، ولمعان أخر يطول ذكرها. وكذلك التغليب في مثل القمرين إنّما يغلّب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظا أو معنى. وهذه جملة تحتاج إلى تفصيل، قد أغنَى عن ذكره هنا ما أوردناه ونورده بَعْدُ إن شاء الله من قوانين الفصاحة والبلاغة. فهذا هو القانون الذي يجب أن يُعتبر في ترتيب التخاييل والأوصاف.

6 ـ **تنوير:** وإنّما وقع الغلط في هذا القوم من القدماء كانوا فقراء من علم البلاغة على غنائهم من الرواية، ولقوم من أبناء هذا الزمان هم أفقر خلق الله من تلك وهذه، ولمن يريد أن يستنبط قوانين هذه الصناعة من صناعة أخرى **[38 ـ ب]** لعلّه لا يحسنها بَلْهَ هذه، وذلك غير ممكن، فإنّما يستنبط الشيء من معدنه ويطلب في مظنّته، أو لعلّ من هذه صفة قَد رأى يومًا أحدًا ممّن تكلّم في علم البلاغة قد عاب الانحطاط من الصفة إلى ما يوافقها في نسق واحد من الكلام. فهذا لا يخلو من أن يكون غير عارف بهذه الصناعة مثله، فهو جدير أن يظن أنّ ضدّ ذلك حسن وهو البدء بالشيء الأحقر والصيرورة منه إلى الأعظم المفاوت له في غرض يترامیان فيه إلى تحسين شيء واحد أو تقبيحه، أو يكون عارفا بالصنعة فيكون قد عاب ما هو جدير بالعيب، وهو يعتقد أنّ ضدّه معيب أيضاً كذلك لأنّ كلا الموضعين من وضع التنافر. وما اكثر ما يقع الغلط للناس في هذه الصنعة من هذا الباب ! لأنّ وجوه النظر في ما يحسن ويقبح في هذه الصنعة لا تحصى كثرة.

وكلّ ما يستحسن ويستقبح فإنّ له اعتبارات شتّى بحسب المواضع وما يليق بواحد واحد منها. وبحسب الأغْراضِ والأحوال وتباين المقاصد في جميع ذلك تتشعّب طرق الاعتبار في هذه الصناعة إلى ما يعزّ حصره، فيطالع بعض من لم يتفرّغ لهذه الصنعة ولا في طبعه أن يعلمها لو تفرّغ لها الشيء التافه من الأقاويل في هذه الصناعة، فيبني نظره فيها على ذلك، وهو قد حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء.

7 ـ **إضـاءة:** ويجب في محاكاة أجزاء الشيء أن ترتّب في الكلام على حساب ما وجدت عليه في الشيء لأنّ المحاكاة بالمسموعات تجري من السمع مجرى المحاكاة بالمتلوّنات من البصر. وقد اعتادت النفوس أن تصوّر لها تماثيل الأشباح المحسوسة ونحوها على ما عليه ترتيبها. فلا يوضع النحر في **[39 ـ أ]** صور الحيوان إلاّ تاليا للعنق وكذلك سائر الأعضاء. فالنفس تنكر لذلك المحاكاة القوليّة إذا لم يوال بين أجزاء الصور على مثل ما وقع فيها، كما تنكر المحاكاة المصنوعة باليد إذا كانت كذلك. فإن وقعت محاكاة على هذا النحو من فساد الترتيب فالواجب أن يعتقد فيها أنّها صور جزئيّة إذا كان كلّ جزء منها قد خيّل عل حدته على ما يجب فيه لا صورة كليّة لأنّ المجموع ليس له نظام المجموع، فيجب لهذا أن تعتبر المحاكاة تفاريق.

8 ـ **تنويـر:** ولا يخلو الشيء من أن يحاكى بأوصاف له شهيرة أو صفات، خاملة أو بمجموعها. ولا تخلو من أن تقع التخاييل في جميع أجزاء الشيء أو في بعضها. والمخيّل الذي تقع التخاييل في بعض أجزائه لا يخلو أن تقع في طرف واحد منه، أو في كلا طرفيه، أو فيهما معا وما بينهما. وأحسن التخاييل ما اشتهرت الأوصاف فيه وعمّت.

9 ـ **إضـاءة:** فالمحاكاة التامّة في الوصف هي استقصاء الأجزاء التي بموالاتها يكمل تخييل الشيء الموصوف. وفي الحكمة استقصاء أركان العبارة عن جملة أجزاء المعنى الذي جعل مثالا لكيفيات مجاري الأمور ولأحوال وما تستمرّ عليه أمور الأزمنة والدهور. وفي التاريخ استقصاء أجزاء الخبر المحاكى وموالاتها على حدّ ما انتظمت عليه حال وقوعها، كقول الأعشى:

[البسيط ـ ق ـ المتواتر]

كُن كالسَّمَوْءَلِ إذ طافَ الهمامُ به	فِي جَحْفَلٍ كَسواد الليلِ جَرَّارِ
إذ سَامَهُ خِطَّتيْ خَسْفٍ، فقال له:	قلْ ما تشاءُ، فإنِّي سَامع، حَارِ
فقال: غدرٌ وثكلٌ أنتَ بينهما	فاخترْ وَمَا فيهما حظٌّ لِمخْتارِ
فشكَّ غيرَ طويلٍ، ثم قال لهُ:	اقتلْ أسيرَكَ، إنِّي مانعٌ جاري [148]

[39 ـ ب] فهذه محاكاة تامّة،ولو أخلّ بذكر بعض أجزاء هذه الحكاية لكانت ناقصة، ولو لم يورد ذكرها إلاّ إجمالاً لم تكن محاكاة ولكن إحالة محضة.

10 ـ **تنوير:** فأمّا طريق التهدّي إلى تحسينات الأشياء وتقبيحاتها بالمحاكاة فإنّه لمّا كان المقصود بالشعر إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده بما يخيّل لها فيه من حسن أو قبح وجلالة أو خسّة وجب أن تكون موضوعات صناعة الشعر الأشياء التي لها انتساب إلى ما يفعله الإنسان ويطلبه ويعتقده. والأقاويل الدالّة على تلك الأشياء من حيث تُخَيَّلُ بها تلك الأشياء. فتحسين المحاكاة وتقبيحها إمّا أن يتعلّقا بفعل أو اعتقاد، أو يتعلّقا بالشيء الذي يفعل أو يعتقد.

وطرق تعلّقها بالشيء أو فعله أو اعتقاده أربعة.

1 ـ إمّا أن يحسّن الشيء من جهة الديّن وما توتره النفس من الثواب على فعل شيء أو اعتقاده وتخاف من العقوبة على تركه وإهماله واما أن يقبح من ضد ذلك.

2 ـ وإمّا أن يحسّن من جهة العقل وما يجب أن توثره الإنسان من جهة ما هو

---

148 ـ وردت هذه الأبيات مع بيت خامس وضع ثانيا ومع خلاف في اللفظ قليل عند الجمحي، 235 ـ 236 انظر العباسي،(2) ،390. وهي من قصيدة في مدح شريح بن حصن مطلعها:

شريح لا تتركنّي بعد ما علقت ... حبالك اليوم بعد القِدِّ أظفاري

الديوان، (3)، 179 ـ 181

وحار: ترخيم حارث المنادَى.

عاقل ذو أنفة من الجهل والسفاهة وإمّا أن يقبّح من ضدّ ذلك.

3 ـ وإمّا أن يحسّن من جهة المروءات والكرم وما تؤثره النفس من الذكر الجميل والثناء عليه أو يقبّح من ضدّ ذلك.

4 ـ وإمّا أن يحسّن من جهة الحظّ العاجل وما تحرص عليه النفس وتشتهيه ممّا ينفعها من جهة ما توثر من النعمة وصلاح الحال أو يقبّح من ضدّ ذلك. فوقوع التحسينات والتقبيحات في التخاييل الشعريّة إنّما يسلك به أبدا طريق من هذه الأربعة وهو: الدّين والعقل والمروءة والشهوة.

ويتعلّق التحسين والتقبيح **[40 - أ]** أبدا إمّا بالشيء الذي يراد الميل إليه أو النفرة عنه، وإمّا بفعله أو اعتقاده. فإذن التحسينات المتعلّقة بالشيء بالنسبة إلى هذه الطرق أربعة، وبفعله أو اعتقاده أربعة، فتلك ثمانية جهات يتفقّدها الشاعر إذا أراد تحسين شيء.

وللتقبيحات أيضاً بالنسبة إلى تلك الطرق فيما تعلّق بالشيء أربعة مذاهب، وفيما تعلّق بفعله أو طلبه أو عتقاده أربعة أيضاً. فهذه أيضاً ثماني جهات.

والجهات المزدوجة وهي التي يتعلّق التحسين والتقبيح فيها بالشيء وفعله أو اعتقاده معا بالنسبة إلى تلك الطرق الأربعة أيضاً ثمان.

فحصل من هذه الأنحاء التي تتفرّع إليها التحسينات والتقبيحات أربع وعشرون صورة. واذا اعتبر تحسين الشيء نفسه أو تقبيحه بالنظر إلى ما يكون عليه في نفسه وما يرجع إليه، أو بالنسبة إلى ما يكون منه بسبب ممّا هو خارج عنه، ومن جهة ما يقع منه أو به فعل، تضاعفت القسمة.

11 ـ **إضـاءة:** والتحسين والتقبيح يتعلّقان بالفعل من جهة ما هو عليه في نفسه، ومن جهة ما تكون عليه الأحوال المطيفة به. والأحوال المطيفة بالفعل هي: ـ 1 ـ الزمان ـ 2 ـ والمكان ـ 3 ـ وما منه الفعل ـ 4 ـ وما إليه الفعل ـ 5 ـ وما به الفعل ـ 6 ـ وما من أجله الفعل ـ 7 ـ وما عنده الفعل.

فقد يكون الفعل حسناً أو قبيحًا في نفسه، وقد يكون الحُسْنُ والقبح من جهة بعض هذه الأحوال المطيفة. فكلّ فعل قصد تحسينه أو تقبيحه من جهة ما يرجع إليه في نفسه، أو من جهة ما يرجع إلى الأحوال المطيفة به فإنّما يكون التحسين والتقبيح فيه من جهة ما يكون وفقا لبعض تلك الأشياء التي كأنّها غايات تترامى إليها مطالب الناس، أو من **[40 - ب]** جهة ما لا يكون وفقا لها. وتلك الأشياء التي عليها مدار التحسينات والتقبيحات هي: الوَرَع والعقل والمروءة والشهوة في الحظّ العاجل. فتحسين الفعل وتقبيحه يقع في كلّ ركن من هذه الأركان من ثمانية أنحاء على ما تقدّمت الإشارة إليه من حيث إنّ الفعل تطيف به أحوال سبعة.

12ـ **تنويـر:** وإنّما جعلت التحسين والتقبيح ينصرفان طورا إلى الشيء نفسه، وتارة إلى فعله أو اعتقاده أو طلبه، وتارة إلى مجموع ذلك كلّه، لأنّ الشيخ إذا عشق جارية جميلة وأردنا أن نصرفه عنها بالأقاويل الشعريّة اعتمدنا ذمّ الفعل وعيب التصابي في حال المشيب وما ناسب هذا. فإن كانت قبيحة أو ممّن يجوز تخييل القبح فيها أضفنا إلى ذمّ تصابي الشيخ ذم قبح الفتاة، فإن كان العاشق شابا اعتمدنا ذمّ ما في المرأة من قبح خلق وخلائق نحو ما يوصف النساء به من الغدر والملالة وغير ذلك. ولم نقبّح عليه العشق في الشباب إلاّ من جهة عقل أو نحو ذلك.

13ـ **إضـاءة:** والتحسينات والتقبيحات الشعريّة تميل إلى أشياء وتنصرف عن أشياء وتكثر في أشياء وتقلّ في أشياء بحسب ما يكون عليه الشيء من التباس بآداب البشر، وما يكون عليه من نفع أو ضرر، أو لا يكون له التباس يعتدّ به في تأثّر النفوس له من جهة نفع أو ضرر. وقد تقدّم التنبيه على أحوال المعاني في جميع ذلك. فليتصفّح هنالك، والله الموفّق.

14ـ **تنويـر:** فأمّا كيفيّات مناقل الفكر في التخييلات التي يرام بها إيقاع التحسينات والتقبيحات، وفي التخيّلات التي يقصد بها أن تكون أعوانا على إيقاع ذلك فيحصل باقتفاء الخواطر مناقلها في جميع ذلك، بوضع ما يجب في حيّز حيّز من تلك المناقل على ما **[41 ـ أ]** يجب من الأجزاء التي منها التئام هذه الصناعة لفظا ومعنى كمال هذه الصناعة على الوجه الذي تكون به مهيأة لحصول الغاية المقصودة بها فهي أنّ للمخيّلين في التخييلات التي يحتاجون إليها في صناعتهم أحوالا ثمانية[149]. لكلّ واحدة منها في زمان مزاولة النظم مرتبة لا تتعدّاها.

الحال الأولى: يتخيّل فيها الشاعر مقاصد غرضه الكليّة التي يريد إيرادها في نظمه أو إيراد أكثرها على ما أبيّنُه في القسم الثالث[150] إن شاء الله.

الحال الثانية: أن يتخيّل لتلك المقاصد طريقة وأسلوبا أو أساليب متجانسة أو متخالفة ينحو بالمعاني نحوها ويستمرّ بها على مهايعها. وسيأتي الكلام في الأساليب في القسم الرابع[151] إن شاء الله.

الحال الثالثة: أن يتخيّل ترتيب المعاني في تلك الأساليب. ومن أهمّ هذه التخيّلات موضع التخلّص والاستطراد.

الحال الرابعة: أن يتخيّل تشكّل تلك المعاني وقيامها في الخاطر في عبارات تليق بها ليعلم ما يوجد في تلك العبارات من الكلم التي تتوازن وتتماثل مقاطعها ما يصلح أن يبني الرويّ عليه. وفي هذه الحال أيضاً يجب أن يلاحظ ما يحقّ أن يجعل مبدأ ومفتتحا للكلام، وربّما لحظ في هذه الحال موضع التخلّص والاستطراد.

---

149 ـ بالأصل أحوال ثمان.

150 ـ انظر 177.

151 ـ انظر 296 وما بعدها.

15 ـ **إضـاءة:** فهذه أربع أحوال في التخاييل الكليّة.

و**الحال الخامسة**، وهي أوّل حال من التخاييل الجزئيّة: أن يشرع الشاعر في تخيّل المعاني معنى معنى بحسب غرض الشعر.

الحال السادسة: أن يتخيّل ما يكون زينة للمعنى وتكميلا له. وذلك يكون بتخيّل أمور ترجع إلى المعنى من جهة حسن الوضع والاقترانات والنسب الواقعة بين بعض أجزاء المعنى وبعض، وبأشياء خارجة عنه ممّا يقترن به ويكون عونا له على تحصيل المعنى المقصود به.

و**الحال السابعة**: أن يتخيّل، لما يريد أن يضمّنه في كلّ مقدار من الوزن الذي قصد، عبارة توافق نقل الحركات والسكنات فيها ما يجب في ذلك الوزن في العدد والترتيب بعد أن يخيّل في تلك العبارات ما يكون محسّنا لموقعها من النفوس.

الحال الثامنة: أن يخيّل، في الموضع الذي تقصر فيه عبارة المعنى عن الاستيلاء على جملة المقدار المقفّى، معنى يليق أن يكون ملحقا بذلك المعنى، وتكون عبارة المعنى الملحق طبقا لسدّ الثلمة التي لم يكن لعبارة الملحق به وفاء بها. ومن هذا قول المتنبّي: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

نهبْـتَ من الأعْـمـار ما لو حَوَيْـتَـهُ لَهُنِّـئـتِ الدُنيَا بأنّكَ خالـد[152]

ولا يتّفق هذا إلاّ في بعض المواضع. وهذه الأحوال كلّها قد ألمعت في هذا الكتاب بما يجب في كلّ واحدة منها بحسب ما توسّع له هذا الموضوع، إذ لتفصيل القول في جميع ذلك طول كثير، وفي ما ذكرته وأذكره من ذلك إن شاء الله مقنع.

---

152 ـ البيت من قصيدة طويلة، مدح بها سيف الدولة، مطلعها:

عوذال ذات الخال فيّ حواسـد وإنّ ضجيع الخود منّي لماجـد

العكبري، (1)، 1، 172 والبرقوني 1: 399.

16 ـ **تنويـر:** فعلى هذا النحو من الانتقال أصل منشأ الشعر. وقد يحصل للشاعر بالطبع البارع وكثرة المزاولة ملكة يكون بها انتقال خاطره في هذه الخيالات أسرع شيء حتّى يحسب من سرعة الخاطر أنّه لم يشغل فكره بملاحظة هذه الخيالات وإن كانت لا تتحصّل له إلاّ بملاحظتها ولو مخالسة. وكانت هذه الملكة نحوا من ملكة الخاطر، فإنّه وإن كان أصل تعلّمه القراءة تتبّع الحروف وحركاتها وسكناتها مقطّعة، فإنّه تحصل له ملكة لا يحتاج معها إلى ذلك التّتبع. بل يعلم عندما يقع بصره على مجموع الحروف المختطّة أيّ لفظ يدلّ عليه ذلك المجموع. هذا على أنّ صناعة مؤلف الكلام كصناعة الناسج تارة ينسج بردا من يومه وتارة حلّة من عامه، ولكلّ قيمته. وإنّما يظنّ أن ليس بين أنماط الكلام هذا التفاوت مَن جَهِلَ لطائف **[42 ـ أ]** الكلام وخَفِيَتْ عليه أسرار النظم.

ز ـ معلم دالّ على طرق العلم بما يخصّ المحاكاة التشبيهيّة من الأحكام.

وينبغي أن ينظر في المحاكاة التشبيهيّة من جهات. فمن ذلك جهة الوجود والفرض. وينبغي أن تكون المحاكاة على الوجه المختار بأمر موجود لا مفروض.

1 ـ **إضـاءة:** ومن ذلك جهة الإدراك. وينبغي أن تكون المحاكاة في الأمور المحسوسة حيث تساعد المكنة من الوجوه المختارة بالأمور المحسوسة. وبها يحسن بأن تحاكى الأمور غير المحسوسة حيث يتأتّى ذلك ويكون بين المعنيين انتساب. ومحاكاة المحسوس بغير المحسوس قبيحة.

2 ـ **تنويـر:** وينبغي أن تكون المحاكاة التي يقصد بها وضوح الشبه منصرفة إلى جنس الشيء الأقرب كتشبيه أيطل الفرس بأيطل الظبي[153].

---

153 ـ يشير في النص إلى بيت امرئ القيس:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة — وإرخاء سرحان وتقريب تَتْفُلِ

قدامة، (1) 38.

والمحاكاة التي يقصد بها التوسّع والراحة والقناعة بما تيسّر من الشبه منصرفة إلى الجنس الأبعد كتشبيه متن الفرس بالصفاة[154].

وينبغي أن تكون المحاكاة التي يقصد بها اجتماع وضوح الشبه وظهور نبل الشاعر وحذقه منصرفة إلى الجنس الذي يلي الجنس الأقرب كتشبيه الأشياء الحيوانيّة بالأشياء النباتية، نحو تشبيه قلوب الطير رطبة بالعناب، ويابسة بالحشف،[155] وتشبيه إبرة الرّوق بالقلم المستمدّ[156].

3 ـ **إضـاءة:** وينبغي أن يكون المثال المحاكى به معروفا عند جميع العقلاء أو أكثرهم بالسجيّة. ولا يحسن أن يكون ممّا يُنكر ويُجهل.

4 ـ **تنويـر:** وينبغي أن تكون الأوصاف التي يشترك فيها المثال والممثّل أشهر صفاتها أو من أشهرها. واعتبار **[42 ـ ب]** هذا الشرط آكد في صفات الممثّل به. وينبغي أن تكون الصفات التي يتضادّان فيها أخْمل صفاتهما.

5 ـ **إضـاءة:** ويشترط في المحاكاة التي يقصد بها تحريك النفس إلى طلب الشيء أو الهرب منه أن يكون ما يحاكى به الشيء المقصود إمالة النفس نحوه ممّا تميل النفس إليه، وأن يكون ما يحاكى به الشيء المقصود تنفير النفس عنه ممّا تنفر النفس عنه أيضاً. فإنْ مثّل ما يقصد تحريك النفس إلى طلبه بما من شأنها أن تهرب عنه، وما قصد تحريكها إلى الهرب منه بما من شأنها أن تطلبه، كان ذلك خطأ وجاريا مجرى التناقض.

وذلك مثل قول حبيب: [الطويل ـ ق ـ المتواتر]

---

154 ـ يشير في النص بهذا المثال إلى بيت امرئ القيس من معلقته:

كميت يزل اللبد عن حال متنه   كما زلت الصفواء بالمتنزل

السندوبي، (2) 133 س6.

155 ـ الإشارة هنا أيضاً إلى قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا   لدى وكرها العناب والحشف البالي

العباسي، (2) ٢، 80.

156 ـ يشير بهذا إلى قول عدي بن الرقاع العاملي:

تزجي أغن كأن إبـرةَ رَوْقِـــه   قلم أصاب من الدواة مدادهــا

الخفاجي، 237.

إذَا ذَاقها، وهي الحيـاةُ، رأيـتَهُ يُعبِّـسُ تعبيـس المُقـدَّمِ للقتلِ(157)

فأمّا المحاكاة التي لا يقصد بها تحسين ولا تقبيح ولكن، محاكاة الشيء بما يطابقه فقط، فالمذهبُ الأمثلُ محاكاة الحسَن بالحسَن والقبيح بالقبيح. وقد يحاكى الشيء الحسن في حيّز وبالنسبة إلى غرض بما هو قبيح في حيّز آخر وبالنسبة إلى غرض آخر. ولا يقصد في ذلك إلاّ محاكاتهما من حيث تطابقا. وقد يقصد بذلك ضرب من الإغراب. فيستسهل لذلك تمثيل ما تميل النفس إليه بما تنفر عنه، كقول ابن الرومي: [الكامل - ق - المتواتر]

هـامٌ وأرغفـةٌ وضـاءٌ فخمـة قـد أخرجـت مـن جاحـم فـوّار

كوجـوه أهـل الجنّـة ابتسـمت لنا مقرونـة بوجـوه أهـل النّـارِ(158)

وكأنّ هذا وما جرى مجراه من عَبَثِ المنهومين.

6 - **تنويـر:** واعلم أنّه لا تحسن محاكاة ذي مقدار كبير بذي مقدار صغير، ولا محاكاة ذي مقدار صغير بذي مقدار كبير، إذا كان بينهما تفاوت في ذلك. وكذلك لا تحسن محاكاة ذي لون بذي لون مخالف له ما لم تقصد في ما تفاوت من ذلك وما تخالف محاكاة هيئة فعل أو حال في المحاكى والمحاكى **[43 - أ]** به. فإذا قصدت محاكاة هيئة بهيئة لم تلتفت إلى تفاوت ما بين الواحد والآخر في المقدار ولا تباين ما بينهما في اللون، ولذلك استحسن تشبيه الذباب بالقادح(159)، لأنّ المقصود محاكاة إحدى الحالين بالأخرى. فالمحاكاة إنّما

---

157 - وفي المثال نظر، لأن الشاعر قصد الإغراب بالمضادة لأجل قوله: وهي الحياة. والبيت من قصيدة، يشكو فيها دهره ويصف تقتير الرزق عليه وهو بمصر، مطلعها:

أصبْ بحميـا كأسـها مقتـل العـذل تكـن عوضـا إن عنفـوك من التّبـل

الديوان، (1)، 240، (2)، 420.

158 - العسكري: **المعاني**، 1، 293 [البيتان لابن الرومي في الرؤوس وأرغفة الحوارَى وقبلهما بيتان آخران، وعجز البيت: قد أخرجا.... ورواية «جمع الجواهر» وزهر الآداب للحصري: روس وأرغفة ضخام، وفي محاضرات الأدباء:، ضخمة ولعل صواب البيت الأول: إنا عملنا].

159 - يشير المثال إلى قول عنترة في وصف الذباب.

وخـلا الـذبـاب بها فليس ببارح غـردا كفعـل الـشـارب المترنم

غـردا يـحـك ذراعـه بـذراعـه قدح المكب، على الزناد، الأجذم

العسكري: **الصناعتين**، 248.

تعلّقت بالهيئة لا بالمقدار. وعلى هذا حمل تشبيه العصا بالجانّ[160] وهو حيّة صغيرة كثيرة الهيج والحركة بعد تشبيهها بالثعبان المبين[161]، لأنّ المقصود في التشبيه محاكاة هيئة الحركة، وليس المقصود محاكاة مقدار هذا بمقدار ذلك.

7ـ **إضـاءة:** واعلم أنّه إذا اجتمع في المحاكى والمحاكى به أوصاف ثلاثة أو اثنان منها هي: المقدار والهيئة واللون جاز عكس المحاكاة، وحسن أن تحاكي الشيء بما حاكيته به.

8 ـ **تنويـر:** واعلم أنّ الصوت والهيئة إذا اتفقا في متناهٍ في الحقارة ومتناه في العظمة فلا تحسن محاكاة أحدهما بالآخر إلاّ حيث يقصد غلو في تحقير المحاكى أو تعظيمه. فإذا لم يتفاوتا في ذلك، جازت محاكاة أحدهما بالآخر. وكان الأعظم محاكى به حيث يقصد التعظيم، والأحقر محاكى به حيث يقصد التحقير. ولا يجوز العكس إلاّ حيث يتقاربان أو يتكافآن.

9ـ **إضـاءة:** واعلم أنّ الشيء إذا حوكي بالشيء، والمقصود محاكاة أحد فعليهما بالآخر، وكان في فعل المحاكى تقصير عن فعل المحاكى به، فإنّه مستساغ في الشعر أن يحاكى المقصّر بالمقصّر عنه وأن يجعل مثله أو مُربيا عليه إذا كانت الزيادة في ذلك الفعل مستحسنة بالنسبة إلى ما يراد منه من منفعة أو غير ذلك. ومن هذا تشبيه الفرس بالريح[162] والبرق[163].

---

160 ـ يشير إلى قول الله تعالى: «وأن ألق عصاك، فلما رآها تهتزُّ كأنها جان، ولى مديرا ولم يعقب، يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين». **قرآن** 28/ 31 وقوله تعالى:
«وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب، يا موسى لا تخف، إني لا يخاف لدي المرسلون» **قرآن**، 27/ 10.

161 ـ الإشارة إلى قوله تعالى:« فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين» **قرآن** 26/ 32.

162 ـ الإشارة إلى قول الأعرابي، وقد أحسن في تشبيه سرعة الفرس في قوله على الرجز:

غايـة مجـد رفعـت فمـن لهـا نحـن حوينـاها وكنـا أهلـها
لو ترسل الريـح لجئنا قبلـها

العسكري: **المعاني**، ٢، 107.

163 ـ يشير إلى قوله:

جاء كمثـل البرق جـاش ماطِـرُهْ يسبـح أولاه ويطفـو آخـرُهْ
فـما يمـس الأرض منه حافـره

العسكري:**المعاني**، ٢، 108.

ويجوز أن يحاكى الأعظم حالاً في الفعل أو المقدار بالأحقر في ذلك أو هذا إذا كان التحقير في الأعظم مستحسنا بالنسبة إلى ما يراد منه/ وكأنّ القسم الأوّل تكميل وهذا تعديل.

ح ـ معرَف دالّ على طرق المعرفة بالوجوه التي لأجلها حَسُنَ موقع المحاكاة من النفس.

لمّا كانت النفوس قد جُبِلت على التنبّه لأنحاء المحاكاة واستعمالها والالتذاذ بها منذ الصبا، وكانت هذه الجبلّة في الإنسان أقوى منها في سائر الحيوان ـ فإنّ بعض الحيوان لا محاكاة فيه أصلاً، وبعضها فيه محاكاة يسيرة: إمّا بالنغم كالببّغاء، وإمّا بالشمائل كالقرد [164] اشتدّ ولوع النفس بالتخيّل، وصارت شديدة الانفعال له حتى أنّها ربّما تركت التصديق للتخيّل. فأطاعت تخيُّلها وألغت تصديقها. وجملة الأمر أنّها تنفعل للمحاكاة انفعالا من غير رؤية، سواء كان الأمر الذي وقعت المحاكاة فيه على ما خَيَّلَتْهُ لها المحاكاة حقيقة، أو كان ذلك لا حقيقة له فيبسطها التخييل للأمر أو يقبضها عنه. فلا تقصّر في طلبه أو الهرب منه عن درجة المبصر لذلك. فيكون إيثار الشيء أو تركه طاعةً للتخييل غير مقصّر عن إيثاره أو تركه انقيادا للرؤية.

1 ـ **إضـاءة:** ومنِ الْتذاذِ النفوس بالخيّل أنّ الصُّور القبيحة المستبشعة عندما قد تكونُ صُورها المنقوشة والمخطوطة والمنحوتة لذيذة إذا بلغت الغاية القصوى من الشبه بما هي أمثلة له، فيكون موقعها من النفوس مستلذّا لا لأنّها حسنة في أنفسها بل لأنّها حسنة المحاكاة لما حوكي بها عند مقايستها به.

164 ـ مطلع هذا المعْرف مقتبس من كلام ابن سينا في **فن الشعر** من كتاب **الشفاء** وذلك من قوله: (وبها يفارقون الحيوانات العجم من جهة أن الإنسان أقوى على المحاكاة. فإن بعضها لا محاكاة فيه أصلاً...) الخ. انظر أرسطو، (1)، 171.

قال هذا أبو علي ابن سينا في كتاب **الخطابة**[165] من كتاب الشفاء.

ثم قال: «وهذا كلّه للمناسبة بين الصورة مثلاً وما يحاكيها. وهذه المناسبات أمور في الطبيعة».

وقال ابن سينا أيضاً **[44 - أ]** في كتاب **الشعر** من كتاب **الشفاء**[166]:

«إن النفوس تنشط وتلتذّ بالمحاكاة، فيكون ذلك سببا لأن يقع عندها للأمر فضل موقع. والدليل على فرحهم بالمحاكاة أنّهم يسرّون بتأمّل الصور المنقوشة للحيوانات الكريهة المتقزّز منها. ولو شاهدوها أنفسها لتنطّوا عنها. فيكون المفرح ليس نفس تلك الصورة ولا المنقوش بل كونها محاكاة لغيرها إذا كانت قد أتقنت. ولهذا السبب ما صار التعليم لذيذا لا إلى الفلاسفة فقط بل إلى الجمهور، لما في التعليم من المحاكاة، لأنّ التعليم تصوير مّا للأمر في رقعة النفس. ولهذا ما يكثر سرور الناس بالصور المنقوشة بعد أن يكونوا قد أحسّوا الخلق التي هذه أمثالها. فإن لم يحسّوها قبلُ لم تتمّ لذّتهم، بل إنّما يلتذون حينئذ قريبا بما يلتذّون من النفس [محاكاة] النقش في كيفيّته ووضعه وما يجرى مجراه».

ثم قال ابن سينا: «والسبب الثاني حبّ الناس للتأليف المتّفق أو للألحان طبعا. ثم قد وجدت الأوزان مناسبة للألحان فمالت إليها النفوس وأوجدتها. فمن هاتين العلّتين تولّدت الشعريّة»[167].

وقد تضمّن كلام ابن سينا شرطا من شروط المحاكاة لم نذكره اكتفاء بالإشارة إليه في هذا الموضوع. وهو أنّ الالتذاذ بالتخيّل والمحاكاة إنّما يكمل بأن يكون قد سبق للنفس إحساس بالشيء المخيّل وتقدّم لها عهدٌ به.

---

165 ـ الفقرة متصيدة من ابن سينا مخط، 6829، و362 أ س 20 وما بعده.
166 ـ أول هذه الفقرة في المصدر المشار إليه: وذلك لأن النفس. أرسطو (1)، 171.
167 ـ ا هـ. كلام ابن سينا، أرسطو، (1) 172.

وبقي أن نبسط الكلام شيئاً في تبيين ما للمحاكاة من حُسن موقع من النفوس من جهة اقترانها بالمحاسن التأليفيّة والصيغ المستحسنة البلاغيّة، وهو الذي أشار إليه أبو علي ابن سينا بالتأليف المتّفق.

2ـ **تنوير:** فأمّا السبب في حسن موقع المحاكاة من النفس من جهة اقترانها بالمحاسن التأليفيّة فهو أنّه لمّا كان للنفس في اجتلاء المعاني في العبارات المستحسنة من حسن الموقع الذي يرتاح له مَا لا يكون لها عند **[44 ـ ب]** قيام المعنى بفكرها من غير طريق السمع، ولا عند ما يوحى إليها المعنى بإشارة، ولا عند ما تجتليه في عبارة مستقبحة، ولهذا نجد الإنسان قد يقوم المعنى بخاطره على جهة التذكرة، وقد يشار له إليه، وقد يلقى إليه بعبارة مستقبحة، فلا يرتاح له في واحد من هذه الأحوال. فإذا تلقّاه في عبارة بديعة اهتزّ له وتحرّك لمقتضاه، كما أنّ العين والنفس تبتهج لاجتلاء ما له شعاع ولون من الأشربة في الآنية التي تشفّ عنها كالزجاج والبلّور ما لم تبتهج لذلك إذا عرض عليها في آنية الحنتم وَجب أن تكون الأقاويل الشعريّة أشدّ الأقاويل تحريكا للنفوس، لأنّها أشدّ إفصاحا عمّا به علقة الأغراض الإنسانية، إذ كان المقصود بها الدلالة على أعراض الشيء ولواحقه التي للآداب بها علقة.

والأقاويل غير الشعريّة، وخصوصًا ما قصد به التصديق والدلالة على ماهيات الأشياء، إنّما تفهم منها في أكثر الأمر تلك اللواحق والأعراض على جهة الالتزام والتضمّن. وليس ما يكون نصّا على الشيء في تمكين إلقائه من النفس طبقا له مثل [ما][168] لا يفهم الشيء منه إلاّ بطريق ضمن أو لزوم.

وأيضا فإنّ الأقاويل الشعريّة يحسن موقعها من النفوس من حيث تختار مواد اللفظ وتنتقى أفضلها وتركّب التركيب المتلائم المتشاكل وتستقصى بأجزاء العبارات التي هي الألفاظ الدالّة على أجزاء المعاني المحتاج إليه حتّى

168 ـ كلمة ساقطة من الأصل.

تكون حسنة إعراب الجملة والتفاصيل عن جملة المعنى وتفاصيله، يكون التخيّل كما قدّمت، يجب فيه تخييل أجزاء الشيء عند تخييله حتّى تتشكّل جملته بتشكّل أجزاء، فتقوم صورته بذلك في الخيال الذهني على حدّ ما هي عليه خارجَ الذهن، أو أكمل منها إن كانت محتاجة إلى التكميل.

وقد قال أفلاطون في كتاب السياسة له: «إنّا لا نلوم مصوّرا إن صوّر صورة إنسان فجعل/ جميعَ أعضائه على غاية الحسن، فنقول له إنّه ليس يمكن أن يكون إنسان على هذه الصورة، وذلك أنّ المثال ينبغي أن يكون كاملاً. وأمّا سائر الأشياء التي هو لها مثال فحُسنها بقَدر مشاركتها لذلك المثال»[169].

وليس ما سوى الأقاويل الشعريّة في حسن الموقع من النفوس مماثلا للأقاويل الشعريّة، لأنّ الأقاويل التي ليست بشعريّة ولا خطابيّة ينحى بها نحو الشعريّة لا يُحتاج فيها إلى ما يُحتاج إليه في الأقاويل الشعريّة، إذ المقصود بما سواها من الأقاويل إثبات شيء أو إبطاله أو التعريف بماهيته وحقيقته.

وإنّما يثبت الشيء بغيره وبما هو خارج عنه ممّا له نسبة إلى ما يرجع إليه ممّا شأنه إذا ألّفت العبارة فيه تأليفاً محدودًا أن ينتقل منه إليه ويُصار به إلى معرفة ثباته أو ارتفاعه. وإذا عرّف فإنّما يعرّف بقول يدلّ على ماهيته المشتركة والخاصّة، وليس يدلّ على اللواحق والأعراض التي بها تشبّث الآداب الإنسانية وعلقة الأغراض إلاّ على جهة التزام. وإذا خيّل لك الشيء بالأقاويل المحاكية له فالمقصود محاكاة ما هو عليه من حسن أو قبح بأقاويل تخيّل لواحقه وأغراضه التي بها علقة الأغراض، ومحاسن الشيء ومساويه راجعة إليه. فإذا حوكي الشيء بصفاته أو ما هو مثال لصفاته تصوّر بما يرجع إليه وبما له علقة بالأغراض ممّا يرجع إليه أو ما هو مثال لما يرجع إليه. وإذا قصد التعريف به أو الاستدلال عليه عرّف بما ليس له علقة بالأغراض، واستدلّ عليه بما هو خارج عنه.

169 ـ النص منقول فيما يظهر من ترجمة حنين بن إسحاق، د.م.أ.، 1، 177.

فمحصول ما عدا الأقاويل الشعرية إيقاع تعريف أو تصديق بما لا تشتدّ علقته بالأغراض أو لا تكون علقته بالجملة، أو مغالطة السامع وإيهامه أنّ ذلك واقع من غير أن يكون كذلك. ومحصول الأقاويل الشعريّة تصوير الأشياء الحاصلة في الوجود وتمثيلها في الأذهان على ما هي عليه **[45 ـ ب]** خارجَ الأذهان من حسن أو قبح حقيقة، أو على غير ما هي عليه تمويها وإيهامًا، فأقوال دالّة على ما يلحق الأشياء ويعرض لها ممّا هو خارج عن مقوّماتها ممّا علقة الأغراض الإنسانية به قويّة.

فالمحصول الأوّل كحصول العلم مثلاً بامتلاء إناء أو خلوّه بأن يبصر مثلاً يرشح أو يوجد ثقيلاً أو يبصر مكفّأ ويوجد خفيفاً. والمحصول الثاني وهو الذي للأقاويل الشعريّة مثل ما تشفّ لك آنية الزجاج عن صورة ما تحويه. فلذلك صارت الأقاويل الشعريّة أشدّ إبهاجا وتحريكا للنفوس من غيرها. فلشدّة مناسبة الأقاويل الشعريّة للأغراض الإنسانية كانت أشدّ تحريكا للنفوس وأعظم أثرًا فيها.

3ـ **إضاءة:** وليست المحاكاة في كلّ موضع تبلغ الغاية القصوى من هزّ النفوس وتحريكها، بل يؤثّر فيها بحسب ما تكون عليه درجة الإبداع فيها، وبحسب ما تكون عليه الهيئة النطقيّة المقترنة بها، وبقدر ما تجد النفوس مستعدّة لقبول المحاكاة والتأثّر لها.

4 ـ **تنوير:** فتحرّك النفوس للأقوال المخيّلة إنّما يكون بحسب الاستعداد، وبحسب ما تكون عليه المحاكاة في نفسها، وما تدعّم به المحاكاة وتعضّد ممّا يزيد به المعنى تمويها والكلام حسن ديباجة من أمور ترجع إلى لفظ أو معنى أو نظم أو أسلوب. وقد ذكرت جلّ كليّات تلك الأشياء في هذا الكتاب.

5 ـ **إضاءة:** والاستعداد نوعان: استعداد بأن تكون للنفس حال وهوى قد تهيّأت بهما لأن يحرّكها قول مّا بحسب شدّة موافقته لتلك الحال والهوى كما قال المتنبي: [الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

إنّمــا تَنْفَعُ المقالـةُ في المـرْ ءِ، إذا وافَقَـتْ هَـوًى في الفُـؤَادِ[170]

والاستعداد الثاني هو أن تكون النفوس معتقدة في الشعر أنّه حكم وأنّه غريم يتقاضى النفوس الكريمة الإجابة إلى مقتضاه بما **[46-أ]** أسلبها من هزّة الارتياح لحسن المحاكاة. هكذا كان اعتقاد العرب في الشعر. فكم خطبٍ عظيم هوّنه عندهم بيت! وكم خطبٍ هيّنٍ عظّمه بيت آخر[171]!. ولهذا ما كانت ملوكهم ترفع أقدار الشعراء المحسنين، وتحسن مكافأتهم على إحسانهم. وكان لغير العرب بين الأمم في القديم أيضاً من العناية بالشعر والتأثّر له وحسن الاعتقاد فيه مثل ما كان للعرب. وقد قال أبو علي ابن سينا: «إنهم كانوا ينزّلون الشاعر منزلة النبي فينقادون لحكمه ويصدّقون بكهانته»[172]. هذا على أنّ العرب انتهت من إحكام الصنعة الجديرة بالتأثير في النفوس إلى ما لم تنته إليه أمّة من الأمم، لاضطرارهم إلى التأنّق في تأسيس مباني كلامهم وإحكام صنعته بسُكْناهم البيد البسابس في غير إيالة تربطهم وسياسة تضبطهم. فكانوا أخلق أمّة بأن يكثر تنازعهم فيما يقيمون به معايشهم. فاتّخذوا الإبل لارتياد الخصب، واتّخذوا الخيل للعزّ والمنعة. واتّخذوا الكلام المحكم نظما ونثرا للوعظ والحضّ على المصالح.

6 ـ **تنوير:** ولشدّة حاجة العرب إلى تحسين كلامها اختصّ كلامها بأشياء لا توجد في غيره من ألسن الأمم. فمن ذلك تماثل المقاطع في الأسجاع والقوافي

---

170 ـ كذا بالأصل والبيت في الديوان:

إنـما تُنْجِـحُ المقالــةُ في المــرْ ء إذا صادفتْ هوى في الفــؤادِ

وهذا أليق بالنظم، وهو من قصيدة مطلعها:

حســم الصلــح ما اشتهــته الأعــادي وأذاعتــه ألــســن الحسّــاد

العكبري، (1) 1، 256، البرقوقي، (1) 1، 265.

171 ـ يراجع في هذا الغرض ابن رشيق: الأبواب الرابع والخامس والسادس والسابع، باب أثر الشعر في نباهة القبيلة، وبكاء العرب من الهجاء وذكر بعض من بكى منهم لذلك. الجاحظ: **الحيوان**، 1، 364.

172 ـ «الإشارات والتنبيهات». ابن سينا ص 363 ـ 463، نشر بدوي.

لأنّ في ذلك مناسبة زائدة، ومن ذلك اختلاف مجاري الأواخر، واعتقاب الحركات على أواخر أكثرها، ونياطتهم حرف الترنّم بنهايات الصنف الكثير المواقع في الكلام منها لأنّ في ذلك تحسينا للكلم بجريان الصوت في نهايتها، ولأنّ للنفس في النقلة من بعض الكلمة المتنوّعة المجاري إلى بعض على قانون محدود راحةً شديدةً واستجدادا لنشاط السمع بالنقلة من حال إلى حال، ولها، في حسن اطّراده في جميع المجاري على قوانين محفوظة قد قسمت المعاني فيها على المجاري أحسن قسمة، تأثّر من جهتي التعجيب والاستلذاذ **[46 - ب]** للقسمة البديعة والوضع المتناسب العجيب. فكان تأثير المجاري المتنوّعة وما يتبعها من الحروف المصوّتة ما أعظم الأعوان على تحسين مواقع المسموعات من النفوس، وخصوصا في القوافي التي استقصت فيها العرب كلّ هيئة تستحسن من اقترانات بعض الحركات والسكنات والحروف المتماثلة المصوّتة وغير المصوّتة ببعض، وما تتنوّع إليه تلك الاقترانات من ضروب الترتيب. فهذه فضيلة مختصّة بلسان العرب. ولهذا قال أبو نصر: «إنّ الألسن العجمية متى وجد فيها شعر مقفّى فإنّما يرومون أن يحتذوا فيه حذو العرب. وليس ذلك موجود في أشعارهم القديمة»[173].

7ـ **إضاءة:** وإنّما التزمت العرب إجراء اللواحق المصوّتة على أعقاب الكلم ونهاياتها على قانون في موضع موضع لا يتعدّى، في كلّ موضع منها صورة مخصوصة من المجاري [لوجهين][174]:

أحدهما أنّها احتاجت إلى فروق بين المعاني. وقد كان يمكنها أن تجعل لذلك علامات غير اختلاف مجاري الأواخر كما فعل غيرها من الأمم، لكنّها اختصرت وجعلت مجاري الأواخر، التي احتاجت إليها لتنويع مجاري القوافي والأسجاع وتحسين نهايات الكلمة بالجملة، فروقا بين المعاني، فاجتمع لها

173 ـ ابن سيناء، الخطابة. 221.

174 ـ هذه الكلمة ساقطة من الأصل، وهي لازمة يدلّ عليها تمام الفقرة.

في إجراء الأواخر على ما أجرتها فائدتان.

والوجه الثاني في السبب الذي لأجله التزموا إجراء الكلام على قانون قانون بحسب موضع موضع أنّهم لو أجروا أواخر الكلم كيف اتّفق لم يكن ذلك ملذوذا لأنّ ذلك أمرٌ لا يرجع إلى نظام. ولجري الأمور على نظام منضبط محكم موقع عجيب من النفس بحفظ المتكلّم لنظام كلامه ومقابلته بضروب هيآته ضروب هيآت المعاني اللائقة بها. ولو كان الأمر في ذلك على غير نظام لما كان للنفوس في ذلك تعجيب، ولكانت الفصاحة مرقاة غير معجزة أحدًا.

8ـ **تنويـر:** ولنرجع إلى ما كنّا بسبيله من التكلّم فيما تكون عليه النفس من استعداد لقبول المحاكاة والتأثّر لها أو غير ذلك. فنقول: إنّ الاستعداد الذي يكون بانطواء السامع على هوى يكون غرض الكلام المخيّل موافقا له فينفعل له بذلك أمر موجود لكثير من الناس في كثير من الأحوال. وأمّا الاستعداد الذي يكون بأن يعتقد فضل قول الشاعر وصدعه بالحكمة فيما يقوله فإنّه معدوم بالجملة في هذا الزمان، بل كثير من أنذال العالم وما أكثرهم! يعتقد أنّ الشعر نقص وسفاهة. وكان القدماء، من تعظيم صناعة الشعر واعتقادهم فيها ضدّ ما اعتقده هؤلاء الزعانفة، على حال قد نبّه عليها أبو علي ابن سينا فقال: «كان الشاعر في القديم ينزّل منزلة النبيّ، فيعتقد قوله ويصدّق حكمه، ويؤمن بكهانته»[175] فانظر إلى تفاوت ما بين الحالين: حال كان ينزّل فيها منزلة أشرف العالم وأفضلهم، وحال صار ينزّل فيها منزلة أخسّ العالم وأنقصهم!

9ـ **إضـاءة:** وإنّما هان الشعر على الناس هذا الهون لعجمة ألسنتهم واختلال طباعهم. فغابت عنهم أسرار الكلام وبدائعه المحرّكة جملة فصرفوا النقص إلى الصنعة، والنقص بالحقيقة راجع إليهم وموجود فيهم، ولأنّ طرق الكلام اشتبهت عليهم أيضاً. فرأوا أخسّاء العالم قد تَحَرّفُوا باعتفاء الناس واسترفاد سواسية السوق بكلام صوروه في صورة الشعر من جهة الوزن والقافية خاصة،

---

175 ـ انظر 107، تع2.

من غير أن يكون فيه أمر آخر من الأمور التي بها يتقوّم الشعر. وكأنّ منزلة الكلام الذي ليس فيه إلاّ الوزن خاصّة من الشعر الحقيقي منزلة الحصير المنسوج من البَرْدي وما جرى مجراه من الحلّة المنسوجة من الذهب والحرير، لم يشتركا إلاّ في النّسج كما لم يشترك الكلامان إلاّ في الوزن.

ولكثرة القائلين المغالطين في دعوى النظم وقلّة العارفين **[47 ـ ب]** بصحّة دعواهم من بطلانها لم يفرّق الناس بين المسيء المسفّ إلى الاسترفاد بما يحدثه وبين المحسن المرتفع عن الاسترفاد بالشعر. فجعلوا قيمتهما متساوية، بل ربّما نسبوا إلى المسيء إحسان المحسن وإلى المحسن إساءة المسيء. فصارت نفوس العارفين بهذه الصنعة بعضَ المعرفة أيضاً تستقذر التحلّي بهذه الصناعة، إذ نجّسها أولئك الأخسّاء واشتبه على الناس أمرهم وأمر أضدادهم، فأجروهم مجرى واحدا من الاستهانة بهم. فالمعرّة لا شكّ منسحبة على الرفيع في هذه الصنعة بسبب الوضيع. فلذلك هجرها الناس، وحقّها أن تهجر.

10 ـ **تنوير:** ولأنّ النفوس أيضاً قد اعتقدت أنّ الشعر كلّه زور وكذب على ما رآه قوم قد حكى قولهم ابن سينا رادّا عليهم[176]. وكان يجب على هؤلاء، إن كان لهم علم بالشعر، ألاّ يحملهم الحسد فيما قصّرت عنه طباعهم على أن يتكلّموا في ذلك بغير تحقيق. وكثيرا ما يذمّ الإنسانُ ما مُنِعه، شيمة ثُعالية، فيحملهم الحسد على الغضّ من الشعر ومن أهله بإخراجه من الحقائق جملة، وإن كانوا ممّن ليس لهم به علم، وما أجدرهم أيضاً بهذا، فكان يجب عليهم أن يتعلّموا أو لا يتكلّموا فيما لم يعلموا. فالناس، إذا اعتقدوا هذا الاعتقاد كانوا خلقاء بأن يأخذوا أنفسهم بألاّ تتحرّك للشعر ولا تهتزّ إليه. وأنت إذا نظرت مَن تعلم منه شيمة حسد من الكهول والشيوخ الذين يئسوا من البلاغة في النظم والنثر وجدته، إذا أنشدته شعرًا حسنًا، إمّا شديد الحبوس مربدّ الوجه لشدّة الاغتياظ، وإمّا بادياً فيه يسير من الهزّة وظاهرا منه أنّه يقمع نفسه ويمنعها تسريح العنان في الهزّة لئلاّ يُسرّ بذلك المنشد ولا سيّما إن كان الشعر له. فأمّا الأحداث

176 ـ راجع أرسطو، (1)، 196.

فمثل هذا الحسد فيهم قليل لأنّهم لم يقطعوا يأسهم من إدراك البلاغة، وأيضا فإنّهم لا يطالبون أنفسهم في السنّ الحديثة [48 - أ] من الاستكمال والأنفة من النقص في المعارف بما طالب به أنفسهم أولئك.

11 ـ **إضـاءة:** وربّما قال قائل: إذا كانت الأقاويل الشعريّة منها ما يخيّل الشيء ويمثّله نفسه بتعرّف صورة الشيء ممّا أعطاه ومثّله القول المخيّل، كالذي يحاكي بالدّمية صورة امرأة فتعرف صفاتها بها، ومنها ما يترك فيه المعنى المخيّل للشيء ويخيّل بما يكون مثالا لذلك المعنى، كالذي يتّخذ مرآة فيقابل الدمية بها فيريك تمثالها فتعرف أيضاً صورة الشيء المحاكى بالدمية بالتمثال الذي يبدو للدمية في المرآة. وقد رأينا من يرى الدمية أو تمثالها في المرآة لا يتحرّك لها ولا لتمثالها بنسبة ممّا كان يتحرّك لرؤية الشخص الذي حوكيت صورته بالدمية. فيجب على هذا أن لا يكون التحرّك لما يتخيّل من الشعر بنسبة من التحرّك لمشاهدة الأشياء التي خيّلت. وأنتم تقولون إنّ الأقاويل الشعريّة ربّما كان التحرّك لما يتخيّل من محاكاتها أشدّ من التحريك لمشاهدة الشيء الذي حوكي، وابتهاج النفس بما تتخيّله من ذلك فوق ابتهاجها بمشاهدة المخيّل. فيقال له أوّلا: إنّ الدمية والشخص الذي صوّرت على صورته يختلف اعتبارهما في تحريك النفوس. فالدمية تحرّكها بالتعجيب من حسن محاكاتها وإبداع الصنعة في تقديرها على ما حكي بها، والشخص الذي هو تمثال له إن كان مستحسنا فإنّه يحرّك النفوس بالصبابة إلى حسنة وما يتعلق لها به من أرب إذا كانت الدمية صورة جارية مثلا، فربّما كان تحريك الدمية من طريق التعجيب أكثر من تحريك الذي هي تمثال له من هذا الطريق، بل الأمر في الأكثر على ذلك والقول المخيل قلما يخْلو من التعجيب بل كأنّه مستصحبٌ له من أقلّ ما يمكن من ذلك في القول المخيّل إلى أكثر ما يمكن. والتعجيب في القول المخيّل يكون إمّا من جهة إبداع محاكاة الشيء وتخييله كما كان ذلك في الدمية، ويكون من جهة كون الشيء المحاكَى من الأشياء [48 - ب] المستغربة والأمور المستطرفة. وإذا وقع التعجيب من الجهتين المذكورتين على أتمّ ما من شأنه أن يوجد فيهما فتلك الغاية القصوى من التعجيب. وللنفوس إلى ما بلغ هذه الغاية تحريك شديد.

12ـ **تنويـر:** ثمّ يقال لمن اعترض بأنّ محاكاة الشيء يجب أن يكون التحرّك لها أقلّ من التحرّك لمشاهدته أنّ تمثّلنا في المحاكاتين بالدمية والمرآة على جهة ما التسامح. وإنّما ينبغي أن يمثّل حسن المحاكاة في القول بأحسن ما يمكن أن يوجد من ضروب تصاوير الأشياء وتماثيلها. فأقول إنّ منْ أحسن ما يرى من ذلك تصوّر أشعّة الكواكب والشمع والمصابيح المسرجة في صفحات المياه الصافية الساكنة التموّج من الخلجان والأدوية والمذانب والأنهار. وكذلك نمثّل أفانين شجر الدوح بما ضمّ من ثَمَرٍ وزهر في صفحات الماء الصفو إذا كان الدوح مطلاًّ عليه. فإنّ اقتران طرتي الغدير الدوحيّة بما يبدو من مثالها في صفاء الماء من أعجب الأشياء وأبهجها منظرًا. ونظير ذلك من المحاكاة في حسن الاقتران أن يقرن بالشيء الحقيقي في الكلام ما يجعل مثالا له ممّا هو شبيه به على جهة من المجاز تمثيليّة أو استعارية كقول حبيب:

[الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

دِمـنٌ طالمـا التَقـتْ أدْمُعُ الْـــ ـــمُزْنِ عليْهَا وأدْمُعُ العُشَّـاقِ(177)

وقول ابن التنوخي: [الطويل ـ ق ـ المتواتر]

لَمَا سَاءَني أنْ وشَّحتْنِي سُيُوفُهُمْ وأنَّكَ في دُونَ الوِشَاحِ وشاحُ(178)

فحسن اقتران أدمع العشاق، وهي حقيقة، بأدمع المزن، وهي غير حقيقيّة، واقتران الوشاح الذي هو حقيقة بالوشاح المراد به التزام المعتنق وهو غير

177 ـ انظر فيما يرجع لهذا البيت 40 تع، 54.
[من قصيدة مدح بها أبو تمام إسماعيل بن شهاب، مطلعها:
أيــها البــرق بتْ بأعلى البِراقِ واغْدُ فيــها بوابـلٍ غـيداقِ
ديوان أبي تمام بشرح الخطيب البتريزي، تحقيق عبده عزام م2 ـ 447].
178 ـ أورد البيت صاحب **اليتيمـة**، ثاني بيتين أولهما:
أقول لها والحي قد فطنوا بنا وما لي على أيدي المنون براح
معقباً على نسبته بقوله: وأنشدني غيره له، وأنا مرتاب به لفرط جودته وارتفاعه عن طبقته، الثعالبي (1)، ٢، 115.

حقيقي، يجري في حسن موقعه من السمع والنفس مجرى موقع حسن اقتران الدوح الذي له حقيقة بمثاله في الغدير ولا حقيقة له من العين. فإنّ المسموعات تجري من السمع مجرى المتلوّنات من العين.

[49 ـ أ] 13 ـ **إضـاءة:** وأمّا تخييل الشيء نفسه بالقول المحاكي له فكأنّ نسبته إلى النفس والسمع نسبة إفصاح الزجاجة عمّا حوته وإفشائها سرّ ما أودعته إلى العين من تماثيل الشمع ذوات الأنوار أو الأدواح الخضر ذوات النوّار في صفحات الماء ما ليس لها لرؤية صور هذه الأشياء حقيقة، لأنّ حال معاينة أشكال هذه الأشياء في المياه أقلّ تكرّرا على الإنسان من مشاهدة حقائق تلك الصور. فهي لها أشدّ استطرافا. وأيضًا فإنّه يقع في اقتران تمثال الشيء المستحسن به من التشاكل نحو ممّا يقع بين اقتران بعض التلوّنات ببعض.

وأيضًا فإنّ محاكاة الشيء بغيره أطرف من محاكاته بصفات نفسه وهي أكثر جدّة وطراءة منها. فكانت محاكاته بها أطرفَ من محاكاته بصفات نفسه.

فلهذا وما ذكرنا فيما تقدّم ولِمَا نذكره بَعْدُ في قوانين المعاني والنظم والأسلوب، وما يقع في كلّ ذلك من إبداع التخاييل وحسن الهيآت التي هي أعوان للتخاييل المعنويّة على ما يراد من تأثّر النفوس لها، حسن موقع الأقاويل الشعريّة من النفوس.

14 ـ **تنويـر:** واعلم أنّ منزلة حسن اللفظ المحاكى به وإحكام تأليفه من القول المحاكى به ومن المحاكاة بمنزلة عتاقة الأصباغ وحسن تأليف بعضها إلى بعض وتناسب أوضاعها من الصور التي يمثّلها الصانع.

وكما أنّ الصورة إذا كانت أصباغها رديئة وأوضاعها متنافرة وجدنا العين نابية عنها غير مستلذّة لمراعاتها، وإن كان تخطيطها صحيحا، فكذلك الألفاظ الرديئة والتأليف المتنافر، وإن وقعت بها المحاكاة الصحيحة فإنّا نجد السمع

يتأذّى بمرور تلك الألفاظ الرديئة القبيحة التأليف عليها، يشغل النفس تأذّي السمع عن التأثّر لمقتضى المحاكاة والتخييل. فلذلك كانت الحاجة في هذه الصَناعة إلى اختيار **[49 ـ ب]** اللفظ وإحكام التأليف أكيدة جدّاً.

د ـ المنهج الرابع في الإبانة عن الأحوال التي تعرض للمعاني في جميع مواقعها من الكلام، فتوجد بها ملائمة للنفوس أو منافرة لها.

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بأنحاء النظر في أحوال المعاني وما يجب اعتباره فيها من جهة ما يرجع إليها في أنفسها أو من جهة ما يقترن بها ويكون لها به علقة.

وأنا أشير إلى أنحاء النظر في جميع ذلك بإضاءات وتنويرات، من إيراد الآراء البلاغية أرفعها في معلم معلم ومعرف معرف، وأنبّه على ما يتأكّد التنبيه عليه من ذلك بقول موجز إذ لا ينفسح الوقت الذي للنفس فيه بعض تخلّ عن الشواغل إلى تسريح العنان في ذلك.

1 ـ **إضاءة:** واعتبار ما تكون عليه المعاني من صحّة وكمال ومطابقة للغرض المقصود بها وحسن موقع من النفس يكون بالنظر إلى ما المعنى عليه في نفسه، وبالنظر إلى ما يقترن به من الكلام وتكون له به علقة، وبالنظر إلى الغرض الذي يكون الكلام مقولا فيه، وبالنظر إلى حال الشيء الذي تعلّق به القول.

2 ـ **تنوير:** والنظر في المعنى من جهة ما يكون عليه في نفسه لا يخلو من أن يكون متعلّقا بما يرجع إلى مادّته، أو بما يرجع إلى تأليفه، أو بما يرجع إلى مقداره، أو بما يرجع إلى هيئته. وقد تقدّم الكلام في كثير ممّا يحتاج إليه في المعاني من هذه الجهات الأربع. وسأستدرك في هذا المنهج ما يكون تتميما لذلك المبدإ **[50 ـ أ]** وتوطيدا على ذلك الأسّ، إن شاء الله.

3 ـ **إضاءة:** ولا يخلو اعتبار المعنى في جميع ذلك من أن يكون بالنظر إلى ما هو ضروري فيه أو متأكّد أو مستحَبٌّ. والضروريّ هو ما لا يتمّ الغرض إلاّ به. والمتأكّد هو الذي يزيد به الكلام حسنا وإن كان قد يستغنى عنه ويكون اعتماده بيّن الرجاحة على اطّراحه. والمستحَب هو المائل إلى حيّز الرجحان في ذلك.

4 ـ **تنويـر:** وقد أدرجت تفاصيل القول في جميع ذلك في منهج منهج ومعلم معلم من مناهج هذا الكتاب ومعالمه، إذ لم يمكن إدراج ذلك في منهج واحد، لأنّ ذلك يخرجه إلى مباينة غيره من المناهج في الطول، فيعدل بوضع الكتاب إلى ضدّ ما قصدنا به من المناسبة والمعادلة. فلذلك اقتصرت في هذا المنهج، من النظر في صحّة المعاني، على ما يقع فيها من إحالة، من جهة نسبة وصف إلى موصوف، ومن جهة تناقض واقع بين متقابلين، أو من جهة تدافع بين المعاني وأغراض الكلام، أو من جهة تباين بين الأوصاف وأحوال الموصوفين.

5 ـ **إضـاءة:** وكذلك اقتصرت أيضاً من النظر في كمال المعاني على الإشارة إلى بعض جهات الكمال فيها لأنّ الكمال أيضاً يكون بالنظر إلى ما المعنى عليه في نفسه، ويكون بالنظر إلى ما يكتنفه وتكون له به علقة، ويكون بالنظر إلى غرض الكلام، ويكون بالنظر إلى حال الشيء الذي فيه القول.

6 ـ **تنويـر:** وكمال المعنى في نفسه يكون باعتبار استيفاء أجزائه البسيطة، أو استيفاء أجزائه المركّبة، لأنّ المعاني منها ما ينحلّ إلى أجزاء مركّبة، ومنها ما لا ينحلّ إلاّ إلى أجزاء بسيطة. وقد تقدّم أنّ أجزاء المعاني قد يكون جميعها متعدّدا، وقد يتعدّد بعضها دون بعض، وأنّها قد تتكرّر لضروب من المقاصد. وكلّ ذلك لا يخلو من أن يكون ضروريّا بالنظر إلى صحّة المعنى وكمال تأديته أو أكيداً فيه أو **[50 ـ ب]** مستحبّاً.

7 ـ **إضـاءة:** وإذا وقع التعداد في المعاني وكان ضروريّا بالنسبة إلى الغرض واستمرّ في العبارة على نسق متشابه سمّي قسمة. وقد يسمّى بذلك ما كان متأكّدا أو مستحبّا، وإن لم يكن ضروريّا، على سبيل المسامحة. وأمّا ما سوى ذلك من أنحاء النظر في كمال المعنى فقد تضمّنت التنبيه عليه مواضعُ كثيرة من هذا الكتاب، فليتأمّل هناك[179].

---

179 ـ انظر لذلك جملة ممّا احتوت عليه فصول من هذا الكتاب، هي المأم الأخير من المنهج الثاني لقسم المعاني 49 ـ 137 ـ 138 ـ 139 ـ 146.

8 ـ **تنويـر:** وتمكُّن المعنى أيضاً يكون بنحوٍ من تلك الاعتبارات، ولم نُلمِم في هذا الموضع إلاّ بما يكون التمكّن فيه بالنظر إلى ما يواجه به المعنى ويرام التوفيق في الوضع بينهما من جهة ما لأحدهما انتساب إلى الآخر يقتضي المقارنة بينهما، وما عدا ذلك من أنحاء التمكّن يتعرّف من مواضع أخر[180] من هذا الكتاب.

9 ـ **إضـاءة:** فأمّا وضوح المعاني وبيانها وغموضها واستغلاقها فأنا أستقصي في هذا المنهج أنحاء النظر في الوجوه التي بها يكون بيان المعنى أو انبهامه من جهة ما يرجع إليه في نفسه، ومن جهة نسبة اللفظ الدالّ عليه إلى فهم المخاطب، وإن كان ذكر هذا أليق بالقسم الأوّل[181]. لكنّا قصدنا في هذا المنهج أن يكون القول في جميع ما يكون به انبهام المعاني مستقصى، وأن نتقصّى أنحاء النظر من ذلك فيما تقدّم الإلماع به من ذلك في المنهج الثالث من القسم الأوّل[182].

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في صحّة المعاني وسلامتها من الاستحالة الواقعة بالإفراط في المبالغة.

لا يخلو الشيء المقصود مدحُه أو ذمّة من أن يوصف بما يكون فيه واجبًا أو ممكنا أو ممتنعاً أو مستحيلاً. والوصف بالمستحيل أفحش **[51 ـ أ]** ما يمكن أن يقع فيه جاهل أو غالط في هذه الصناعة. والممتنع قد يقع في الكلام إلاّ أنّ ذلك لا يستساغ إلاّ على جهة من المجاز. والفرق بين الممتنع والمستحيل: أنّ المستحيل هو الذي لا يمكن وقوعه ولا تصوّره مثل أن يكون الشيء طالعا نازلا في حال، والممتنع هو الذي يتصور وإن لم يقع كتركيب عضو من حيوان على جسد من حيوان آخر.

---

180 ـ انظر لذلك جملة ممّا احتوت عليه فصول من هذا الكتاب، هي المأم الأخير من المنهج الثاني لقسم المعاني 49 ـ 52 ـ 137 ـ 138 ـ 139.

181 ـ إحالة على القسم الأول المفقود.

182 ـ إحالة على القسم الأول المفقود.

1 ـ **إضـاءة:** فمدار الأوصاف إذن بالنظر إلى ما يستساغ ويوثر إنّما هو على ما كان واجبا واقعا، أو ممكنا معتاد الوقوع، أو مقدّره. والممكن لا يخلو من أن تتوفّر فيه دواعي الإمكان أو أن تقلّ. وكلّما توفّرت دواعي الإمكان كان الوصف أوقع في النفس وأَدْخَلَ في حيّز الصحّة. ولهذا يقال: ممكن قويب وممكن بعيد.

2 ـ **تنوير:** والواجب الثابت الوقوع لا يخلو من أن يكون متناهيا في الحال التي هو عليها، أو قاصرا فيها، أو وسطا بين المتناهي والقاصر.

وكلّ ذلك لا يخلو من أن يكون الوصف به تحسينا للموصوف ومدحا له، أو تقبيحا له وذمّا. والمدح بالقاصر ممّا يحسن، تقصيرٌ في المدح. والذمّ بالقاصر، ممّا يقبح، تقصيرٌ في الذمّ.

3 ـ **إضـاءة:** فبهذا الترتيب يتبيّن ما يصحّ ويحسن من المبالغة، وما لا يصحّ منها ولا يحسن. فإنّ العلماء بصناعة البلاغة متّفقون على أنّ ما أدّى إلى الإحالة قبيح. وقد خالف في هذا جماعة[183] ممّن لا تحقيق عنده في هذه الصناعة ولا بصيرة له بها، فاستحسنوا من المبالغة ما خرج عن حدّ الحقيقة إلى حيّز الاستحالة، واحتجّوا بمطالبة النابغة حسّانَ بن ثابت بالمبالغة في أوصافه حين أنشده قوله: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْـنَ بالضُّـحَى وأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ من نجـدةٍ دَمَـا[184]

فقال له: «قلّلت جِفَانك وسيوفَكَ، ولو قلت الجفان والسيوف لكان أبلغ». والبصراء بصناعة البلاغة العارفون بما يجب فيها يقولون: **[51 ـ ب]** إنّما طالب النابغة حسّانا بمبالغة حقيقة، وهي تكثير الجفان والسيوف. فاستدرك عليه التقصير عمّا يمكن فيما وصف، ولم يطالبه بتجاوز غاية الممكن والخروج إلى ما يستحيل.

183 ـ انظر قدامة، (3)، 36ـ37، ولعل منهم أيضاً عبد الكريم والباغاني. انظر **العمدة**، (1)٢، 50.

184 ـ البيت من قصيدة لحسان مطلعها:

ألم تسـأل الربـع الجديـد التكلّـما بمدفـع أشـداخ فبرقـة أظلـما؟

الديوان، 87.

4 ـ **تنويـر:** وقد يستساغ الوصف بما يؤدّي إلى الإحالة حيث يقصد التهكّم بالشيء أو الزارية عليه والإضحاك به. كقول الطّرمّاح:

[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

ولـو أنّ بُرْغـوثا على ظَهْرِ قَمْلَـة يَكُرُّ على صفّي تَميمٍ لولّـتِ[185]

فهذا وأشباهه إنّما استعمل على جهة الزراية والإضحاك. فهو مقصود به غرض مّا، يسوغ معه ما لا يسوغ دونه.

5 ـ **إضـاءة:** وإنّما جرى الغلط على كثير من الناس في هذا حيث لم يفرّقوا بين الوصف الذي لا يخرج عن حدّ الإمكان وإن لم يثبت وقوعه، وبين الخارج إلى حيّز الاستحالة. وغلّطتهم في ذلك أبيات وقعت فيها مبالغات خَفيَت عليهم فيها جهاتُ الإمكان، فظنّوا أنّها من الممتنعة أو المستحيلة.

ومثل ذلك من المبالغات التي يمكن أن تتصوّر لها حقيقة وأن تُصرَف إلى جهة الإمكان، وإن كان ممّا يستندر وقوع مثله قول المتنبّي:

[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وأنّـى اهتَـدى هـذا الرسـولُ بأرضه وماسَكَنَتْ،مذسِرتَ فيها،القساطلُ؟

ومـن أيّ مـاء كان يَسْـقي جيـادَهُ ولم تَصْفُ من مزج الدماء المناهلُ؟[186]

فهذا مستساغ مقبول من حيث يمكن أن تتصوّر له حقيقة وإن لم تكن واقعة،

---

185 ـ البيت وارد بلفظ نملة لا قملة وهو من قطعة نصّها:

ولـو أن يـرغـوثـا يـزقـق مسكه إذا نـهـلـت مـنـه تـمـيـم وعـلـتِ
ولـو أن بـرغـوثـا على ظهر نملة يـكـر عـلـى صفـي تـمـيـم لولت
ولـو جمعت عليا تميم جموعها عـلـى ذرة مـعـقـولـة لاستقلّت
ولـو أن أم العنكبوت بنت لهم مظلتها يـوم الـنـدى لاستظلت

المرزباني، 244.

186 ـ البيتان من قصيد يمدح به أبو الطيب سيف الدولة عند دخول رسول الرّوم حلب، ومطلعها:

دروع لملـك الروم هـذي الرسائـل يرد بها عن نفسـه ويشاغـل

العكبري، (1)، ٢، 90 والبرقوقي م2ج3، ص 232 ـ233.

إذ كانت كثرةُ الجيوش لا حدّ لها. ومتى قُدّرت الزيادة في مقدار منها وإن كثُرَ أمكنت. فجائز أن يغزو أرض قوم من الجيوش ما يصيّر حزنها سهلاً، وخَبارَها وعثا حتى يصيّر صخرها رهجا وترابها إهبا، فيثور نقعها بأقلّ حركة أو نفس فلا تسكن القساطل فيها مدّة. فأراد المبالغة في جيش ممدوحه فجعله بالغا إلى هذا المقدار **[52 - أ]**. وكذلك سفْك الدماء ليس له حدّ ينتهي إليه. ومتى قدّرت الزيادة في مقدار منه أمكنت، فجائز في حقّ ممدوحه أن يريق من دماء أعدائه ما تُكدِّر منه المياه مدّة. فأراد المبالغة في ما أراق هذا الممدوح من دماء الروم، فجعله بالغا إلى ذلك المقدار.

ولا يلزم أبا الطيب أن يكون صادقا في ذلك، لأنّ صناعة الشعر لها أن تستعمل الكذب إلاّ أنّها لا تتعدّى الممكن من ذلك أو الممتنع إلى المستحيل، وإن كان الممتنع فيها أيضاً دون الممكن في حسن الموقع من النفوس.

6 ـ **تنوير:** فأمّا مثل قول أبي الطيب في وصف الأسد:

[الكامل ـ ق ـ المتواتر]

سَبَقَ التقاءَكَهُ بِوَثْبَةِ هَاجِمٍ   لَوْ لَمْ تُصادفْهُ لَجازَكَ مِيلاَ[187]

فقبيح، إذ لا يمكن، في جرم الأسد وقوّته من الزيادة، ما أمكن في الجيوش والدماء.

وبهذا الاعتبار يتبيّن لك ما يحسن من المبالغة وما لا يحسن وما يسوغ منها وما لا يسوغ. فمن اعتمده حَمِدَه إن شاء الله.

---

187 ـ البيت يروى بلفظ تصادمه بدل تصادفه. وهو كذلك في غالب النسخ التي وقفت عليها ولعله في الأصل خطأ من الناسخ، وهذا البيت من قصيدة مطلعها:

في الخدّ أن عزم الخليط رحيلا،   مطر تزيد به الخدود محولا

البرقوقي، (2)، ٣، 447 س2.

ج ـ معلم دالّ على طرق العلم بأنحاء النظر في صحّة المعاني وسلامتها من الاستحالة الواقعة بفساد التقابل.

وجهات التقابل أربعة: ـ 1 ـ جهة الإضافة، وهو أن تكون نسبة شيء إلى شيء آخر مخالفة لنسبة ذلك الشيء إليه، مثل الضعف للعشرة بالقياس إلى نصفها، والأب إلى ابنه، والمولَى إلى عبده. ـ 2 ـ وجهة التضادّ كالأبيض والأسود. ـ 3 ـ وجهة القِنْيَة[188] والعدم كالأعمى والبصير. ـ 4 ـ وجهة السلب والإيجاب، نحو زيد جالس، زيد ليس بجالس. فالجميع بين متقابلين من هذه الأربعة من جهة واحدة تناقض.

1ـ **إضــاءة:** فإن تَقابل المعنيان من جهتين، لم يكن ذلك تناقضا مثل أن يقال إنّ العشرة ضعف **[52 ـ ب]** ونصف، لكنّها ضعف الخمسة ونصف العشرين. ولي قيل إنّها نصف العشرين وضعفها كان محالا. وكذلك قول القائل: زيد بصير القلب أعمى العين صحيح. ولو قيل إنّه أعمى العين بصيرها كان محالا. وكذلك في التضادّ يصحّ أن يقال في الفاتر إنّه حار عند البارد وبارد عند الحار، ولا يكون حاراً بارداً عند أحدهما. وكذلك في السلب والإيجاب نحو زيد كريم بالمال، زيد ليس كريما بالجاه، فهذا صحيح. ولا يصحّ أن يكون كريما بأحدهما غير كريم به في حال واحدة.

2ـ **تنويــر:** فضروب التقابل الأربعة إنّما يصحّ منها ما لم يتواف المتقابلان فيه من جهة واحدة، ولكن نيط هذا بجهةٍ وهذا بجهة.

فمن الكلام الذي انصرف فيه أحد المتقابلين بالسلب والإيجاب إلى غير الجهة التي انصرف إليها الآخر، فكان ذلك صحيحا سالما من التناقض، قول ابن الرومي: [الطويل ـ ق ـ المتواتر]

---

188 ـ ورد بدل لفظ «الغنْية» لفظ القنية في سر الفصاحة: 239، نقد الشعر: 204، تحقيق كمال مصطفى.

وليْسُوا بأجْذَالِ الطِعَان ذَوي القَنَا وَلَكِنَّهُمْ بِالحَزْمِ وَالرَّأيِ أجْذَالُ
وَلَمْ يُخْلَقُوا أبطالَ بَأْسٍ وَنَجْدَةٍ وَلَكِنَّهُمْ بِالرِّفْقِ وَاللِّينِ أبْطَالُ[189]

فجعلهم أبطالا من جهة وغير أبطال من جهة، وأجذالا من وجه وغير أجذال من وجه.

3 ـ **إضاءة:** وربّما تسامح بعضهم في أن يورد معنى في بيت ثمّ يأتي في بيت آخر بمعنى يقابله على أحد الأنحاء المتقدّمة من التقابل ويجمع بينهما من جهة واحدة، وذلك إذا كان البيت منقطعا عن البيت فيُجري البيتين إذا كان كلاهما مستقلاّ بنفسه مجرى قصيدتين، فكما جاز للشاعر أن ينقض في قصيدة ما قال في قصيدة أخرى كذلك يجوز له في البيتين المتميّز أحدهما عن الآخر.

فأمّا إذا كان معنى البيت الواحد متعلّقاً بمعنى البيت الآخر، فإنّ الجمع بين المتقابلين فيهما من جهة واحدة غير سائغ. وإنّما يجوز ذلك من عدم الاتّصال.

وترك التناقض على كلّ حال أحسن. وقد قال أبو عثمان الجاحظ: «إنّ الناس يغلطون على العرب ويزعمون أنّهم يمدحون بالشيء الذي يهجون به. وهذا باطل، ليس شيء إلاّ وله وجهان وطريقان. فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين. وإذا ذمّوا ذكروا أقبحها». وقال الخفاجي تلميذ أبي العلاء: «إنّهم على ذلك يتصرّف قولهم. فإنّ أبا تمّام لمّا وصف يوم الفراق بالطول فقال:

[الكامل ـ ق ـ المتواتر]

يومَ الفراقِ، لقدْ خُلِقْتَ طَويلاَ لم تُبقِ لِي جَلَدًا ولا مَعْقُولاَ[190]

189 ـ [كان هذان البيتان من فرائد حازم في منهاجه قبل طبع ديوان ابن الرومي وهو من قصيدة طويلة يخاطب فيها نفسه ومطلعها:

أبا حسن قد قلت لو كان فعال فحسبك قد سارت بخطبك أمثال

ديوان ابن الرومي تحقيق د. حسين نصار 1994:5ـ 1999.
الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979.]

190 ـ البيت مطلع قصيدة يمدح بها نوحا بن عمرو السكسكي. التبريزي، 3، 66.

علّل طوله بما لقي فيه من الوجد لرحيل أحبابه عنه.

وأبو عبادة البحتري لمّا وصفه بالقصر فقال: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

ولقد تأمّلتُ الفراق، فلَم أجدْ　　يومَ الفراق، علَى امرئ بطَويلِ

قَصُرتْ مسافتُه على مُتزوِّدٍ　　منه لدهر صَبابةٍ وعَويلِ[191]

علّل قصره بأنّه اجتمع فيه بمن يحبّه للوداع وتزوّد منه لأيّام البعد. فهما، وأن خالف كلاهما صاحبه، فقد ذكرا لما ذهبا إليه، وجوها يصحّ عليها الكلام».

4 ـ **تنوير:** فممّا حمل على التناقض من أقاويل الشعراء قول عبد الرحمن بن عبد الله القس: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

أرَى هجرَها والقتْلَ مِثلين فاقْصروا!　　مَلامَكُمُ، والقتلُ أعفَى وأيْسَرُ[192]

ومما حمله بعض البلغاء على التناقض، وأوّله بعضُهم على وجه من الصحّة قول زياد الأعجم[193]: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

تَرَاهُ إذا ما أبْصَرَ الضَيْفَ مُقبِلاً　　يُكلِّمُه من حبِّه وهو أعجَمُ[194]

قال أبو الفرج قدامة: «تناقض من حيث أوجب الكلام للكلب، ثمّ أعدمه إيّاه بقوله وهو أعجم[195]».

---

191 ـ البيتان من قصيدة يمدح بها البحتري الفضل بن إسماعيل الهاشمي مطلعها:

صَبٌّ يخاطب مفحماتِ طلولِ　　من سائلٍ باكٍ ومن مسؤولِ

الديوان، ٢، 610.

192 ـ انظر المرزباني، 226.

193 ـ البيت منسوب لابن هرمة. انظر الخفاجي، 230، قدامة، (1)، 82.

194 ـ المصدران السابقان.

195 ـ المصدر الثاني السابق، عجيب صدور هذا من قدامة، وهل ما في البيت إلا من قبيل الإغراب والطباق. فقوله: (تراه يكلمه) ظاهر أن معناه كالذي يكلمه. وهو كقول عنترة في فرسه:

فازورّ من وقع القنا بلبانه　　وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى　　ولكان، لو علم الكلام، مكلمي

فجمع بين شكا وبين لو كان يدري اشتكى، الذي هو في معنى النقيض كما لا يخفى

وقال الخفاجي: «ليس الأعجم هو الذي عَدم الكلام جملة كالأخرس، وإنّما هو الذي يتكلّم بعجمة. وإذا قيل فلان يتكلّم وَهو أعجم لم يكن متناقضا[196]». انتهى كلام الخفاجي.

والبيت محتملٌ وجها آخر من التأويل يصحّ عليه. وهو أنّه قد يعنى بالكلام، ما يفهم من إشارة من لا يستطيعُ **[53 ـ ب]** النطق وحركاته وشمائِله حيث يقصد بذلك إفهام ما في نفسه[197].

وما أبدع قول ابن درّاج عندما ذكر وداع امرأته وما ظهر من الشَّجْوِ في ألحاظ بُنيّه الصغير، لما أبصر من حالهما عند ذلك فتبيّن ذلك في عينيه:

[الطويل ـ ق ـ المتواتر]

عَيِيٌّ بِمَرْجُوعِ الخِطابِ وَلَحظُـه ... بموْقِـعِ أهْواء النُّفوس خَبيرُ[198]

5 ـ **إضاءة:** وذهب أبو الفرج قدامة[199] إلى تناقض قول أبي نواس:

[الطويل ـ ق ـ المتواتر]

كأنّ بقَايا ما عَفَا من حَبابِها ... تفاريق شيْبٍ في سواد عذَارِ
تَردَّت به ثمّ انفَرَى عن أديمِهَا ... تفَرِّيَ ليلٍ عن بياض نهَار[200]

196 ـ تمام هذا الكلام، وقد ورد هنا مبتورًا، وهذا غلط من أبي الفرج طريف، ليس الأعجم هو الذي عَدِمَ الكلام جملة كالأخرس، وإنما هو الذي يتكلم بعجمة، ولايفصح.
قال الله تبارك وتعالى: (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين)، قرآن 103:16
وإذا قيل فلان يتكلم وهو أعجم، لم يكن متناقضا، يشير إلى وجه آخر في الجواب، فنقول: على أن الرواية الصحيحة في بيت ابن هرمة: يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً. الخفاجي، 230.
197 ـ تأويل آخر لحازم في الموضوع فليتأمل.
198 ـ البيت من قصيدة يودع بها ابن دراج زوجه وولده الصغير، مطلعها:
ألم تعلمي أن الثواء هو التوى ... وأن بيوت العاجزين قبورُ؟
الثعالبي، (1)، 1، 446.
199 ـ قدامة، (1)، 80.
200 ـ البيتان من قصيدة في مدح العباس بن عبيد الله بن المنصور طالعها:
ديار نوار ما ديار نوار ... كسونك شجوا هنّ منه عوار
الديوان، (1) 159، (2)، 435.

وقال: «إنّه وصف الحباب في البيت الأوّل بالبياض حين شبّهه[201] بالشيب ووصف الخمر بالسواد حين شبّهها بسواد العذار، ثم وصف الحباب في البيت الثاني بالسواد حين شبّهه بتفرّي الليل، ثم وصف الخمر بالبياض حين قال: «عن بياض نهار»، وكون كلّ واحد من الحباب والخمر أسود أبيض مستحيل». وقد أسأل أبو الفرج نفسه فقال: «إن قيل إنّه لم يصف الحباب في البيت الثاني بالسواد وإنّما شبّهه بالليل في تفرّيه وانحساره عن النهار دون نفس اللون». وأجاب عن هذا: «بأنّ أبا نواس قد صرّح بأنّه لم يرد غير اللون فقط لقوله عن بياض نهار»[202]. وقد يحتمل قول أبي نواس وجوهًا من التأويل لا يكون معها فيه تناقض.

فمن ذلك أن يكون أراد أن يشبّه سواد الخمر بالليل والحباب بالنجوم، فلم يتّسع له الكلام لهذا التشبيه، فلوّح له في البيت الثاني تلويحاً لطيفاً بقوله: «تفرّيَ ليل عن بياض نهار» حيث كانت النجوم في ضمن اللّيل أي انفرى عنها ما تردّت به من لون السواد، وما اقترن به من الحباب تفرّيَ الليل ونجومه عن بياض النهار. فالضمير في قوله انفرى راجع إلى ما تردّت به الخمْرُ من لون السواد المشبّه تفرّيه بتفرّي اللّيل، ولو كان الضمير في قوله انفرى راجعا على الحباب لكان أليق بكلام أبي نواس **[54 - أ]** في هذه القصيدة أن يقول تحلّت به فيجعل الحباب حليّا لها على ما جرت عليه عادة الشعراء فإنّا لا نعلم أحدًا جعل الحباب رداء والمشبّه ببياض النهار بياض الماء الممزوج بالخمر، شبّه تفرّي سواد الخمر عن بياض الماء الذي جلاه إذ مزج به بتفرّي الليل عن بياض النهار. وقد يمكن أن يكون في هذا التشبيه إشارة إلى تشبيه الحباب بالنجوم ولم يذكرها لأنّها في ضمن الليل وتابعة له في انحساره. وقد يمكن أن يكون الضمير

201 ـ في الأصل «شبهها» ولها وجه من الصحة.

202 ـ الإضاءة من أولها منقولة بتصرف. انظر الخفاجي، 231.

في انفرى راجعًا إلى الحباب ويكون قوله تفرّي ليل في قوّة تفرّي نجوم ليل أو يكون قد اكتفى بذكر الليل لأنّ النجوم في ضمنه[203].

6 ـ **تنوير:** وليس لقائل أن ينفصل عمّا ألزمه أبو الفرج قدامة[204] من أنّ أبا نواس أراد بالبياض نفس اللون بأن يقول: لعلّه لم يرد بقوله بياض نهار حقيقة اللون، ولكنّه استعمله على حدّ قولهم أقمنا بمكان كذا بياض نهار وأديم ليل، لأنّ قول القائل: أقمنا أديم ليل وبياض نهار معناه أقمنا يوما من أوّله إلى آخره وليلة من أوّلها إلى آخرها.

وقد يقال أيضاً أقمت بها أديم يوم كما قال بشر ابن أبي خازم:
[الوافر ـ ق ـ المتواتر]

وباتـت ليلـةً وأديـمَ يـومٍ ... على المِـمْـهَى، يُجَـزُّ لها الثّغـامُ[205]

فالمراد في مثل هذا الاستعمال ببياض يوم مخالف للمراد به في قول أبي نواس، إذ لا يمكن أن يريد تفرّي ليل عن نهار من أوّله إلى آخره.

فبياض النهار إذنْ على ما ألزمه أبو الفرج، ومعنى الشعر على ما تأوّلناه لا على ما تأوّله، إذ المعنى الذي قلناه معنى صحيح والعبارة قابلة له على ما فيها من الاختصار الذي كاد أن يخلّ بالمقصود.

وكلّما أمكن حمل بعض كلام هذه الحلبة المجلّية من الشعراء على وجه من الصحّة كان ذلك أولى من حمله على الإحالة والاختلال لأنّهم من ثبت ثقوب أذهانهم وذكاء أفكارهم واستبحارهم في علوم اللسان وبلوغهم من المعرفة به الغاية **[54 ـ ب]** القصوى.

---

203 ـ تأويلات حازمية عقب بها على ما نقله عن غيره من النقاد في هذا الغرض.

204 ـ راجع قدامة، (3)، 126 128.

205 ـ البيت في الديوان بالراء لا بالزاي، وهما روايتان وهو من قصيدة طويلة مطلعها:

أحـق ما تقول أم احتـلامُ ... أم الأهوال إذ صَحْـبِي نيـامُ؟

الضبي، 161، وفي **الديوان**، 210؛ «فباتت ليلة...» والمِمْهَى: الأساس.

وقد قال الخليل بن أحمد: «الشعراء أمراء الكلام يُصرّفونه أنّى شاءوا. ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومدّ المقصور وقصر الممدود والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته والأذهان عن فهمه وإيضاحه، فيقرّبون البعيد ويبعّدون القريب ويُحتَجّ بهم ولا يُحتَج عليهم ويصوّرون الباطل في صورة الحقّ والحقّ في صورة الباطل»[206].

فلأجل ما أشار إليه الخليل، رحمه الله، من بعد غايات الشعراء وامتداد آمادهم في معرفة الكلام واتّساع مجالهم في جميع ذلك، يحتاج أن يحتال في تخريج كلامهم على وجوه من الصحّة، فإنّهم قلّ ما يخفى عليهم ما يظهر لغيرهم، فليسوا يقولون شيئاً إلاّ وله وجه، فلذلك يجب تأوّل كلامهم على الصحّة والتوقّف عن تخطئتهم فيما ليس يلوح له وجه.

وليس ينبغي أن يَعْتَرِضَ عليهم في أقاويلهم إلاّ من تُزاحم رتبته في حسن تأليف الكلام وإبداع النظام وتبتّهم. فإنّما يكون مقدار فضل التأليف على قدر فضل الطبع والمعرفة بالكلام. وليس كلّ من يدّعي المعرفة باللسان عارفا به في الحقيقة. فإنّ العارف بالأعراض اللاحقة للكلام التي ليست مقصودة فيه من حيث يحتاج إلى تحسين مسموعه أو مفهومه ليس له معرفة بالكلام على الحقيقة البتّة وإنّما يعرفه العلماء بكلّ ما هو مقصود فيه من جهة لفظ أو معنى. وهؤلاء هم البلغاء الذين لا معرّج لأرباب البصائر في إدْراك حقائق الكلام إلاّ على ما أصّلوه.

فمن جعل ذلك دليله هدي سبيله، ومن اعتمده أحمده.

---

206 ـ من هذا استمد السيوطي وصفه للشعراء، انظر المزهر، (2)، ٢، 471، س 4 ـ 6.

د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما [55 ـ أ] يوضع من المعاني وضع غيره من حيث تكون واجبة أو ممكنة أو ممتنعة، وما لا يجوز أن يوضع أن يوضع وضع غيره من ذلك.

أمّا طرق الجدّ وما لم يقصد المتكلم به مشاجرة ولا مغالبة فلا يوضح فيها واجب وضع ممتنع، ولا الممتنع وضع الواجب، ولا ممكن وضع ممتنع، ولا واجب وضع ممكن، وإنّما يوضع الممكن وضع الواجب، ويجوز أن يوضع الممتنع وضع الجائز إذا كان المقصود بذلك ضربا من المبالغة.

1 ـ **إضـاءة:** فأمّا طرق الهزل وما يقصد به الإضحاك أو التهكّم فإنّ المعنى قد يوضع في ما وُضع جميع ما يخالفه من الجهات المذكورة. وكذلك في الأقاويل التي يقصد بها المشاجرة والمكابرة لأنّ مواطن الهزل والضجرة تحتمل من قلّة المبالاة بحقائق الكلام ما لا تحتمله مواطن الجدّ والاعتدال.

2 ـ **تنويـر:** ولا يجوز وضع شيء من الواجبات أو الممكنات وضع المستحيل، ولا أن يوضع المستحيل وضع شيء من ذلك في موطن جدّ ولا في موطن هزل ولا في حال اعتدال ولا تحرّج. وقد تقدّم أنّ الفرق بين الممتنع والمستحيل هو أنّ المستحيل لا يمكن وجوده ولا تصوّره في الوهم مثل كون الشيء أسود أبيض وطالعًا نازلاً في حال واحدة.

والممتنع هو ما يمكن تصوّره في الوهم وإن لم يمكن وجوده مثل أن يتصوّر تركيب بعض أعضاء نوع من الحيوان على جسد نوع آخر:

3 ـ **إضـاءة:** وقد تكلّم الخفاجي في هذا، وأغفل التفرقة بين الأقاويل التي ترد على الأنحاء المتقدّمة من جهة ما تقع فيه من المواطن والأحوال، وبيْن ما يسوغ من ذلك في حال دون حال وموطن دون آخر، وتكلّم في ما يسوغ في جميع ذلك ويجوز من **[55 ـ ب]** جهة ما يُنْحَى بالأقاويل نحوه من مبالغة أو اقتصاد. فأجاز أن يوضع الممتنع وضع الجائز إذا كان في ذلك ضرب من الغلوّ والمبالغة وهو

كما قال، ومنع أن يوضع الجائز وضع الممتنع على كلّ حال[207]. والصّحيح أنّ ذلك يقع حيث تقصد المبالغة. وربّما وضع الجائز أيضاً وضع الممتنع حيث تقلّ دواعي الإمكان في جوائزه ويكون القصد بذلك ضربا من المبالغة.

4 ـ **تنوير:** فأمّا إذا لم تقصد مبالغة ولا مغالبة فلا يوضع جائز وضع ممتنع ولا ممتنع وضع جائز. ومن أمثلة ذلك، فيما لم تقصد فيه مبالغة، قول بعضهم:

[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

فإنْ صُورةٌ رَاقَتْكَ فاخْبُرْ فَرُبَّما أمرَّ مذاقُ العودِ والعودُ أخضـرُ[208]

فبنى على أنّ مرارة العود أكثر ما تكون عن اليبوسة وأنّها في الأخضر على سبيل القلّة، والأمر بخلاف ذلك لأنّ وجود المرارة مع الخضرة هو الأكثر، فكأنّه وضع الواجب في الأكثر موضع الجائز في الأقلّ. وهذا غلط مستقبح في المعاني مؤد إلى انعكاس حقائق المقاصد، فليُتَحَفَّظ من مثله، فإنّه خارج عن جملة ما استسغناه بحسب المواطن والأحوال والمطامح الإفراطية التي من شأن الشعراء أن ينحرفوا بالمعاني التي وقع فيها وبحسبها عن الحقائق التي تجب في نسبها وفي انتساب بعض مفهوماتها إلى بعضٍ انحرافا مّا لضروب من المقاصد ليس شيءٌ منها موجودًا في هذا البيت.

هـ ـ معلم دالّ على طرق العلم بالوجوه التي بها يقع التدافع بين بعض المعاني وبعض.

كلّ قول قُصِدَ به محاكاة شيء ونحي بذلك منحى من الأغراض فإنّه يجب ألاّ يتعرّض فيه إلى ما هو أليق بمضادّ الشيء المحاكى به وأخصّ به **[55 ـ ب]** أو

207 ـ علة هذا الإطلاق واضحة في كلام الخفاجي حين يقول: «ولا يحسن أن يوضع الجائز موضع الممتنع لأنه لا علة لجواز ذلك. وهو ضد ما يحمد من الغلو والمبالغة في الشعر». الخفاجي، 234.

208 ـ أورده قدامة، نقد الشعر: 215، ونقله عليه المرزباني: الموشّح 295.

أخصّ بمناسب مضادّه، وألاّ يتعرّض في تخييل حال الشيء المحاكى به إلى ما هو أخصّ بحال مضادّ ذلك الشيء أو مناسب مضادّه، وألاّ يتعرّض في القول وما دلّ عليه إلى ما هو أخصّ بمضادّ الغرض الذي نحي به منحاه أو إلى ما هو أخصّ بمناسب مضادّ ذلك الغرض، وألاّ يتعرّض فيه إلى لفظ له عرف فيما يضادّ المعنى الذي دلّ عليه أو الغرض الذي نحي به منحاه أو الشيء الذي قصدت به محاكاته ولا إلى ما يناسب مضادات جميع ذلك، فإنّ التعرّض في القول لما يضادّ معناه ومدلوله وغرضه، أو إلى ما يناسب تلك المضادّات، أو إلى ما له عرف في شيء من ذلك، ضروب من التدافع.

1 ـ **إضـاءة:** وأكثر ما يقع التعرّض في أحد المتضادّين إلى ذكر ما هو أليق بالآخر وأخصّ به إذا كان للمتعرّض له علقة بما هو خارج عن غرض القول ممّا سوى ذلك من أعراض المتكلم أو الموصوف أو المخاطبين، فألمّ به لأجل تلك العلقة وسها عن كونه قادحا في غرض القول أو فيما يرجع إلى حال الشيء المحاكى، أو تسومح في ذلك القدر من القدح اختيارا، أو لُزَّ إلى المسامحة فيه اضطرار.

2 ـ **تنويـر:** فالجهات التي يجب فيها أن يتوقّى في الشيء ما هو أخصّ بمضادّه وما جرى مجراها هي جهات التضادّ والتخالف في الأفعال والانفعالات والهيئات والأحوال والتمييزات وأغراض الكلام المترامية إلى أنحاء هذه الأشياء نحو التهنئة والتعزية والمديح والهجاء.

3 ـ **إضـاءة:** فمن المعاني التي قصد فيها الذمّ فأورد في العبارة عنها ما هو أليق بالمدح قـول الفرزدق: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

بـأيِّ رِشـاءٍ يا جريـرُ ومَاتـحٍ   تَدَلَّيْـتَ من هامات تِلكَ القماقـم؟[209]

209 ـ الرواية في **الديوان**: في حومات بدل من هامات، وما في النص أكثر مجانسه وأتم معنى والبيت من قصيدة يهجوبها جريرا ويعرض بالبعيث مطلعها:

وَدَّ جريـر اللـؤم لو كان عانيـاً   ولم يَـدْنُ من زأر الأسـود الضراغمِ

وفي البيت خرم ويستقيم وزنه بزيادة متحرّك أو جعل فعل ود مضارعاً: يود.
الديوان، ٢، 863.

فقال له جرير: «جعلتني أتدلّى على قومك».

[56 ـ ب] ومن الأبيات التي وقع فيها سوء أدب حيث يجب حسن الأدب قول جرير: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

يـا بِشْـرُ حُـقَّ لوجهـكَ التبشيرُ ... هَـلاّ غضبـتَ لنـا وأنـتَ أميـرُ
قـدْ كانَ حقـكَ أنْ تقـولَ لبَـارق ... يـا آل بـارقَ فيـمَ سُـبَّ جريـرُ؟[210]

فقال بشر: ما وجد ابن اللخناء رسولا غيري!؟.

4 ـ **تنويـر:** ومن ذلك أن تأتي العبارة في صورة ما يضادّ الغرض، نحو ما حكي من أنّ بعض الشعراء أنشد الداعي في يوم المهرجان:
[الرمل ـ ق ـ المتواتر]

لا تقُـل بُشرى ولكن بُشريـان ... غُـرّةُ الـدَاعي، ويومُ المهرجـان[211]

فأمر بضربه خمسين عصا وقال: «هذا أبلغ في إصلاح أدبه».

ومن ذلك استفتاح أبي نواس قصيدته التي هنَّأ فيها الفضل بن يحيى ابن خالد بدار ابتناها فقال: [الطويل ـ ق ـ المتواتر]

---

210 ـ البيتان وردا في الديوان مفصولين ببيتين آخرين هما:

يـا بـشـر إنـك لـم تـزل فـي نعمة ... يـأتـيـك مـن قـبـل الإلـه بشير
بـشـر أبـو مـروان، إن عـاسـرتـه ... عـسـر وعـنـد يـسـاره مـيـسـور

والبيت الأول من البيتين الواردين في النص يروى في الديوان لبشرك بدل لوجهك وهو أشكل بالنص، وهذه الأبيات من قصيدة يهجو بها جرير سراقة بن مرداس، ومطلعها:

يا صاحـبيّ هـل الصبـاحُ منـيرُ ... أم هـل للوم عـواذلي تفتـير؟

الديوان، 301.

211 ـ البيت لأبي مقاتل، أنشده الداعي، العسكري: **الصناعتين**، 432، محمد كردعلي: إحالة في التعليق على كتاب **الصناعتين**، انظر(4) 339، أورد ذكر البيتين أيضاً العباسي في قبح الابتداء. قال أنشده ابن مقاتل هكذا بلفظ ابن لا أبو، وهو علي بن مقاتل الضرير من شعراء الجبل، بين يدي الداعي وهو المعروف بالداعي الأصغر، أبو الحسن العلوي الثائر، المتوفى 316 بطبرستان، العباسي، (1)، 616.

أَرَبْعَ البِلَى إنّ الخشوع لَبادِ   عليك وإنِّي لم أخُنكَ وِدادي[212]

فتطيّر الفضل من ابتدائه، فلمّا ختم القصيدة بقوله:

سلام على الدنيا إذا فُقِدْتُمُ،   بني برمك، من رائحين وغادِ

استحكمت كراهته لِما سمع. فما مرّ أسبوع حتى نُكب بنو برمك.

وحكي أنّ البحتري أنشد محمدا بن يوسف أو غيره من أمراء الثغور:

[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

لك الويلُ من ليل تَطَاوَلَ آخرُهْ   ووَشْكِ نَوَى حَيٍّ تُزَمُّ أباعرُهْ[213]

فقال له الممدوح: «بل لك الويل والحرب». على أن هذا البيت روى بالهاء بدل الكاف في قوله لك وهي أشبه من الرواية الأخرى.

وقد أنكر عبد الملك على جرير ما هو دون هذا حين أنشده:

[الوافر ـ ق ـ المتواتر]

«أتصحو أم فؤادك غير صاح»؟[214]

فقال له الملك: «بل فؤادك».

5 ـ **إضاءة:** وقد تكون للعبارة دلالة على أمر مكروه خارج عمّا جيء بها للدلالة عليه، إمّا باشتراك وَقَعَ في اللّفظ، أو بعرف واستعمال حدث فيه

212 ـ البيتان، هذا والذي يليه: أولهما مطلع قصيدة يمدح بها أبو نواس الفضل بن يحيى بن برمك، وثانيهما قريب من الآخر وليس آخرا بل بعده أربعة أبيات. **الديوان،** (1)، 126، 127، (2) 471.

213 ـ البيت مطلع قصيدة يمدح بها أبو عبادة يوسف بن محمد. **الديوان،** 1، 250.
[وفي طبعة دار صادر: م2ص283. له الويل من ليلٍ بطاءٍ أواخرُهْ].

214 ـ البيت مطلع قصيدة في مدح عبد الملك بنِ مروان[كما أشار إلى ذلك المؤلف] والبيت بأكمله هو:

أتصحو أم فؤادك غير صاح   عشية همّ صحبك بالرواح؟

الديوان، 96.

ولو للعامّة. فيجب أن يتحفّظ من ذلك حيث تتهيّأ تلك العبارة بنفسها أو مع ما يكتنف بها لأن يفهم منها بحسب الاشتراك **[57 - أ]** الواقع فيها أو بحسب العرف والاستعمال أمر قبيح في حقّ ممدوح أو مندوب أو منسوب به أو نحو ذلك ممّا يكره في حقّه القبح.

ومن ذلك قول الصاحب في عضد الدولة: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

ضَمَمْتَ على أبْناءِ تغلب تـاءَهَا   فتَغْلِبُ، ما كرّ الجديدانِ، تُغْلَـبُ[215].

فقال عضد الدولة : «يَـقِي اللهُ!».

وممّا أكّد القبح في هذه اللفظة التي هي قوله تغلب وقوعها قافية. فإنّها مقطع الكلام وموضع تخلّي السامع وتفرّغه لتفقّد ما مرّ على سمعه ممّا وقع فيها. فالسمع أقرب عهدا به، وهو أشدّ ارتساما فيه. ولو وردت اللفظة التي أنكرها عضد الدولة في أثناء البيت لكان الأمر فيها أسهل.

6 ـ **تنويـر:** وممّا يجب التحفّظ منه في المواضع التي يجب فيها التباعد عن الفحش وعن كّل ما يتطرّق به إليه وصونُ الكلام من جميع ما يكون فيه إذ كان بأمر من أمور الريب والرفث، والتعرّض إلى الأشياء التي يفهم منها ذلك، ولو بعرف عامّي أو استعمال لأهل الهزل.

وممّا يندرج في هذه الجملة قول المتنبّي في أمّ سيف الدولة: [الوافر ـ ق ـ المتواتر]

رِواقُ العِـزِّ فوقَــكِ مسبَطِــرٌّ   ومُلْـكُ عَـليّ ابنِـكِ في كَمَــالِ[216]

---

215 ـ أورد البيت الشاهد الخفاجي، 174.

216 ـ يروى البيت بكلمة حولك بدل فوقك. العسكري، (1)٢، 23، البرقوقي(1)، ٢، 24 ويروى بلفظ فوقك كما في النص الذي أورده حازم. وهذه الرواية أولى لحمل الكلام عليها، وترتيب ما أورده المؤلف على الشاهد، والبيت من قصيدة للمتنبي في رثاء أم سيف الدولة، طالعها:

نعــد المشرفيــة والعــــوالي   وتقتلنـــا المنـــون بلا قتــــال

انظر **الديوان**، 174.

فلفظة «مسبطرّ» بعد قوله للمرأة «فوقك» قبيحة، ولا سيّما بعد أن استعملها ابن حجّاج[217] حيث استعملها وعُرف ذلك من قوله: ونحوٌ منه قول مروان بن أبي حفصة في زبيدة بن جعفر: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

يَهُـزُّها كلُّ عِـرْقٍ من أَرُومتِــها   يزداد طيبـا إذا الأعراقُ لم تَطِـبِ[218]

فلفظة عرق بعد قوله يهزّها قبيحة بالنظر إلى ما هو متعارف عند العامّة.

وقد كان بعض الشيوخ الذين أخذت عنهم هذه الصناعة يُوصي باجتناب الألفاظ التي يفهم منها على حِدتها أو مع ما يكتنفها معنى قبيح ولو بالعرف العامي.

7 ـ **إضـاءة:** وإذا كان في اللفظة عُرف **[57 ـ ب]** في طريق من الطرق الشعريّة فالواجب ألاّ تستعمل في مضادّ ذلك الطريق، وذلك كقول حبيب:

[الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

يا أبـا جعفَـــرٍ جُعلـــتُ فِـداكـــا   بَزَّ حسنَ الوجوه حسنُ قفاكـا[219]

فالقفا ليس يليق إلاّ بطريقة الذمّ. وكذلك الأخدع والقذال. فاستعمال هذه الألفاظ في المدح مكروه.

8 ـ **تنويـر:** ومِنْ وَضْعِ الشيء موضع مايضادّه ما وقع لكثيّر من تمنّي البؤس حيث يجب تمنّي النعيم في قوله: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

---

217 ـ هذا الشاعر كثير التظاهر بالسخف والمُجون. انظر الثعالبي، (2)، ٣، 30 ـ 99.

218 ـ البيت لم نعثر عليه في غير المنهاج.

219 ـ البيت من قطعة صغيرة وردت في باب الغزل، مطلعها:

يا أبا جعفر أقر لك الحســـ   ـــن وحلت جيوشه في ذراكا

ورواية البيت الثاني تختلف هنا عمّا في الأصل. وهي بهذا الوجه:

يا أبا جعفر خلقـــت بديعـــا   فاق حســن الوجوه حسن قفاكـــا

واختار الأصل ما لم يرجح هذه الرواية الثانية مرجح. **الديوان**، (2)، 456.

وددتُ، وبيتِ الله، أنّك بَكرةٌ | هجانٌ، وأنّي مُصْعَبٌ ثم نهربُ
كِلاَنا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يقُلْ: | على حسْنهَا، جربَاءُ تُعدي وأجرَبُ
إذَا مَا وَرَدْنا منهلاً صاح أهلُهُ | علينَا، فلا ننفكُّ نُرمَى ونُضْرَبُ[220]

فقالت له عزّة: «لقد أردت بنا الشقاء! أما وجدت أمنيّة أوطأ من هذه!؟».

ومن أقبح المتمنَّى وأسوإ المذاهب في ذلك ما ورد في قصيدة أبي صخر في الفصل الذي أوّله: «تمنَيت من حبي عُليّة،[221] وهو مذكور في أمالي أبي علي وغيرها، فلا معنى للإطالة بإيرادها.

9 ـ **إضاءة:** فكلّ هذه الأشياء، التي نبّهنا عليها بهذا المعلم، من وضع ما لا يليق موضع ما يليق. وهو وضع غير مؤثّر.

وإنّما الوضع المؤثِّر وضع الشيء الموضع اللائقَ به، وذلك يكون بالتوافق بين الألفاظ والمعاني والأغراض من جهة ما يكن بعضها في موضعه من الكلام متعلّقا ومقترنا بما يجانسه ويناسبه ويلائمه من ذلك. والوضع الذي لا يؤثّر يكون بالتباين بين الألفاظ والمَعاني والأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلّقا ومقترنا بما يناقضه ويدافعه وينافره.

ولهذه الجملة تفاصيل قد وقعت الإشارة إليها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب[222] فليتأمّل ذلك في مظان ذكره، وبالله التوفيق.

---

220 ـ البيت الثالث ورد عجزه بـ« فما» بدل فلا. والأبيات في الترتيب بجعل المذكور في الأصل هنا أولاً آخرًا، **الديوان** 99.

221 ـ يشير بهذا إلى قول أبي صخر من قصيدة:

تمنيت من حبي علية أننا | على رمث في البحر ليس لنا وفر
على دائم لا يعبر الفلك موجه | ومن دوننا الأهوال واللجج الخضر
فنقضيَ همّ النفس في غير رقبة | ويُغْرِق من نخشى نميمته البحر

القالي، 1، 149.

222 ـ راجع مثل هذه الإشارات: 315 ـ 318.

و ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما تكون عليه المعاني من كمال أو نقص.

فأمّا الكمال في المعاني فباستيفاء أقسامها واستقصاء متمّماتها وانتظام العبارات جميعَ أركانها حتّى لا يُخَلّ من أركانها بركن ولا يُغفَل من أقسامها قسمٌ ولا يتداخل بعض الأقسام على بعض.

1 ـ **إضـاءة:** وقد تقدّم الإلماع بطرف من ذكر المتمّمات[223].

ونحن نذكر في هذا الموضع كيف تقع المعاني كاملة باستيفاء أقسامها وانتظام العبارات جميع أركانها ومتمّماتها حتّى لا يقع فيها نقص ولا تداخل.

فمن المعاني التي وردت القسمة فيها تامّة صحيحة قول نُصيب:

[الطويل ـ ق ـ المتواتر]

فقـال فريقٌ: لا. وقالَ فريقُهمْ: نعمْ، وفريقٌ قَالَ: وَيْحَكَ ما نَدْري[224]

---

223 ـ راجع بعض صور ذلك: 52 ـ 49، 97.

224 ـ وردت رواية البيت بأوجه مختلفة مع اضطراب قليل في النسبة.

ـ الرواية الأولى:

فقال فريق القوم: لا، وفريقهم: نعم، وفريق: أيمن الله ما ندري

والنسبة لنصيب، ابن حجة الحموي: **الخزانة**، 444.

الرواية الثانية:

فقال فريق القوم لما نشدتهم: نعم وفريق: أيمن الله ما ندري

اللسان: فصل الباء، باب النون، ١٧، 354.

الرواية الثالثة: والنسبة فيها إلى نصيب:

فقال فريق القوم لا فريقهـم: نعم وفريق: قال ويحك ما ندري

قدامة، (1) 46.

وبرواية ابن منظور وهي الثانية هنا ورد الشاهد في **كتاب** سيبويه. قال: سمعناه هكذا من العرب ولم ينسبه، وفي التعليق عليه بأسفل الصفحة: ويروى لنصيب، سيبويه، 147 وبنفس الرواية أيضاً ورد في كلام الخفاجي، وفي التعليق على نسبته أسفل الصفحة، وفي التيمورية زهير، انظر الخفاجي، 224.
وهذا أشبه بكلام سيبويه، وحكايته للبيت عن الأعراب. فإن ذلك ممّا يدل على قدمه وهو ليس من نسج ما صنع نصيب. والبيت في عامة الكتب النقدية التي أشرنا إليها من شواهد التقسيم.

ومن المعاني التي وقع التقسيم فيها تامّاً صحيحاً قول الشمّاخ:

[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

مَتَى مَا تقَـعْ أرساغـهُ مطمئنـةً   على حَجَرٍ يرفـضَّ أوْ يَتَدَحْـرَجِ[225]

لأنّ الحجر إن كان رخوا ارفضّ، وإن كان صلبا تدحرج. وليس لقائل أن يقول: إنه غادر قسما ثالثا، وهو أن تكون الأرض رخوة فيسوخ الحجر فيها، فإنّ الأرض إذا كانت بهذه الصفة لم يقع الحافر عليها وقوع اطمئنان واعتماد، فبقوله مطمئنة صحّت القسمة وكملت.

ومن المعاني التي قُسِّمت أتمّ تقسيم على جهة من التدريج والترتيب، قول زهير: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

يَطْعنُهمْ ما ارْتَمَوْا حَتَّى إذَا اطّعنوا   ضاربَ، حتَّى إذا ما ضاربوا اعتنقا![226]

ومن أمثلة ذلك في النثر قول بعضهم: «فلم تخْلُ فيما بدأتني به من مجد تأثّلته، أو شكر تعجّلته، أو أجرٍ ادّخرته، أو متجر اتّجرته، أو من أن تكون جمعت ذلك كلّه»[227].

2 ـ **تنويـر:** ومّا انتظمت فيه العبارة جميعَ أركان المعنى واستوفت غايات المقصد قول الشاعر: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]. **[58 ـ ب]**

أَنَاسٌ إذا لَمْ يُقْبَلِ الحقُّ منهُمُ   ويُعْطَوْهُ، عاذوا بالسيوف القواضبِ[228]

225ـ البيت من قصيدة مطلعها:

ألا ناديـــا أضعـــان ليل تعـــرج   فقـــد هجـــن شوقـاً ليـلة لم يهيـجِ

الديوان، 15.

226 ـ المرزوقي، 1، 449.

227 ـ وردت هذه الجملة غير منسوبة أيضاً، وهي بلفظ أثلته بدل تأثلته. الخفاجي، 225، وما في النص هنا من رواية حازم أفضل لكونه الأشبه بالمزاوجة بين الألفاظ التي أقيمت عليها فواصل وفِقَر هذه الجملة.

228 ـ البيت لنافع بن خليفة الغنوي، أورده قدامة بلفظ رجال بدل أناس ونسبه، (1) 49الحموي: **الخزانة** في شواهد التتميم، 152، وفي شواهد الإيغال 289، الخفاجي، 255.

فاستوفى ركني المعنى بقوله: يقبل الحقّ منهم ويعطوه، فتمّ المعنى وكمل.

وممّا ورد المعنى فيه مستوفى من جميع أركانه متمّما من جميع جهاته، قول ابن الرومي: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

عَفَّى كلوم زمـانِي ثُمَّ قَلَّمَــهُ عَنِّي فأحْفاهُ، ثمَّ اقتصّ ما اجْتَرَحَا[229]

فلِم يغادر ركنا من أركان المعنى إلاّ ذكره، فتمّ المعنى وجاء في نهاية البلاغة.

3 ـ **إضـاءة:** ومن المعاني التي وقعت قسمتها ناقصة قول جرير: [البسيط ـ ق ـ المتواتر]

صـارت حنيفـةُ أثلاثـا فثلْثُهــمُ من العبيدِ وثُلْـثٌ من مواليـها[230]

فهذه قسمة ناقصة لأنّه أخلَّ بالقسم الثالث. وقيل: إن بعض بني حنيفة سئل: من أيّ الأثلاث هو من بيت جرير؟! فقال : من الثلث الملغى.

ومّما نقصت قسمته من المعاني بتداخل قسم على قسم قول أبي تمّام: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

---

229 ـ يروي البيت بلفظ ما جرحا بدل ما اجترحها، وهو من قصيدة طويلة قالها ابن الرومي في إسماعيل بن بلبل مطلعها:

أما الزمان إلى سلمى فقد جنحا وعاد معتذراً من كلّ ما اجترحا

الديـوان، (2) ٢، 65. ـ2: 512 تحقيق د. حسين نصار.

230 ـ البيت من قصيدة يهجو بها بني حنيفة مطلعها:

قد غلبتني رواةُ الناس كلــهِمُ إلا حنيفة تفسو في مناحيــها

الديـوان، 600.

[والملاحظ أن جريراً لم يغفل الثلث الثالث، فقد قال بعد البيت المذكور:

قد زوّجوهم فَهُمْ فِيهِمْ ، وناسِبُهُــم إلى حنيفة يدعو ثُلْثَ باقيــها

ـ ديوان جرير، دار صادر، بيروت.

وكلام حازم السابق صحيح بالنسبة إلى البيت الذي استشهد به إذا كان متسقلاً، وارتباط آخر البيت بالبيت الذي يليه عيب من عيوب العروض ويُسمى التضمين].

قسـمَ الزمـانُ ربوعَها بين الصَّبـا وقَبولِـها ودَبـورِها أثْلاثـا[231]

فتداخلت لأنّ القبول هي الصَّبا على ما ذكره جماهير أهل اللغة.

وممّا تداخلت قسمته أيضاً من المعاني قول الآخر:

[المتقارب ـ ق ـ المتدارك]

أبـادرُ إهـلاكَ مستهْلِـكٍ لمـا لِيَ أو عَبَـثِ العابـثِ[232]

فأمّا قول هذيل الأشجعي: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

فمَا بَرِحتْ ترمي إليه بطَرْفها وتُومضُ أحيانا إذا خَصْمُها غَفَلَ[233]

فيحتمل أن يكون من القسمة المتداخلة لأنّ الإيماء بالطرف والإيماض به سواء. ويحتمل ألاّ يكون في الكلام تداخل بأن يريد بقوله تومض تبتسم، وهذا الوجه أولى بأن يحمل البيت عليه ليسلم الكلام بذلك من الخلل.

---

231 ـ البيت من قصيدة في مدح مالك بن طوق مطلعها:

قف بالطلـول الدراسات علاثـا أمست حبال قطيعهـن رثاثـا

التبريزي 1، 1 310 [ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي م 1 ص 311 تحقيق د. محمد عبده عزام قال التبريزي:« قيل القبول» إنها هي الصبا. وقال النضْر بن شميل: القبول ريح بن الصبا والجنوب. وقال ابن الأعرابي: القبول كلّ ريح لينة طيبة المسّ تقبلها النفس. فليس للرد على أبي تمام وجه» وفي هامش التحقيق:«قال ابن المستوفي: الصحيح أن الصبا هي القبول وما الذي منع أبا تمامٍ أن يجعل موضع «قبولها» «جنوبها» فكان يسلم من هذا التشنيع عليه؟» ولا نرى في البيت تداخلاً ما دام الشاعر يعتقد أن الصبا غير القبول كما يقول الرواة.

232 ـ البيت لوهب بن عبد مناف القرشي وهو واسطة ثلاثة أبيات نصها:

أبـادر بالمـال إنفاقـه وقـول المـعـوّق والـرائـث
أبـادر إنـفـاق مستحـمد بـمـالـيَ أو عـبـث العابث
وأحـبـس مـالـي على لذتي وأوثـر نفسي على الـوارث

البحتري : **الحماسة**، 377.

233 ـ ورد صدر هذا البيت برواية هي أولى فيما أحسب: فما برحت تومي إليّ بطرفها. فالإيماء أكثر انتسابا للطرف من الرماية، وإنما كثر استعمال الرمي مع العين كقول جميل: رمتني بعيني جؤذر. الخفاجي، 255.، وفي الأصل «ترمي» ويمكن قراءتها بالواو تومي كما جاءت في كتب قدامة وابن سنان والمرزباني، وقد أشرنا إلى ذلك وأبقينا على رواية حازم بأنها صحيحـة أيـضاً.

ز ـ معلم دالّ على طرق العلم بوقوع [59 ـ أ] المعاني المتقاربة متمكّنــة.

فممّا يُمكّن المعاني أن تُوضع مواضعَها اللائقة بها المهيّأة، وألاّ توضع موضعا غيرُها من المعاني أَوْلى به، وإن كان للمعنى الموضوع أيضاً موقع من ذلك الموضع إلاّ أنّه[234] مقصّر عن موقع غيره من المعاني فيه.

ومن طريف ما ورد في ذلك قول الفرزدق: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وإنّـكَ إذْ تَهْجُـو تميمـا وترتَشِـي ... سَـرَابيلَ قيس أو سُحُوقَ العمائم

كمُهريـقِ مـاءٍ بالفـلاة وغـرَّهُ ... سَـرَابٌ أذاعتْـهُ ريـاحُ السَـمائمِ[235]

وقول ابن هرمة: [المتقارب ـ ق ـ المتواتر]

وإنّـي وتَرْكـي نَـدَى الأكرَميـن ... وقدْحـي بكفّـي زنـادا شَـحَاحَا

كتَاركـةٍ بيضهَـا بالعـراء ... ومُلْبسـةٍ بَيـضَ أخْـرى جَنَاحَـا[236]

فإنّ معنى بيت الفرزدق الثاني مناسب لمعنى بيت ابن هرمة الأوّل، ومعنى بيت ابن هرمة الثاني مناسب لمعنى بيت الفرزدق الأوّل، حتّى لو أنّ الفرزدق قال:

---

234 ـ في الأصل لأنه.

235 ـ يروى البيت الأول بلفظ «تبابين» جمع تبّان بدل سرابيل جمع سربال ويروى البيت الثاني بأثارته مكان أذاعته والبيتان من قصيدة طويلة [تتكون من 149 بيت قالها في قتل قتيبة بن مسلم، الذي قتله وكيع بن حسان، ومدح سليمان بن عبد الملك وهجا قيسًا وجريرا.
ديوان الفرزدق، م 2، ص 307 ـ 317، دار صادر، بيروت، ومطلعها:

تَحِنُّ بزوراء المدينـة ناقــتي ... حنينَ عَجولٍ، تبتغي، البَوّ رائــمِ]

الديـوان، ٢، 856.

236 ـ المرزوقي، 2، 737، تع 1.
البيت الثاني لابن هرمة غيرمقبوض العروض كما ورد في سر الفصاحة والصناعيين وعيار الشعر والموشح حيث جاء: «بيضها بالعراء» وبما أن القبض جائز في عروض المتقارب، وهذا ممكن فقد أبقينا على رواية حازم في الأصل التي لعلها من الناسخ.

وإنّـكَ إذ تهجـو تميمًـا وترتشـي سـرابيل قيس أو سحوق العمائم
كمُهريـق مـاءٍ بالفـلاة وغَـرَّهُ سـرَابٌ أذاعتْـهُ ريـاحُ السـمَائمِ

لكان وضع الكلام موضعه الذي يليق به، وكان المعنى صحيحًا متمكّنا، ولو أنّ ابن هرمة قال: [المتقارب ـ ق ـ المتدارك]

وإنّـي وتركي نـدى الأكرمين وقدحـي بكفّـي زنـادا شـحاحا
كمُهريـق مـاءٍ بالفـلاة وغَـرَّهُ سـرَابٌ أذاعتْـهُ ريـاحُ السـمَائمِ

لكان كلامه صحيحا وتشبيهه واقعا موقعه اللائق به[237].

1 ـ **إضـاءة:** ومن هذا الباب ما روي أنّ أبا الطيب أنشد سيف الدولة قصيدته التي أوّلها: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ

فلمّا انتهى إلى قوله:

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقف كأنّـك في جفن الـرّدى وهو نائمُ
تمُـرُّ بِـكَ الأبطـالُ كَلْمَـى هزيمةً ووجهُـكَ وضّـاحٌ وثغرُك باسـمُ[238]

[59 ـ ب] قال له سيف الدولة: «قد نَقدنَا عليكَ يا أبا الطيب ما نقدنا على امرئ القيس في قوله: [الطويل ـ ق ـ المتواتر]

---

237 ـ أورد بيتي ابن هرمة العسكري: **الصناعتين**، 145، المرزباني، 237، الخفاجي، 242 [ويقصد صحة المعنى رغم اختلاف البحرين والرويين].

238 ـ الأبيات من قصيدة يمدح بها المتنبي سيف الدولة وهي شهيرة. البرقوقي، (1)، ٢، 273. [وعجز المطلع: وتأتي على قدر الكرام المكارم].

كأنّي لم أركبْ جوادا للَذّةٍ ولم أتبَطَّنْ كاعبا ذاتَ خلخالِ
ولم أسبإِ الزقَّ الرَويَّ ولم أقُلْ لخيْلِيَ: كُرِّي كرّةً بعدَ إجْفالِ[239]

فقال له المتنبي: «أيّها الأمير، إنّ البَزَّازَ لا يعرف الثوب معرفة الحائك. وإذا صحّ النقد على امرئ القيس صحّ عليّ، وإنّما أراد امرؤ القيس أن يقرن ركوب اللذّة بركوب اللذّة في بيت، وأن يجمع بين الشجاعة والكرم في بيت». فاستحسن سيف الدولة ما قاله، ووصله.

2 ـ **تنوير:** والنقد الذي أشار إليه سيف الدولة في بيتي المتنبي وبيتي امرئ القيس هو أنّ صدرَ البيت الأوّل من قول امرئ القيس يقتضي ظاهرُ الكلام أن يوصل بعجز البيت الثاني ويوصل صدر البيت الثاني بعجز الأوّل، وكذلك يظهر في بادئ الرأي صدر البيت الأوّل من قول المتنبي يصلح أن يتمّم بعجز البيت الثاني ويُتمّم صدرُ الثاني بعجز الأوّل. فيقال في قول امرئ القيس:

كأنّي لم أركب جوادا ولم أقل لخيلَي: كرّي كرّة بعد إجفالِ
ولم أسبإِ الزقّ الرويَّ للذّة ولم أتبطّن كاعبًا ذاتَ خلخالِ[240]

ويقال في قول أبي الطيب: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

239 ـ السندوبي، (3)، 164 وفي هذين البيتين كلام لم يتناول كما في الأصل هنا بيتي المتنبي، أورده ابن رشيق في باب النظم. قال:«ورد على سيف الدولة رجل بغدادي يعرف بالمنتخب، لا يكاد يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين. ولايذكر شعر بحضرته إلا عابه، وظهر على صاحبه بالحجة الواضحة. فأنشد يوما هذين البيتين، فقال: قد خالف فيها وأفسد ولو قال:

كأني لم أركب جوادا ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال
ولم أسبإ الشرق الروي للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

لكان قد جمع بين الشيء وشكله بذكر الجواد والكر. في بيت، وذكر النساء والخمر في بيت. فالتبس الأمر بين يدي سيف الدولة، وسلموا له ما قال: فقال رجل ممن حضر: ولا كرامة لهذا الرأي، الله أصدق منك حيث يقول:«إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى» (قرآن 20/ 118، 119) فأتى بالجوع مع العري ولم يأت مع الظمإ، فَسُرَّ سيف الدولة، وأجازه بصلة حسنة». [قال ابن رشيق: قول امرئ القيس أصوب ومعناه أغزر أو أعزّ». وأغرب لأن اللذة التي ذكرها إنما هي الصيد، هكذا قال العلماء». **العمدة،**1، 173].

240 ـ ذكر البيتين وما قيل فيهما دون مقارنة مع بيتي أبي الطيب العسكري: **الصناعتين،** 144.

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقف ووجهك وضّاح وثغرك باسمُ
تمرّ بك الأبطال كلمَى هزيمةً كأنّك في جفن الردى وهو نائم[241]

3 ـ **إضاءة:** وقد احتجّ أبو الطيب لامرئ القيس بما أوردناه. وبقي أن نبيّن وجه الحجّة في قول أبي الطيب. فنقول: إنّ أبا الطيب أراد أن يقرن بين أنّ الردي لا نجاة منه لواقف، وبين أن الممدوح وقف ونجا منه وبين أن الأبطال ريعت وانهزمت وأنّ سيف الدولة **[60 ـ أ]** لم يُرع ولم ينهزم، وابتسام الثغر وانبلاج الوجه ممّا يدلّ على عدم الروْع.

4 ـ **تنوير:** وإنّما قال: «كأنّك في جفن الردى وهو نائم» لأنّه جعل الردى في هذا الموضع بصورة الناظر المبصر الذي لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه مقتل، ولأنّ السّبل إلى المهج واضحة له. فلمّا نجا الممدوح تعجّب في سلامته منه وخفائه عنه مع كونه بالموضع الذي يبصر فيه، فقدّر سبباً لخفائه عنه النوم الشاغل للأجفان عن رؤية ما دنا منها.

وقد يكون عدم التمكّن في المعاني من أنحاء أخر قد ذكرت في مواضعها من هذا الكتاب[242]. وإنّما نبّهت بهذا المعلم على هذا الضرب الواقع في المعاني التي يوضع بعضها بإزاء بعض لنسب تقتضي ذكر المعنى مع ما يناسبه وإيقاعه إلى جانب ما يليق به.

ح ـ معرف دالّ على طرق العرفة بما يكون من المعاني أصيلاً في بابي المدح والذمّ، وما ليس منها أصيلا في ذلك.

لمّا كان الإنسان في جميع ما يحاوله ويسعى نحوه إنّما يلتمس حظوظاً يكون

241 ـ أوردَ ذكر الأبيات الأربعة من كلام امرئ القيس والمتنبي جميعاً منبها على ما فيها من تماثل ابن رشدُ في **الشرح الوسيط** أرسطو، (1)، 241ـ242 وعرضت القصة مع اقتضاب في آخر قسم المطابقة من باب التناسب بين المعاني من غير أن يعقب ذلك بتذييل أو تفصيل لكلام أبي الطيب كما ها هنا في الأصل عند حازم. انظر ابن الأثير، ٢، 303ـ304.
242 ـ راجع: 129 ـ 135 ـ 199 ـ 200.

فيها صلاح لنفسه أو حظوظا فيها صلاح لبدنه، وكان استقصاء الإنسان مصالح نفسه وابتغاؤه لها من كلّ وجه لا يصل منه إلى غيره مضرّة ولا ظلم، وكان استقصاؤه حُظوظ بدنه وطلبه لها من كلّ وجه يؤدّي إلى ضرر غيره وظلمه ـ والظلم قبيح فما أدّى إليه قبيح ـ وجب[243] لذلك أن يكون الفضل في القناعة من حظوظ البدن بما لا يؤدّي إلى مزاحمة ذي استحقاق وفي الرغبة في جميع حظوظ النفس.

وحظوظ النفس هي التي يكون لها خيرات وكمالات بالنظر إلى نعيمها الباقي، وحظوظ البدن هي التي تكون لها خيرات وكمالات بالنظر إلى نعيمها الفاني، فالفاضل من **[60 ـ ب]** آثر نعيم نفسه الباقي على نعيم بدنه الفاني، ومن أنصف غيره من ذوي الاستحقاق فيما فيه نعيم بدنه الفاني أو آثره بذلك على نفسه. والإيثار أفضل ليعتاض بذلك ما يكون له سببا إلى النعيم الباقي كالأجر أو ما يتنزّل في توهّمه منزلة النعيم الباقي كالذكْر الجميل.

1 ـ **إضـاءة:** ولمّا كان للإنسان كمالات في بدنه تحصل عن اعتياد ما يصدر عنها بعد تحصيلها أو ما ينحو نحوها ليحصلها ملكات تصدر عنها أفعال، وكمالات في نفسه تصدر عنها أو تنحو نحوها أفعال وانفعالات، وكمالات في عقله تصدر عنها تمييزات وإدراكات، وكان الإنسان فيما يصدر عن تلك الكمالات وينحو نحوها لا يخلو من أن يروم حظّا يُؤْثِر به نفسَه على بدنه أو بدنه على نفسه أو غيره على نفسه أو نفسه على غيره، وكان المحمود من ذلك إيثار نفسه على بدنه وإيثار غيره على نفسه، والطرفان الآخران مذمومان، وكانت الأفعال المحمودة والمذمومة من جميع ذلك تختلف رتبها في مِقْدارِ ما يجب عليها من الحمد والذمّ بحسب اختلاف الأحوال المطيفة بها، والأحوال المطيفةُ بالأفعال هي: الزمان، والمكان، وما منه الفعل، وما إليه الفعل، وما عنده الفعل، وما به الفعل، وما من أجله الفعل. فأخْذ أبي دؤاد الحقَّ من ابنه وإقادته بجاره الذي قتله يُربي على كثير ممّا يَجلّ من فواضل الكرم ونوافله،

243 ـ جواب (لما) المفتتح بها المعرف ـ ح.

وإن كان ذلك نِصْفَةً منه، وَجُودُ[244] كعب على النمري بالجُرعِ التي آثره بها على نفسه حتى مات عطشا في المكان الذي كانا فيه، أعظم أثراً في الكرم من جودِ غيره بكلّ حظّ جليل لا تعود به السماحة عليه بمثل ما عادت على كعب. وجَبَ[245] أن يكون الفعل معتبرا بتلك الأحوال المطيفة. فيكون بالنسبة إلى حال منها محمودًا، وبالنسبة إلى **[61 - أ]** حال أخرى مذموما، ويكون بالنسبة إلى بعض تلك الأحوال في أعلى درجات الحمد، وتارة في أدنى الدرجات من ذلك، ووسطا بين الحالين. وكذلك تختلف أيضاً حاله في درجات الذمّ بحسب اختلاف تلك الأحوال المطيفة.

2 ـ **تنوير:** ولما كانت الأشياء الصادرةُ عن تلك الكمالات والناحيةُ نحوها منْهَا مَا للإنسان أن يفعله، ومنها ما ليس إليه أن يفعله بل هو مضطرّ إليه، وكان ما ليس إليه أن يفعله منه ما يدلّ على وجود ما للإنسان أن يفعله، ومنه ما لا يدلّ على وجود ذلك له، والذي يدلّ على وجود ذلك له ولو بتقوية الظنّ في ذلك منه ما يدلّ على وجود الأفعال المحمودة، ومنه ما يدلّ على وجود الأفعال المذمومة، وجب[246] أن تكون الأشياء التي تدلّ على وجود الأشياء المحمودة قد تستعمل في الحمد، كما أنّ الأشياء الدالّة على وجود الأفعال المذمومة قد تستعمل في الذمّ وليست بأصيلة في ذلك.

3 ـ **إضـاءة:** وقد يجري مجرى هذه الأشياء، في كونها يُحْمَدُ بها لدلالتها على ما يُحمد، أشياءُ أُخَر خارجةٌ عن أوصاف الشيء المحمود، كذكر كرم الأسرة وشرف السلف لكون فضل الأصل يدلّ على فضيلة الفرع في كثير من الأمر.

4 ـ **تنويـر:** وأكثر ما تَعْتَدُّ العرب به في المدح الأفعال التي تتجشّم الأنفس فيها الضرر لنفع غيرها ممّن له أدنى استحقاق أو حاجة إلى ذلك. ولهذا قال أبو الطيب المتنبي: [البسيط ـ ق ـ المتواتر]

---

244 ـ [وجود: الواو فيها للعطف، أما «جود» الثانية فهي مثلها، وجاءت في الأصل مسبوقة بواو، وهو سهو من الناسخ].

245 ـ هذا جواب لما في أول الإضاءة.

246 ـ جواب لما في أول التنوير.

لَوْلاَ المَشَقَّـةُ سـادَ الناسُ كلُّهُــمُ،   الجودُ يُفْقِرُ، والإقْـدامُ قَتَّــالُ[247]

5 ـ **إضــاءة:** والأمور التي تتجشّم فيها النفوس المشقّة والضرر لتنفع بذلك غيرها وتريحها: إمّا أن تكون حقوقا ثابتة قِبل المتجشّم للمشقّة فيها فيكون ذلك منه نِصفة وعدلا، وإمّا أن تكون غير واجبة قِبَله بل يسمح بها تبرّعا ويتفضّل بها إيثارا فيكون ذلك منه نافلة وفضلا. وأحسن المدح ما كان بهذا الصنف من الأفعال.

6 ـ **تنويـر:** وقد فرّق الناس **[61 ـ ب]** بين ما يكون المدح أو الذمّ حقيقيّا، وما ليس لحقيقيّ من ذلك. وقسّموا الفضائل التي يكون بها المدح الحقيقي إلى أربع خلال على ما أنا شارع في ذكرهِ.

فمن ذلك قول أبي الفرج قدامة، وقد سبقه القدماء[248] إلى هذه القسمة قال: «لمّا كان فضائل الناس، من حيث هم ناس ـ لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ـ على ما عليه أهل الألباب، إنّما هي العقل والعفّة والعدل والشجاعة كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيباً وبما سواها مخطئاً. وقد قال زهير: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

أخي ثقـةٍ لا تتلفُ الخمرُ مالَــه   ولَكنَّهُ قد يُتلفُ المالَ نائلُــهْ[249]

لأنّه قد وصفه بالعفّة وبقلّة إمعانه في اللذّات وبأنّه لا ينفد فيها ماله وبإهلاكه ما له في البذل وانْحرافه إلى ذلك عن اللذّات وذلك هو العدل، ثمّ قال:

247 ـ البيت من قصيدة مشهورة يمدح بها المتنبي أبا شجاع فاتكا، مطلعها:

لا خيل عنـدك تهديـها ولا مــالُ   فليسعــد النطــق إن لم تسعد الحــال

العكبري، (1)، ٢، 204.

248 ـ المراد بالقدماء الفلاسفة ومن بعدهم من السابقين المعنيين بالأقاويل الشعرية من الرّواة والنقاد ـ ابن تيمية، كتاب **الردّ على المنطقيين**: 116 ـ 117.

249 ـ البيتان من قصيدة شهيرة مطلعها:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطلــه   وعُرِّيَ أفراسُ الصِّبَا ورواحلُـهْ

ويروى البيت الأول تهلك مكان يُتلف، وما في الأصل أولى للمشاكلة من حيث اللفظ. الأعلم، 31.

تَـراهُ، إذا مـا جِئتَـهُ، مُتَهَلِّـلاً كأَنَّـكَ تُعطيـه الذي أنتَ سائِلُـهْ[250]

أراد أنّ فرحه يعطي أكثر من فرحه بما يأخذ، فزاد في وصف السخاء منه بأن جعله يَهِشّ ولا يلحقه مضض ولا تَكَرُّهٌ لفعله ثمّ قال:

ومَنْ مثلُ حِصنٍ في الحروب، ومثلُه لإنكارِ ضيمٍ أوْ لخصمٍ يُحاوِلُهْ؟[251]

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة العقل والشجاعة، فاستوفى ضروب الممادح الأربعة التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة. وزاد ما هو وإن كان داخلاً في الأربعة فكثير من الناس لا يعرف وجه دخوله فيها حيث قال: «أخي ثقة»، فوصفهُ بالوفاء والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدّمنا.

وقد يتفنّن الشعراء فيعدّون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها، وكلّ داخل في جملتها. مثل أن يذكروا ثقافة المعرفة والحياء والبيان والسياسة والصدع بالحجّة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك ممّا يجري هذا المجرى وهي من أقسام العقل، وكذكرهم القناعة **[62 - أ]** وقلّة الشره وطهارة الإزار وغير ذلك وهي من أقسام العفّة، وكذكرهم الحماية والأخذ بالثأر والدفاع عن الجار والنكاية في العدوّ وقتل الأقران والمهابة والسرّى في المهامه والقفار الموحشة وما شاكل ذلك وهي من أقسام الشجاعة، وكذكرهم السماحة والتغابن والانظلام والتبرّع بالنائل والإجابة للسائل وقرى الأضياف وما جانس هذه الأشياء وهي من أقسام العدل.

فأمّا تركيب بعضها مع بعض فيحدث منها ستة أقسام: يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمّات ونوازل الخطوب والوفاء بالوعود، وعن تركيب العقل مع السخاء البرُّ والإنجاز للموعد وما أشبه ذلك، وعن تركيب

---

250 ـ نفس المصدر السابق.

251 ـ هذا البيت مفصول عن البيتين السابقين بستة أبيات، وقد ورد العجز محرفًا في الديوان. الأعلم، 31.

العقل والعفّة التنزّهُ والرغبة عن المسألة[252] والاقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك، وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإتلاف والإخلاف وما جانس ذلك، وعن تركيب الشجاعة مع العفّة إنكار الفواحش والغيرة على الحرم، وعن تركيب السخاء مع العفّة الإسعافُ بالقوت والإيثار على النفس وما أشبه ذلك». قال: «وكلّ واحد من هذه الفضائل وسط بين طرفين مذمومين»[253].

7 ـ **إضـاءة:** وإذ قد حكينا كلام أبي الفرج قدامة فلنتبع ذلك بإشارة إلى بيان قوله: «إنّ كلّ واحد من هذه الفضائل وسط بين طرفين مذمومين». فأقول: إنّ الفعل العائد بمنفعة مّا إنّما يحمد ما لم يعد الإفراط فيه بمضرّة وما لم يكن من القلّة والتقصير بحيث لا يغني، فإذا وقع وسطا بين هذين الطرفين كان محمودًا، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «خير الأمور أوساطها»[254]. ألا ترى أنّ الكرم إذا أفرط عدّ سرفا وتبذيرا، والإقدام إذا أفرط فهجم بصاحبه على المتالف في كلّ حين وموطن عدّ ذلك تهوّراً وهوجاً، وإذا وقع التقصير عن الإقدام والبذل بالجملة أو وقع من ذلك ما لا اعتداد به عدّ ذلك بخلا وجبنا. **[62 ـ ب]** وقد تكون قلّة الشيء بحيث لا يوجد عليه حمدًا ولا ذمّاً.

8 ـ **تنويـر:** وجميع تلك الأفعال ونقائضها[255] إنّما تعدّ فضائل أو رذائل فيستوجب عليها الثناء المطلق أو الذمّ المطلق، ويعتقد في صاحبها أنّه خيّر أو شرّير، إذا حصلت له فيها ملكة وصارت له عادةً لا يفارقها إلى ما ناقضها. فإن وقع الفعل المسمّى فضيلة منه ولم يتبعه بمثله ولا تمادى عليه لم يستحقّ أن يسمّى فاضلا ولا أن يثنى عليه الثناء المطلق. وعلى هذا يجب أيضاً أن يكون الاعتبار في وقوع الفعل المسمّى رذيلة، فاعلم ذلك.

252 ـ في الأصل المساوي، والمسألة يقتضيها السياق.

253 ـ بهذه الجملة انتهى ما نقله هنا مع خلاف قليل في اللفظ. انظر قدامة، (1)، 20ـ22.

254 ـ الحديث مشهور، وليس موثوقا بلفظه عند علماء الحديث. انظر العجلوني، 1، 391.

255 ـ [في الأصل: «نقائصها» بالصاد].

9 ـ إضـاءة: وكان أبو الفرج قدامة يذهب إلى أنّ المدح بالحسن والجمال والذمّ بالقيح والدمامة ليس بمدح على الحقيقة ولا ذمّ على الصحّة، ويخطّئ من يمدح بهذا ويذمّ بذلك[256]. ويستدلّ بانكار عبد الملك بن مروان قول ابن قيس الرقيّات: [المنسرح ـ ق ـ المتراكب]

يَأْتَلِـقُ التـاجُ فـوقَ مَفْرِقِـه　　　عـلى جَبـينٍ كأَنَّـهُ الذَهـبُ[257]

وقد ردّ عليه هذا الآمدي، وتابعه الخفاجي في الردّ عليه. فقال: «إن كان قدامة يعتقد أنّ ذلك ليس بفضيلة، لما كان الإنسان قد خلق عليه، فهذا حكم الفضائل النفسانية، فإنّ الكريم قد خلق كريمًا والشجاع شجاعاً. فكما لا يقدر القبيحُ الوجه أن يستبدل صورةً غير صورته، فكذلك الجاهل لا يقدر أن يستفيد عقلاً فوق عقله»[258].

واعتراضُه هذا غيرُ صحيح لأنّ الحكماء المتكلّمين في الفضائل قد اتفقوا على أنّ الإنسان قد يقدر على أن يكتسب بعض الفضائل بالتطبّع وأن يستكمل كثيراً ممّا نقصه من ذلك بالاعتياد والرياضة ومجاهدة النفس، فينتقل برياضة النفس

256 ـ قدامة، (1)، 71.

257 ـ البيت يُرْوَى يعتدل بدل يأتلق وهو من قصيدة مطلعها:

عـاد له، من كثيـرة، الطـربُ　　　فعينـه بالدمـوع تنسكـبُ

الأغـاني، (3)ه، 79.

258 ـ أورد ابن سنان الخفاجي ما سبق ذكره في أول الإضاءة من قضية نقد البيت، وكلام قدامة فيه، ثم أتبع ذلك بقوله: « وقد أنكر هذا المذهب على أبي الفرج أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي»، وقال: «إنه خالف فيه مذاهب الأمم كلها عربيها وأعجميها، لأن الوجه الجميل يزيد في الهيبة ويتيمن به ويدل على الخصال المحمودة». ثم قال الخفاجي: «وهذا الذي ذكره أبو القاسم صحيح، ولو لم يكن في ذلك إلا ما قد جبلت النفوس عليه من الميل إلى الوجوه الحسان لكفى وأغنى». وأتبع هذا بقوله أعلاه: «فإن كان قدامة..».

ويجعل الآمدي والخفاجي انتاقد عبد الملك على ابن قيس الرقيات محمولا على ذكره التيجان وهي زي ملوك العجم، ولم يكن خلفاء العرب يعرفونها ولذلك قال له: تمدحني كما تمدح ملوك الأعاجم، وتمدح مصعبا كما تمدح الخلفاء، وهو يشير بهذا إلى قول ابن قيس الرقيات في مصعب.

إنّمـا مصعـب شهـاب من اللـ　　　ـه تجلّـت عن وجهـه الظلمـاء

راجع مقالة الخفاجي، 250.

في ذلك حالا فحالا حتى يصير الصعب قبل التطبّع والارتياض سهلا بعدها. وما زال الناسُ يُروّضون أخلاقهم بالتأدّب والتدرّب، فتترقّى بذلك في مراتب الفضل درجاتُهم وتتهذّب بعد الجفاء أخلاقُهم. [63 - أ] وقيل للأحنف ابن قيس: ممن تعلّمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم. ولا بدّ في حصول هذا التطبّع من سابق استعداد لتحصيله بالطبع، فيخرج إلى الفعل بعد كونه في القوّة.

فأمّا خِلقةُ الإنسان وصورتُه فليس في قدرته نقل شيء منها عمّا وجد عليه. فحمدُ الإنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة له، ودمّه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه. ويشهد لهذا ما حكاه الرواة من أنّ المغيرة ابن حبناء وزيادا الأعجم لم يزالا يتهاجيان حتّى عيّره زياد بعلل كانت أصابت بعضَ أهل بيته. فقال المغيرة: «ما ذنبُنا فيما ذكره، هذه أدواء، وإنّما يُعيَّرُ المرء بما اكتسبه».

10 ـ **تنوير:** فقد تبيّن أنّ رأي من رأى أنّ المدح بما ليس للإنسان فيه تصرّف ولا له قدرة على تغييره عمّا هو عليه ممّا هو خارج عن الفضائل الأربع موافقٌ لما حكي عن العرب في ذلك. وإنّما يمدح بما هو خارج عن الفضائل الأربع إذا كان ممّا شأنه أن توجد الفضائل أبدا بوجوده، فتورد كالأدلّة على ذلك.

ط ـ معلم دالّ على طريقة العلم بما يجب أن يعتمد في مدح صنف من الناس.

ويجب أن يقصد في مدح صنفٍ صنفٍ من الناس إلى الوصف الذي يليق به، وأن يعتمد في مدح واحد واحدٍ ممّن يراد تقريظه ما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرّع منها، وأن لا يجعل الشيء منها حِلَيَةً لمن لا يستحقّه ولا هو من بابه.

1 ـ **إضاءة:** فأمّا مدح الخلفاء فيكون بأفضل ما يتفرّع من تلك الفضائل وأجلّها وأكملها كنصر الدين وإفاضة العدل وحسن السيرة والسياسة والعلم والحلم والتقى الورع والرأفة والرحمة والكرم والهيبة وما أشبه ذلك. وينبغي

أن يتخطّى في أوصافهم من جميع **[63 ـ ب]** ذلك حدود الاقتصاد إلى حدود الإفارط، وأن يترقّى عن وصفهم بفعال ما يكون حقّا واجبا إلى تقريظهم بما يكون من ذلك نافلة وفضلا.

2 ـ **تنوير:** ومدح الأمراء يكون بالكرم والشجاعة ويُمْنِ النقيبة وسداد الرأي والتيقظ والحزم والدهاء وما ناسب ذلك. ويطمح بهم في الأوصاف إلى حيث يليق بمناصبهم وما انتهت إليه ممالكهم حتّى تكون رتبةُ العظماء منهم ثانيةً عن رتبة الخلفاء، وتتدرّج مراتبهم في ذلك إلى أدنى ما يتميّز به الملك عن السوقة.

3 ـ **إضـاءة:** ومدح الوزراء، ومن حلّ محلّهم من الكتّاب، يكون بالعلم والحلم والكرم وحسن التدبير وتثمير الأموال ونحو ذلك. وينبغي أن يكون المطمح في وصف كلّ وزير على قدر مستوزره، فيكون لوزراء الخلفاء في ذلك مزيّة لا تُلحق ورتبة لا تُسامى حتّى إنّ مراتب كثير من الملوك العظماء ربّما قصّرت عن مراتبهم، ثم تتدرج مراتبهم في ذلك على نحو ما ذكرناه في مراتب الملوك.

4 ـ **تنويـر:** ومدح القضاء يكون بالعلم والتقى والدين والنزاهة والعدل بين الخصوم وإنصاف المظلوم وما جرى ذلك المجرى، ولهم أيضاً مراتب فيما ينبغي أن ينحلوه من الأوصاف، فيطمح بقضاة الخلفاء ثم بقضاة الملوك ثم بقضاة الأصقاع الكبار إلى حيث لا يطمح بغيرهم. وينبغي أيضاً أن يكون تعظيمهم على قدر عظمهم في علومهم وأديانهم وعقولهم.

5 ـ **إضـاءة:** فقد تبيّن من هذا أنّ أمداح الخلفاء يجب أن تكون نمطا واحدا يُنحى بأوصافها أبدا نحو الإفراط، وأنّ أمداح الأمراء والوزراء والقضاة ومن جرى مجراهم من كبار العلماء ينبغي أن يكون كلّ واحد منها ثلاثة أنماط: ينحى بالنمط الأعلى منحى الإفراط، وينحى بالنمط الأدنى منحى الاقتصاد، وتكون أوصاف النمط الوسط اقتصادية مشوبة ببعض إفراط وذلك بحسب ما بينّاه من اختلاف درجات الممدوحين **[64 ـ أ]** في ضخامة الخطط وفخامة الولايات.

6 ـ **تنويـر:** فعلى هذا الترتيب يجب أن يكون المدح، وأن يُحافظ على ما يجب اعتماده في امتداح كلّ طبقة من الممدوحين. فلا يُسْمَى بها إلى الرتب التي فوقها ولا يُنحطّ بها إلى ما دونها.

ي ـ معرف دالّ، على طرق المعرفة بما يكون به وضوح المعاني أو غموضها.

إنّ المعاني، وإن كانت أكثرُ مقاصد الكلام ومواطنُ القول تقتضي الإعراب عنها والتصريح عن مفهوماتها، فقد يقصد في كثير من المواضع إغماضها وإغلاق أبواب الكلام دونها. وكذلك أيضاً قد نقصد تأديّة المعنى في عبارتين: إحداهما واضحة الدلالة عليه، والأخرى غير واضحة الدلالة لضروب من المقاصد. فالدلالة على المعاني إذن على ثلاثة أضرب: دلالة إيضاح، ودلالة إبهام، ودلالة إيضاح وإبهام معا.

1 ـ **إضـــاءة:** وقد تقدّم[259] التعريف بكثير من الوجوه التي بها يكون إيضاح الدلالات على المعاني في مواضع كثيرة من هذا الكتاب. وبقي أن نذكر الآن ما يتيسّر لنا ذكره من الوجوه التي يكون في المعاني بوجودها فيها أو في عباراتها إغماض لها وبُعدٌ بها عن البيان ليعتمد الشاعر ما يليق بكلامه من تلك الوجوه حيث يقصد كنايةً أو إلغازاً وما أشبه ذلك ممّا لا يقصد في الدلالة عليه التصريح، ولتجتنب تلك الوجوه حيث يقصد التصريح عن المعاني والإبانة عنها حتّى يأتي في كلّ موضع بما يليق به.

2 ـ **تنويـر:** ووجوه الإغماض في المعاني: منها ما يرجع إلى المعاني أنفسها. ومنها ما يرجع إلى الألفاظ والعبارات المدلول بها على المعنى، ومنها ما يرجع إلى المعاني والألفاظ معًا.

---

259 ـ ممّا يراجع لهذا الغرض طرق استثارة المعاني، فإن بها إشارات لذلك 33 ـ 36.

3 ـ **إضـاءة:** فأمّا ما يرجع إلى المعاني أنفسها فمن ذلك أن يكون المعنى في نفسه دقيقا ويكون الغور **[64 ـ ب]** فيه بعيدًا، أو يكون المعنى مبنيّا على مقدّمة في الكلام قد صَرف الفهمَ عن التفاتها بعدُ حيّزها من حيّز ما بني عليها أو تشاغله بمستأنف الكلام عن فارطه أو غير ذلك ممّا شأنه أن يثني غروب الأفهام كليلة قاصرة عن تحقّق مفهومات الكلام، أو يكون مضمّنا معنى علميا أو خبرا تاريخيا أو محالا به على ذلك ومشارا به إليه فيكون فهم المعنى متوقّفا على العلم بذلك المضمّن العلمي أو الخبري، أو يكون المعنى مضمّنا إشارة إلى مثلٍ أو بيتٍ أو كلام سالف بالجملة يجعل بعض ذلك المثل أو البيت جزءا من أجزاء المعنى أو غير ذلك من أنحاء التضمين، أو يكون المعنى قد قصد به الدلالة على بعض ما يلتزمه من المعاني ويكون منه بسبب على جهة الإرداف أو الكناية به عنه أو التلويح به إليه أو غير ذلك ـ وكلّما كان الملتزم بعيدا كان المعنى بعيدا من الفهم ـ أو يكون المعنى قد وضعت صور التركيب الذهني في أجزائه على غير ما يجب فتنكره الأفهام لذلك، فقد لا تفهمه على وجهه وقد لا تُهدَى إلى فهمه بالجملة، أو يكون بعض ما يشتمل عليه المعنى مظنَّةً لانصراف الخواطر في فهمه إلى أنحاء من الاحتمالات، أو يكون المعنى قد اقتصر في تعريف بعض أجزائه أو تخييلها على الإشارة إليه بأوصاف تشترك فيها معه أشياء غير أنّها لا توجد مجتمعة إلاّ فيه. وكلّما كانت الأوصاف في مثل هذا مؤتلفة من أعراض الشيء البعيدة لم تتهدّ الأفكار إلى فهمه إلاّ بعد بطء.

4 ـ **تنويـر:** فأمّا ما يرجع إلى الألفاظ والعبارات من تلك الوجوه فمثل أن يكون اللّفظ حُوشيّا أو غريباً أو مشتركاً فيعرض من ذلك ألاّ يُعلم ما يدلّ عليه اللفظ أو أن يُتخيّل أنّه دلّ. في الموضع الذي وقع فيه من الكلام على غير ما جيء به للدلالة عليه فيتعذّر فهم المعنى لذلك. وقد يتّفق مثل هذا بأن يعرض في تركيب اللفظ اشتباه يصير به **[65 ـ أ]** بمنزلة اللفظ المشترك نحو قول امرئ القيس: [السريع ـ ق ـ المتدارك]

لَفْتَـكَ لأمَــيْنِ عــلى نابــلِ[260]

ومن ذلك أن يقع في الكلام تقديم وتأخير، أو يتخالف وضع الإسناد فيصير الكلام مقلوبا، أو يقع بين بعض العبارة وما يرجع إليها فصل بقافية أو سجع فتُخفى جهة التطالب بين الكلامين، أو بأن تفرِط العبارة في الطول فيتراخى بعض أجزائها عمّا يستند إليه وما هو منه بسبب فلا يشعر بإستناده إليه واقتضائه له لا سيّما إذا وقع في الكلام اعتراضات وفصول وكان مشتملا على أشياء يمكن أن تُرجع إلى كلّ واحد منها ذلك الشيء. وممّا يبعُد به الشيء عمّا يستند إليه الصلات والاعتراضات. ومن ذلك أن ترد العبارة التي يقصد انفصَال بعض أجزائها عن بعض في صورة المتّصلة وأن يَرِدَ المتّصلُ في صورة المنفصل، ومن ذلك فرط الإيجاز الذي يكون بقصر أو حذف، وقد تقدّم ذكر ذلك[261].

5 ـ **إضـاءة:** فكلّ معنى غامض وعبارة مستغلقة فغموضه واستغلاق عبارته راجعان إلى بعض هذه الوجوه المعنويّة أو العباريّة أو إليهما معًا أو إلى ما ناسبهما وجرى مجراهما ممّا لعلّنا لم نذكره من وجوه الإغماض الراجعة إلى معنى أو عبارة. فعلى هذه الوجوه ووقوع بعضها مع بعض في الكلام مدار الأقاويل التي يقصد بها الكنايات والإلغاز وما جرى مجراهما ممّا لا يقصد فيه الإبانة والتصريح.

6 ـ **تنويـر:** ويحتاج في موضع التصريح والإبانة أن يتحفّظ من وقوع وجه من هذه الوجوه في لفظ أو عبارة. ومتى اضطرّ وزن أو قافية أو انحصار للكلام في مجال غير متّسع له من مقادير الأوزان إلى وقوع شيء من ذلك فليجهدْ في

260 ـ صدر البيت : نطعنكم سَلْكَى ومخلوجةً، وهذا من قصيدة قالها بعد أن أنجده قرمل بن الحميم الحميري لأخذ الثأر من بني أسد، ومطلع القصيدة:

يـا دار مـاويــة بالحائــــلِ فالسهـب فالخبتين من عاقــلِ

والبيت يروى بكرك بدل لفتك السندوبي، (3)، 172.

261 ـ إن بحث هذا وتفصيله ممّا احتوى عليه القسم الأول المفقود كما تدل على ذلك الإحالات الكثيرة عليه.

ما يرفع الإبهام أو اللبس الواقع بذلك من القرائن المخلّصة للكلام إلى ما نُحيَ به نحوه، فإنّ ورود المعنى غامضًا في كلام قد قُصد به الإبانة ممّا يُوَعِّر [65 - ب] سبيله ويزيله عن الاعتدال والاستواء مع مناقضته للمقصد.

7 ـ **إضـاءة:** وجملة الأمر أنّ اشتكالَ المعاني وغموضَها من جهة ما يرجع إليها أو إلى عباراتها يكون لأمور راجعة إلى مواد المعنى أو مواد العبارة أو إلى ما يكون عليه إجراؤهما من وضع وترتيب أو إلى مقادير ما ترتّب من ذلك أو إلى أشياء مضمّنة فيهما أو أشياء خارجة عنهما.

8 ـ **تنويـر:** وإذ قد عددتُ جملة ما به يكون اشتكال المعاني من جهة ما يرجع إليها أو إلى عباراتها فلنذكر بعض وجوه الحِيَل التي من شأنها أن يماط بوجه وجه منها ما وقع في المعاني من غموض وإشكال بوجه وجه ممّا به يكون اشتكال المعاني وغموضها ذكرًا موجزًا على جهة الإشارة والإيماء.

9 ـ **إضـاءة:** فأمّا طريق الحيل في إزالة الغموض والاشتكال الواقعين بهذه الأشياء فهي أن يُعتاض من الشيء الذي وقع به الإغماض والإشكال أو أن يقرن به ما يزيل الغموض والاشتكال. فالاعتياض في المعاني يكون بأخذ مماثلاتها ممّا يكون في معناه أوضح منها. والاعتياض في الألفاظ يكون بما يماثلها من جهة الدلالة. وقد يكون بين العوض والمعوّض منه مع ذلك مخالفة في الوضع مثل وصل المنفصل وفصل المتّصل وإطالة القصير وتقصير الطويل، وقد لا يكون ذلك.

10 ـ **تنويـر:** وقِرانُ الشيء بما يزيل الغموض أو الاشتكال الواقع فيه يكون بأن يتبع الشيء بما يكون شرحاً له وتفسيرًا من جهة ما يكون في معناه أو تكون دلالته في معنى دلالته أو من جهة ما يناسبه ويشابهه، ويكون بأشياء خارجة عن معنى الشيء إلاّ أنّ فيها دلالات على إبانة ما انبهم في الأشياء المقترنة بها.

11 ـ **إضـاءة:** ولهذه الجملة تفصيل طويل لا يمكن أن نتقصّاه بالتمثيل في وجهٍ وجهٍ من تلك الأشياء التي من قِبَلِها تشتكل المعاني في أنفسها ومن جهة عباراتها [66 - أ] إذ بعض الشواغل ومراعاة ما اعتمدته في هذا الكتاب

من الاكتفاء في كلّ باب منه بالإجمال عن التفصيل وباللّمحة الدالّة عن الجملة الشارحة يمنعان من الزيادة على القسط الواجب فيه بحسب ما اعتمدته، لكنّي أُورد، في ما تعلّق ببعض ذلك، كلامًا كنت قيّدته فيما تقدّم[262]، فإنّ فيه زيادة إفادة إلى ما ذكرته، فيجعل الناظر وجه النظر والعمل في ما لم أذكره من ذلك بحسب الأمر في ما ذكرته، وليتولّ اعتبار جميع ذلك في وجه وجه منها بنفسه. فقد أوضحت له السبيل إليها ودمّثت لِه الطريق الدالّ عليها.

يا ـ معلم دالّ على طرق العِلم بما يزيل الغموض والاشتكال العارضين في المعاني، من حيث ذكر في المعرف الفارط.

وقد تقدّمت الإشارة إلى بعض ذلك. وأنا شارع في تتميم ذلك وتكميله وإيراد القول فيه مفصّلا والتعريف بما لم يجر له ذكر من ذلك.

فأقول: إنّ المعاني منها ما يُقصد أن تكون في غاية من البيان على ما تقدّم، ومنها ما يُقصد أن تكون في غاية من الإغماض، ومنها ما يقصد أن يقع فيه بعضُ غموض، ومنها ما يقصد أن يُبان من جهة وأن يُغمَضَ من جهة.

وبيان المعاني يكون بتعرّيها من الأوصاف التي تبعدها عن البيان. وتلك الأوصاف تنقسم: إلى ما يرجع إلى المعنى وإلى ما يرجع إلى اللفظ المعبّر عنه. وتلك الأشياء الراجعة إلى المعنى أو إلى العبارة: إمّا أن تكون راجعة في كليهما إلى مادة أو إلى وضع وترتيب أو إلى مقدار أو إلى ما يكون متضمّنا لهما أو ملتزمًا.

1 ـ **إضـاءة:** فممّا يرجع إلى المعنى من ذلك: أن يكون المعنى في نفسه دقيقًا لطيفًا يحتاج إلى تأمّل وفهم، ومنها أن يكون **[66 ـ ب]** المعنى قد أخلّ ببعض

262 ـ الإشارة هنا إلى ما ذكره حازم تفصيل وتكميل لهذا الغرض بقوله: «وأنا شارع في تتميم ذلك وتكميله»: **المنهاج**، (انظر الصفحة الموالية)، ولعله يشير إلى كتابته هذه الفقرة بعد كتابة، المعلم(يا) الموالي، وهذا مفاد التعليق أعلاه الذي ذكرناه.

أجزائه ولم تُستوف أقسامه، ومن ذلك أن يكون المعنى مُرتّبا على معنى آخر لا يمكن فهمه وتصوّره إلاّ به، ومنه أن يكون المعنى منحرفا بالكلام وغرضه عن مقصده الواضح معدولا إليه عمّا هو أحقّ بالمحلّ منه.

2 ـ **تنويـر:** فأمّا الوجه الأوّل، وهو أن يكون المعنى في نفسه دقيقا لطيفا يحتاج إلى تأمّل وتفهّم، فيجب، في ما كان بهذه الصفة، أن يَجْهَدَ في تسهيل العبارة المؤديّة عن المعنى وبسطها حتّى يقَابلُ خفاؤُه بوضوحها وغموضُه ببيانها حتى تبلغ الغاية المستطاعة في ذلك. فإذا اجتهد الشاعر في توفية العبارة حقّها من البيان وقصد بها الإيضاح غايةَ ما يستطيع، فقد أزال عن نفسه اللوم في ذلك ونفى عنها التقصير، ووجب عذرُه في خفاء المعنى إذ لا يمكن أن يصيّره في نفسه جليّا.

3 ـ **إضـاءة:** ويجب أيضاً على الشاعر، فيما لم يمكنه أن يبين عنه حقّ الإبانة، أن يقرن ذلك المعنى بما يناسبه ويقرب منه من المعاني الجليّة ليكون في ذلك دليل على ما انبهم من ذلك المعنى، إذ قد يُستدلّ على المعنى بما يُـجاورُه من المعاني وينبّه بعضها على بعض.

4 ـ **تنويـر:** وأمّا الوجه الثاني، وهو الإخلال ببعض أركان المعنى وترك الاستيفاء لها، فهذا يقع للشاعر بأن يذهل عن بعض أركان المعنى أو يجهله، أو بأن يتركه من غير ذهول منه لكن لاضطرار الشعر له بانضمامه إلى القافية أو لأنّ الوزن غير مساعد له. فإذا طرأ في هذا المعنى غموض من هذا الوجه فهو ممّا يرجع إلى العبارة. ويخلّص من ذلك تسريح عنان الكلام يسيرا. فإن ضاق المجال عن استيفاء أجزاء المعنى في بيت واحد فليكن ذلك في بيت وبعض بيت آخر أو في بيتين، فقد يمكنه استقصاء ما أراده بهذه الطريقة. فإن تعذّر عليه الاستقصاء بالجملة فليُسقط ذلك المعنى، فإنّ نَقْصَهُ نقصٌ **[67 ـ أ]** في حقّه. ولا يزال ذو المعرفة بتصاريف الكلام والدربة بتأليف النظام يضع اللفظة موضع اللفظة ويبدل صيغة مكان صيغة حتّى يتأتّى له مراده وينال من كمال المعنى بغيتَه.

5 ـ **إضـاءة:** وأمّا الوجه الثالث، وهو أن يكون المعنى مرتّبا على معنى آخر لا يمكن فهمه إلاّ به، فقد يكون المعنى المبني عليه داخل الكلام وخارجه. ويجب أن يقصد ـ فيما يبني المعنى عليه ممّا هو خارج الكلام ـ الشهرة وأن يحسِن الدلالة على ذلك من العبارة وألاّ يحال بين المعنى وما يبنى عليه ممّا هو موجود في الكلام بما هو أجنبي عنهما، وأن يحسن مساق الكلام في ذلك حتى يعلم أنّ أحدهما بسبب من الآخر.

6 ـ **تنويـر:** وأمّا الوجه الرابع، وهو أن يكون المعنى متحرّفا بغرض الكلام عن مقصده الواضح معدولا إليه عمّا هو أحقّ بالمحلّ منه حتى يوهم المعنى أنّ المقصود به ضدّ ما يدلّ عليه اللفظ المعبّر به عنه. وأكثر الناس يجعلون هذا النوع من الكلام مقلوبا. وبعض الناس يتأوّل ما ورد من ذلك تأويلا فيه سلامةٌ من القلب، ويرى أنّ ذلك، وإن بَعْدَ التأويل، أوْلى من حمْل الكلام على القلب، إذ العبارة إنّما تدلّ على المعنى بوضعٍ مخصوصٍ وترتيب مخصوص، فإنْ بدّل ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدَّالة. وهذا موضع يجب أن يوقف به عند السماع وألاّ يقاس عليه لأنّه، إن كان الكلام مقلوبا، وكانت العبارة مقصودا بها غير ما تدلّ عليه بوضعها، وسوّغ هذا عند حامل الكلام على هذا المذهب أنّ المقصد من الكلام واضح، وإن كانت العبارة غير دالّة عليه، فقد ذُهِبَ بالكلام مذهبٌ فاسد وكان ذلك خطأً في العبارة. وفي سعة الكلام مندوحة عن المذاهب الفاسدة. وإن كان الكلام غير مقلوب، ولكنّه قُصد به معنى آخر غير المعنى الذي يريد به مَن يجعل الكلام مقلوبا، فذلك أيضاً قبيح لأنّه وضع المعنى البعيد الذي لم يُؤلف موضع المعنى **[67 ـ ب]** القريب المألوف، فلا يجب أيضاً سلوك هذا المذهب. فكلا التأويلين في هذا الباب خارج بالكلام عن المَهْيَعِ الذي يكون للمعنى فيه موقع من النفس ومكانة مكينة من الفهم. فالواجب، في فصيح الكلام، أن يكون خالياً منه.

7 ـ **إضـاءة:** ويشبه أن يكون هذا الضرب من الكلام ممّا غلط فيه مَن ليس من عِلْيةِ فُصحاء العرب وبلغائها [بالحمل][263] على العلية منهم. فكلّ امرئ منهم إنّما يأتمُّ في الفصاحة بمن فوقه. فإذا وَجد المؤتمّ منهم كلاما لمن يأتمّ به قد قصد به مقصدا يمكن أن يفهم على خلافه بل ربّما كان خلافه أسبق إلى الفهم لكونه أشهر في ما يقال في الغرض المقصود بالكلام، وكان الشاعر قد عدل عن الأشهَر إلى الأخفى إمّا اضطرارا إلى ذلك أو قصدا إلى الافتنان في معاني الكلام والاتّساع في مذاهبه ـ فمن عادتهم أن يأخذوا الكلام من كلّ مأخذ ويجتلبوا المعاني من كلّ مجتلب وأن يتلاعبوا بالكلام على وجوه من الصحّة ـ فُهِمَ[264] الكلام على خلاف ما قصده القائل ورأى العبارة لا تدلّ على ما فُهِم إلاّ بعد القلب، فظن أنّ هذا مذهب في الكلام لمن يأتّم به، وأنّ للشاعر أن يعبّر عن المعنى بما لا يدلّ عليه إلاّ بعد القلب، ويكتفي بما يسبق إلى الأفهام في ذلك فيجعل ذلك مذهبا له فيخطئ فيه.

وعلي هذا النحو وقع كثير من المذاهب الفاسدة في كلام العرب لأنّ أرداف الفصاحة منهم إذا رأوا لصدورهم استعمالا مّا في شيء قاسوا على ذلك ما يرون أنّه مماثل لذلك الشيء، وقد تكون بينهما مفارقة من وجه أو أوجه فيغلطون في القياس، وكذلك في كثير ممّا يتأوّلونه عليهم.

فلذلك يجب ألاّ يُقبل من الضرائر إلاّ ما وجد في ما اجتمعت عليه الروايات الصحيحة من كلام عِلْيَةِ الفصحاء منهم ممّا تُحَقِّقُ براعتُه انتسابَه إليهم كقصائد امرئ القيس والنابغة وزهير ومن جرى مجراهم[265].

---

263 ـ هذه الكلمة غير موجودة بالأصل، أضفناها إقامة للجملة.

264 ـ جواب (إذا) المذكورة في أول الإضاءة.

265 ـ أورد الخفاجي كلاماً شبيهاً بهذا ترجم له بوضع الألفاظ موضعها اللائق، وأشار إلى ما يداخل اللفظ والتأليف من أسباب تدخل عليهما الغموض والاشتكال، الخفاجي، 99، 107 ويعني بقصائدهم معلقاتهم.

8 ـ **تنويـر:** وقد وقعت **[68 ـ أ]** أبيات من الشعر حملها قوم على القلب وخرَّجها آخرون على وجوه يصحّ الكلام عليها لفظا ومعنى. كقول الحطيئة: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

فَلَمَّا خَشِيتُ الهُونَ والعيرُ ممسكٌ   على رُغمه ما أمسك الحبلَ حافِرُهْ[266]

لأنّ الحبل إذا أمسك الحافر فالحافر أيضاً قد شغل الحبل وأمسكه عن أن يتخلّى عنه ويتفلّت، فعلى هذا ليس بمقلوب.

وكذلك قول أبي النجم: [الرجز ـ ق ـ المتدارك]

قبْـلَ دُنـوِّ الأفْـقِ مـن جَوْزَائِـهِ[267]

لأنّ الجوزاء إذا دنت من الأفق دنا منها.

وقد حَمل قوم قول قَطَرِيّ بن الفُجاءة: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

ثمّ انصَرفْتُ، وقد أصَبْتُ، ولم أُصَبْ،   جذَعَ البصيرةِ قارحَ الإقـدامِ[268]

على القلب. وقالوا : يريد قارح البصيرة جذع الإقدام كما يقال إقدام غِـرّ ورأيُ مجرّب. والأحسن في هذا البيت حمله على غير القلب، وذلك على تأويلين: أحدهما أن يريد أنّ هذا الموطن الذي وصفه كان أعظم موطن حضره وأشَدَّ موقف شهده فيئس فيه من الحياة وأيقن بالتلف حين رأى نفسه دريئة للرماح ودمَه قد خضب سَرجه ولجامه كما ذكر في هذا الشعر، ثمّ خلص من هول ذلك الموقف ووقع الأمر على خلاف ما كان وقع في نفسه حين انصرف

---

266 ـ يروى البيت بأثبت بدل أمسك، وهو من قصيدة يذكر فيها الحطيئة الزبرقان ويمدح آل شماس، مطلعها:

عفا مسحـلان من سليمي فخامـرُهْ   تمـشى بـه ظلمانُـه وجـآذِرُهْ

الخفاجي، 108، **الديوان**، 18.

267 ـ الخفاجي، 108.

268 ـ البيت من قصيدة مطلعها:

لا يركننْ أحـد إلى الإِحْجـامِ   يـوم الوغى متخـوفاً لِحِمـامِ

المرزوقي، 1، 138.

وقد قتَلَ ولم يُقتل، فحدثت له إذ ذاك بصيرةُ أنّ الإقدام غيرُ علّة للحِمام وأنّ من يركن إلى الإحجام خيفةً من أن يصاب فليس على بصيرة، إذ لو شهد ما شهدت ثم انصرف مصيبا لا مصابا لحدث له بصيرة بأنّ السلامة غير مقصورة على مواطن الدعة وأنّ الهلاك غير موقوف على مواقف المكافحة، وحمله اجتماع الظفر له والسلامة بالإقدام على ألاّ يركن إلى الإحجام. فعبّر عن قرب عهد حدوث البصيرة له عند انصرافه عن تلك الحرب بأن جعل البصيرة جذعة لأنّ الجذع هو الذي على أوّل سنة الأخذ في الاستحكام وجعل الإقدام قارحا لأنّه كان من سجيّته ثابتا قبل البصيرة.

9 ـ **إضاءة:** والتأويل الثاني ما حكاه ابن سنان الخفاجي عن أبي العلاء **[68 ـ ب]** صاعد بن عيسى[269] الكاتب أنّه جاراه في بعض الأيّام في هذا البيت، فقال صاعد: «ما المانع أن يكون مقصوده لم أُصَبْ أيْ لم أُلْفَ على هذه الحال بل وُجِدْتُ على خلافها، جذع الإقدام قارح البصيرة، ويكون الكلام على وجه غير مقلوب، فتمكن الدلالة على أنّ قوله في البيت لم أُصَبْ بمعنى لم أُلْفَ، دون ما يقولون من أنّ مراده لم أُجرح من قوله قَبْلُ:[كامل ـ ق ـ المتواتر]

لا يركنْن أحدٌ إلى الإحجام	يومَ الوغى، متخوِّفا لحمامِ
فلقد أراني للرّماح دريئةً	مِنْ عَنْ يَميني مَرَّةً، وأمَامي
حتَّى خضبتُ بما تحدّر مِنْ دَمِي	أكناف سرجي أو عِنان لجامي
ثمّ انصرفتُ، وقد أصَبْتُ، ولم أصَبْ	جذعَ البصيرة، قارحَ الإقدامِ[270]

269 ـ صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي وكنيته أبو العلاء أديب لغوي قصّاص شاعر عارف بالموسيقى والغناء ولد بالموصل ونشأ ببغداد وانتقل إلى الأندلس حوالي سنة 380 هـ فأكرمه المنصور بن أبي عامر، وألّف له روايتين غراميتين أعجب بهما المنصور، ولم يحضر مجلس أنس لأيّ أمير بعده وتوفي في جزيرة صقلية سنة 417 هـ/ 1026 م وفي الأصل صاعد به عيسى وهو خطأ من الناسخ.

270 ـ المرزوقي، 1، 138 والبيت الأول مطلع القصيدة التي منها البيت المذكور في الإضاءة السابقة أيضاً.

فكيف يكون لم يُصَبْ وقد خضب بدمه أكناف سرجه ولجامه. فأمّا قولهم: إنّه أراد من دمي أي من دماء قومي وبني عمي فمبالغة منهم في التعسّف والعدول عن وجه الكلام ليستمرّ لهم أن يكون الكلام فاسدا غير صحيح»[271].

ثمّ قال الخفاجي: «وهذا الذي ذكره أبو العلاء وسبق له وجه يجب تقبّله واتّباعه فيه. وفحوى كلام قَطَرِيّ تدلّ على أنّه أراد أنّه جُرح ولم يمت إعلاما أنّ الإقدامَ غيرُ علّةٍ في الحِمام وحضّاً[272] على الشجاعة وبُغضًا[273] للفرار.

وقد حمل قومٌ قولَه سبحانه: (وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لَتنوء بالعُصبة أولي القوّة)[274]، وقوله تعالى: (وإنّه لِحُبِّ الخير لشديد)[275] على القلب. وحمْلُ الكلام على القلب في غير القرآن إذَا أمكنَ حملُه على الاستقامة تعسّف شديد، فكيف في الكتاب العزيز؟ والواجبُ أن تُجعل الباء في قوله تعالى بالعُصبة للتعديّة ويكون المراد ـ والله أعلم ـ أنّ المفاتح تنوء بالعصبة أي تميلها من ثقلها، وهو قول الفرّاء[276]، وأن يكون قوله تعالى: «لشديد» بمعنى بخيل، أي إنّه لحِبّ المال لبخيل، والخير: المال»[277].

10 ـ **تنويـر:** فكلّ كلام يمكن حمله على غير القلب بتأويل لا يبعد معناه، **[69 ـ أ]** فليس يجب حمله على القلب.

وأمّا ما لا يمكن فيه التأويل فواجب ألاّ يعمل عليه وأن يوقَف عنده[278].
ومنه قول عروة بن الورد: [الوافر ـ ق ـ المتواتر]

---

271 ـ القصة والوجه أوردهما الخفاجي، 108.
272 ـ ورد اللفظان في المرجع السابق بلفظ: حثّا ونهيا.
273 ـ ورد اللفظان في المرجع السابق بلفظ: حثّا ونهيا.
274 ـ الآية قوله تعالى: «إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين». **قرآن**، 76/ 28.
275 ـ **قرآن**، 100/ 8.
276 ـ الزركشي، ٣، 289، الخفاجي، 108، 109، السبكي، 1، 491.
277 ـ الخفاجي، 108، 109.
278 ـ الخفاجي، 107، وما بالأصل هنا من تفصيل حازم أتم وأوفى.

فلو أنّي شهدت أبا مُعاذٍ بمُهجته غداتَئذٍ يفوقُ
فدَيْتُ بنفسه نفسي ومالي فمَا آلُوكَ إلاّ ما أطيق(279)

يريد: فديت بنفسي، فهذا وأمثاله لا يجب أن يُعمل عليه لأنّه كلام خطأ على ما قدّمناه. ويحتمل أن يكون هذا، وما أشبهه ممّا غيّره بعض الرواة لتقارب العبارات واشتباه بعضها ببعض. فقد ينحرف محفوظ الراوي عن أصل وضعه قليلا فلا يشعر بذلك: ألا ترى أنّ هذا البيت يتأتّى تغيير العبارة الواقعة في صدره إلى وضع يدلّ على مفهوم صحيح فيقال فيه: جعلت فداءه نفسي ومالي. بدل فديت بنفسه.

11 ـ **إضاءة:** وأمّا ما يرجع إلى اللفظ ممّا يوقِعَ في المعاني غموضا واشتكالا فمن ذلك أن تكون الألفاظ الدالة على المعنى أو اللفظة الواحدة منها حوشيّة أو غريبة فيتوقّف فهم المعنى عليها. والواجب على الشاعر أن يجتنب من هذا ما توغّل في الحوشيّة والغرابة ما استطاع حتّى تكون دلالته على المعاني واضحة وعبارته مستعذَبة. ومتى لزّه إلى شيء من ذلك اضطرار وأمكنه أن يقرن باللفظة ما يُهتدى به إلى معناها من غير أن يكون ذلك حشوا، كان الأمر في ذلك أشبه.

12 ـ **تنوير:** ومن ذلك أن تكون اللفظةُ أو الألفاظُ مشتركةً فتدلّ على معنيين أو أكثر لا في حال واحدة، فيجب للنّاظم أن ينوط باللفظة أو الألفاظ التي بهذه الصفة من القرائن ما يخلّص معناها إلى المفهوم الذي قصده حتّى يكون المعنى مستبينا، وذلك حيث يقصد البيان. وينبغي ألاّ يكثر من هذا النوع حيث يقصد الإبانة عن المعاني.

---

279 ـ رواية البيتين مختلفة عما في النص وإن لم يوجب اختلافها عدم الاستشهاد بهما في هذا المحل لبقاء موضع القلب المحتاج إلى التأويل على حاله. وهما بالديوان كالآتي:

فإني لو شهدت أبا معاذٍ غداة غد لمهجته يفوقُ
فديت بنفسه نفسي ومالي وما آلوه إلا ما أطيقُ

انظر ابن السكيت، 205.

وممّا ورد من ذلك فاضطرب الناس في تأويله قول الحارث بن حلّزة:

[الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

زعموا أنّ كلّ من ضرب العَيْــ ـــرَ مُوالٍ لنا، وأنَّى الولاءُ؟!(280)

فقيل **[69ـ ب]** أراد بالعير الوتد وأراد بالضاربين العرب لأنّهم كانوا أصحاب عمد، وقيل أراد عَيْـر العين وهو ما نتأ منها أي كلّ من ضرب عير عينه بجفنه، وقيل أرادِ بالعير ما يطفو على الحوض من الأقذاء وأصله التشديد وهو العائر والعيّر، فخفّف كما قيل هيِّن وهيْن، وقيل فيه وجوه أُخَر غير هذه(281).

13 ـ **إضاءة:** ومن ذلك أن تكون كلمةٌ قد وُصلت بحرف أو حُذف منها حرف فتتّصل بكلمة يحتمل لفظها أن يكون الحرف الموصول بالأوّل داخلا عليها أو من جملة حروفها أو يكون قد دخل على الثانية حرف يخيّل لك أنه صلة للأولى أو تتمّة لما نقص منها فيعرض من هذا فهم الكلام على غير وجهه.

ومن هذا قول امرئ القيس: [السريع ـ ق ـ المتدارك]

نَطْعَنُهُمْ سَلْــكَى ومخلوجــةً لَفْتَــكَ لأمــينِ على نابــلِ(282)

لأنّ الكاف محتملة أن تكون ضميرًا مضافًا إليها ما قبلها، وأن تكون حرفًا جارًا لما بعدها.

ومن هذا ما رُوي من أنّ الأصمعي أنشد يومًا: [الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

---

280 ـ البيت من معلقته وأولهما:

آذنتـنا بِبَيْنِهـــا أسمـــاءُ ربّ ثاو يمـــلّ منه الثـــواءُ

الزوزني، 170.

281 ـ راجع **اللسان**، مادة (عير) باب الراء فصل العين، ٦، 299 305.

282 ـ تقدم الشاهد 154.

لَمْيَ نالوُا مثلَ الذي نلتُ منهم   وسواءٌ مَا نلتُ منهم ونالوا[283]

ثمّ قال لأصحابه: كيف أوْجَبَ في آخر البيت ما نَفَى في أوّله؟.

ـ فقالوا: لا ندري! ـ قال: قد أجّلتكم فيه شهرا. ـ قالوا : لو أجّلتنا فيه سنة ما علمناه. ـ فقال: إنّما هو لَمْيَ ترخيم لمياء ثم قال: نالوا مثل الذي نلت منهم، فهذا إيجاب أنّهم نالوا وليس بنفي على ما يَتوهّم سامعه.

فيجب أن يتحفّظ في الكلام المقصود به البيان نحو وقوع تلك الحروف التي يسبق الوهم إلى أنّها مستندة إلى غير الحيّز الذي استندتْ إليه، فإنّ ذلك مستهلك للمعاني وحاجب للأفكار عن حقائق المقصود بالكلام.

14 ـ **تنوير:** ومن ذلك الإخلال بوضع الكلام وإزالة ألفاظه عن مراتبها حتّى يصير المتأخّر متقدّما والمتقدّم متأخّرا فتتداخل الألفاظ بعضها على بعض فتُشْكِل العبارة ولا يتحقّق نظامها قبل التقديم والتأخير ولا يعلم كيف كان (...........)[284]. وهذا المذهب رديء جدّا في **[70 - أ]** الكلام.

وكان همّام بن غالب الفرزدق يُكثر من هذا النوع ـ كأنّه كان يقصده ـ ومنه قوله: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وما مثلُه في النّاس إلاّ مملّكا   أبو أمّه حيٌّ أبوه يقاربُهْ[285]

283 ـ إن وجه كتابة البيت هو أن يرسم لمي وحده ونالوا منفصلا عنه. ولعلّ المؤلف أراد أن يحدث الحيرة والارتباك ليكون الأثر الحاصل من المطالعة كالأثر الحاصل من السماع، هذا وقد بحثنا عن البيت فلم نقف عليه في غير هذا المحل.

284 ـ بياض بالأصل مقدار ثلاث كلمات.

285 ـ التفتزاني، 20، **الديوان**، 1، 108.

يريد وما مثله في النّاس حيّ يقاربه إلاّ مملّكا أبو أمّه أبوه، يعني بالمملّك هشاما والممدوح خاله فأبوه أبو أمّه، فقد أساء العبارة عمّا أراد.

15 ـ **إضـاءة:** وإذ قد ذكرنا جملة ممّا يُوقِع في المعاني إغماضا من جهاتها أنفسِها ومن جهات العبارات، وأتبعتُ ذكر بعض تلك الوجوه بذكر ما يميط بعضَ القبح الواقع بها في الكلام، فحقيقٌ أن نصرف عنان القول عمّا نحن بسبيله من القول في هذا المعلم إلى غير ذلك ممّا يتعلّق بالمعاني، إذ قد تبيّن أنّ ما قُصد به البيان من القول فواجب أن تُجتنب فيه تلك الوجوه المذكورة، وما قصد به الكناية أو الإلغاز والتعمية فهي لائقة به وصالحة له، فليوقع منها في كلّ نوع من الكنايات وفي كلّ ضرب من ضروب الإلغاز والتعمية ما يليق به ويكون فيه أكثر غَناء من غيره.

يب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في المعاني من حيث يكون فهمها متوقّفا على أمر مّا من صناعة أو غيرها أو تكون غير متوقّفة على شيء من ذلك.

إنّ المعاني منها ما يُحتاج في فهمه إلى مقدّمة من معرفة صناعة أو حفظ قصّة. فالتي لا يُحتاج في فهمها إلى مقدّمة هي المعاني الجمهوريّة التي يشترك في فهمها الخاصّ والعامّ، وعليها مدار معظم المعاني الواقعة في الأغراض المألوفة من الشعر، وهي مستحسنة فيه.

1 ـ **إضـاءة:** والمعاني التي يُحتاج في فهمها إلى مقدّمة ضربان: ضربٌ يتوقّف فهمه على المعرفة بصناعة مّا **[70 ـ ب]** لكوْن المعنى من تلك الصناعة أو لكوْن العبارة الدالّة عليه من عبارات أهل تلك الصناعة، وضربٌ يتوقّف فهمه على حفظ قصّة مّا لكون المعنى متعلّقا بتلك القصّة.

2 ـ **تنويـر:** فالمعاني التي يتوقّف فهمها على المعرفة بصناعة مّا لا يحسن إيرادها في الشعر إذا وَجَدَ عنها مندوحة، ولا يَحسُن فيه أيضاً أن تؤخذ ألفاظ قد نقلت إلى علم مّا فتجعل العبارة بها صالحة لما تدلّ عليه في ذلك العلم والمتكلّمُ لا يريد إلاّ المعنى الذي تدلّ عليه في أصل اللغة وإنّما قصد الإلغاز عن مراده. فهذا لا يحسن في المقاصد التصريحيّة.

3 ـ **إضـاءة:** وأمّا ما يتوقّف فهمه على قصّة فلا يخلو أن تكون تلك القصّة مشهورة أو غير مشهورة، فإن كانت القصّة مشهورة فذلك حسن، وإن لم تكن مشهورة فإنّ ذلك لا يستحسن.

4 ـ **تنويـر:** فأمّا المعاني أو العبارات المتعلّقة بصنائع أهل المهن فينبغي ألاّ يسُتعمل شيء منها لأنّ استعمالها في الشعر أشدّ قبحا من استعمال الألفاظ الساقطة المبتذلة.

فأمّا المعاني الخارجة عن صنائع أهل المهن وعمّا يُحتاج في فهمه إلى مقدّمة فهي التي يجب أن يُكثر من استعمالها، فإنّ منزلتها من المعاني منزلة الألفاظ المستعملة المفهومة التي ليست بعاميّة ساقطة، ولا متوعّرة وحشيّة. وأما المعاني التي يتوقّف فهمها على القصص الشهيرة عند الأدباء ومَن جرى مجراهم ممّن طالع التواريخ والأخبار فمنزلتها من المعاني منزلة استعمال الألفاظ التي ارتفعت عمّا يفهمه جميع العامّة وكان علمها مقصورا على الخاصّة. فأما المعاني التي يتوقّف فهمها على المعرفة بعلم أو صناعة فمنزلتها من المعاني منزلة استعمال اللفظ الحوشيّ الذي لا يفهمه إلاّ الأقلّ من خاصّة الأدباء، وكذلك الإحالة على ما لم يشتهر من الأخبار.

5 ـ **إضـاءة:** وملاحظات الشعراء الأقاصيص والأخبار المستطرفة في أشعارهم ومناسبتُهم **[71 - أ]** بين تلك المعاني المتقدّمة والمعاني المقاربة لزمان وجودهم، [والكائنة][286] فيها التي يبنون عليها أشعارهم ممّا يحسن في

286 ـ كلمة غير واضحة بالأصل.

صناعة الشعر. ويجب للشاعر أن يعْـتمد من ذلك المشهور الذي هو أوضح في معناه من المعنى الذي يناسب بينه وبينه ويعلّقه على طريق التشبيه أو التنظير أو المثل أو غير ذلك. ويُسمّى ما تُسُبّب إلى ذكره من القصص المتقدّمة المأثورة بذكر قصّة أو حال معهودة الإحالة لأنّ الشاعر يحيل بالمعهود على المأثور.

6 ـ **تنويـر:** وإذا أوقعت الإحالة الموقع اللائق بها فهي من أحسن شيء في الكلام، فلِتَذَكُّر ما مضى من الأمور التي يقلّ نظيرها في ما هي عليه من الأوصاف التي تميل إليها النفوس أو تنفّر عنها موقع عجيب من النفوس. فتتحرّك النفوس بما قد ارتسم فيها من صفة القصّة الأولى إلى اعتقاد القصّة الأخرى على مثل تلك الصفة. هذا إذا كانت الإحالة على سبيل المحاكاة.

7 ـ **إضـاءة:** وإذ قد تبيّن هذا فالواجب ألاّ يُستعمل في الشعر من الأخبار إلاّ ما شُهر، وألاّ يُستعمل فيه شيء من معاني العلوم والصنائع، ولا شيء من عباراتهم إذا كان الغرض مبنيّا على ما هو خارج عن تلك العلوم والصنائع، فأما إذا ما كان غرض الشعر مبنيا على وصف أشياء علميّة أو صناعيّة ومحاكاتها والتخييل في شيء شيء منها فإيراد تلك المعاني والعبارات غير مَعيب في ذلك الغرض، لأنّ للشاعر أن يحاكي شيئاً من جميع الموجودات ويخيّل في واحد واحد منها ما تميل إليه النفوس أو تنفر عنه.

8 ـ **تنويـر:** وممّا تسبّب فيه إلى ذكر ما ليس الكلام مبنيّا عليه من المعاني الكلاميّة والنحويّة قول أبي تمام: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

مـــودّةٌ ذهــبٌ، أثْمـارُهَا شُبَـــهٌ وهِمَّةٌ جَوهرٌ، معروفـها عَـرَضُ [287]

287 ـ أورد البيت شاهدا الخفاجي، 159، والبيت من قصيدة لأبي تمام يعاقب فيها عياش بن لهيعة مطلعها:

ذل السؤال شـجى في الحلق معــترض من دونه شـرق من تحته جــرض

الديوان، (1)، 235 [ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي م 4 ص 466].

لأنّ الجوهر والعرض من ألفاظ المتكلّمين الخاصّة بصناعتهم. وقوله في ما يرجع إلى صناعة النحو: [الكامل ـ ق ـ المترادف].

خَرْقَاءُ يلعبُ بالعقول حَبَابُــها   كتلاعب الأفعالِ بالأسْمــاءِ[288]

[71 ـ ب] وقول أبي العلاء المعرّي في مثل ذلك: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

تلاقٍ تفرَّى عن فراقٍ تَذُمُّـه   مآقٍ، وتكسيرُ الصائح في الجمْع[289]

وحكي أنّ عزّ الدولة قال لندمائه: «لِيُنشِدْني كلّ واحد منكم أغزل ما يعرفه من الشعر!». فأنشد كلّ منهم ما حضره. فلمّا انتهى القول إلى أبي الخطّاب ابن ثابت الصابي ـ وكان أبوه طبيباً ـ أنشد قول أبي العتاهية:

[الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

قال لـي أحمدٌ، ولمْ يَـدْرِ مـا بي: أَتُحِــبّ الغــداةَ عتْبَــةَ حــقًّا؟

فتنَفَّسْـت ثُمَّ قلتُ: نعمْ حُـبْ(م)   بـاً جَرَى فـي العُرُوقِ عرقـاً فعرْقاً[290]

فقال له بَختيار: «لا تخرج بنا يا أبا الخطّاب عن صناعة الطبّ التي لم ترثها عن كلاله!».

وكان بعض الأدباء إذا سمع قول المهلّبي: [مجزوء الكامل ـ ق ـ المتواتر]

يا مـنْ لــهُ رُتَــبٌ مُمَـكْــ   ــكَنـةُ القواعـد مـن فُــؤادِي[291]

---

288 ـ البيت من قصيدة يمدح بها محمدا بن حسان الضبي، وكان مدح بها من قبل محيي الدين ابن ثابت، مطلعها:

قـدكَ اتئد أربيــت في الغلـــواءِ   كم تعذلون وأنتمُ شجــرائي

التبريزي، 1، 33، الخفاجي، 159. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي م1 ص 20 وفيه: اتّئب، وفي التعليق أسرفت وسحرائي بالسين.

289 ـ البيت من قصيدة قالها عن مغادرته بغداد مودعًا، مطلعها:

نـبي من الغـربـان ليـس عـلى شــرْعِ   يخبرنا أن الشُّعوب إلى صَــدْعُ

أبو العلاء سقط الزند السفر الثاني القسم الثالث ص 1332، 93، الخفاجي 160.

290 ـ الخفاجي، 160 و 161.

291 ـ الخفاجي، 161.

قال : «هذا يصلح أن يكون شَعِر بنّاءٍ!».

وحكَى أبو عثمان الجاحظ قال: «أنشدت أبا شعيب القلاّل أبيات أبي نواس التي أوّلها: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وَدارِ نَدَامَى عطّلُوها وأدْلَجُوا بها أثـرٌ منهم جديـدٌ ودارسُ[292]

فقال : «هذا شعر لو نَقَرْتَ فيه طنّ!» فوصفه من طريق صناعته.

وقد أوردنا هذه الأمثلة على غير ما أوردها غيرنا. فكلّ ما انتسب إلى صناعة من الصنائع، انتسابَ ما ذكر من حيث هو معنى راجع إليها أو عبارة مستعملة فيها، فليس يحسن استعماله في الشعر، إذ الواجب أن يُـقتصر بالأشياء على ما هي خاصّة به، وألاّ يخلط فنّ بفنّ بل يُستعمل في كلّ صناعة ما يخصّها ويليق بها، ولا يشاب بها ما ليس منها.

يج ـ معلم دالّ على طرق العلم بأنحاء النظر في المعاني، من حيث تكون قديمة متداولةً، أو جديدة مخترعة.

[72 ـ أ] إنّ من المعاني ما يوجد مرتسماً في كلّ فكر ومتصوّرا في كلِّ خاطر، ومنها ما يكون ارتسامه في بعض الخواطر دون بعض، ومنها ما لا ارتسام له في خاطر وإنّما يتهدّى إليه بعضُ الأفكار في وقت مّا فيكون من استنباطه. فالقسم الأوّل هي المعاني التي يقال فيها إنّها كثرت وشاعت، والقسم الثاني ما يقال فيه إنّه قلّ أو هو إلى حيّز القليل أقرب منه إلى حيّز الكثير، والقسم الثالث هو المعنى الذي يقال فيه إنّه ندَر وعُدِمَ نظيرُه.

1 ـ **إضـاءة:** فأمّا القسم الأوّل فهو مثل ما يتداوله الناس من تشبيه الشجاع بالأسد، والكريم بالغمام. وهذا القسم لا سرقة فيه لا حجْر في أخذ معانيه لأنّ

---

292 ـ الخفاجي، 161، مطلع قصيدة له تقع في ثمانية أبيات، **الديوان** (1)، 214، (2) 37.
[ومأخذ الجاحظ هنا ليس على الشاعر بل على القلال الذي غلبت حرفته على لغته].
وهذا الخبر غير موجود في البيان والتبيين والحيوان للجاحظ، ولأبي شعيب فيهما أخبار قليلة غير هذا.

الناس في وجدانها ثابتة مرتسخة في خواطرهم سواء ولا فضل فيها لأحد على أحد إلاّ بحسن تأليف اللفظ. فإذا تساوى تأليفا الشاعرين في ذلك فإنّه يسمى الاشتراك، وإن فضلَتْ فيه عبارة المتأخّر عبارة المتقدّم فذلك الاستحقاق لأنّه استحقّ نسبة المعنى إليه بإجادته نظم العبارة عنه، وإن قصّر فيه عمّن تقدّمه فذلك الانحطاط.

2 ـ **تنوير:** فأمّا القسم الثاني، وهي المعاني التي قلّت في أنفسها أو بالإضافة إلى كثرة غيرها، فما كان بهذه الصفة فلا تسامح في التعرّض إلى شيء منه إلاّ بشروط: منها أن يركّب الشاعر على المعنى معنى آخر، ومنها أن يزيد عليه زيادة حسنة، ومنها أن ينقله إلى موضع أحقّ به من الموضع الذي هو فيه، ومن ذلك أن يقلبه ويسلك به ضدّ ما سلك الأوّل، ومن ذلك أن يركّب عليه عبارة أحسن من الأولى، وذلك كتحسين الشمّاخ العبارة عن معنى قول بشر ابن خازم:

[الوافر ـ ق ـ المتواتر]

إذَا مَا المَكْرُماتُ رُفعن يوما ... وقصَّر مبتغوها عَنْ مداها..

وضاقت أذْرعُ المثرين عنها ... سما أوسٌ إليها فاحتواها(293)

فجاء الشمّاخ بهذا المعنى في عبارة أحسن من هذه وأوجز حيث يقول:

[الوافر ـ ق ـ المتواتر]

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ ... تلقّاها عُرابَةُ باليَمينِ(294)

---

293 ـ ورد ذكر هذين البيتين في الحديث عن الإيجاز والاشتراك. الخفاجي، 205 البيتان من قصيدة بها أربعة وعشرون بيتاً في مدح أوس بهذا حارثة ابن لأم الطائي مطلعها:

أتعرف من هنيدة رسم دار ... يخرجي ذروة فإلى لواها

الديوان ص 219.

294 ـ البيت من قصيدة له يمدح بها عرابة بن أوس مطلعها:

كلا يومي طوالة وصل أروى ... ظنون آن مطرح الظنون

الديوان، 97.

فما وُجد فيه شرط **[72 ـ ب]** من هذه الشروط أو ما جرى مجراها فسائغة مجاذبة الشاعر فيه مَن تَقدّمه، وما ليس داخلا تحت تلك الشروط وما جرى مجراها ممّا يزيد في المعنى زيادة مقبولة فهو سرقة محضة.

3 ـ **إضـاءة:** وأمّا القسم الثالث، وهو كلّ ما ندر من المعاني فلم يوجد له نظير، وهذه هي المرتبة العليا في الشعر من جهة استنباط المعاني، مَنْ بَلَغها فقد بلغ الغاية القصوى من ذلك، لأنّ ذلك يدلّ على نفاذ خاطره وتوقّد فكره حيث استنبط معنى غريبا واستخرج من مكامن الشعر سرا لطيفا. فإذا ساعدته العبارة في ذلك وكانت في شرف صنعتها (.........)[295]والحسن الظاهر. وما كان بهذه الصفة فهو متحامَى من الشعراء لقلّة الطمع في نيله إذ لا يكون المعنى من الغرابة والحسن بحيث مرّت العصور وتعاورت ذلك الموصوفَ الألسنةُ فلم تتغلغل الأفكار إلى مكمنه إلاّ وهو من ضِيق المجال وبُعد الغور بحيث لا يوجد التهدّي إلى مثله والتنبّه إلى مظنّة وجدانه في كلّ فكر، بل ذلك مقصور على بعض الأفكار وموجود لها في بعض الأحوال دون بعض.

4 ـ **تنويـر:** والمعاني التي بهذه الصفة تسمّى العُقم، لأنّها لا تلقح ولا تحصل عنها نتيجة ولا يقتدح منها ما يجري مجراها من المعاني. فلذلك تحاماها الشعراء وسلموها لأصحابها، علما منهم أنّ من تعرّض لها مفتضح.

ألا ترى أنّهم عابُوا على ابن الرومي ـ وحظُّه من الاختراع الحظُّ الأوفر ـ تعرّضه لقول عنترة: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

---

295 ـ بياض بالأصل مقدار أربع كلمات.

وخـلا الذبّـابُ بهـا يُغَنّـي وحده هَزِجًـا كفعـل الشـارب المترنِّـم
غَـرِدًا يسِـنّ ذراعـه بذراعـه قدْحَ المُكِبِّ، على الزنادِ، الأجذم(296)

بقوله يصف روضة: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وغـرّد ربعـيُّ الذّبـاب خِلالَهـا كما حثحثَ النشوانُ صنجا مِشرّعَا
فكانـت لها زِنـجُ الذبـاب هُناكُمُ على شـدوات الطير ضربا موقّعا(297)

[73 ـ أ] على أنّ ابن الرومي قد نحا بالمعنى نحوًا آخر، حين جعل تغريد الذباب ضربا موقّعا على شدوات الطير. وهذا تخييل محرّك إلى ما قصد ابن الرومي تحريك النفوس إليه وإيلاعها به. فمثل هذه المعاني النادرة إذا وقع فيها مثل قول ابن الرومي ووقع فيها زيادة مّا من جهة، وإن كان فيها تقصير من جهة أخرى، يجب أن يُصفح عن قائليها في ما وقع لهم من التقصير إذا وقع لهم بإزاء ذلك زيادة وإن كان ما قصّروا عنه أجلَّ ممّا زادوا. هذا إذا لم يكن بين المقصّر عنه والمزيد تفاوت كبير.

5 ـ إضاءة: وأمّا من نقل المعنى النادر من غير زيادة فذلك من أقبح السرقات، لأنّه تعرّض لسرقة ما لا يخفى على أحد أنّه سرقة.

6 ـ تنوير: ومَن أبرزَ المعنى النادرَ في عبارةٍ أشرفَ من الأولى فقد قاسم الأوّل الفضل، إذ الفضل في اختراع المعنى للمتقدّم، والفضل في تحسين

---

296 ـ البيتان من قصيدته المعلقة:

هل غـادر الشعـراء من متـردم؟ أم هل عرفـت الدار بعد تَوَهُّـم؟

البيت الأول يروى: فليس ببارح بدل يغني وحده، وغردا بدل هزجا، والبيت الثاني هزَجا بدل غردا ويحكّ بدل يسنّ، **الديوان**، 19.

297 ـ البيتان من قصيدة له في ذكر يوم طرد ولهو مع رفقة أنس، مطلعها:

بكيت فلم تترك لعينـك مدمـعَا زمانا طوى شرخ الشباب فودعَـا

والبيت الأول في الشاهد يروى في **الديوان** بدل خلالها، والبيت الثاني في الشاهد يروى في **الديوان** أرانين الذباب بدل زنج الذباب، **الديوان**، (1)، 301 [وانظر ديوان ابن الرومي ج 4 ص 1476، تحقيق د. حسين نصار.]

العبارة للمتأخّر. والقول الثاني الذي حسُنت فيه العبارة بلا شكّ أفضلُ من الأوّل، لأنّ المعنى لا يُؤثّر فيه التقدّم ولا التأخّر شيئاً، وإنّما ترجع فضيلة التقدّم إلى القائل لا المقول فيه.

7 ـ إضاءة: فإن زاد المتأخّر على المتقدّم زيادة في المعنى مع تحسين اللفظ فقد استحقّ المعنى عليه كما استحقّ الطِّرِمّاح معنى النابغة حين زاد عليه في قوله: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أكارِعُه طاوي المصير كسيف الصيْقَلِ الفَرَدِ[298]

بقوله : [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

يبـــدو وتُضْمِـرُه البـــلادُ كـأنّــه سيـفٌ على شرف يُسـلُّ ويغمَـدُ[299]

فزاد الطرمّاح عليه أن جعله مسلولا في حال ظهوره مغمدا في حال إضمار البلاد له.

فمراتب الشعراء فيما يُلمّون به من المعاني إذن أربعة: اختراع واستحقاق وشركة وسرقة. فالاختراع هو الغاية في الاستحسان، والاستحقاق تال له، والشركة منها ما يساوي الآخر فيه الأوّل فهذا لا عيب فيه، ومنها ما ينحطُّ فيه الآخرُ عن الأوّل فهذا معيب، والسرقة كلّها معيبة وإن كان بعضُها أشدَّ قبحًا من بعض.

---

298 ـ البيت من معلقته، وهي من عيون شعره، مدح بها النعمان بعد ما جفاه، مطلعها:
يا دار ميــة بالعليـاء فالسنــدِ أقــوتْ وطال عليها سالــف الأمــدِ
الديوان، 27.

299 ـ ورد البيت في أمثلة التشابيه المختارة. الخفاجي، 238 .
والملاحظ أن الطّرماح لم يشترك مع النابغة إلا في الرويّ واختلف معه في نوع القافية وفي حركة الروي.


المبَاني



[73 ـ ب] بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليماً

* * *

القسم الثالث في النظم وما تعرف به أحواله من حيث يكون ملائمًا للنفوس أو منافرًا لها من قوانين البلاغة.

المنهج الأوّل في الإبانة عن قواعد الصناعة النظمية والمآخذ التي هي مداخل إليها، وما تعتبر به أحوال الصنعة في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بقواعد الصناعة النظميّة التي عليها تقوم مباني النظم، وبتصرّف الخواطر فيها على ما يجب أن تلتئم صناعة النّظام الشّعري على الكمال.

النظم صناعة آلتها الطبع. والطبع هو استكمال للنّفس في فهم[300] أسرار الكلام، والبصيرة بالمذاهب والأغْراض التي من شأن الكلام الشّعري أي يُنحى به نحوها، فإذا أحاطتْ بذلك علما قوِيتْ على صوغ الكلام بحسبه عملاً، وكان النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه وحسن التصرّف في مذاهبه وأنحائه إنّما يكونان بقوى فكريّة واهتداءات خاطريّة **[74 ـ أ]** تتفاوت فيها أفكار الشعراء.

300 ـ في هامش الأصل بخطّ الناسخ نفسه ما نصه: صور هيئات الكلام لفظاً ومعنًى. ويظهر أن هذا من نسخة أخرى قُوبلت بالأصل.

فأوّل تلك القوى وهي عشر: القوّة على التشبيه فيما لا يجري على السجيّة ولا يصدر عن قريحة بما يجري على السجية ويصدر عن قريحة.

الثانية: القوّة على تصوّر كليّات الشعر والمقاصد الواقعة فيها والمعاني الواقعة في تلك المقاصد ليتوصّل بهذا إلى اختيار ما يجب لها من القوافي ولبناء فصول القصائد على ما يجب نحو ما أشرنا وما نشير إليه.

الثالثة: القوّة على تصوّر صورة للقصيدة تكون بها أحسنَ ما يمكن وكيف يكون إنشاؤها أفضل من جهة وضع بعض المعاني والأبيات والفصول من بعض، بالنظر إلى صدر القصيدة ومنعطفها من نسيب إلى مدح، وبالنظر إلى ما يجعل خاتمتها إن كانت محتاجة إلى شيء معيّن في ذلك.

الرابعة: القوّة على تخيّل المعاني بالشعور بها واجتلابها من جميع جهاتها.

الخامسة: القوّة على ملاحظة الوجوه التي بها يقع التناسب بين المعاني وإيقاع تلك النسب بينها.

السادسة: القوة على التهدّي إلى العبارات الحسنة الوضع والدلالة على تلك المعاني.

السابعة: القوّة على التّحيّل في تصيير تلك العبارات متّزنة وبناء مباديها على نهاياتها ونهاياتها على مباديها.

الثامنة: القوّة على الالتفات من حيّز إلى حيّز والخروج منه إليه والتوصّل به إليه.

التاسعة: القوّة على تحسين وصل بعض الفصول ببعض والأبيات بعضها ببعض وإلصاق بعض الكلام ببعض على الوجوه التي لا تجد النفوس عنها نبوة.

العاشرة : القوّة المائزةُ حسن الكلام من قبيحه بالنظر إلى نفس الكلام وبالنسبة إلى الموضع المُوقع فيه الكلام. فقد يتّفق للشاعر أن ينظم بيتين قافيتهما

واحدة فيكون أحدهما أحسن في نفسه والآخر أحسن بالنسبة إلى المحلّ الذي **[74 - ب]** يوقعه فيه من جهة لفظ أو معنى أو نظام أو أسلوب.**[74 - ب]** ففي مثل هذا الموضع يصير المرجوح راجحا والمفضول فاضلا. وكثير ممّن ليست له هذه القوّة يُسقط أحسن ممّا يثبت بالنسبة إلى المحلّ.

1 ـ **إضـاءة:** وللشعراء وذوي الدعوى في مشاركتهم أو وجود بعضها أو عدمها بالجملة ثلاث مراتب. فأهل المرتبة العليا هم الشعراء في الحقيقة. وأهل المرتبة السفلى غير شعراء في الحقيقة. وأهل المرتبة الوسطى شعراء بالنسبة إلى من دونهم، غير شعراء بالنسبة إلى من فوقهم.

فأما المرتبة الأولى فتشتمل على ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: الذين حصلت لهم هذه القوى على الكمال في الجملة والكمال في بعضٍ دون بعض.

الطبقة الثانية: من كان قسطه من جميع هذه القوى، أو مِن أكثرها، متوسّطا أو غير بعيد من التوسّط.

الطبقة الثالثة: من كانت أقساطه ممّا حصل له من هذه القوى، مع قلّتها ،غير عامّة في جميعها.

فالطبقة الأولى هم الذين يقوون على تصوّر كليّات المقولات ومقاصدها ومعانيها بالقوّة قبل حصولها بالفعل. فيتأتّى لهم بذلك تمكّن القوافي وحسن صور القصائد وجودة بناء بعضها على بعض.

والطبقة الثانية تتصوّر كثيراً من ذلك وإن لم تبلغ في ذلك مبلغ الطبقة الأولى، فيتأتّى لها بذلك كثير ممّا تأتّى للأولى.

والطبقة الثالثة لا تتصوّر إلاّ القليل من ذلك كأوائل القصائد وصدورها وما يكون من مقاصد الشعر بمحلّ عناية من أنفسها، فقد يتّفق لهذه الطبقة أيضاً أن تبني الكلام والقوافي بناء حسناً.

2 ـ **تنويـر:** والمرتبة الثانية: مَن له أدنى تخيّل في المعاني وبعضُ دربة في إيراد عباراتها متّزنة، وإن لم يكن له في القوى الباقية إلاّ ما يعتدّ به، فنظم هذا المنحطّ عن نظم من استكمَل ما نقصه ومرتفع عن كلامِ **[75 - أ]** من لا تخيّل له في المعاني ولا دربة بالتأليف.

3 ـ **إضـاءة:** والمرتبة الثالثة وهم الذين لا ينتسبون إلى هذه الصناعة بغير الدعوى: فمنهم طائفة لا تتقنّص ولكن تتلصّص ولا تتخيّل بل تتحيّل بالإغارة على معاني مَن تقدّمها وإبرازها في عبارات أخر، والنمط الثاني لا يتخيّل ولا يتحيّل ولكن يُغير ويغَيِّر، والنمط الثالث، وهم شرّ العالم نفوسا وأسقطهم همما، وهم النقلة للألفاظ والمعاني على صورها في الموضع المنزل منه من غير أن يغيّروا في ذلك ما يعتدّ به.

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بكيفيات مآخذ الشعراء في نظم الكلام وإنشاء مبانيه وما يقدّمونه بين يدي ذلك من تصوّر أغراض القصائد والمقاصد اللائقة بتلك الأغراض وتصوّر المعاني المنتسبة إلى تلك المقاصد والمنتمية إليها وتصوّر العبارات اللائقة بجميع ذلك وإعمال الحيل في تقفيتها ووزنها والإعلام بما يتسبّبون به إلى درك البغية في جميع ذلك.

يجب للشاعر، إذا أراد نظم شعر ـ وكان الزمانُ له منفسحا والحال مساعدة ـ أن يأخذ نفسه بوصيّة أبي تمّام الطائي لأبي عبادة البحتري في ذلك ويأتّم به. فإنّها تضمّنت جملا مفيدة بما يحتاجُ إلى معرفته والعمل بحسبه صاحبُ هذه الصناعة.

قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري: «كنت في حداثتي أروم الشعر. وكنت أرجع فيه إلى طبع. ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه حتّى قصدت أبا تمّام وانقطعتُ فيه إليه واتّكلت في تعريفه عليه. فكان أوّل ما قال لي:

«يا أبا **[75 ـ ب]** عبادة تخيّر الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم، واعلم أنّ العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر، وذلك أنّ النفس قد أخذت حظّها من الراحة وقسطها من النوم. فإن أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا وأكثِرْ فيه من بيان الصبابة وتوجّع الكآبة وقلق الأشواق ولوعة الفراق. وإذا أخذت في مدح سيد ذي أياد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معالمه وشرّف مقامه وتقاضَ المعاني، واحذر المجهول منها وإيّاك أن تُشين شعرك بالألفاظ الزريّة، وكن كأنّك خيّاط يقطع الثياب على مقادير الأجسام. وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل إلاّ وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه فإنّ الشهوة نعم المعين. وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين. فما استحسنه العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله»[301]. فقد تضمّنت هذه الوصيّة جملا ممّا يُحتاج إليه في هذا الباب.

1 ـ **إضـاءة:** وأنا أصل وصيّة أبي تمّام بما يكون تفصيلاً لبعض ما أجمل فيها، وتكميلا لما نقص منها. فأقول:

---

301 ـ وردت الوصيّة بقريب من هذا الوجه فيما نقله زيدان، ٢، 71. برواية أخرى مختلفة عن هذه بعض الاختلاف نصّها: «يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صِفر من الغموم، واعلم أن العادة في الأوقات، إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه، أن يختار وقت السحَر وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء وصَفا من أكثر الأبخرة والأدخنة جسم الهواء وسكنت الغمائم ورقت النسائم وغنّت الحمائم، وإذا شرعتَ في التأليف تغنّ بالشعر فإن الغناء مضماره الذي يجري فيه، واجتهد في إيضاح معانيه، فإن أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا، والمعنى رشيقا، وأكثِرْ فيه من بيان الصبابة، وتوجّع الكآبة، وقلق الأشواق، ولوعة الفراق، والتعلل باستنشاق النسائم، وغناء الحمائم، والبروق اللامعة، والنجوم الطالعة، والتبرّم من العذال والوقوف على الأطلال. وإذا أخذت في مدح سيد فأشهِر مناقبه، وأشهر مناسبه، وأرهب من عزائمه، ورغّب في مكارمه، واحذر المجهول من المعاني وإياك أن تشين شعرك بالعبارة الزرية والألفاظ الحوشية، وناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام، وكن كأنك خياط تقدّر الثياب على مقادير الأجسام. وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ولا تنظم إلا بشهوة، فإن الشهوة نِعم المعين على حسن النظم، وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من أشعار الماضين، فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه». راجع النواجي، مج. ابن عاشور، و 88 ب س 2 ـ و. 89 أ س 4 [والعمدة 2 : 109].

إنّ الناظم، إذا اعتمد ما أمره به أبو تمام من اختيار الوقت المساعد وإجمام الخاطر والتعرّض للبواعث على قول الشعر والميل مع الخاطر كيف مال، فحقيق عليه إذا قصد الرويّة أن يحضر مقصده في خياله وذهنه والمعاني التي هي عمدة له بالنسبة إلى غرضه ومقصده ويتخيّلها تتبعا بالفكر في عبارات بدد، ثمّ يلحظ ما وقع في جميع تلك العبارات أو أكثرها طرفا أو مهيّئا لأن يصير طرفا من الكلم المتماثلة المقاطع الصالحة لأن تقع في بناء قافية واحدة. ثمّ يضع الوزن والرويّ بحسبها لتكون قوافيه متمكّنة تابعة للمعاني لا متبوعة لها.

2 ـ **تنوير: [76 - أ]** ثم يقسّم المعاني والعبارات على الفصول ويبدأ منها بما يليق بمقصده أن يبدأ به، ثم يتبعه من الفصول بما يليق أن يُتبعه به ويستمرّ هكذا على الفصول فصلا فصلا، ثم يشرع في نظم العبارات التي أحضرها في خاطره منتثرة فيصيّرها موزونة إمّا بأن يبدل فيها كلمة مكان كلمة مرادفة لها أو بأن يزيد في الكلام ما تكون لزيادته فائدة فيه أو بأن يُنقص منه ما لا يخلّ به أو بأن يعدل من بعض تصاريف الكلمة إلى بعضها أو بأن يقدّم بعض الكلام ويؤخّر بعضا أو بأن يرتكب في الكلام أكثر من واحد من هذه الوجوه.

3 ـ **إضـــاءة:** ولا يخلو عروض الشعر من أن يكون طويلاً أو قصيرًا أو متوسطاً: فأمّا الطويل فكثيرًا ما يفضل مقداره عن المعاني فيحتاج إلى الحشو، وأمّا القصير فكثيرًا ما يضيق عن المعاني ويقصر عنها فيحتاج إلى الاختصار والحذف، وأمّا المتوسّط فكثيرًا ما تقع فيه عبارات المعاني مساويه لمقادير الأوزان فلا يفضل عنها ولا تفضل عنه فلا يحتاج فيه إلى حذف ولا حشو، لكنه يشارك الطويل والقصير في الاحتياج فيه إلى الوجوه الباقية وهي: العدل والبدل والتقديم والتأخير أو مجموع أكثر من واحد من ذلك.

4 ـ **تنويـر:** وللأعاريض اعتبار من جهة ما تليق به من الأغراض واعتبار من جهة ما تليق به من أنماط النظم:

فمنها أعاريض فخمة رصينة تصلح لمقاصد الجِدّ كالفخر ونحوه نحو عروض الطويل والبسيط وفئة (.......................)[302]

وكثير من مقصّرات ما سواه من الأعاريض.

ومنها أعاريض تليق (.......................)[303] مقاصد التي تحتاج إلى جزالة نمط النظم يجب أن تنظم في سلك الأعاريض التي من شأن الكلام أن يكون نظمه فيها جزلا نحو عروض [الطويل] والكامل.

وأمّا المقاصد التي يقصد فيها إظهار الشجو والاكتئاب، فقد تليق بها الأعاريض التي فيها حنان ورقّة، **[76 ـ أ]** وقلّما يخلو الكلام [الرقيق] من ضعف مع ذلك، لكنّ ما قصد به من الشعر هذا المقصد، فمن شأنه أن يُصفَح فيه عن اعتبار القوّة والفخامة، لأنّ المقصود بحسب هذا الغرض أن تُحاكى الحالُ الشاجية بما يناسبها من لفظ ونمط تأليف ووزن. فكانت الأعاريض التي بهذه الصفة غير منافية لهذا الغرض، وذلك نحو المديد والرمل. وسيأتي لهذا زيادة بيان[304].

5 ـ **إضـــاءة :** واعلم أنّ الخواطر إذا تصوّرت فصول القصائد ومعانيها قبل الشروع في النظم، وقامت بها العبارات عن تلك المعاني قياما وهميّا متخيّلا، فقد يوجد في عبارة عبارة منها كلمٌ يصلح أن تقع قوافي تكون كلّ عبارة منها فيها كلمة في كلّ ما عداها من العبارات كلمة تماثلها في المقطع، ويوجد فيها أيضاً كلم مغايرة مقاطعها المتماثلة لمقاطع الأولى ولا تبلغ الثواني مبلغ الأوّل في الكثرة، ويوجد فيها أيضاً كلم لها مقطع ثالث إلاّ أنّها في قليل من تلك العبارات.

---

302 ـ بياض مقدار ثلث سطر.

303 ـ بياض مقدار نصف سطر.

304 ـ راجع لهذا المعرف (د) من المنهج الثاني التابع لقسم المباني 238 ـ 242.

6 ـ **تنويـر:** فللشعراء، بالنظر إلى ما يجب في المطالع وما يجب في القوافي، وبالنظر إلى ملاحظة ما يجب فيها ثلاثة مذاهب:

أحدها مذهب المعتنين بالمبادي. وهو أن يجعل مبدأ كلامه دالا على مقصده، ويفتتح القول بما هو عمدة في غرضه، وينظر في العبارة عن ذلك المعنى أصلحَ لفظة منها بالقافية، فإن كان مقطعها مماثلا لما تكاثر في معاني القصيدة من المقاطع المتماثلة حصلت له البغية في المبدأ والقوافي وتمكّن ممّا أراد، وإن كان المقطع في المبدأ مماثلا للمقاطع المتوسّطة في مستأنف العبارات عن معاني القصيدة حصل له أيضاً كثير ممّا أراد واحتال في ما لم يكن فيه من العبارات ما يماثل مقطع المبدإ باجتلاب ما يماثله على جهة إلحاقه بالعبارة ويتحرّى أن يكون ذلك مفيدا، فإن لم يماثل مقطع المبدإ إلاّ المقاطع **[77 ـ أ]** التي وقعت قليلة في العبارات احتال في وصل ما عزّ فيه وجود المقطع بما يوجد فيه وتحرّى الإفادة والبعد عن التكلّف ما استطاع وأبدل مكان بعض المعاني التي كان يريد أن يقولها معاني مناسبة لها في ما وقع فيها عمدة أو فضلة مفيدة مقطع مماثل لمقطع المبدإ وحذف ما لم يجد منه بدلا، فهذا مذهب.

7 ـ **إضــــاءة :** والمذهب الثاني من آثر بنية الرويّ على ما تكاثر من المقاطع وافتتح بعمدة غرضه. فإن كان في العبارة ما يماثل مقطع الرويّ حصلت البغية، وإن لم يكن ذلك في العبارة احتال في تذييل العبارة بما يماثل مقاطع الرويّ إن أمكنه ذلك وتحرّى الإفادة فيما ذيّل به والبعد عن التكلّف أو عدل إلى معنى يناسب ذلك المعنى ممّا يتيسّر له فيه وجود المقطع الموافق. فإن أعوزه ذلك ركب أحد مركبين: إمّا أن يبدأ بأيّ معنى اتفق ممّا يتّفق فيه وجود الرويّ متمكّنا. وإمّا أن يترك التصريع ويفتتح بعمدة غرضه كيفما حضرته العبارة ولو كان واقعا في أوّلها الخرم . وبهذا المذهب كان الفرزدق يكمل نحو قوله: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

منّا الذي اختير الرجال سماحـةً وجُودا إذا هَبّ الريَاحُ الزعـازعُ[305]

8 ـ **تنويـر:** والمذهب الثالث: أن يرجّح المبدأ على القوافي في ما كانت فيه المقاطع متوسّطة بين الكثرة والقلّة، ويرجّح القوافي على المبدإ حيث تقلّ المقاطع.

9 ـ **إضـاءة:** واعلم أنّ للشعراء في تَهَدِّيهم إلى العبارات التي ترد على الأفكار أوّل ما ترد عليها متّزنةً منطبعةً على مقدار الكلام المقفى ومقطعه، وإلى العبارة التي ليست توجد أوّل ورودها على الأفكار متّزنة منطبعة على ما يراد صوغ الكلام بحسبه، لكن توجد قابلة لأدنى تغيير يصيّرها منطبعة على ما يراد من ذلك، مراتب ثلاثا: الأولى أن تكون قوّة الشاعر الناظمة في أكثر أمرها لا تلاحظ **[77 ـ ب]** ما يصلح أن يكون عبارة عن المعنى ممّا ذمّة الذكر به مليّة عند اقتضائها إيّاه أوّل ملاحظتها إلاّ على الهيئات التي تكون نقل الحركات والسكنات فيها بحسب ما يقتضيه الوزن الذي يريد بناء كلامه عليه فيولج به الخاطر إلى اللسان موزونا.

10 ـ **تنويـر:** وقد تقصر هذه القوّة التي بهذه الصفة عن هذه الدرجة في كثير من المواضع. وذلك يكون لعوادي ثمان تعرض: أربع منها راجعة إلى الشاعر، وأربع راجعة إلى نفس الشعر.

فأمّا ما يرجع إلى الشاعر من ذلك فمنها:

ـ 1 ـ أن يكون بالخاطر كسل فلا تسمو تلك القوّة معه سمّوها مع النشاط.

---

305 ـ هذا البيت مطلع قصيدة للفرزدق نقض بها قصيدة جرير التي مطلعها:

ذكرت وصال البيض والشيبُ ناصـعُ .:. ودارُ الصّبا من عهدهن بلاقِـعُ

في ديوانه. 189 ـ دار صادر ـ بيروت. [ونلاحظ أن بيت الفرزدق مطلع قصيدة وهو غير مصرّع وفيه خرم، وتصحيف: «اختير» التي صارت أختبر «فأصبح بذلك على الكامل، ونرجح أن يكون مطلع القصيدة المصرع قد ضاع عن الرواة وأن هذا البيت معْطوف على سابقه بحرف مثل الواو وهكذا يكون موزونا على الطويل مثل بقية القصيدة وليس فيه خرم أو تصحيف.

ديوان الفرزدق، 1: 418، دار صادر ـ بيروت، والفرزدق٢: 516]

ـ 2 ـ وإمّا أن يكون الخاطر قد شغله تلفّت إلى غير الغرض الذي هو آخذ في صوغ العبارة له، وعاقه ذلك عن تسليط تلك القوّة عن ضروب ما يقوم فيه من العبارات المتخيّلة وإمرارها على ضرب ضرب منها حتّى تميّز القوة بعرض جميعها (.........)[306] حركاته وسكناته ومستمرّة على ما يجب في ما بني الكلام عليه من الأوزان ممّا ليس التركيب في حركاته وسكناته كذلك (...............)[307].

إذ ذاك من التصوّر الدهنيّ إلى التلفّظ اللساني كامل (......)[308] وذلك التلفّت منه يكون إمّا إلى جهة معنى يسنح له، وإمّا إلى جهة معنى قد قدّمه فيسنح له فيما يتعلّق به أو بالعبارة عنه ما يرفع قبحا ويضاعف حسنا. فينتهز الخاطر الفرصة في تحصيله. ففي حال الانصراف إلى محلّ الالتفات تتوافق القوّة الناظمة عمّا كانت بسبيله من تصفّح العبارة المستمرّة الحركات والسكنات على منهاج الوزن الذي بني الكلام عليه والتغلغل إلى استخراجها من غمار العبارات غير المتّزنة.

ـ 3 ـ وإمّا أن يدركه سهو، فينصرف عن الوزن الذي هو آخذ فيه إلى وزن يقاربه على سبيل الغلط. فيكون الخاطر غير آنس بالوزن الذي خرج إليه ولا **[78 ـ أ]** ولع بالاستمرار على ما لم يتقدّم له إلف له ولا سلف له عمل فيه، من شأن النفس أن تحرص على إتمامه، ولا استثارَ فائدةً فيه ولَعه بما قد ألَفه وتقّم له عمل فيه يشتاق إلى إتمامه. فلا ينبعث الخاطر بالقوّة انبعاثا يمكّنها من ملاحظة مَا وضعَه من العبارات موافق للوزنِ المبني بديها، فيتعذّر على هذا صوغُ الكلام بحسب الوزن المخرج إليه السهو، ولو لم يتعذّر على هذا التقدير أيضاً لم يحصل للناظم البغيَةُ ممّا أراد

306 ـ بياض بالأصل مقدار كلمتين.

307 ـ بياض نحو سطر.

308 ـ بياض نحو كلمة.

من الوزن الأوّل، فوقوع مثل هذا الغلط عائق عن وزن الكلام بحسب العروض المقصود بالقصد الأوّل على كلّ حال. وأكثر ما يقع هذا الغلط للفكر أيضاً إذا نال منه الكدّ والكسل، وإن كان هذا إنّما يعرض في الأقلّ، وفي الأوزان المتشابهة نحو مجزوء الوافر والهزج.

11 ـ **إضـــاءة:** ولا يعتاصُ وزن الكلام على المطبوعين إلاّ حيث يريدون تضمين المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، أو حيث يريدون صوغ الكلام على هيئات بديعة يحتاج فيها إلى إمرار الفكر على الألفاظ التي يحدس أنّ ذلك متأتّ فيها وإلى التنقيب عمّا يهيء الكلام بتلك الهيئة من ضروب الترتيبات والوضع. فأمّا في ما سوى ذلك فالوزن أيسر شيء على من له أدنى بروع في هذه الصناعة.

12 ـ **تنويـر:** ولما ذكرته من انبعاث الخاطر وولعه بما قد ألفه واستثار الفوائد فيه فهو يحرص على إتمامه ما لا يُولع بما لم يألفه ولا تقدّمت له استثارة فائدةٍ فيه قد يعتاص القول على الشاعر في مبادئ القصائد وصدورها ويتيسّر في أوساطها وأعجازها. هذا على كونه في المباديء أجمّ خاطرًا وأشدّ تمكّنا من القوافي.

13 ـ **إضـاءة: [78 ـ ب]** ـ 4 ـ والسبب الرابع من عوادي الشاعر عن التسرّع في وزن الكلام أن تكون مواد العبارات في الذكر قليلة فيعزّ وجود ما يجيء من العبارات عفوا من غير احتيال ولا تكلّف لذلك.

14 ـ **تنويـر:** وأمّا ما يرجع إلى الشعر فمن ذلك:

ـ 1 ـ أن يكون قدر الوزن فوق قدر المعنى، فيحتاج إلى إعمال الحيلة في ما يستحسن من الحشو، أو من المعاني التي يكون في اقترانها بالمعنى المقصود بالقصد الأوّل تحسين للكلام وإبداع في حسن وضعه ونسقه وترتيب بعضه من بعض، فيقلّ أيضاً وجود ما يجيء من العبارات عفوًا على هذه الصفة.

ـ 2 ـ أو يكون قدْر المعنى فوق قدر الوزن فيحتاج إلى الحذف والاختصار.

ـ 3 ـ أو يكون المعنى دقيقا داعيا إلى إيراد العبارة عنه على صورة يقلّ ورودها عفوًا.

ـ 4 ـ أو يكون المعنى من المعاني التي العبارات عنها قليلة في اللّسان، فلا يتمكّن الخاطر من إيرادها موزونة إلاّ بتعمّل ومحاولة أو يكون للشاعر اختيارُ أن يورد المعنى في عبارة مخصوصة لكونها بارعة في نفسها أو بالنسبة إلى ما يليها.

15 ـ **إضـــاءة:** والمرتبة الثانية من ليس له قوّة على إحضار العبارة متّزنة على البديهة إلاّ في قليل من المواضع، بل يحضر العبارات بحيث تقبل التغيير والتصيير إلى الوزن المقصود بأدنى سعي.

16 ـ **تنويـر:** والمرتبة الثالثة من لا يستطيع على إحضار العبارات متّزنة أوّل إحضارها، ويحضِرُها مع ذلك غير قابلة التغيير إلى الوزن إلا بكدّ وتعب.

17 ـ **إضـاءة:** وكذلك القول في ردّ غير الموزون إلى الوزن بأحد التغييرات، تتفاوت [القدرة] أيضاً في الشعراء، فمنهم من يلوح له التغيير الممكن في العبارة بيسر، ومنهم من يلوح له ذلك ببطء، ومنهم من يقع في ذلك بين الطرفين.

وقد قدّمتُ أنّ ضروب التغييرات التي تصيّر غير الموزون متّزنا هي: إسكان متحرّك أو تحريك ساكن **[79 ـ أ]** أو زيادة في اللفظ أو نقص منه أو عدل صيغة إلى أخرى أو تقديم وتأخير أو إبدال لفظة مكان أخرى أو اجتماع أكثر من واحد من هذه التغييرات.

18 ـ **تنويـر:** واعلم أن ذا القوّة القويّة على النظم قد يوجد أبطأ في القول من ذي القوّة التي ليست متناهية، وذلك إذا قصد إبعاد الغاية في الرويّة والتنقيح فتطلّب المعاني الشريفة ونزع بها المنازع اللطيفة وجهد في إبرازها من العبارات في صور بديعة، فيحتاج في كلّ ذلك إلى تنقيب وفحص ويحتاج معها، في قليل

القول، إلى كثير الزمان. فأمّا إذا كان ذو القوّة الفائقة آخذًا في مثل نمط ذي القوّة القاصرة من الكلام فإنّ الأقوى قوّة منهما يُربي على الأضعف في سرعة القول، ويكون التفاوت بينهما في ذلك على قدر ما بينهما من التفاوت في القوّة. فربّما نظم الأقوى الثلاثين بيتا فما فوقها خلال ما ينظم الأضعف عشرة الأبيات فما دونها، بل قد يربي عليه إرباء أكثر من هذا.

19 ـ **إضاءة:** والعوَام، ومن جرى مجراهم ممّن لم يَحلَ من هذه الصناعة بطائل، يغلُط في هذا فينسبون سرعة الخاطر إلى الشاعر فيما لا يجب فيه أن ينسب إلى السرعة، وينسبون إليه الإبطاء فيما لا يجب فيه أن ينسب إليه بطء.

ومن هذا ما حكي من أنّ أبا العتاهية قال لشاعر كان قدم مع المأمون من خراسان: «في كم تصنع القصيدة؟». فقال له : «قد أصنع القصيدة تبلغ ثلاثين بيتا في شهر». فقال أبو العتاهية: «أمَا إنّي لأملي على الجارية من ليلتي خمسمائة بيت». فقال له الخراساني: «أمّا مثل قولك: [الهزج ـ ق ـ المتواتر]

ألا يا عتبة الساعهْ أموتُ الساعة الساعهْ

فإنّي أملي منه ألف بيت إذا شئت». فانقطع أبو العتاهية وضحك الحاضرون منه[309].

20 ـ **تنوير:** ويجب ألاّ يقتصر على ما للقوّة الناظمة من سليم الذوق **[79 ـ ب]** وما يصحّ فيه دون ما يصحّ في العروض، وألاّ ينظم الكلام إلاّ بحسب ما يصحّ فيهما معا ليكون كلامُه، مع كونه جاريا على أوضح طرق المناسبات، موافقا لكلام العرب في جميع ذلك.

---

309 ـ المرزباني، 255.
والبيت مروي برواية أخرى هي:
عُـتَيْـبَ الساعةَ السّاعهْ أموت السّاعةَ الساعهْ
المستطرف للأبشيهي 1: 69 ثم تكرّر الخبر عدّة مرّات بصور وروايات مختلفة 1: 257.

21 ـ **إضـاءة:** وأحوال كلّ واحدة من الطبقات الثلاثة المتقدّم ذكرها قد تختلف في السرعة في جميع ذلك والإبطاء بحسب ما تكون عليه الخواطر من نشاط أو كسل أو حال بين الحالين، وبحسب ما تكون عليه دواعي الأفكار إلى استعمال الأقاويل الشعرية وإنشائها والأسباب البواعث على ذلك من توفّر أو غير ذلك.

ج ـ معلم دالّ على طرق العلم بكيفيّة العمل في المرويّ والمرتجل.

ومآخذ القول في الارتجال قريبة سهلة لكون ضيق الوقت يمنع من بُعد المذهب في ذلك. ولا يخلو الارتجال من أن يكون مستقصًى فيه ما كان من صفات الشيء المقول فيها لائقا بغرض القول أو غيرَ مستقصى. وكلاهما لا يخلو من أن يكون مقرونا فيه بين المعاني المتعلّقة بالشيء الموصوف وبين معان أخر يكون لها به علقة ولها إليه نسبة على سبيل تشبيه أو إحالة أو تعليل أو تتميم أو غير ذلك ممّا يكون به بعض المعاني بسبب من بعض، أو تكون المعاني المتعلّقة بالشيء الموصوف غير مقترن بها شيء من المعاني.

فأقاويل البديهة إذن أربعة أنماط: ـ 1 ـ قول مستقصى مقترن، ـ 2 ـ ومستقصى غير مقترن، ـ 3 ـ ومقترن غير مستقصى، ـ 4 ـ وغير مستقصى ولا مقترن.

وأفضلها الأوّل وأدناها الآخر. فعلى أحد هذه الأربعة الأنحاء يتخيّل المرتجل ما يريد أن يقوله في وصف الشيء ثمّ يأخذ في نظم ذلك الشيء على النحو الذي تقدّم ذكره وعلى ما نقوله بعد إن شاء الله. ويتسامح في كثير ممّا يتأنّق فيه المروّي **[80 ـ أ]** ويقبل كثيراً ممّا لا يقبله المهذّب المنقّح لضيق الوقت عليه واتساعه على ذلك.

1 ـ **إضـاءة:** فأمّا الرويّة فإنّ المباحث فيها كثيرة والمذاهب فيها بعيدة لكون الزمان فيها يتّسع لطلب الغايات المستطاعة من بناء الكلام على ما قدّمتهُ من أصناف محاسن الألفاظ والمعاني وإبداع النظم والتأنّق في إحكام الأسلوب.

والذي يدخل في الرويّة من تلك الأنماط ثلاثة وهي: المستقصى المقترن والمقترن غير المستقصى والمستقصى غير المقترن.

والنمط الأوّل هو العريق في طريق الرويّة. وإذا حقّق القول وجد المستقصى المقترن قليل الوقوع في الارتجال. فأنماط الارتجال أيضاً كأنّها، إذا حقّقت ثلاثة. وهي ما عدا المستقصى المقترن.

2 ـ **تنوير:** وللشاعر المروّي في كلّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة أربعة مواطن للبحث: ـ 1 ـ موطن قبل الشروع في النّظم، ـ 2 ـ وموطن في حال الشروع، ـ 3 ـ وموطن عند الفراغ، يبحث فيه عمّا هو راجع إلى النظم، ـ 4 ـ وموطن بعد ذلك متراخ عن زمان القول يبحث فيه عن معان خارجة عمّا وقع في النظم لتكمل بها المعاني الواقعة في النظم وتُستوفى بها أركان الأغراض ويكمل التئام المقاصد.

فأمّا الموطن الأوّل فالغناء [فيه] لقوّة التخيّل.

والموطن الثاني الغناء فيه للقوّة الناظمة. ويُعينها حفظُ اللغة حسنُ التصرّف.

والموطن الثالث الغناء فيه للقوّة الملاحظة كُل نحو من الأنحاء التي يمكن أن يتغيّر الكلام إليها، ويعينُها حفظُ اللغة أيضاً وجودةُ التصرّف والبصيرةُ بطرق اعتبار بعض الألفاظ والمعاني من بعض.

والموطن الرابع الغناء فيه للقوّة المستقصية الملتفتة، ويعينها حفظُ المعاني والتواريخ وضروب المعارف.

3 ـ **إضاءة:** وبعد استقصاء وجوه المباحث في هذه المواطن الأربعة وكمال انتظام القصيدة المروّاة، قد يعرضها الناظمُ **[80 ـ ب]** على نفسه، فيظهر له بعرضها أمور كانت قد خفيت عنه من إلحاقات وإبدالات وتغييرات وحذف. وقد يعرض للشاعر موضع يرى أنّه خليق بالتغيير أو الزيادة فيتعذّر عليه ما يليق بالموضع

من التغيير أو الزيادة فيرجيء النظر فيه إلى وقت آخر. وقد يعاود النظر في ذلك المرار الكثيرة فلا يتيسّر له ما يريد إلاّ بعد معاودات كثيرة قد تطرأ عليه معاودة النظر (......)[310] إلى كتب القصيدة. وربّما كان غير ملتفت إلى إصلاح ذلك الخلل (......)[311] ونشأ مع فكره (......)[312]إعمال خاطر في ذلك. فيغتنم الفرصة إذْ ذاك في إصلاح ذا (......)[313]وشأن الخواطر في هذا عجيب.

4 ـ **تنوير:** ومن أصحاب الرويّة من يجهد في استجداد العبارات (......)[314]والتأنّق فيها من جهة الوضع والترتيب. ومنهم من لا يستجدّ ولا يتأنّق. ومنهم من يستجدّ العبارة دون المعنى أو المعنى دون العبارة، ومن يتأنّق في العبارة دون المعنى أو المعنى دون العبارة.

فأمّا من لا يستجدّ ولا يتأنّق فيه فليس يصدر عن مطبوع بروية.

وأعني بالاستجداد الجهد في ألاّ يواطيء من قبله في مجموع عبارة أو جملة معنى، وبالتأنّق طلب الغاية القصوى من الإبداع في وضع بعض أجزاء العبارات والمعاني من بعض وتحسين هيئات الكلام في جميع ذلك. فإنّ العبارة إذا استجدّت مادتها وتأنّق الناظم في تحسين الهيأة التأليفية فيها وقعت من النفوس أحسن موقع. وكذلك الحال في المعاني، فتأمّل ذلك.

د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بكيفيّة التصرّف في مقاصد الشعر وجهاته.

وجِهات الأقاويل الشعريّة هي ما يكون الكلام منوطا به من الأشياء المقصود وصفها أو الإخبار عنها. والجهات ضربان:

310 ـ بياض بالأصل مقدار خمس كلمات.
311 ـ بياض مقدار ثلاث كلمات.
312 ـ بياض مقدار كلمتين
313 ـ بياض مقدار كلمة.
314 ـ بياض مقدار كلمة.

ضرب يقع في الكلام **[81-أ]** مقصودا لنفسه. وهو ما كان له بالغرض المقول فيه علقة وله إليه انتساب بوجه يوجب ذكره.

والصنف الثاني ما لم يكن له بالغرض علقة، ولكن له علقة ببعض الجهات المتعلّقة بالغرض، فيذكر تابعا لما ذكر معتمدًا على جهة إحالة أو محاكاة أو غير ذلك، وقد يكون له بالغرض علقة إلاّ أنّه لم يذكر إلاّ من حيث ما هو تابع لغيره ومتعلّق به.

1 ـ **إضـاءة:** وكانت للأوائل عناية بتعليق الأوصاف بهذه الجهات الثواني. وذلك حيث يكون في قوّة الكلام أن يعود من الأوصاف المتعلّقة بالثواني ما يفيد مبالغة أو غير ذلك في الجهات الأول.

2 ـ **تنويـر:** واعلم أنّ الشعراء تتفاوت طبقاتهم في التصرّف في الجهات الأول، وتتفاوت في الجهات الثواني. والتفاوت في الثواني أكثر، لأنّ الجهات الأُول يمكن حصرها في كلّ فنّ، وأمّا الجهات الثواني فقلّما يتأتّى حصرها لكثرة ما يمكن أن يستطرد من الشيء إليه أو يحال به عليه أو يحاكى به أو يعلّق على الجملة به لنسبة في المعنى تقتضي ذلك.

فإذا كانت الجهة الواحدة من الأُول يمكن أن يناط بها جهات ثوان كثيرة على أنحاء من الاستدراج والاستطراد وما جرى مجرى ذلك من أنحاء الانتقالات المتنوّعة بتنوّع المقاصد، وكان كلّ نحو من ذلك ممكناً أن يذهب فيه إلى ضروب كثيرة من الهيئات الحاصلة عن الترتيب الذهني وعن النسب الواقعة بين بعض المعاني وبعض، صارت الصورُ الحاصلة عن جميع ذلك في تشفيع معاني الجهات الأول بمعاني الثواني وإردافها بها كثيرة التشعّب بعيدةً عن الحصر. وعِظَمُ التفاوت بين الشعراء في مقدار التصرّف في ذلك. وإذا كانوا يتفاوتون في مقدار التصرّف في الجهات الممكن حصرها فهم أجدر بالتفاوت فيما يبعد على الحصر.

3 ـ **إضـاءة:** فأمّا تصرّفهم في الجهات الأول فمنهم من يقتصر **[81-ب]** على الجهات الأكيدة في الغرض، ومنهم من يزيد إلى ذلك جهات هي أبعد من غرض

الكلام من الجهات المقتصر عليها، ومنهم من لا يستوفي جميع الجهات الأكيدة ويقتصر على ما تيسّر له منها. فهذا نوع من التصرّف.

4 ـ **تنوير:** وهناك تصرّف ثان. وهو مقدار ما يتصوّره الشاعر من معاني الجهة. والشعراء في ذلك ثلاث طبقات: منهم من في قوّته أن يستقصي معاني الجهة إذا شاء، ومنهم من لا يبلغ إلى الاستقصاء ويأتي من ذلك بمقدار كاف، ومنهم من يقصر عن المقدار الكافي.

5 ـ **إضاءة:** وهناك تصرّف ثالث. وهو ملاحظة ما في الجهة التي عدمت فيها صفات الحسن أو قلّت من الأوصاف التي يرى أنّها حسنة حقيقة أو تمويها، وملاحظة ما في الجهة التي عدمت فيها صفات القبح أوقلّت من الأوصاف التي يرى أنّها قبيحة حقيقة أو تمويها، يقصد بذلك تحسين القبح وتقبيح الحسن. ويتمكّن من هذا الغرض من حصل له التصرّف في الأول والتصرّف في الثواني والتصرّف في الجمع بين الأوَل والثواني.

6 ـ **تنوير:** والشعراء يختلفون أيضاً في هذا: فمنهم من يقوى على حشر ما يمكن أن يوصف به الشيء الحسن من صفة يرى أنّها قبيحة حقيقة أو تمويها، وما يمكن أن يوصف به القبيح من صفة يرى أنّها حسنة حقيقة أو تمويها، ومنهم من لا يتهدّى إلاّ إلى الشيء القليل من ذلك، ومنهم من يتوسط بين الطرفين.

وهذا النوع من المقاصد من مجالات الشعر الضيّقة. وكان أقوى الناس عارضة وأكثرهم تصرّفا في هذا ابن الرومي. واعتبر قوّته على ذلك بما قال في صفة السوداء في الشعر الذي يقول فيه: [المنسرح ـ ق ـ المتراكب]

أكسَبَها الحُبَّ أنّها صُبِغَتْ ... صِبْغَةَ حَبِّ القلوبِ والحَدَقِ[315]

315 ـ قصيدة البيت طويلة وقع التنبيه عليها، ولا توجد في القسم المطبوع من الديوان، [وظهر في ديوان ابن الرومي 4:1653 تحقيق حسين نصّار طبع الهيأة المصرية العامة للكتاب 1978، وهو من قصيدة بها سبعة وسبعون بيتا في مدح عبد الملك بن صالح الهاشمي، مطلعها:

تبارك الله خالق الكرم الْـ ... ـبارع من حمأة ومن علق]

انظر العبّاسي، (2)، ٢، 69.

وبما قال في النرجس والورد وبتحسينه التصابي في حال المشيب **[82 - أ]** بشعره الذي أوّله: [الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

لاح شيْـبي فظلْـتُ أمْـرحُ فيه مرَح الطِّرف في اللّجام المُحلَّى[316]

ونحو من ذلك حسنُ تصرّفه في الشعر الذي رثى فيه بعض القيان، وهو الذي يقول فيه: [المنسرح ـ ق ـ المتراكب]

سيشفـع الحـورُ فيـه أنّـكِ منْـ ـهنّ بـذاك الـدّلال والحـوَرِ[317]

7 ـ **إضـاءة:** والتصرّف في الثواني يتفاوت الشعراء فيه بحسب توفّر حظّ كلّ واحد منهم في القوى المتخيّلة والشاعرة بالمناسبات الواقعة بين بعض المعاني وبعض المتهديّة لأنحاء الانتقالات من الأول إلى الثواني والوجوه التي يكون بها بعضها من بعض بسبب من حيث كان تعليق المعنى الثاني بالأوّل إنّما يكون على هذه الأنحاء: فمنهم من حظّه أوفرُ الحظوظ من ذلك، ومنهم من حظّه أدنى الحظوظ، ومنهم وسط بين الطرفين.

8 ـ **تنويـر:** ومن الشعراء من يحسن القول في جهة واحدة ولا يحسن أن يردف قوله في جهة بقوله في جهة وأن ينتقل من إحداهما إلى الأخرى انتقالاً لطيفاً، ومنهم من يحسن إرداف الجهة بالجهة المناسبة لها ولا يحسن إردافها بما لا يناسبها فلا تتأتّى النقلة لذلك من إحداهما إلى الأخرى إلاّ بمآخذ في الانتقالات لطيفة ومنازع في الالتفاتات بديعة، ومنهم من يحسن إرداف الجهات بالجهات في جميع ذلك.

---

316 ـ يروى البيت بلفظ فرُحت بدل فظلْت والعذار بدل اللجام، وهو مطلع مقطوعة صغيرة في الشيب والشباب. **الديوان،** (1)، 26.

317 ـ [كان البيت من فرائد المنهاج، ثم ظهر في ديوان ابن الرومي، ج3 ص 924 من قصيدة طويلة بها 165 بيتًا مطلعها:

يا هـل من الحادثـات من وَزَرِ للخائـف المستجير أم عصِـرِ؟

والوزر والعصر بمعنى الملجأ. انظر العبّاسي، (2)، ٢، 69.]

وطبقات الشعراء، في الإحسان في كلّ ذلك، تتفاوت بحسب ما تكون عليه أفكارهم من التهدّي إلى ضروب الانتقالات وأنحاء الالتفاتات.

9 ـ **إضاءة:** وللشعراء مذاهب في ما يعتمدون إيقاعه في الجهات التي يعتمدون فيها القول من الأنحاء المستحسنة في الكلام كالأوصاف والتشبيهات والحكم والتواريخ. فقلّ ما يشذّ من مستحسن الكلام عن هذه الأنحاء الأربعة شيء.

فمنهم من تشتدّ عنايته بالأوصاف **[82 ـ ب]** كالبحتري، وبالتشبيه كابن المعتزّ، وبالأمثال كالمتنبّي، وبالتواريخ كابن درّاج القسطلّي.

ومنهم من يتوفّر قسطه من جميع ذلك كأبي تمّام، وإن كان غيرُه أشفّ منه في التشبيه والحكم.

ولابن الرومي في الإحاطة بالأوصاف والتشبيهات المجال المتّسع، وابنُ درّاج أيضاً في الأوصاف والتشبيهات متّسع المجال.

10 ـ **تنوير:** فأمّا الأوصاف فتقتبس من الجهات التي القول فيها. وأمّا التواريخ فتقتبس من غير الجهة التي فيها القول. وأمّا التشبيهات والحكم فتارة تقتبس من الجهة التي فيها القول وتارة تقتبس من جهة ثانية.

وأنا أذكر ما تتنوّع إليه هذه الأجناس الأربعة ذكرًا إجمالياً على سبيل الإشارة.

11 ـ **إضاءة:** أمّا الأوصاف فإنّها تتنوّع إلى وصف مطلق، وإضافيّ، وشرطيّ وفرضيّ. ولكل واحد منها مواضع يليق بها ولا يصلح فيها غيره. وقد تقدّم[318] التعريف بجملة من أحكام الأوصاف وكيفيات التصرّف فيها يمكن أن تعرف بها ما جرى مجراها. فكان ذلك مغنيا عن أنْ نشغل هذا الموضع بإعادة الكلام في ذلك.

---

318 ـ راجع جملة من أحكام الأوصاف تضمنها المعرف (و) المنهج الثالث لقسم المعاني 87 ـ 98.

12 ـ **تنويـر:** وأمّا التشبيهات فمنها ما يتعلّق الشبه فيه بالصور والخلق ومنها ما يتعلّق الشبه فيه بالأفعال والصفات. وكلا التشبيهين لا يخلو من أن يكون تشبيه الشيء فيه بما هو من نوعه أو بما هو من جنسه الأقرب أو بما هو من جنسه الأبعد أو بما ليس من جنسه.

وتشبيه الشيء بالشيء يكون بأن يتّفق معه في صفة تكون في أحدهما على حدّها في الآخر أو بنسبة منها أو في أكثر من صفة، فأمّا أن يتفق معه في جميع الصفات فلا يمكن، وإلاّ فكان يلزم، لو اتفق معه في جميع ذلك، أن يكون حقيقة هذا حقيقة ذلك من جميع الجهات وذلك غير ممكن.

وقد تقدّم التعريف بأنحاء التشبيهات وأحكامها وكيفيات التصرّف(319) فلا معنى **[83 ـ أ]** لإعادته أيضاً.

13 ـ **إضـاءة:** وأما التواريخ والقصص فإمّا أن تكون الإحالة فيها إحالة تذكرة أو إحالة محاكاة أو محاكاة أو مفاضلة أو إضراب أو إضافة، وقد تكون من جهات أُخَرَ غير هذه.

وقد تقدّمت الإشارة إلى جمل من الأمور التي بها يتسبّب إلى ذكر الأخبار الماضية والقصص السالفة فليتأمّل القول في ذلك هناك.(320)

14 ـ **تنويـر:** وأمّا الحكم والأمثال فإمّا أن تكون الأخبار فيها بجري الأمور على المعتاد فيها وإمّا بزوالها في وقت عن المعتاد على جهة الغرابة والندور أو الندور فقط لتوطّن النفوس بذلك على ما لا يمكنها التحرّز منه أو لا يحسن بها التحرّز من ذلك، ولتحذر ممّا يمكنها التحرّز منه ويحسن بها ذلك، ولترغب فيما يجب أن ترغب فيه وترهب ممّا يجب أن ترهبه، وليقرب عندها ما تستبعده ويبعد لديها ما تستقر به، ولِتَبينَ لها أسباب الأمور وجهات اتفاقات البديعة الاتّفاق منها.

---

319 ـ راجع 98 ـ 102.
320 ـ راجع لذلك 36، 92.

فهذه قوانين في الحكم والأمثال قلّما يشذّ عنها من جزئياتها شيء. وقد أجملت القول فيها إجمالاً، إذ لم يمكن تفصيله في هذا الموضع، إذ للكلام في تفريع الأمثال المترتّبة عن هذه الأصول الكليّات مجال متّسع. وجريتُ في ذلك على ما اعتمدته في جميع جهات الكلام والنظر في هذه القوانين الكليّة عن تتبّع جزئياتها.

هـ ـ معلم دالّ على طرق العلم بتحسين هيآت العبارات والتأنّق في اختيار موادها، وإجادة وضعها ورصفها.

والتهدّي إلى العبارات الحسنة يكون بأن تكون للشاعر قوّة يستولي فكره بها على جميع الجهات التي يستكمل حسن الكلام بالترامي به إلى **[83 ـ ب]** كلّ جهة منها والتباعد عن الجهات التي تضادها. وتلك الجهات هي اختيار المواد اللفظيّة أوّلا من جهة ما تحسن في ملافظ حروفها وانتظامها وصيغها ومقاديرها واجتناب ما يقبح في ذلك. وقد تقدّم[321]، واختيارها أيضاً من جهة ما يحسن منها بالنظر إلى الاستعمال وتجنّب ما يقبح بالنظر إلى ذلك واختيارها بحسب ما يحسن منها باعتبار طريق من الطرق العُرفيّة وتجنّب ما يقبح باعتبار ذلك.

1 ـ **إضاءة:** ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه. والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء: منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مترتّبة الترتيب الذي يقع فيه خفّة وتشاكل ما، ومنها ألاّ تتفاوت الكلم المؤتلفة في مقدار الاستعمال فتكون الواحدة في نهاية الابتذال والأخرى في نهاية الحوشيّة وقلّة الاستعمال، ومنها أن تتناسب بعض صفاتها مثل أن تكون إحداهما مشتقّة من الأخرى مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات أو تتماثل أوزان الكلم أو تتوازن مقاطعها، ومنها أن تكون كلّ كلمة قويّة الطلب لما يليها من الكلم أليق بها من كلّ ما يمكن أن يوضع موضعها.

321 ـ يظهر أن تفصيل ذلك كان في القسم الأول المفقود من هذا الكتاب.

2 ـ **تنويـر:** وقد تعدم هذه الصفات أو أكثرها من الكَلم وتكون مع ذلك متلائمة التأليف لا يُدرَى من أين وقع فيها التلاؤم ولا كيف وقع، ليس ذلك إلاّ لنسبة وتشاكل يعرض في التأليف لا يعبّر عن حقيقته ولا يعلم ما كنهه، إنّما ذلك مثل ما يقع بين بعض الألحان وبعض، وبعض الأصباغ وبعض، من النسبة والتشاكل ولا يدرى من أين وقع ذلك.

3 ـ **إضـاءة: [84 ـ أ]** ومن ذلك التسهّل في العبارات وترك التكلّف. والتسهّل يكون بأن تكون الكلم غير متوعّرة الملافظ والنقل من بعضها إلى بعض وأن يكون اللفظ طبقا للمعنى تابعا له جارية العبارة من جميع أنحائها على أوضح مناهج البيان والفصاحة. هذا إذا لم يكن المقصد إغماض المعاني. ومعرفة تفصيل هذا الإجمال تستفاد من أبواب قد قدّمتها[322].

والتكلّف يقع إمّا بتوعّر الملافظ أو ضعف تطالب الكلِم أو بزيادة ما لا يحتاج إليه أو نقص ما يحتاج، وإمّا بتقديم وتأخير، وإمّا بقلب، وإمّا بعدل صيغة عن صيغة هي أحقّ بالموضع منها، وإمّا بإبدال كلمة مكان كلمة هي أحسن موقعا في الكلام منها.

ومن هذا إبدال الضمير المخاطب من ضمير الغائب في مثل قول الشاعر[323]: [الطويل ـ ق ـ المتواتر]

فَتَـاتـانِ بالنَّجـم السعيـد وُلِـدْتُـما[324]

وقول المتنبّي: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

322 ـ راجع 152 ـ 155.

323 ـ هو عبد الله ابن قيس الرقيات.

324 ـ البيت ثاني بيتين أولهما:

فتاتان أمّا منهـما فشبيهـة الْـ ـهـلال وأخرى منها تشبه الشَّمسَا

وتمام الشاهد هنا: ولـم تلقيـا يومًا هوانـا ولا نحسـا

انظر الخفاجي، 101.

قــوم تفَرّســت المنايـا فيكُـمُ   فرأتْ لكمْ في الحرب صبرَ كـرام[325]

وإمّا بتكرار، وإمّا بالحيدة عن معنى تقصر العبارة عنه إلى معنى مؤدّ عن مثل تأديته تطول العبارة عنه.

4 ـ **تنويـر:** ومن ذلك إيثار حسن الوضع والمبنى وتجنّب ما يقبح من ذلك. فمن حسن الوضع اللفظي أن يؤاخى في الكلام بين كلم تتماثل في مواد لفظها أو في صيغها أو في مقاطعها فتحسن بذلك ديباجة الكلام. وربّما دلّ بذلك في بعض المواضع، أوّل الكلام على آخره. ومن ذلك وضع اللفظ إزاء اللفظ الذي بين معنييهما تقارب وتناظر من جهة ما لأحدهما إلى الآخر انتساب وله به علقة، وحمله عليه في الترتيب. فإنّ هذا الوضع، في تأليف الألفاظ، يزيد الكلام بيانا وحسن ديباجة واستدلالا بأوّله على آخره.

ومن قبح الوضع والتأليف أن تكون الألفاظ، مع عدم تراخيها، بعيدة أنحاء التطالب شتيتة النظم متخاذلا بعضها عن بعض كما قال:

[الخفيف ـ ق ـ المتواتر] **[84 ـ ب]**

لم يضِـرْها، والحمـدُ لله، شيءٌ   فانثنت نحوَ عزْف نفسٍ ذَهـولِ[326]

5 ـ **إضـاءة:** ومن ذلك ألاّ يزاد على قدر الحاجة من كلّ ما يستحسن وألاّ يجعل التمادي عليه سببا إلى السآمة له والغرض منه.

6 ـ **تنويـر:** وبقوّة التهدّي إلى العبارات الحسنة يجتمع في العبارات أن تكون مستعذبة جزلة ذات طلاوة. فالاستعذاب فيها بحسن المواد والصيغ والائتلاف والاستعمال المتوسّط. والطلاوة تكون بائتلاف الكلم من حروف صقيلة وتشاكل يقع في التأليف ربّما خفي سببه وقصّرت العبارة عنه. والجزالة تكون

---

325 ـ البيت من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها:

ذِكَــرُ الصبــا ومواقــعِ الآرامِ   جلبت حِمــامي قبل وقت حمــامي

انظر البرقوقي، (1)، ٢، 294.

326 ـ البيت يروى بالواو بدل الفاء في أول العجز، أورده الخفاجي، 91.

بشدّة التطالب بين كلمة وما يجاورها وبتقارب أنماط الكلم في الاستعمال. وسائرها يتعلّق بالألفاظ المفردة من الشروط المذكورة التي تطّرد الكلم بوجودها فيها أحسن اطّراد.

فهذه إشارة إلى ما يجب أن يتفقّده الناظم ويلتفت إليه، على قدر قوّته، من الجهات التي تحسن منها العبارات أو تقبح، قد أجملت الكلام فيها، وجعلتها كالإحالة على ما قدّمته، ممّا يتعلّق بالألفاظ وتأليفها في العبارات عن المعاني. فمن قابل هذا الإجمال بذلك التفصيل ظفر بالبغية والمراد إن شاء الله.

المنهج الثاني في الإبانة عن أنماط الأوزان في التناسب، والتنبيه على كيفيات مباني الكلام، وعلى القوافي وما يليق بكلّ وزن منها من الأغراض، والإشارة إلى طُرَفٍ من أحوال القوافي وكيفيّة بناء الكلام عليها، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنفوس أو منافرا لها.

[85 ـ أ] أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بمجاري الأوزان وأبنيتها وضروب تركيباتها ووضعها.

قد صحّ، بالاعتبارات البلاغيّة في تناسب المسموعات وتناسب انتظاماتها وترتيباتها وكون المناسبات الوزنية جزء يدخل تلك الجملة، أنّ الأوزان المستعملة الآن عند أهل النظم ـ ممّا ثبت استعمال العرب له وما شكّ في ثباته، وما لم يثبت أصلاً بل وضعه المحدثون قياسا على ما وضعته العرب ـ متركّبة من ثلاثة أصناف من الأجزاء: خماسيات وسباعيات وتساعيات، وإن لم يسلّم في هذا العروضيون. وليس يجب أن يلتفت إلى تسليمهم في ذلك ولا منازعتهم، فإنّهم فقراء إلى أن يقتبسوا تصحيح أصول صناعتهم من هذه الصناعة، فإنّ معرفة صناعتهم موقوفة على معرفة جهات التناسب في تأليف بعض المسموعات إلى بعض ووضع بعضها تالية لبعض أو موازية لها في الرتبة.

ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلاّ بالعلم الكلّي في ذلك وهو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كليّاته ضروب التناسب والوضع، فيعرف حال ما خفيت به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبار وتوجد طرقهم في جميع ذلك تترامى إلى جهة واحدة من اعتماد ما يلائم واجتناب ما ينافر.

1 ـ **إضـاءة:** ولنقل الآن مقالا مختصرًا في تعديد التركيبات والأبنية الوزنيّة التي يصوغ أهل النظم في هذا الزمان الكلام عليها ممّا ثبت وضعه عن العرب وما لم يثبت وما شكّ في ثباته.

[85 ـ ب] فنقول: إنّ الأوزان الشعريّة منها ما تركّب من أجزاء خماسيّة، ومنها ما تركّب من أجزاء سباعيّة، ومنها ما تركّب من أجزاء تساعيّة، ومنها ما تركّب من أجزاء خماسيّة وسباعيّة، ومنها ما تركّب من أجزاء سباعيّة وتساعيّة، ومنها ما تركّب من خماسيّة وسباعيّة وتساعيّة.

2 ـ **تنويـر:** فأمّا ما تركّب من الخماسيّة الساذجة، فالمتقارب. وبناء شطره على فَعولن مكرّرا أربعا، نحو قول أعشى همذان: [المتقارب ـ ق ـ المتواتر]

تــقـادَمَ عهـدُك أمَّ الحـلالِ[327]

3 ـ **إضـاءة:** وأمّا ما تركّب من السباعيّة الساذجة فإنّ الشطر فيها على ثلاثة أجزاء، وربّما حذفوا الثالث منها أو بعضه.

فمن ذلك الرجز، وبناء شطره من مستفعلن ثلاث مرات، نحو قول جرير: [الرجز ـ ق ـ المتدارك]

أقبَلْـن من ثَهـلانَ أو جَنْـبيْ خِـيَمْ[328]

ومنها الكامل، وبناء شطره على متفاعلن ثلاث مرات، نحو قول عنترة: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

طَـال الثـواءُ على رسـومِ المـنـزِل[329]

ومنها الوافر، وأصل بناء شطره على مفاعلتن ثلاثا إلاّ أنّ السبب حُذف من

327 ـ تمام البيت: فطاشت نبالك عند النضالِ
ويروى الصدر بلفظ ودك بدل عهدك وأم الجلال بدل الحلال. والبيت مطلع قصيدة لعبد الرحمن بن عبد الله الملقب بأعشى همدان قتله الحجّاج سنة 83 هـ.
الديوان، (2)، 338، [والأغاني 6:51].

328 ـ تمام البيت: على قلاص مثل خيطان السلم. والبيت مطلع قطعة ذات تسعة أشطر من هذا النوع المعروف في الرجز المصرّع وروايته تختلف في صدره عمّا في النص، وهي بلفظ: أقبلن من جنبي فتاخ وإضم. **الديوان**،520.

329 ـ تمام البيت: بين اللكيك وبين ذات الحرمل. والبيت مطلع قصيدة. **الديوان،** 177.

نهايتي شطريه وأُسكن ما قبله فبقي الجزء الثالث على فعولن، فصار تقدير الشطر: مفاعلتن، مفاعلتن، فعولن، نحو قول زهير: [الوافر ـ ق ـ المتواتر]

لِمَــنْ طلــلٌ برامــةَ لا يَريــمُ[330]

ومنها الرمل، وبناء شطره من فاعلاتن ثلاث مرات إلاّ أنّه التزم فيه حذف سبب من جزء العروض ـ والعروض هي الجزء الذي في نهاية الشطر الأوّل من البيت ـ فصار تقدير أشطاره الأُول: فاعلاتن، فاعلاتن، فاعلن، نحو قول نابغة بن شيبان: [الرمل ـ ق ـ المتدارك]

حَــلَّ قلــبي مِنْ سُليْمــَى نبَلُــها[331]

ومنها الهزج، وأصل بناء شطره مفاعيلن ثلاث مرات إلاّ أنّه التزم فيه حذف الجزء الثالث من كلا شطريه، فصار مجموع الوزن مربّعا وكلا شطريه مثنى على: مفاعيلن **[86 ـ أ]** مفاعيلن. كقول الشاعر: [الهزج ـ ق ـ المتواتر]

صفَحْنــا عــن بـني ذُهْــلٍ   وقُلــنا: القــومُ إخــوانُ[332]

4 ـ **تنويـر:** وأمّا ما تركّب من التساعيّة الساذجة فالخبب. وبناء شطره متَفاعلتن متفاعلتن مرتان هكذا كقول بعض الشعراء الأندلسيين:

[الخبب ـ ق ـ المتراكب]

---

330 ـ تمام البيت: عفا وخلاله حقب قديم. والبيت مطلع قصيدة له يمدح بها هرم بن سنان. الأعلم، 78.

331 ـ البيت مطلع قصيدة منسوبة بالأصل لأعشي شيبان وتمامه: إذ رمتني بسهام لم تَطِشْ. والصدر بلفظ خَلّ لا حل ومعناه: نفذ وثقب. **الأغاني** (3)،٧، 110.

332 ـ البيت مطلع قصيدة أوردها أبو تمام لسهل بن شيبان الزماني، المرزوقي، 1، 32.

والمعروف في العروض أن تفعيلات الخبب هي (فعِلن) أربع مرات ويدخله الإضمار أي تسكين الثاني المتحرّك فيصبح (فعْلن) والتفعيلتان اللتان ذكرهما حازم تساويان هذه الأربع وزحافهما يفضي إلى نفس النتيجة.

أمّلْـــتُ لقـــاءكِ في الحُـــلُمِ   فزَجَرْتُ العـــينَ فلـمْ تـــنَمِ[333]

ويدخله الإضمار فيصير متْـفاعلتُن في تقدير (...............)[334]

المتطرّف لوقوعه في (......)[335] فيصير إلى مفعولاتن. وعلى هذا يجب أن يُتأوّل التشعيث في الجميع لأنّ الوتد يصير، بخبن السبب الذي قبله، جزءً من فاصلة فيسكّن رأس الوتد تخفيفاً لأنّ الفواصل قد يستثقل توالي الحركات فيها. فهذا هو الرأي الصحيح في التشعيث. وبه أخذ من حقّق من العروضيين إذ لا معنى لقطع الأوتاد في الحشو[336]، لأنّ القَطْع في الأوتاد إنّما قصد به تنويع الضروب، وإنّما يكون ذلك في نهايات الأجزاء لا في صدورها. وهذا الوجه هو بعض الوجوه التي يتبيّن بها فساد رأي من جعل شطر الخبب مركّباً من (فاعلن) أربع مرّات، وزعم أنّ الخبن التُزم في جميع أجزائه وجاز فيها القطع. ولا يلتزم خبن ولا يجوز قطع إلاّ في عروض أو ضرب. وإنّما حملهم على هذا حرصهم على أن يجعلوا الخبب يساوق في ترتيب حركاته وسكناته المتقارب، فيكون نظام كلّ واحد منهما[337]، إذا وضعت له أشكال في الخطّ أو تصوّر في الذهن، ثم تأخّرت عن مبدإ ذلك النظام إلى أوّل جزء يلي الجزء الأوّل الذي هو مبدأ النظام، فبدأت بأوّل الجزء الثاني واستمررت على جميع النظام ووصلت بآخره الجزء الذي فاتك منه أوّلا، حصلت بذلك بنيةُ الوزن الآخر وهيأته. فيجعل العروضيُّون أحد العروضيْن بذلك منفكّا عن الآخر. وهذا من الأعراض الواقعة في الأوزان من غير قصد، إذ النظام **[86 - ب]** الذي يكون من أجزاء متماثلة إذا ابتدأت برأس أيّ وتد أو سبب منه، خرج لك وزن تامّ من أجزاء متماثلة، وإذ النظام الذي يكون من جزئين متغايرين يدخل أحدهما على الآخر إذا ابتدأت

---

333 ـ لم نعثر عليه في غير المنهاج.

334 ـ بياض مقدار ثلاث كلمات.

335 ـ بياض مقدار كلمة.

336 ـ في الأصل: الحشد.

337 ـ لعلّ صواب الجملة: فيكون نظامُ كلّ منهما واحداً.

برأس أيٍّ وتد أو سبب منه، خرج لك وزن متداخل من جزئين متغايرين، وإذ النظام الذي يكون شطره مؤتلفاً من ثلاثة أجزاء شفْع ووتْر ـ قدِّم الوتر أو وُسِّطَ أو أُخِّرَ ـ إذا ابتدأت برأس أيّ وتد أو سبب منه خرج لك وزن قد ترتّبت أجزاؤه شفْعا ووتْرا على واحد من الترتيبات الثلاثة. فنشأ من ذلك، في النظام المركّب، أجزاء خماسيّة متماثلة وزنان، وفي المركّب من جزئين متغايرين يعاقب أحدهما الآخر، خمسة أوزان، وفي المركّب شطره من جزئين متغايرين مكرّر أحدهما تسعة أوزان.

وتوجد بعض هذه الأوزان متلائمة خفيفة، وبعضها متنافرة ثقيلة. والتنافر والثقل يكون فيها لوجوه: منها أنْ تقع الأسباب الثقيلة والأوتاد المفروقة في نهايات الأجزاء التي هي مظان اعتمادات وتوقُّرات ومقاطع أنفاس، فيكون وقوع الحركات هنالك غير ملائم للنفوس وثقيلا عليها. وكذلك وقوع الفواصل في نهايات الشطور، فإنّه مستثقل وليس منافرًا.

ولذلك يحتمل وقوعها في المقدار القصير والمتوسّط نحو المقتضب والخبب. ولا يحتمل وقوعها في الطويل نحو الوافر، لا سيما، وقد تكرّرت في الوافر ثلاثا ولم تقع في الخبب إلاّ مرّتين. ومن تلك الوجوه التي يقع بها التنافر والثقل تشافع الأجزاء الطويلة في أوساط الأشطار ونهاياتها ووقوع الجزء المفرد صدرا، ومنها بناء الوزن على أجزاء كلّها يقع الثقيل في نهايته والخفيف في صدره، وذلك مثل أن يركّب شطر وزن على فاعلن أربع مرّات.

فلهذه الأسباب، وما جرى مجراها ممّا لا يتّسع لذكره هذا الموضع، اقتضى النظر **[87 ـ أ]** البلاغي أن يعدل بكثير من تقديرات الأوزان عمّا قدّر به العروضيون، إذ كانوا جهّالا بطرق التناسب والتنافر حتّى أنّهم جزّءوا كثيراً من الأوزان تجزئة وقعوا بها في حيّز الوضع المتنافر. فلذلك حقّقنا في كلّ وزن تجزئته المتناسبة، وجعلنا شطر الخبب مبنيا من جزئين تساعيين كلاهما مركّب

من سبب ثقيل ووتد مفروق ووتد مجموع[338]، إذ كانت القسمة تقتضي هذا الوضع اقتضاء ضروريّا إذ كان تركيب الأجزاء من الأسباب والأوتاد لا يخلو من أن يكون بضمّ سبب إلى وتد فيكون الجزء من ذلك خماسيا، أو بضمّ سببين إلى وتد فيكون الجزء من ذلك سباعيا، أو بضم سبب إلى وتدين فيكون الجزء من ذلك تساعيا. فباستقصاء هذه القسمة تهدى إلى وَضع عروض الخبب.

5 ـ **إضاءة:** وإذ قد تبيّن هذا فينبغي لمن طمحت به همّته إلى مرقاة البلاغة المعضودة بالأصول المنطقية والحكميّة ولم تسفف به إلى حضيض صناعات اللسان الجزئية المبنية أكثر آرائها على شفا درف هار ألاّ يعتقد في وزن من الأوزان أنّه مفتقر في وضعه إلى أن يُفَكَّ من نظام آخر، بل إنّما يستنبط الوزن باستقصاء ضروب تركيبات الأسباب والأوتاد واستقصاء ضروب ما يتركّب من الأجزاء المؤتلفة من تركيبات الأسباب والأوتاد، ثمّ يلزمه، بعد الوضع، أن يوجد وزن آخر أو أوزان سياقُ نظامها نظامه بأن تجعل مبدأها من رؤوس الأسباب والأوتاد متأخرا عن مبدئه على ما تقدّم. فلهذا وجب أن يعتقد أنّ هذه الانفكاكات التي لهذه الأعاريض من الدوائر أمور عارضة لا يفتقر في تصوّر ماهيات الأعاريض وحقائقها إليها، ولذلك لم يقل بها كثير من العروضيين. ومن أوردها فإنّما أوردها على أنّها مُلْحَةٌ عرضيّة لحقت الأوزان اتفاقا لا أنّها حقيقة بُنيت عليها الأعاريض وضعا واعتمادا. فلهذا يجب ألاّ يبلُغ الحرص بالمتأدّب **[87 ـ ب]** على أن يستقصي جميع ما ينفكّ من كلّ دائرة ويروم أن يردّ كثيراً من الأوزان إلى ذلك ولو بتجزئة متنافرة ثقيلة كما فعل ذلك العروضيون، بل يجب عليه أن يقدّر كلّ وزن بالتجزئة المتناسبة اللائقة به سواء وجد ذلك الوزن بتلك التجزئة مُنْفكا من بعض الدوائر التي قد وقعت فيها أوزان مستعملة أو وُجدَ أمّةً وحده غير منفكّ من وزن مستعمل أو منفكّ منه وزن مستعمل. فقد بيّنا أنّ أكثر الدوائر تنفكّ منها أوزان غير ملائمة ولا خفيفة. وهناك أيضاً دوائر

338 ـ مُتَـ/ فَـاعِ/ لَـتُـنْ.

أُخر لم يستعمل منها شيء. وهي عزيزة الإحصاء لكثرتها، إذ لكلّ تركيب من تركيبات الأسباب والأوتاد والأجزاء المركّبة منها دائرة تخصّه.

وضروب التركيبات كثيرة جدّاً، وإنّما استعملت العرب من جميع ذلك ما خفّ وتناسب وليس يوجد أصلا في ضروب التركيبات والوضع الذي للحركات والسكنات والأجزاء المؤتلفة من ذلك أفضلُ ممّا وضعته العرب من الأوزان. وإذا تصفّحت ما قلته في ترتيب الحركات والسكنات والمسموعات المستطابة من ضروب ترتيباتها في مواضع قد تقدّمت من هذا الكتاب، عرفت صحّة ذلك.

ولنرجع الآن إلى ما كنّا بسبيله من الإبانة عن ضروب التركيبات الوزنيّة.

6 ـ **تنوير:** فأمّا الأوزان المتركّبة من خماسية وسباعيّة فإنّ أصل بناء أشطارها على أربعة أجزاء. فمن ذلك الطويل، وشطره فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن، نحو: [الطويل ـ ق ـ المتواتر].

صحَا القلبُ عن سَلْمَى وقدْ كادَ لا يَسْلو(339)

إلاّ أنّهم التزموا حذف الخامس من جزء العروض وهو الجزء الرابع، فلا يثبتون الخامس الساكن إلاّ في التصريع المقابل لضرب تام، ويسقطونه في جميع الأعاريض الواقعة في تضاعيف القصيدة، حيث لا تصريع على الصفة المذكورة. وذلك كقول امرئ القيس: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وهلْ يَعِمَنْ إلاّ سَعيدٌ مُخَلَّدُ؟(340)

فتقدير جزء **[88 ـ أ]** العروض في هذا مفاعلن، بغير ياء، ويسمّى حذف هذا السّاكن الخامس القبض.

---

339 ـ تمام البيت: وأقفر من سلمى التعانيق فالثقْلُ، والبيت مطلع قصيدة لزهير بن أبي سلمى يمدح بها سنان بن أبي حارثة المري، آخره محرّف، بلفظ فليقل بدل فالثقل.
انظر الأعلم، 15، العسكري: **الصناعتين**، (2)، 447.

340 ـ عجز البيت: قليل الهموم ما يبيت بأوجال. والبيت تال مطلع القصيدة الشهيرة: ألاعم صباحاً. السندوبي، (3) 158.

ومنها البسيط. وشطره مربّع متداخل على نحو وضع الطويل، إلاّ أنّ السابع فيه يسبق الخامس[341] وذلك نحو قول النابغة: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

يــا دارَ مــيَّــةَ بالعليــاءِ فالسَّــنــد[342]

وكان أصل شطوره، مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن، إلاّ أنّهم التزموا الخبن، وهو حذف الثّاني السّاكن في فاعلن في جزأي العروض والضرب مع تصريع وغير تصريع.

ومنها المديد. وأصل بناء شطره على أربعة أجزاء إلاّ أنّهم التزموا حذف جزء من عروضه وجزء من ضربه، وهو فاعلن. فصار الشطر: فاعلاتن فاعلن فاعلاتن، نحو قول مهلهل: [المديـد ـ ق ـ المتواتـر]

يا لبَكْــرٍ، أنْـشِــروا لِــي كُــلَـيْــبًا[343]

ومنها المقتضب. وأصل بناء شطره: فاعلن مفاعلتن فاعلن مفاعلتن، إلاّ أنّ هذا ثقُل لكثرة الأوتاد فيه والأسباب الثقيلة وتكرّر الفاصلة ووقوعها في النهايات. وقد قدّمنا أنّ ذلك مستثقل. فلهذا لم يستعملوه إلاّ منصوفًا[344] أي محذوف النصف من كلّ شطر. فهذا هو الصحيح الذي يشهد به السماع والقياس والقوانين البلاغية في اعتبار تناسب التركيبات، إذ الدليل يقوم على أنّهم لم يوقعوا الوتد المفروق ولا السبب الثقيل في نهاية جزء خماسي ولا سباعي ولا فيما فوق ذلك، لأنّا قد ذكرنا أنّ قانونهم ألاّ يضعوا الثقيل في النهايات ولا سيما في أواخر الأجزاء التي هي مظان اعتمادات وتوقّرات وتقاطع أنفاس بوقفات خفيّة أو بيّنة عليهم أو روْمٍ لذلك وإيماء إليه، وأيضا فإنّ الزحافات لا

341 ـ [في الأصل: إلا أن الخامس فيه يسبق السابع وهو سهو من الناسخ].
342 ـ راجع 196، التع، 1.
343 ـ تمام البيت (يا لبكر أين أين الفرار؟) الأغاني، (3)، ٥، 52.
344 ـ يسمّى في العروض عادة مشطوراً.

تلتزم في غير تنويع الأعاريض والضروب، وقد لزم ذلك التجزئة التي قدّر بها أهل العروض المقتضب ووقع ذلك في حشوها فدلّ على فساد رأيهم، وأيضا فإنهم يلزمهم أن يقابلوا بفعولاتُ فاعلاتُ على أنها من وضع التماثل حيث كان هذَان الجزآن قد وضعا في صدر الشطر الأوّل وصدر الشطر الثاني **[88 ـ ب]** على أن يتساوقا في الزّمان على أن يتساويا في الترتيب.

وقد وضح في صناعة الموسيقى أنّ فعولات مضاد لفاعلات كما أنّ فعولن مضاد لفاعلن، لأنّ الوضع فيهما متخالف، حيث كان أحدهما مفتتحا بمتحرّك بعده ساكن ومختتما بساكن بعد متحرّكين، وكان الآخر مفتتحاً بمتحرّكين بعدهما ساكن ومختتماً بمتحرّك بعده ساكن. فكانا لذلك متضادّين. فكيف يوضع المتضادّان وضع المتماثلين في ترتيب يقصد به تناسبُ المسموع والتنظيرُ بين الأجزاء المتماثلة في الوضع وأن يجعل عمود اللحن؟!

فهذا ينبغي ألاّ يلتفت إلى ما وضعه أو غيّره العروضيون أو الرواة من الأبيات التي تدفعها المقاييس البلاغيّة والقوانين الموسيقية والأذواق الصحيحة في هذا الوزن وغيره، نحو ما غيّروه من قول القائل: [المقتضب ـ ق ـ المتراكب]

جاءنا مُبشِّرُنا بالبيان والنُّذُرِ[345]

فصيّروه، بتحريفهم وجهلهم بما يضمحلّ في أصول وضع الأوزان، إلى هذا التغيير الفاسد وهو:

أتانا مبشّرنا بالبيان والنُّذرِ

وذلك ليطرد لهم رأيهم الفاسد في ما أثبتوه من التراقب[346] الذي لا يصحّ ولا يثبت، إذ قد ظهر اضمحلاله في هذا الوزن واضمحلال التجزئة التي توجد

345 ـ ورد البيت لدى العروضيين في شواهد المقتضب. الدماميني 80، فان ديك، 59 [وهو في الأصل: جانا].

346 ـ التراقب: وقوع الزحاف في: مفعولات إما بالطي أي حذف الفاء، أو بالخبن أي حذف الواو ولا يجتمع الزحافات بل يتراقبان فيها.

فيها الأسباب مهيئة لإمكان وقوع ذلك فيها لولا أنّه شيء لا معنى له إلاّ إفساد الوزن والإخلال بوضعه والخروج به عن الوضع الملائم إلى الوضع المنافر بالجملة.

7 ـ **إضـاءة:** فأمّا المتركّبة من السباعات المتغايرة فبناء أشطارها على ثلاثة أجزاء: مزدوجان ومفردة.

فمن ذلك ما تأخّر في بنائه المفرد كالسريع، وتجزئته الصحيحة التي تشهد بها القوانين البلاغية: مستفعلن مستفعلن فاعلان، نحو قول حسان:

[السريع ـ ق ـ المترادف]

ما هاج حسّانَ ربوعُ المقام ومظعنُ الحيّ ومبنى الخيامْ[347]

ودعوى العروضيين أنّ نظامه مأخوذ من دائرة المنسرج باطلة **[89 ـ أ]** للوجوه التي تقدّم ذكرها.

وليس الجزء الواقع نهاية كلا الشطرين من هذا الوزن بمحذوف من غيره ولا مغيّر من سواه وإنّما هو مركّب من سبب خفيف ووتد مجموع متضاعف لأنّ الأرجل التي تتركّب منها أجزاء جميع الأوزان ستّة أصناف:

1 ـ سبب ثقيل وهو متحركان نحو: بِمَ، لكَ، ـ 2 ـ وسبب خفيف وهو متحرّك بعده ساكن نحو منْ، عنْ، ـ 3 ـ وسبب متوالٍ وهو متحرك يتوالى بعده ساكنان نحو قالْ بتسكين اللام، ـ 4 ووتد مفروق وهو متحرّكان بينهما ساكن نحو كيْف، أين، ـ 5 ـ ووتد مجموع وهو متحرّكان بعدهما ساكن نحو لَقَدْ، ـ 6 ـ ووتد متضاعف وهو متحرّكان بعدهما ساكنان نحو مَقالْ بتسكين اللام.

347 ـ في الأصل «ربوع المغاني» وفيه خطأ يختلّ به الوزن ويخرجه عن البحر السريع، وقد اخترنا رواية الديوان لموافقتها الوزن الذي ذكره حازم، وللتصريع الذي يتماشى مع هذا الضرب والرويّ الساكنين، **الديوان**:90. وانظر ديوان حسان بن ثابت 106:1 تحقيق د. وليد عرفات. طبعة دار صادر بيروت سنة 1974م.

فالسبب الثقيل والوتد المفروق لا يقع في نهاية جزء، وإنّما يقعان في صدور الأجزاء وتضاعيفها. والسبب والمتوالي والوتد المتضاعف لا يقعان إلاّ في نهايات الضروب والأعاريض المصرّعة. والسبب الخفيف والوتد المجموع هما اللذان يقعان من صدور الأجزاء وأوساطها وأعجازها كلّ موقع.

8 ـ **[تنويـر]**[348]: ويجب أن تعلم أنّ العرب استقصت القسمة في تركيب المقارنة بني بعض هذه الأرجل وبعض ووضعها في أوزان أخر غير متقارنة فاعتمدت من ذلك في كلّ وزن ما كان مناسباً للوضع الخاصّ به. فبنوا أكثر الأعاريض من أكثر هذه الأرجل تصرّفا، وهي الأسباب الخفيفة والأوتاد المجموعة:

فمِمّا بنوه على ذلك من الأعاريض: الطويل والبسيط والمديد والمتقارب والرجز والهزج والرمل.

وممّا بنوه من الأسباب الثقيلة والخفيفة والأوتاد المجموعة: الوافر والكامل. وممّا بنوه من الأسباب الثقيلة والأوتاد المجموعة والمفروقة: الخبب. وممّا بنوه من الأسباب الثقيلة والخفيفة والأوتاد المجموعة والمفروقة: المقتضب، على ما بيّناه قبل.

وممّا بني على الأسباب الخفيفة والأوتاد المجموعة والمفروقة والمضاعفة الضرب الأوّل من المجتثّ. وقد غاب عن العروضيين كونه من المجتثّ وجعلوه ضرباً ثالثاً من البسيط وقدّروا شطر الضرب منه: **[89 ـ ب]** مستفعلن فاعلن مستفعلان، ومقاييس البلاغة تقتضي أن يكون تقديره: (مستفعلن فاعلاتن فاعلان)[349]، لوجوه يطول ذكرها. منها: أنّ زيادة المدّة في مستفعلان في البسيط لا معنى لها، ومنها أنّ التجزئة التي قدّروا بها المجتثّ ـ وهي أن

348 ـ هذا العنوان أضفناه إلى الأصل لطول الإضاءة ووجود ما يقتضيه بعده.
349 ـ هذان التقديران متساويان في المجتث.

يكون أصل شطره: (مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن[350] ـ خارجة عن القوانين التي اعتمدتها العرب في تركيب أوزانها، فإنّهم لم يضاعفوا جزءً سباعيّا في ما يلي نهايات الأشطار لما قدّمناه من استثقال ذلك. وإنّما وقع لهم مضاعفا في النهايات وما يليها الخماسي لأنّه أخفّ، نحو العروض المجزأة المحذوفة من المديد وتقديرها: فاعلاتن فاعلن فاعلن. فلهذا جعلنا نحن تقدير شطر الضرب الأوّل من المجتثّ: مستفعلن فاعلاتن فاعلان. فيكون تركيبه على هذا من جزء مفرد وجزأين متضارعين وقع أخفّهما في النهاية. وهذا النحو من الوضع من جملة التركيبات المتناسبة. وهناك ضروب جعلوها من مقصّرات البسيط، ويمكن أن تردّ إلى هذا، وهي به أليق لأنّ مجاريها أوفق بمجاريه لأنّ الخبن في فاعلن من البسيط يحسُن مالا يحسُن في تلك المقصّرات، فلهذا كانت أنسب إلى المجتثّ. وأيضا فإنّ الطويل والبسيط عروضان فاقا الأعاريض في الشرف والحسن وكثرة وجوه التناسب وحسن الوضع، فإذا أزيل عنهما بعض أجزائهما ذهب الوضع الذي به حَسُنَ التركيب وتناهى في التناسب فلم يوجد لمقصّراتهما طيب لذلك. وغيرهما من الأعاريض قد يوجد في مقصّراته ما يكون أطيب منه. فلمّا كانت مقصّرات الطويل والبسيط تنحطّ عن درجة الوزن التامّ في ذلك انحطاط متفاوتا كان لإهمال تلك المقصرات وجه من النظر إذ كانت الأوزان التامة كالآباء وهذه المقصّرات المقتضبة كالأبناء. وإذا لم يلد الكريم كريما كان أحسن **[90 ـ أ]** له أن لا يلد. لكنّ الناس قد نسبوا الوزن الذي صلح عندنا أن يكون ضرباً ثانياً من المجتثّ إلى البسيط، فلنسامحهم في ذلك. وحكم مخلّع البسيط الذي تجيء نهاياته على مثال مفعولن هذا الحكم. وكلاهما صالح أن ينسب إلى المجتثّ.

350 ـ [التقديران متساويان في الضرب الثالث من البسيط المجزوء والذي لا نكاد نجده في الشعر].

فـأمّا الوزن المضارع[351] لهذا المخلّع وهو الذي اعتمد المحدثون إجراء نهاياته على مثال فعولن، فليس راجعا إلى واحد من هذه الأوزان. وإنّما هو عروض قائم بنفسه مركّب شطره من جزأين تُساعيين على نحو تركيب الخبب وتقديره: مستفعلاتن مستفعلاتن، وكأنّهم يلتزمون حذف السين من الجزء الثاني لأنّ السواكن في كلّ وزن إذا توالى منها أربعة ليس بين كلّ ساكن منها وساكن إلاّ حركة تأكّد حذف الساكن الثالث وحسن الوزن بذلك حسنًا كثيرًا.

فممّا ورد من ذلك محذوف الساكن قول عليّ بن الجهم:

مخلّع البسيط ـ ق ـ المتواتر

بِسـرَّ مـن رَا إمَـامُ عَـدْلٍ   تَـغْـرِفُ مـنْ جُـودِهِ البِحَار
لـم تأتِ منـه اليمـينُ شـيئًا   إلاّ أتَـتْ مثـلَـهُ اليَـسَـارُ[352]

وممّا جاء على أصل الوزن قول بعض الأندلسيين: [اللاحق ـ ق ـ المتواتر]

وحَـيٍّ عَـنّي إن فـزت حـيّا   أمـضى مواضيهُم الجفـونُ[353]

وقول أبي بكر بن مُجْبَر: مخلع البسيط ـ ق ـ المتواتر

إنْ سـلّ سيفـا بناظـريْـهِ   [لـم تـرَ فينـا إلاّ قتيـلا][354]

فمثل هذه النون من قوله «إن فزت» مقبولة في الذوق، وإن كان حذفها أخفّ. فواجب أن تجعل تجزئة الوزن بحسب ما وجد مقبولا فيه لتسلم أقاويل

351 ـ المضارع هنا بمعنى المشابه لا اسم البحر المضارع.
352 ـ البيتان من قطعة في مدح المتوكّل، ذات خمسة أبيات، أولها البيت الأول وآخرها البيت الثاني في الأصل. **الديوان**:139.
353 ـ لم نعثر عليه في غير المنهاج.
354 ـ لم نعثر عليه في غير المنهاج.

كثير ممّن يوثق بصحّة ذوقه من الكسر، لأنّه كالمستحيل عليهم. فإنّ طباعهم لا تقبل ذلك إلاّ وله وجه. وليس يمكن أن يقع هذا الساكن في مثل قوله[355].

[مخلع البسيط ـ ق ـ المتواتر]

أقــفــر من أهلـــه ملـحـــوبُ[356].

لأنّ اجتماعها مع اللام في قوله (ملحوب) لا يقبله الذوق إذا كانت السواكن في ذلك الوزن الذي لا يثبت فيه مثل اللام الساكنة في (ملحوب) قد تناهت في الكثرة، فكانت أربعَ أخماس المتحرّكات. ولا يمكن **[90 ـ ب]** أن تكون نسبة السواكن من المتحرّكات أكثر من هذا. فلهذا اقتضى النظر البلاغي أن يجعل وزنا برأسه. وليس أخذ هذا الوزن عن العرب يثبت بل هو مثل الخبب في ذلك.

9 ـ **إضــاءة:** وقد قصدوا أيضاً في بعض مقصّرات الأوزان أن يوقعوا فيها من اقترانات الأسباب والأو[تاد] ما لم يوقعوه في مطوّلاتها.

فمن ذلك اقتران السببين: الثقيل والخفيف والوتد المجموع والمضاعف في الضرب السادس من الكامل. وهو الذي آخر أجزائه متفاعلان، واقتران الوتد المجموع والسبب الخفيف والسبب المتوالي في الرمل في الضرب الذي آخر أجزائه. فاعلتان[357].

---

355 ـ هو عبيد بن الأبرص الأسدي.

356 ـ تمام البيت فالقطبيات فالذنوب. وهو مطلع معلقته. الزوزني، 207. وانظر **المنهاج** 257 تع1. [وانظر شرح القصائد العشر للتبريزي ضبط وتصحيح عبد السلام الحوفي دار الكتب العلمية بيروت 1407هـ1987م ص 365 ت375.]

357 ـ [في الأصل «فاعليان»، وهو خطأ من الناسخ إذ ليس هذا من ضروب الرمل ولا من أعاريضه، والصواب ما أثبتناه، ولعله الوتد المفرد].

10 ـ **تنويـر:** ولنرجع إلى ما كنّا شرعنا فيه من الكلام في الأوزان المتركّبة من السباعيات المتغايرة فنقول: إنّ عروض السريع وعروض كلّ وزن كانت غاية ضربه سببا متوالياً أو وتدًا متضاعفًا بأن تردّ السبب والوتد إلى أصليهما بحذف الساكن الأخير من كليهما.

11 ـ **إضـاءة:** ومن تركيب السباعيات المتغايرة ما يتوسّط فيه المفرد ويتطرّف الجزءان المتماثلان كالخفيف، وتقدير كلا شطريه: فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن. نحو قول أبي دهبل: [الخفيف ـ ق ـ المترادف]

صـاح حيّ الإلَهُ أهـلا ودارا   عند أصـل القناة من جـيرون[358]

فأمّا ما يتقدّم فيه المفرد على مزدوجين فمهمل في أوزان العرب، لأنّ الجزأين المتكرّرين أثقل من المفرد. فالصدر أولى بهما على قياساتهم، وتصدير الأشطار أيضاً بما يظهر فيه التناسب أولى من تصديرها بما لا يظهر فيه تناسب. ولهذا ولاعتبارات أُخَرَ أيضاً أهملوا هذا الضرب من الأبنية الوزنيّة.

وقد وضع بعض الشعراء الأندلسيين على هذا البناء وزنا إلاّ أنّه جعل الجزأين المزدوجين خماسيين فرارا من الثقل الواقع بتشافع السباعيين في النهاية، فكان التشافع في ذلك الوضع أخفّ في الخماسي **[91 - أ]** وذلك قوله:

[وزن جديد ـ ق ـ المتدارك]

---

358 ـ [أول قطعة بها اثنا عشر بيتا في ترجمة أخبار أبي دهبل ونسبه، وقبلها بأربع صفحات قطعة بها عشرة أبيات من هذه القصيدة وهما من قصيدة واحدة مطلعها:

طال ليلي وبِتُّ كالمحزون   ومللت الثواء في «جيرون»

ولهذه القصيدة قصة طريفة مع الشاعر ومعاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد والفتاة المتغزل بها وهي ابنة معاوية تزوجها في خبر طريف شبه أسطروي وقد أنكر الشاعر نسبة الشعر إليه عند لقائه بمعاوية خوفا من العقاب، وقد ذكر أبو الفرج ذلك في أكثر من موضع من ترجمة الشاعر، والبيت في الأصل «صاح حيَّا الإله أهلاً ودارا».

الأغاني ٧، 124 وانظر طبعة دار الثقافة والدار التونسية للنشر 7:120 سنة 1983.]

أَقْصَــرَ عـــن لَــوْمِيَ اللاَّئـــمُ لـــمّـا دَرَى أنّـــنِي هـائـــمُ[359]

تقدير شطره: مستفعلن فاعلن فاعلن.

وقد تقدّم أنّ من مقصّرات المديد ما يصير إلى هذا الوضع أعني الوضع الذي يصدّر الشطر فيه بالجزء المفرد ويعقّب بالجزأين المتشافعين[360].

12 ـ **تنويـر:** فأمّا المتركّب من سباعيّ وتساعيّ فهو من وضع المتأخّرين من شعراء المشرق. جعلوا الجزء المفرد فيه تساعيًا والمتشافعين سباعيين، فقدّموا التساعي وتلوه بما يناسبه من السباعيات، وجعلوا الجزء الثاني من السباعيين في أكثر استعمال ـ وهو المستطاب في الذوق والأحسن في الوضع ـ ينقص عن الأوّل ليكون كلّ واحد من الأجزاء أخفّ ممّا قبله. وتحرّوا في ذلك أن يكون كلّ جزء مناسبا لما قبله، وذلك هو الوزن الذي يسمّونه (الدبيتي) وشطره المستعمل: مستفعلتن مستفعلن مفتعلن، نحو قول القائل:

[الدبيتي ـ ق ـ المتراكب]

هذَا وَلَهي، وقد كتمتُ الوَلَها صَونا لحَديث مَنْ هَوَى النّفسِ لَهَا

يــا آخــر محنتي ويــا أوّلَــهَــا أيّــامُ عَنَائي فيك ما أطْـولها![361]

وقد يجيء الجزء الأخير على مستفعلن، وهو الأصل، ولكن في الأقل. ويستعمل أيضاً مقطوعا فيصير مستفعلن إلى مفعولن نحو قول بعضهم:

---

359 ـ البيت مطلع قصيدة تتكون من خمسة عشر بيتا على بحر غير خليلي للشاعر الأندلسي محمد بن سليمان الرّعيْني المعروف بابن الحنّاط الضرير أرسلها، ضمن رسالة، إلى الوزير ابن ذكوان يتحدّى بها ابن شُهيْد، وقدمها بقوله: (أنشدها أخاك اللّشّهيدي، وكلفه، على العروض والقافية، معارضتها، وحمّله، على اللين والشدّة، مقارضتها، فستوقد قلبه قبسا، وتضرب في أذنه جرسا، فيتبيّن به حظّه، ويعرف لغيره فضله). «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام مج1 قسم 1 ص440ـ441 تحقيق د. إحسان عباس ـــ الدار العربية للكتاب ليبيا / تونس 1395هـ 1975م.

360 ـ من ضروب المديد: «فاعلاتن فاعلن فاعلن»] انظر أعلاه، 212.

361 ـ المدهش لابن الجوزي 408 والتفعيلات التي ذكرها حازم فيها ساكن زائد وهو السين من مستفعلن، وقد شاع وزن الدوبيت بين العروضيين استعمال التفعيلات التالية: (فعْلن متفاعلن فعولن فعلن) بتحريك عين التفعيلة الأخيرة أو بتسكينها. ولم نعثر على اسم قائله ومكانه.

[الدبيتي ـ ق ـ المتواتر]

ما أشْوَقَــني إلَى نسيـمِ الرّنْــدِ يَشْفِي كَمَــدي، إذَا أتَى من نَجــدْ[362]

ويُسكّنون[363] الفاصلة التي في الجزء الأوّل فيصير مستفعلتن إلى مفعولاتن، [الدبيتي ـ ق ـ المتواتر]

شـوقي شـوقِي بـــه ووَجْـدي وَجْـدِي[364]

13 ـ **إضـاءة:** فأما المتركّب من خماسيّ وسباعيّ وتساعيّ فبنته العرب على أن تكون النقلة فيه من الأثقل إلى الأخفّ ومن الجزء إلى ما يناسبه فبدأوا بالتساعيّ وتلوه بسباعيّ يناسبه وتلوه بخماسيّ يناسب السباعيّ، والتزموا الخبن في الضرب وهو جزء القافية. وهذا الوزن هو المنسرح.

وبناء **[91 ـ ب]** شطره: مستفعلاتن مستفعلن فاعلن[365] والخبن في فاعلن في العروض أحسن.

14 ـ **تنويـر:** فالأوزان التي ثبت وضعها عن العرب أربعة عشر وزنا، وهو: الطويل، والبسيط، والمديد، والوافر، والكامل، والرجز، والرمل، والهزج، والمنسرح، والخفيف، والسريع، والمتقارب، والمقتضب، والمجتثّ. وإن كان المقتضب والمجتثّ ليس لهما تلك الشهرة في كلامهم.

والذي يشكّ في وضع العرب له الخبب.

---

362 ـ لم نعثر عليه في غير المنهاج.

363 ـ في الأصل: (ويشعثون الفاصلة) والتشعيث علة غير لازمة، وهو حذف إحدى حركتي الوتد المجموع، ويقع في ضروب الخفيف والمجتث والمتدارك ويجري مجرى الزحاف.

364 ـ لم نعثر عليه في غير **المنهاج**.

365 ـ [المعروف في العروض أن تفعيلات المنسرح هي : (مستفعلن مفعولات مستفعلن) حسب الدائرة العروضية، وتقع فيها، عند الاستعمال في الشعر، زحافات تعرف عند دراسته، والتفعيلات التي ذكرها حازم تساوي التي يذكرها العروضيون].

والذي لم يثبت للعرب أصلا به هو من وضع المحْدَثين الوزن الذي يسمّى الدبيتي، ولا بأس بالعمل عليه، فانّه مستطرف ووضعه متناسب.

15 ـ **إضـاءة:** فأمّا الوزن الذي سمّوه المضارع، فما أرى أنّ شيئا من الاختلاق على العرب أحقّ بالتكذيب والردّ منه، لأنّ طباع العرب كانت أفضل من أن يكون هذا الوزن من نتاجها. وما أراه أنتجه إلاّ شعبة من برسام خطرت[366] على فكر من وضعه قياسا. فيا ليته لم يضعه ولم يدنّس أوزان العرب بذكره معها، فإنّه أسخف وزن سمع، فلا سبيل إلى قبوله ولا العمل عليه أصلاً.

16 ـ **تنويـر:** فعلى ما قدّمته من ضروب تقادير التجزئة في الأوزان العربيّة والملحقة بها والمشكوك في كونها عربيّة أو ملحقة يجب أن يعتمد، فإنّ استيفاء قسمة الوضع المتناسب في الأوزان يقتضي أن تكون تقديرات هذه الأوزان على النحو الذي ذكرته وأن تكون تجزئتها على الصفة التي قدّمتُها.

فمن كان له أدنى بصيرة لم يتخالجه الشكّ في أنّ الصحيح ما ذكرته لاستناد ما قلته إلى علم اللسان الكلّي الذي لا تُتَبيّن أصول علوم اللسان الجزئيّة ومباديه إلا فيه، ولكون علم اللسان الكلّي منشأ على أصول منطقية وآراء فلسفية موسيقية وغير ذلك. فلذلك كان كلامنا في ذلك أهلا لأن يوثق به ويُركَن إليه.

17 ـ **إضـاءة:** وأكثر **[92 - أ]** الأوزان التي ذكرتها تتنوّع أعاريضها وضروبها. وذلك إمّا أن يكون بحذف جزء برأسه، أو بحذف ساكن من وتد أو سبب متطرّف في جزء العروض أو الضرب وإسكان ما قبله، أو بحذف ساكن ضوعف به سبب أو وتد، أو بحذف الوتد أو السبب رأسا، أو بإسكان ما قبل الوتد أو السبب بعد حذفه، أو بالتزام بعض الزحافات في جزأي العروض والضرب، أو بزيادة سبب

366 ـ انظر زيادة تأكيد هذا المعنى، آخر التنوير رقم 4، وفي الأصل «شعبة بن برسام» (انظر «برسم» في معجم المصطلحات والألفاظ الغريبة).

على جزء الضرب ويسمّى ذلك ترفيلا، أو بزيادة ساكن مصوّت قبل آخر حرف من جزء الضرب ويسمّى ذلك إسباغاً وإذالة[367].

18 ـ **تنوير:** ووقوع هذه العلل والتغايير في عروض عروض وضرب وضرب من أعاريض الأوزان التي قدّمت ذكرها وضروبها على التفصيل يعرفها من تلقاء نفسه من له ذوق صحيح وحصَل له قسطٌ مقنع من الاستقراء وشدَا مع ذلك شيئا من هذه الصناعة. ومن لم يكن له ذوق، ولا استقراء الأوزان فليتولّ عرفان ذلك من الكتب المؤلّفة في العروض. فإنّهم حصروا عامّة ما نوّعت العرب إليه نهايات الأشطار من أبنية أوزانها من الأعاريض والضروب.

فإنّ هذه الصناعة لا يليق بها أن تخرج إلى محض صناعات اللسان الجزئيّة، وأن تستقصى فيها تفاصيل تلك الصناعات. وإنّما نتكلّم من ذلك في ما له عِلْقَةُ بصناعة البلاغة أو في ما عسى المتكلّم في هذه الصناعة أن يستطرد إليه من ذلك. وأكثر ما يتكلّم البليغ أيضاً من ذلك في قوانين كليّة يمكن أن تستنبط منها أشياء في صناعات اللسان الجزئية. فلهذا، وكّلنا ذكر ما وقع من تغيير في عروض عروض وضرب ضرب من وزن وزن لصاحب صناعة العروض. فليتصفّح هنالك، وبالله التوفيق.

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما وقع في أوزان العرب من ضروب التركيبات [92 ـ ب] المتلائمة، وأنواع الترتيبات المتناسبة، وما لوحظ فيها ممّا حسن عندهم أن يهيّئوها بهيئته، وبمقدار ما أوقعوه في وزن وزن من ذلك.

لَمَّا كان جميع ما يدركه الإنسان لا يخلو من أن يكون شيئاً بسيطاً لا تنوّع فيه أصلاً أو يكون له تنوّع من جهة ما يكون من الأشياء المركّبة، وكانت شيمةُ

367 ـ الترفيل: زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع مثل فاعلن تصير فاعلاتن.
والتسبيغ: زيادة ساكن على ما آخوه سبب خفيف مثل فاعلاتن تصير فاعلاتانْ.
والتذييل: زيادة ساكن على ما آخره وتد مجموع مثل مستفعلن تصير مستفعلانْ.

النفس التي جُبلت عليها حبَّ النقلة من الأشياء التي لها بها استمتاع إلى بعض، كانت جديرةً أن تسأم التمادي على الشيء البسيط الذي لا تنوّع فيه بنقلها من شيء إلى شيء ما لا تسأم الشيء الذي له تنوّع يمكنها معه المراوحة بين تأمل الشيء وتأمّل غيره ممّا يكون تنوّع ذلك الشيء إليه، وإن كانت أيضاً تحبُّ النقلة من الشيء المتنوّع إلى غيره من التنوّعات لكنّها تحتمل من التمادي عليه ما لا تحتمل من التمادي على ما لا تنوّعَ له أصلاً.

1 ـ **إضـاءة:** وكلّما وردت أنواع الشيء وضروبه مترتّبة على نظام متشاكل وتأليف متناسب كان ذلك أدعى لتعجيب النفس وإيلاعها بالاستمتاع من الشيء، ووقع منها الموقع الذي ترتاح له.

فلهذا كانت المتحرّكات والسواكن إذا ركّبت منها أجزاء أُول، أعني أنّها في أوّل تركيب إذ لا تنحلّ إلاّ إلى جزءين بسيطين أو إلى بسيط ومركّب في أدْنى تركيب ـ وهذه هي الأسباب والأوتاد ـ ثمّ ألّف من ضمّ بعض تلك الأجزاء إلى بعض على الأنحاء المتناسبة ثمّ وضعت في مقادير من المسموعات، تحتمل منها: أربعة أجزاء: خماسيّة أو خماسيين وسباعيين، أو ثلاثة أجزاء سباعيّة أو سباعيين وسداسيّا أو تساعيّا وسباعيين أو تساعيّا و سباعيا وخماسيّا، أو جزءين ثمانيين، أو تساعيين. ونُسق في **[93 - أ]** ذلك بعض المتماثلات على بعض أو قورن بين الجزء وما يضارعه على نحوين من الوضع:

ـ 1 ـ أحدهما أن يضاعف كلاهما ويراوح بينهما في الوضع فيرد أحدهما أبدا عقب الأخر، فتكون لأحدهما المراتب الأفراد أبدا، مثل أن يقع أوّلاً وثالثاً وخامساً وسابعاً، وتكون للآخر المراتب الأزواج بأن يقع ثانياً ورابعاً وسادساً وثامناً، وذلك نحو الطويل والبسيط.

ـ 2 ـ والآخر أن يوضع أحد المتضارعين مكرّرا والآخر مفردا، فيقدّم المتشافعان على الفرد، أو يوسّط المفرد بينهما، أو يؤخّران ويقدّم المفرد.

وهذا الوضع الأخير لم يقع للعرب إلاّ في فروع الأوزان دون أصولها، لأنّ هذا الوضع، بالنسبة إلى ما قبله، قليل التناسب: إذ لا استفتاح فيه بغير مظنّة التناسب، وإذ الأثقل فيه موضوع طرفا، وإذ هو من بناء الكثير على القليل. وبناء القليل على الكثير أنسب، اللهم إلاّ إذا كان الجزء المضاعف يقصر على الجزء المفرد الذي بني عليه، فإنّ ذلك يستساغ.

وعلى هذا النحو استعملت العرب في فروع أوزانها هذا الوضع. وعلى ذلك قيس ما وضع من الأوزان المحدثة، فضوعف فيه السباعيّ بعد التساعيّ، أو وضع ذلك على نحو لا ينسق فيه بعض المتماثلات على بعض ولا يراوح بين جزء يورد متكرّرا في مواضع غير متّصلة وبين جزء مضارع له يورد أيضاً متكرّرا في المواضع المتخلّلة لمواضع الآخر، ولا يضاعف فيه أحد الجزءين ويفرد الآخر، بل يكون الموضع بالاطّراد من بعض المتضارعات إلى بعض والانحدار فيها من الأثقل إلى الأخفّ والاستمرار في ثلاثة الأجزاء على هذا التدريج.

وقد يقع نقلة الترقّي المضادة لهذا الوضع في المضارعات أيضاً تناسب في الوضع وحسن مسموع، ولكن في بعض الاقترانات لأسباب موجبة لذلك قد ذكرناها[368] في غير هذا الموضع.

2 ـ **تنوير:** والتضارع بين الأجزاء **[93 ـ ب]** هو أن يكون ترتيب جزء مّا يماثل ترتيب صدر جزء نحو فعولن ومفاعيلن، أو يماثل ترتيب الجزء ترتيب عجز جزء آخر نحو فاعلن ومستفعلن، أو تكون نسبة صدر الجزء إلى صدر الجزء فيما ينقص عنه نسبة عجزه إلى عجز الآخر أيضاً فيما ينقص عنه نحو فاعلن ومفاعلتن، أو يكون صدر أحدهما يماثل صدر الآخر أو يماثل عجزُه عجزَه أو صدرُه عجزه أو عجزُه صدرَه.

---

368 ـ انظر الفقرة الموالية.

والجزء المضاد للجزء هو الذي يكون وضعه مخالفا لوضعه نحو مستفعلن ومفاعيلن. فإنّ الوتد في أحدهما مقدّم على السببين، وفي الآخر مؤخّر عنهما، ومثله مفاعلتن ومتفاعلن.

والمنافر هو الذي لا يضارع ولا يضاد وذلك بألاّ يكون بين الجزءين تقارب في التربيب ولا تضاد فيه نحو متفاعلن ومفاعيلن.

فالتركيبات المتناسبات إنّما تكون باقتران المتماثلات والتضارعات. ولا يقع في اقتران المتضادات والمتنافرات تركيب متناسب أصلا. وقد يكون الجزء مضادا للآخر من وجه، مضارعا له من وجه آخر، مثل فاعلن وفعولن، فإنّهما، وإن تضادا من جهة الوضع بأن قدّم في أحدهما ما أخّر في الآخر، فقد ضارع أحدُهما صاحبَه من جهة أنّ صدره مماثل لعجزه[369].

ويشترط في التضارع مساواة[370] أكثر الجزأين. فإن كان في جزء يسير منهما أو من أحدهما لم يعتدّ به. وأحسن التركيب ما وُضع فيه أحد المتضارعين ممّا يلي الحيّز الذي ضارعه من صاحبه نحو وضع الطويل والبسيط. ولهذا رُفض مقلوب وضعهما لأنّ الجزء فيه ليس موضوعا ممّا يلي الجزء الذي ضارعه من صاحبه.

3 ـ **إضـاءة:** فإذا وضعت[371] مقادير من المسموعات مؤلّفة من الأجزاء المتقدّمة الذكر على الأنحاء الخمسة التي وضعت عليها العرب أبنية أوزانها ـ وهي: ـ 1 ـ الوضع الذي تتّسق فيه المتماثلات نحو المتقـارب ـ 2 ـ أو الذي **[94 ـ أ]** تتداخل فيه المتضارعات نحو الطويل ـ 3 ـ أو الذي يتقدّم فيه المتشافعان على المفرد نحو السريع ـ 4 ـ أو الذي يتوسّط فيه المفرد بين المتشافعين نحو الخفيف ـ 5 ـ أو الذي تتّسق فيه المتضارعات نسق انحدار، وعلى ما يناسب

369 ـ الصدر هنا بمعنى أول التفعيلة والعجز آخرها: فعو ـ لن =فا ـ علن.

370 ـ بالأصل بمساواة.

371 ـ فعل إذا وجوابها يأتي بعد منبها عليه.

من الوضعين الباقيين، وهو: ـ 1 ـ تقديم المفرد على المتشافعين ـ 2 ـ ونسق المتضارعات نسق ارتقاء، وربّعت الخماسيات في نسق المتماثلات في الشطر الموزون وثلّثت السباعيّات فيه وثنيّت الثمانيات والتساعيات في ذلك وربّعت المتداخلات من الخماسيات والسباعيات وثلّثت الواقعة بتشافع وإفراد، وكذلك المتضارعات أيّ عدد كانت ـ كان[372] ذلك مسموعًا متناسباً من شأن النفس أن تستطيبه ويداخلها التعجب من تأتّي نسقه واطّراد هيئاته وترتيباته المحفوظة.

ويسمّى ما كان على هذه الصفة شطر بيت. فإن أردف مقدار موضوع على بعض تلك الأنحاء قد تهيّأ بتلك الهيأة التي تستطيبها النفس وتستبدعها بمقدار آخر يساويه في الوضع والترتيب زادت النفس ابتهاجًا بذلك وتضاعفت لها المناسبة وقوي التعجيب المخامر لها فوقع الكلام منها بذلك أحسن موقع وأكمَله مناسبة. وهذا المقدار المجموع من المقدارين هو المسمّى بيتاً.

4 ـ **تنوير:** ولمّا كان أحقّ البواعث بأن يكون هو السبب الأوّل الداعي إلى قول الشعر هو الوجد والاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة وأُلاّفها عند فراقها وتذكّر عهودها وعهودهم الحميدة فيها، وكان الشاعر يريد أن يبقي ذكرًا أو يصوغ مقالاً يخيّل فيه حال أحبابه ويقيم المعاني المحاكية لهم في الأذهان مقام صورهم وهيآتهم ويحاكي فيه جميع أمورهم حتّى يجعل المعاني أمثلة لهم ولأحوالهم، أحبّوا أن يجعلوا الأقاويل ـ التي يودعونها المعاني المخيّلة لأحبابهم المقيمة في الأذهان **[94 ـ ب]** صورًا هي أمثلة لهم ولأحوالهم ـ مرتّبة ترتيباً يتنزّل من جهة موقعه من السمع منزلة ترتيب أحويتهم وبيوتهم. ويوجد في وضع تلك، بالنسبة إلى ما يدركه السمع، شبه من وضع هذه بالنسبة إلى ما يدركه البصر. فقد تقدّم أن المسموعات تجري من الأسماع مجرى المرئيات من البصر، وتوجد لحال حال من هذه أشياء من حال حال من تلك. فقصدوا أن يحاكوا البيوت التي كانت أكنان العرب ومساكنها، وهي بيوت الشَّعَر، لكونهم يحنّون إلى ادّكار ملابسة أحبابهم لها واستصحابهم لها واشتمالها عليهم بالأقاويل التي يقيمون المعاني المنوطة

372 ـ جواب إذا أول الإضاءة.

بها في الأذهان مقام صورهم وهيآتهم ويجعلوهها أمثلة لهم ولأحوالهم. فيكون اشتمال الأقاويل على تلك المعاني مشبها لاشتمال الأبيات المضروبة على من قُصد تمثيله بها وأن تجعل تذكرة له، ويكون ما بين المعنى والقول من الملابسة مثل ما كان بين الساكن والمسكن. ومتى أمكن أن يهيء الشيء الذي يجعل تذكرة لشيء آخر ويقصد به تمثيله في الأفكار بهيأة تشبه هيأة ذلك الشيء المقصود تذكره من وجوه كثيرة يتّسق بها الشبه كان أنجع في التحريك إليه والانصباب في شعب الولوع به.

5 ـ **إضـــاءة:** ولمّا قصدوا أن يجعلوا هيئات ترتيب الأقاويل الشعريّة ونظام أوزانها متنزّلة في إدراك السمع منزلة وضع البيوت وترتيباتها في إدراك البصر تأمّلوا البيوت فوجدوا لها كسورًا وأركانًا وأقطارًا وأعمدة وأسباباً وأوتاداً.

فجعلوا الأجزاء التي تقوم منها أبنيّة البيوت مقام الكسور لبيوت الشعر.

وجعلوا اطّراد الحركات فيها الذي يوجد للكلام به استواء واعتدال بمنزلة أقطار البيوت التي تمتدّ في استواء.

وجعلوا ملتقى كلّ قطرين وذلك حيث يفصل بين بعضها وبعض بالسواكن ركنا لأنّ الساكن**[95 - أ]** لمّا كان يحجز بين استواء القطرين المكتنفين له صار بمنزلة الركن الذي يعدل بأحد القطرين اللذين هما ملتقاهما عن مساواة الآخر ومسامتته، ولأنّ الساكن له حدّة في السمع كما للركن في رأي العين.

وجعلوا الوضع الذي يبنى عليه منتهى شطر البيت وينقسم البيت عنده بنصفين بمنزلة عمود البيت الموضوع وسطهُ.

وجعلوا القافية بمنزلة تحصِين منتهى الخِباء والبيت من آخرهما وتحسينه من ظاهر وباطن، ويمكن أن يقال: إنّها جعلت بمنزلة ما يعالى به عمود البيت من شعبة الخباء الوسطى التي هي ملتقى أعالي كسور البيت وبها مناطها.

وقد يقال: إنّهم جعلوا العروض والضرب وهما نهايتا شطري البيت في أن وضعوهما وضعاً متناسبًا متقابلاً منزلة القائمتين في وسط الخباء اللتين يكون بناؤه عليها.

وجعلوا الاعتماد على السواكن وحفظ نظام الوزن بانبثاثها أثناء متحركاته على النحو المناسب وتحصين وضعه من الاختلال باعتراضها في المواضع المقدّرة لها وإمرارها سلك الكلام وتلافيها له بما فيها من القوّة والجزالة عند توقّع وقوع الفترات بتضاعف الحركات وتواليها بمنزلة الأوتاد التي تحفظ وضع الخباء وتمسك جوانبه. فإذا تُلُوفيَ ذلك في مظان تلافيه طاب الكلام واعتدل، وإذا حوفظ في إطابته بذلك وتعديله على مذهب واحد في تقدير المواضع التي يقصد تدارك الكلام فيها بذلك وتعيين المراتب التي يجب فيها إيقاع ذلك استَبدَعت النفسُ حفظ ذلك الترتيب واشتَدّ ولعُها به وتعجّبُها منه. فهذا أيضاً من الوجوه التي حسّنت موقع الكلام الموزون من النفس.

6 ـ **تنويــر:** ولمّا كانت الأوتاد: منها ما ثباته ضروري في إمساك الخباء وتحصينه، ومنها ما في ثباته تحصين مّا وقد **[95 ـ ب]** تحتمل إزالته، جعل الخليل الضروريّات من السواكن أوتادا وجعل غير الضروريّة أسبابا. والأحسن أن يقال: إنّ هذه وتلك أوتاد، لكنّ ثبات إحداهما ضروريّ في حفظ بنية البيت، فهو بمنزلة الوتد الذي لا بدّ منه في الخباء، وثبات الأخرى ليس ضرورياً في حفظ بنية البيت بل يستقلّ البيت به ودونه، فهي بمنزلة الأوتاد التي تستعمل في إمساك جوانب البيوت وقد يستغنى عنها.

وفي الأسباب ما لا يمكن الاستغناء عنه كألف متفاعلن مع السلامة من الإضمار ونون مفاعلتن مع السلامة من العصب. فسواكن هذه الأسباب مع سلامة الأجزاء ضروريّة الثبات في حفظ بنية الوزن، فهي جارية مجرى الأوتاد بل هي أوتاد كما قلناه. وكأنّ حركة ما قبل كلّ وتد منها سبب له، ولكنّ الخليل سمّى كلّ حركة وساكن مقترن بها لا يعتمد عليه في أكثر المواضع سببا، فإذا

اعتمد على ساكن بعد متحرّكين أو بينهما سمّي مجموع ذلك وتدا. ولا تشاحّ في الألفاظ كما أنّه لا حرج على من عَدَل عمّا تقتضيه تلك الأسامي في المسميّات إذا أراد الإفصاح عن جهات مشابهاتها لما نقلت إليها منه التسميّة والتمثيل الصحيح في ذلك.

7 ـ **إضـــاءة:** ولنقل الآن في كيفية تركب الأسباب والأوتاد من المتحرّكات والسواكن، وكيفية تركّب الأجزاء منها، وفي كيفيّات مواقع هذه وتلك مطرّدة وغير مطرّدة في الأوزان، وكيف تتهيّأ أجزاء المسوعات التي تقع فيها بالتقاذف بها إلى شتّى ترتيباتها بالهيآت التي تصير بها مشتكّلة بأشكال الأبيات المضروبة.

فأقول: إنّه إذا تركّبت حركتان كان ذلك سببا ثقيلا نحو : لك، لِمَ، فإن زدت عليه ساكنا كان وتدا مجموعا نحو لَقَدْ، فإن زدت على ذلك ساكنا ثانيا صار الوتد مضاعفا نحو مَقَالْ مسكّن اللام، فإن تركّب متحرّك مع ساكن كان ذلك سببا خفيفا نحو قَدْ، فإن زدت عليه ساكنًا **[96 ـ أ]** ثانيًا كان سببًا متوالياً، فإن زدت على السبب الخفيف الذي لم يتوال متحرّكا كان وتدًا مفروقًا نحو كَيْفَ.

8 ـ **تنويـــر:** فالسبب الخفيف والوتد المجموع يقعان كلّ موقع من أوائل الأجزاء وأوساطها وأواخرها. والسبب الثقيل والوتد المفروق لا يقعان إلاّ في أوائل الأجزاء وأوساطها. والسبب المتوالي والوتد المضاعف لا يقعان إلاّ في نهايات أجزاء الضروب ومصرّعات الأعاريض. وأسباب ذلك معروفة ممّا تقدّم.

9 ـ **إضـــاءة:** وبعض هذه الأجزاء يتركّب مع بعض على الإطلاق. وذلك الأسباب الخفيفة مع الأوتاد المجموعة والمفروقة.

ومنها ما لا يتركّب أحدهما مع الآخر في خماسيّات الأجزاء وسباعياتها ويتركّب فيما فوق ذلك، وذلك كالأسباب الثقيلة والأوتاد المفروقة. ولا تتركّب معها إلاّ متقدّمة عليها كما أنّ الأسباب الثقيلة أيضاً لا تتركّب مع الأوتاد المجموعة إلاّ متأخّرة عنها.

ومنها ما لا يركّب مع جميع الأجزاء إلاّ متأخّرا عنه. ومنها السبب المتوالي والوتد المتضاعف. ولا يتركب أحدهما مع الآخر. وتسمّى هذه الأجزاء الأرجُل.

10 ـ **تنويــر:** ولا يخلو التركيب من أن يكون من رجلين سبب ووتد، فيكون الجزء المركّب منهما خماسيّا إن لم يكن هناك سبب متوال أو وتد متضاعف، فإنّ الجزء يكون مع كليها على ستة أحرف، وكذلك ينفسان جميعَ الأجزاء إذا وقعا في نهاياتها، أو يكون من ثلاثة أرجل ولا يخلو ذلك من أن يكون من سببين ووتد فيكون الجزء سباعيّا، أو من سبب ووتدين فيكون الجزء ثمانيا، أو يكون من أربعة أرجل فيتركّب منها ثلاث تركيبات:

ـ 1 ـ سبب وثلاثة أوتاد ـ وهو تركيب مستثقل غير ملائم ـ 2 ـ وسببان ووتدان والتركيب منهما ينحلّ إلىالخماسيات، ـ 3 ـ وتركيب لا يستثقل المتناسب منها ولا ينحلّ إلى غيره، فالقياس يوجب إثباته وقبوله وهو تساعيّ نحو مستفعلاتن.

11 ـ **إضــــاءة:** ولنقل الآن في ما قصدوه في وضع الأبنية الشعريّة من حيث **[96 ـ ب]** جعلوا اطّراد الحركات في الأوزان واستقامة جرية اللسان عليها واستواء الكلام بها بمنزلة امتداد أقطار البيوت واستقامتها واستوائها، وجعلوا السواكن مطّردة بمنزلة الأركان.

فأقول: إنّ أقلّ ما يعدّ من توالي المتحرّكات قطرا المتحرّكان، فإنّه القطر الأصغر. فأمّا الحركة بين ساكنين فإنّها كالفرجة بين طنبين، ويليه القطر الأوسط وهو ثلاثة متحرّكات، ثمّ القطر الأكبر وهو أربعة متحرّكات، وهو أقصى ما يوجد عليه اطّراد الحركات في الأوزان. وأقلّ ما يعدّ من السواكن ركنا الواحد ثمّ الاثنان ثمّ الثلاثة ثمّ الأربعة. وهي أقصى ما يوجد من اطّراد السواكن في الأوزان.

12 ـ **تنويـــر:** ولا تستحسن الأركان والأقطار التي تناهت إلى هذا الحدّ، بل الواجب أن يحذف ثالث السواكن من هذه ويثبت ما يفصل في تلك بين بعض المتحرّكات وبعض بإعادة بعض السواكن المحذوفة من أثناء ذلك لأنّ المتحرّكات لا تنتهي إلى أربعة في الأوزان على اطّراد ونسق إلاّ بحذف بعض السواكن.

13 ـ **إضـــاءة:** ويجب أن تعلم أنّ أبيات الشعر، وإن كانت أوائلها منفصلة عن أوائلها، فإنّ النظام فيها في تقدير الاتّصال على استدارة إذ كان وضع الأوزان الشعريّة وترتيبها ترتيبا زمنيا لا يمكنك فيه أن ترجع بالنهاية إلى زمان المبدإ بل تكون بينهما فسحة من الزمان ولا بدّ. وترتيب البيت المضروب ترتيب مكاني إذا بدأت بأيّ موضع شئت منه ثم درت عليه تأتّى لك أن ترجع إلى الموضع الذي بدأت بنقلة مستديرة على اتّصال من غير أن يكون بين المبدإ والنهاية فسحة. والأوزان وإن لم يكن أن يُعاد بالنهاية فيها إلى زمان المبدإ والنهاية فسحة. والأوزان وإن لم يمكن أن يعاد بالنهاية فيها **إلى** زمان المبدإ فإنّها في تقدير ذلك، إذ نسبة سرد الشطر الأوّل من أيّ بيت وقع تاليا لبيت بعد الانتهاء إلى قافية البيت المتقدّم وإعطاء كلّ متحرّك وساكن منه حقّه من التلفّظ نسبة سرد الشرط الثاني **[97 ـ أ]** وإعطاء متحركاته وسواكنه حقوقها من التلفظ بعد الانتهاء إلى مقطع الشطر الأوّل. فلذلك يجب أن يجعل ساكن القافية الأخير مع ما يتقدمه من السواكن أو يتلوه من ذلك في أوّل البيت التالي له أو على حدته ركناً فاصلاً بين ما وقع في صدر جزء القافية الذي هو فيها من اطّراد المتحرّكات الذي هو بمنزلة بعض أقطار البيت التي تمتدّ بين بعض أركانه وبعض وبين ما وقع من ذلك في صدر الجزء المفتتح به البيت الذي يليه أو وسطه أو آخره.

14 ـ **تنويـــر:** فتجد على هذا أركان الأبيات الباقية على وضعها الأصلي مزدوجة[373] إذ التي في الشطر الأوّل منها مساوية للتي في الشطر الثاني في

---

373 ـ بالأصل من درجة.

العدد. ولا ينقص أحدهما عن الآخر في ذلك إلاّ بتغيير. فأقصى ما نجدهم بنوا عليه أشطار البيوت ستة أركان. فيكون لمجموع البيت على ذلك اثنا عشر ركنا، وذلك في الكامل وحده لأنّ بناء شطره من متفاعلن ثلاث مرّات، ثمّ يقطعونه فيصير إلى أحد عشر ركنا ثمّ يصير بوقوع الحذذ في الأعاريض والضروب إلى عشرة أركان مع السلامة من الإضمار وإلى تسعة بالإضمار.

ويليه في كثرة الأركان الوافر لأنّ في كلّ شطر منه خمسة أركان، فجميع أركانه إذا عشرة.

ويليه في ذلك المربّعة الأشطار، كالطويل والبسيط والمتقارب، فإنّ في كلّ جزء منها ركنا، فكلّ واحد منها ثمانية أركان، وتصير أركان الطويل والبسيط بالزحاف إلى اثني عشر. والخبب مثل المربّعات الأشطار في أنّه مبنيّ على ثمانية أركان.

فأمّا السباعيات الأجزاء المثلّثة الأشطار ممّا لم يقع فيه سبب ثقيل فهي مبنيّة على ستة أركان، وتصير، بإعلالات الضروب، إلى خمسة.

وممّا بني على أربعة أركان الوزن الذي قدّمت[374] أنّ المحْدثين هم الذين عُلم من أقوالهم، ولا يبعد أن يكون من وضع العرب فإنّه متناسب الوضع، فيجب أن يلحق بما يستعمل من الأوزان ولنصطلح على تسميته باللاحق، لهذا المعنى. فقد **[97 ـ ب]** قدّمنا[375] أنّه يوجد فيه ساكن لا يوجد في مخلّع البسيط ولا يقبله. ويوجد في مخلّع البسيط ساكن لا يوجد في هذا اللاحق ولا يقبله، فلهذا حكمنا أنّه وزن قائم بنفسه، وبناء شطره: مستعفلاتن مستفعلاتن. وقد خصّوا الرجز بأن أبقوا مشطوره على ثلاثة أركان، وهو أقلّ ما تُقوّمُ منه الأشكال. ويشبه أن يكون هذا بعض ما أوجب احتمالها لاطّراد المتحرّكات في أقطاره لأنّ الأشكال المثلّثة أطول الأشكال عروضًا وأقطارًا. وكأنّهم جعلوا الأبيات

---

374 ـ راجع 214.
375 ـ منله.

المسدّسة الوضع وسطا في ذلك حيث ترقّوا في ذلك إلى ضعفها وانحطّوا إلى نصفها.

15 ـ **إضـــاءة:** ولقائل أن يقول: إنّ أجزاء الشطور الأُول تنزّل منزلة ما يلي الأرض من كسور البيت، وإنّ أجزاء الشطور الثواني تنزّل منزلة ما يلي السماء منها. ولهذا قد تقصر دائرة نظام الأشطار الثواني في كثير من الضروب عن دائرة نظام الأشطار الأولى نحو ضربي عروض الكامل المقطوع والمضمر، فإنّ دائرة مايلي السماء من الأخبية أضيق من دائرة ما يلي الأرض. وليست ملاحظة هذا الوجه في الأوزان بضربة لازبٍ، وعلى هذا التقدير يحسن في القافية أن يقال فيها إنّها جعلت بمنزلة رأس الخباء وما يعالى به العَمود، فأحكمت هيآتها لذلك وجعل العروض القاسم للبيت بنصفين بمنزلة مُوصِلِ قائمة الخباء العليا بقائمته السفلى، وجعلوا اطّراد النظام المتناسب ما بين مبدأ البيت ومنتهى القافية بمنزلة استقامة قوائم البيوت. وممّا يقوّي أنّ العروض كموصل القائمتين أنّ كثيرًا من الأعاريض القصار والتي قد نقص بعض أجزائها لا يجعلون لها أعاريض كمشطورات الرجز أو لا يحافظون على وضعها ولا يرتبطون في ذلك إلى هيآت محفوظة نحو ما ورد[376] في مخلّع البسيط لعَبيد بن الأبرص وغيره.

16 ـ **تنويـــر:** واعلم أنّ السواكن التي تفصل بين قطرين أصليين لا يجوز حذفها[377] وإن كانت من أسباب. وكذلك الساكن الذي **[98 - أ]** يؤدّي حذفه إلى اتّصال قطر ثلاثي أي متّسق فيه ثلاث حركات بركن رباعي أي متوالٍ فيه

376 ـ يشير إلى معلقة التي مطلعها:

أقـــفــــر مــــن أهلـه ملحـــوب　　　فالقطّيبـــات فالذّنـــوب

التي قال عنها ابن رشيق: (كادت تكون كلاما غير موزون بعلة ولا بغير بغيرها، حتى قال بعض الناس: إنها خطبة ارتجلها، واتّزَنَ أكثرها) العمدة1:118.

377 ـ في الأصل: «حذفهما»والسياق يقتضي «حذفها» ولعله وهم من الناسخ لوجود المثنى قبلها.

أربعة[378] سواكن، فإنّ هذا أيضاً لا يجوز حذفه، وذلك كالنون من مستفعلن في الخفيف. وينبغي أن تسمّى هذه الأسباب بالأسباب المضارعة للأوتاد في مواقعها. وأحكام الأوزان تختلف في ما يسوغ حذفه من سواكن الأسباب في الزحاف المفرد والمزدوج بحسب اختلاف أنحاء الاعتمادات على نهايات الأجزاء وبحسب مواقع الأسباب من مواضع تلك الاعتمادات. ولذلك يسوغ من الزحاف المزدوج في سببي البسيط ما لا يسوغ في سببي الطويل. كذلك الزحافات المفردة لا تسوغ في الأسباب حيث تكون مظان اعتمادات وتحصينات للأوزان من توالي ما لا يسوغ فيها.

وهذه لمحة دلّ الذكيّ الألمعيّ على ما يتفصّل إليه القول المجمل فيها بحسب وزن وزن وتجزئة تجزئة.

17 ـ إضاءة : فهذا الذي قلته في مجاري الأوزان وأنحاء تركيباتها وما يسوغ فيها هو الرأي الصحيح الذي تعضّده الآراء البلاغيّة والقوانين الموسيقيّة ويشهد به الذوق الصحيح والسماع الشائع عن فصحاء العَرب. فدع عنك ما غيّره أو وضعه العروضيّون[379] أو الرواة[380] من الأبيات المضمحلّة التي لا يوجد لها نظير في الأشعار الفصيحة الصحيحة الرواية.

فقد ردّ بعض[381] العروضيين ما استشهد به بعضهم من الأبيات الفاسدة، وزيّن بعضهم شواهد بعض. وكثير أيضاً ممّا وضع واختلق أو غيّر جاز عليهم أو على أكثرهم. فلهذا يجب أن لا يقبل شيء يخالف ما قلناه لأنّا وضعنا هذه القوانين بحسب ما شهدت به أصول علوم جليلة، بها يتميّز الصريح المحض

378 ـ في الأصل: «أربعة سواكن» وهو وهم من الناسخ إذ ظن أن المعدود مؤنث لأنه جمع، فذكّر العدد غافلا عن اعتبار المفرد المذكر وهو (ساكن).
379 ـ راجع فصل: وايل، **د.م.أ.** (2)، 260، 268.
380 ـ مثال ذلك، البيت الوارد 210 س 10.
381 ـ راجع في هذا الخزرجي، 37 ـ 43.

من الزائف البهرج في كلّ مذهب من مذاهب اللسان ومأخذ من مآخذ البيان.

ولاستقصاء الكلام في صناعة العروض طول لا يحتمله هذا الموضع قد فرغت منه في موضع خاص[382] بصناعة العروض. فمن هنا يعرف تفصيل هذا المجمل.

ج ـ [98 ـ ب] معلم دالّ على طرق العلم بمقادير تناسب الأوزان وما يسوغ فيها من التغايير وما لا يسوغ على الوجه المختار.

أوزان الشعر منها متناسب تامّ التناسب متركّب التناسب متقابله متضاعفه، وذلك كالطويل والبسيط. فإنّ تمام التناسب فيها مقابلة الجزء بمماثله، وتضاعف التناسب هو كون الأجزاء التي لها [لها] مقابلات أربعة، وتركّب التناسب هو كون ذلك في جزءين متنوّعين كفعولن ومفاعيلن في الطويل، وتقابل التناسب هو كون كلّ جزء موضوعا من مقابله في المرتبة التي توازيه، فإن كان الواحد في صدر الشطر الأوّل كان الآخر في صدر الشطر الثاني، وإن كان ثانيًا كان مقابله ثانياً، وإن ثالثًا فثالث. فالأعاريض التي بهذه الصفة هي الكاملة الفاضلة. وكلما نقص عروضًا شرط من هذه الشروط أو أكثر كان في الرتبة من مقاربة الكلام أو مباعدته بقدر ما نقص منه.

1 ـ **إضـــاءة:** وأوزان الشعر منها سبط، ومنها جعد، ومنها ليّن، ومنها شديد، ومنها متوسّطات بين السباطة والجعودة، وبين الشدّة واللين وهي أحسنها. والسبطات هي التي تتوالى فيها ثلاثة متحرّكات، والجعدة هي التي تتوالى فيها أربعة سواكن من جزأين أو ثلاثة من جزء، وأعني بتواليها ألاّ يكون بين ساكن منها وآخر إلاّ حركة. والمعتدلة هي التي تتلاقى فيها ثلاثة سواكن من جزأين،

382 ـ انظر في ثبت المصادر والمراجع: حازم القرطاجني: رسالة القوافي مخطوط عدد 2804 جامع الزيتونة، تونس) فلعلها التي يعنيها.

أو ساكنان في جزء. والقويّة هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها على وتد أو سببن. والضعيفة هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها في سبب واحد، ويكون طرفاه قابلين للتغير. وإذا تركّب الضعيف مع القويّ فربّما غطّى على ضعفه، وخصوصا إذا حدثت في التركيب جعودة كالحال في الخفيف. فإنّ تركّب الضعيف مع معتدل لم يخْف معه ضعفه **[99 - أ]** كالحال في المديد.

2 ـ **تنويـــر:** فأمّا التغييرات اللاحقة للأوزان فمنها ما يكون بنقص بعض أجزاء الوزن، ومنها ما يكون بزيادة. فأمّا النقص فضروب الزحاف الواقع في الأسباب بحذف بعض سواكنها وإسكان بعض متحرّكاتها. وكذلك أيضاً قد يقع التغيير في الأوتاد بتسكين أوّل متحرّكاتها، وذلك حيث تكون جزءً من فاصلة لم يتضاعف فيها تغيير، أو بحذف ثواني الأسباب الثقيلة وأوائل الأوتاد المجموعة في صدور البيت ويسمّى خرما. وحذف أوّل الوتد في صدور البيوت أحسن من حذف ثاني السبب الثقيل. ويجب أن يكون لمورد الأبيات، قاصدا إقامة أوزانها، فضلُ اعتماد وتوقّرات وإشباعات الحركات وما ينتسب إليها من الحروف القابلة للمدّ والإطالة في ما يكشف مواضع المحذوفات ويتّصل بما ليكون ذلك سادّا مسدّها وجاريا مجرى البدل منها.

3 ـ **إضـــاءة:** فأمّا التغييرات[383] التي تكون بزيادة فمنها ما يقع في القوافي ومنها ما يقع في الأعاريض. فأمّا ما يقع في القوافي فإنّ الأعاريض التي يكون لها ضربان: ضرب مقطعه على سبب متوالٍ أو وتد متضاعف، وضرب مقطعه على سبب خفيف غير متوالٍ أو وتد غير مضاعف قد يجوز فيما بنيت قافيته من ذلك على سبب غير متوالٍ أن يوالي السبب في بعض الضروب وإن كان ذلك مستقبحا. ويجوز فيما بنيت قافيته على وتد غير متضاعف أن يضاعف الوتد في بعض الضروب من ذلك، وإن كان أيضاً ذلك قبيحاً. وإنّما استساغ بعض العرب هذا لأنّ العروض تقبل نسق كلا الضربين عليها. وإن وقعت

383 ـ بالأصل التغيير بصيغة المفرد.

بذلك بين بعض الضروب وبعض مخالفة، فليس ذلك من المخالفة التي يصير بها الجزءان طرفي نقيض في الوضع، بل هما متناسبان لم يختلفا إلاّ بالأزيد والأنقص. ويشبه أيضاً أن يكون العرب إنّما تفخّم الساكن في هذا الوضع الذي قد يستسيغونه في القوافي إذا كان ممّا يجري فيه الصوت ويكون التلفّظ به قبل الساكن التالي له وأسهل من غيره **[99 ـ ب]** وأخفى موقعًا، ليكون ذلك الساكن توجد فيه مضارعَة للحروف المصوّتة من جهة ما يوجد له بعض تصويت، ويوجد الهواء متسرّبا مع التلفّظ به، وذلك نحو الهاء والعين والحاء والنون وما جرى مجرى ذلك.

وممّا ورد من ذلك قول نابغة بن شيبان من قصيدة يقول فيها: [الرمل ـ ق ـ المتدارك]

إمـدح الـكأسَ ومَـنْ أعْمَلَهـا　　　واهْـجُ قومـا قتلونـا بالعَطَشْ

إنّمـا الـكأسُ ربيـعٌ بَاكِـرٌ　　　فـإذا مـا غَـابَ عنَّـا لـم نَعِـشْ

ثم قال في وصف الخيل:

فبـهـا يَحْـوُون أسْـلابَ العِـدَى　　　ويصيـدون عليـها كُـلَّ وحْـشْ(384)

وأورد بيتين آخرين على هذا النحو.

ويجب ألاّ يعمل على هذا وإن كان وقع في أشعار العرب.

وأمّا الذي يقع في الأعاريض، فإنّ العروض التي يمكن أن تبنى على سبب متوالٍ أو وتد متضاعف إذا صرّعت يسوغ أن يوقع فيها الكلم التي التقى فيها

---

384 ـ الأبيات الثلاثة من قصيدة له في الخمر ووصف الخيل والفخر، وأول هذه القصيدة كما قال صاحب **الأغاني** ٧، 100.

حَـلَّ قلـبي مـــن سليـمَى نَبلُـها　　　إذ رمتـني بسهـام لـم تطـــش

وفي **الأغاني**: أموال العـدا

وقد تقدّمت الإشارة إلى هذه القصيدة بذكر مطلعها:

حَـلَّ قلـبي مـــن سليـمى نبلـها　　　إذ رمتـني بسهـام لـم تَطِـــشْ

التع 204، 311.

ساكنان بالإدغام بعد المدّ فيكون الساكنان نهاية العروض ويكون مبدأ الشطر الثاني ثاني المتضاعفين. وذلك نحو عروض المتقارب وعروض مربّع الكامل. وينبغي أن يسامح الشعراء في هذا وألاّ يضايقوا فيه حيث يكونون مضطرّين إلى ذكر اسم قد لزمه التشديد بعد المدّ. فأمّا إذا وجد مندوحة عن ذكر ذلك اللفظ بوجدان مرادف له وما يغني غناءه فينبغي له ألاّ يرتكب ذلك ولا يجعله سبيلا إلى انتقاد نظمه مع إضلال ضالّة العذر في ذلك.

4 ـ **تنويـــر:** فأمّا ما رام العروضيون إثباته في متون الأوزان من الزيادة التي يسمّونها الخزم بالزاي فإنّهم غلطوا في ذلك لأنّ العرب لم تكن تعد تلك الزيادات من متون الأوزان. وإنّما كانوا يجعلونها توطئات وتمهيدات ووُصلا لإنشاد البيوت وبناء عباراتها عليها، وإن كانت متميّزة في التقدير والإيراد عنها بأزمنة قصيرة قد تخفى على السامع فيظنّ أنّهم قد جعلوها من متون الأبيـات. وذلك غير ممكن أصـلاً. فإنّ الأوزان ممّا يتقوّم به **[100 ـ أ]** الشعر ويعدّ من جملة جوهره. والوزن هو أن تكون المقادير المقفّاة تتساوى في أزمنة متساوية لاتّفاقها في عدد الحركات والسكنات والترتيب. فما حذف من بعضها على بعض الوجوه التي بينّاها أمكن أن يتوقر على ما بني منه وأن يتلافى لتمكين الحركات والسكنات المكتنفة له قدر ما فات من زمان النطق به. فيعتدل المقداران بذلك فيكونَان متوازيين. والزيادة على المقدار المساوي لسائر المقادير ليس فيها حيلة يمكن معها تساوي المقدارين المزيد فيه والباقي على أصله. وإنّما ساغ ذلك في السواكن حيث كانت أقصر الحروف زماناً، وكان لها أصل ترجع إليه في أبنيّة الأوزان، فوجدت مقبولة في الأذواق لذلك.

فهذا هو الرأي الصحيح في الخزم الذي عوّل عليه الحذّق بأخذ الكلام عن العرب وفهم مذاهبهم فيه. وقد وجدنا الكتّاب والبلغاء يرصّعون الأسجاع بالأبيات ويجعلونها مبادي للأبيات والأبيات خواتم لها، حتّى ربّما أنّهم لم يقدّموا قبل البيت أكثر من لفظة واحدة وربّما اكتفوا في ذلك بواو العطف. ولا

يعتقدون أنّ تلك الألفاظ والحروف من متون[385] وهكذا كانت مآخذ العرب في ذلك. وإنّما خفي هذا المذهب على من جهل مآخذ الكلام ومقاطعه وضروب وضعه وأفانين منازعه.

5 ـ **إضـــاءة:** وإذ قد تبيّن هذا فلنعد إلى ذكر ما يستحسن من ضروب الزحاف ويستقبح، ونؤصّل في ذلك أصلا يعرّف بما يجب أن يعتمد من ذلك عند الحاجة إليه، وما يجب أن يجتنب. فأقول: إنّ مما يخلّ بالأوزان من ضروب الزحاف، ويزيل كثيرا من حلاوتها وتناسبها، فيجب أن يُجتنب على كلّ حال، أربعة أشياء:

الزحاف المزدوج كلّه.

والزحاف المؤدّي إلى أن يصير الجزء الذي وضع لأن يماثل جزءً آخر ويقابله مضادا له، وقد تقدّم[386] التعريف بذلك.

والوجه الثالث السواكن التي تكون أواخر أجزاء هي مظان وقفات واعتمادات ولا سيما إذا كان ذلك نهاية شطر بيت كالسواكن الأخيرة من فاعلاتن**[100 ـ ب]** في عروض الخفيف، والحل في ساكن فاعلاتن الذي في أوائل أشطاره على نحو من ذلك في أنّه يقبح حذفه.

والوجه الرابع ممّا يجب اجتنابه من الزحافات حذف السواكن التي يودّي حذفها إلى توالي ثلاثة متحرّكات عقيب توالي أربعة سواكن كالنّون من مستعفلن في الخفيف.

فهذا هو الرأي الصحيح الذي يشهد بصحّته الذوق والقياس والسماع.

6 ـ **تنويـــر:** وجملة ما يجب أن يعتمد في اعتبار مجاري النظم، من جهة ما يزاحف أو يعلّ من أسبابه وأوتاده، أن يجعل قانون الاعتبار الصحيح في ما

---

385 ـ لعل السياق يحتاج إلى كلمة مثل : الشعر.

386 ـ انظر الفقرة السابقة من هذا الفصل.

يجب أن يؤثر من ذلك أن توجد الأوزان جارية من جميع ذلك على ما يحسن في السمع ويلائم الفطرة السليمة الذوق، ويوجد، مع ذلك كثيرًا، مطّردا في أشعار فصحاء العرب. فيكون حينئذ موافقا لمجاري كلام العرب الصحيحة مع كونه وفْقًا للنفوس والأسماع. ومن كان صحيح الذوق وحصر مجال النظر ومواضع البحث في الأعاريض والقوافي ومجاري الأوزان ثمّ تصفّح كلام المجيدين من العرب والمحدثين ونظر منها في كلّ موضع للنظر، فأثبت ما كان ملائمًا مطّردًا ونفى ما كان منافرا غير مطّرد، فقد استضاء بآية التوفيق المبصرة وورد صوب الإصابة من منشإ سحائبه الممطرة.

7 ـ **إضـــاءة:** وأمّا من لا ذوق له فقلّما يتأتّى له التوصّل إلى تمييز ما يحسن في مجاري الأوزان ومباني النظم ممذا يقبح فيهما، إذ أكثر من ألّف في هاتين الصناعتين مشفق من أن يَنْسِب إلى العرب قبحا في مجرى من مجاري كلامها إلاّ في الندرة. فهم يتلقّون كلّ ما روي لهم من كلامهم ـ صحّت الرواية أو لم تصح ـ بالتسويغ والتحسين. ولا ينسبون إليهم إساءة إلاّ حيث تعييهم الحيلُ في الاعتذار عنهم.

فهذا رأي نحوي هو في الطرف ممّا يراه البلغاء من ألاّ يتسامح في وقوع ما يقبح وقبوله على أنّه غير قبيح لعربيّ ولا محدث. ولا يعتبر الكلام بالنسبة إلى قائل ولا زمان البتة. وإنّما يعتبر بحسب ما هو عليه في نفسه من استيفاء شروط البلاغة والفصاحة بحسب ما وقع فيه أو استيفاء أكثرها**[101 ـ أ]** أو وقوع أقلّها فيه أو عدمها بالجملة منه ووجود نقائضها أو أكثرها. فبهذا النحو يصحّ الاعتبار.

د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في بناء الأشعار على أوفق الأوزان لها.

لمّا كانت الأوزان متركّبة من متحرّكات وسواكن اختلفت بحسب أعداد المتحرّكات والسواكن في كلّ وزن منها، وبحسب نسبة عدد المتحرّكات إلى

عدد السواكن، وبحسب وضع بعضها من بعض وترتيبها، وبحسب ما تكون عليه مظانّ الاعتمادات كلّها من قوّة أو ضعف أو خفّة أو ثقل، وصار لكلّ وزن بحسب مخالفته لجميع الأوزان في الترتيب والمقدار ومظانّ الاعتماد ونسبة عدد المتحرّكات إلى عدد السواكن أو في بعض هذه الأنحاء الأربعة دون بعض، ميزةٌ في السمع وصفة أو صفات تخصّه من جهة ما يوجد له رصانة في السمع أو طيش، ومن جهة ما يوجد له سباطة وسهولة أو يوجد له جعودة وتوعّر، ومن جهة ما يوجد باهياً أو حقيرًا وغير ذلك ممّا يناسب فيه المسموع المرئي. ولا بدّ أن يكون كلّ وزن مناسبا لغيره من إحدى هذه الجهات مناسبة قريبة أو بعيدة.

1 ـ **إضـــاءة:** ولمّا كانت أغراض الشعر شتّى وكان منها ما يقصد به الجدّ والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصِّغار والتحقير، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيّلها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليّا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء أو العبث به، حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كلّ مقصد. وكانت شعراء اليونانيين تلتزم لكلّ **[101 ـ ب]** غرض وزنا يليق به ولا تتعدّاه فيه إلى غيره.

وهذا الذي ذكرته من تخييل الأغراض بالأوزان قد نبّه عليه ابن سينا في غير موضع من كتبه، ومن ذلك قوله في الشفاء، في تعديد الأمور التي تجعل القول مخيّلا: «والأمور التي تجعل القول مخيّلا: منها أمور تتعلّق بزمان القول وعدد زمانه وهو الوزن، ومنها أمور تتعلّق بالمسموع من القول، ومنها أمور تتعلّق بالمفهوم من القول، ومنها أمور تتردّد بين المسموع والمفهوم»[387].

387 ـ أرسطو، 163(1)، س 3 ـ 5.

2 ـ **تنويــر:** والأجزاء التي تأتلف منها مقادير الأوزان: منها ما يتناسب نحو فاعلن وفاعلاتن وفعولن ومفاعيلن، ومنها ما تناسبه على الضدّ من هذا نحو مستفعلن فاعلن. ألا ترى أنّ هذين الجزءين يتساوقان من أوّل الخماسيّ وثاني سبب من السباعيّ. وكذلك الأجزاء الأول تتساوق الخماسيات والسباعيات منها ما عدا السبب الآخر من السباعيات فإنّه يفضل عن ذلك. ومن الأجزاء ما يتدافع ويتخالف نحو مفاعيلن مستفعلن.

فالتأليف من المتناسبات له حلاوة في المسموع، وما ائتلف من غير المتناسبات والمتماثلات فغير مستحلى ولا مستطاب. ويجب[388] أن لا يقال في ما ائتلف على ذلك النحو شعرو إن كان له نظام الشعر أن يكون مستطابا. وما ائتلف من أجزاء تكثر فيها السواكن فإنّ فيه كزازة وتوعّرا. وما ائتلف من أجزاء تكثر فيها المتحرّكات فإنّ فيه لدونة وسباطة. والكثير السواكن، إذا حذف بعض سواكنه ولم يبلغ ذلك الحذف الإجحاف به اعتدل. وهم يقصدون أبدا أن تكون السواكن حائمة حول ثلث مجموع المتحرّكات والسواكن إمّا بزيادة قليلة أو نقص ولأنْ تكون أقلّ من الثلث أشدّ ملاءمة من أن تكون فوقه.

3 ـ **إضــاءة:** وما كان متشافع أجزاء الشطر من غير أن يكون متماثل جميعها فهو أكمل الأوزان مناسبة. وما كان متشافع بعض أجزاء الشطر تال له في المناسبة، وما لم يقع في شطره تشافع أدناها درجة في التناسب. وما وقع التشافع **[102 ـ أ]** والتماثل في جميعه استُثقل ولم يستحلَ أيضاً للتكرار.

فبحسب تضاعف التشافع في الشطر أو اتّحاده أو عدمه، وبحسب اتحاد الجنس في جميع أجزائه أو تنوّعه، وبحسب قوّة المشاكلة والمناسبة بين جزء وجزء وضعفها، وبحسب ما تكون عليه الأجزاء من كزازة أو سباطة أو اعتدال، وبحسب ما يكون عليه مظان الاعتمادات وما تنتهي إليه مقادير الأوزان، تكتسبُ

388 ـ لعلّ السياق يحتاج إلى زيادة (لا) بعد أن التي سقطت من الأصل ونرى وضع (لا) بعد أن لا قبلها.

الأوزانُ أوصافا من المتانة والجزالة والحلاوة واللين والطلاوة والخشونة والرصانة والطيش وغير ذلك.

4 ـ **تنويــر:** ومن تتبّع كلام الشعراء في جميع الأعاريض وجد الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب اختلاف مجاريها من الأوزان.

ووجد الافتنان في بعضها أعمّ من بعض. فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط. ويتلوهما الوافر والكامل. ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره. ويتلو الوافر والكامل عند بعض الناس الخفيف. فأمّا المديد والرمل ففيهما لين وضعف، وقلّما وقع كلام فيهما قويّ إلاّ للعرب وكلامهم مع ذلك في غيرهما أقوى. وقد نبّه على هذا في المديد أبو الفضل ابن العميد[389]. فأمّا المنسرح ففي اطراد الكلام عليه بعض اضطراب وتقلقل، وإن كان الكلام فيه جزْلا. فأمّا السريع والرجز ففيهما كزازة. فأما المتقارب فالكلام فيه حسن الاطّراد إلا أنه من الأعاريض الساذجة المتكرّرة الأجزاء . وإنّما تستحلى الأعاريض بوقوع التركيب المتلائم فيها.فأمّا الهزج ففيه، مع سذاجته، حدّة زائدة. فأمّا المجتثّ والمقتضب فالحلاوة فيهما قليلة على طيش فيهما. فأمّا المضارع ففيه كلّ قبيحة. ولا ينبغي أن يعدّ من أوزان العرب، وإنّما وضع قياسا، وهو قياس فاسد لأنّه من الوضع المتنافر على ما تقدّم.[390]

5 ـ **إضــاءة:** فالعروض الطويل تجد فيه أبدا بهاء وقوّة. وتجد للبسيط سباطة وطلاوة. وتجد للكامل جزالة وحمسن اطّراد، وللخفيف جزالة **[102 ـ ب]** ورشاقة، وللمتقارب سباطة وسهولة، وللمديد رقّة ولينا مع رشاقة، وللرمل لينا وسهولة. ولما في المديد والرمل من اللين كانا أليق بالرثاء وما جرى مجراه منهما بغير ذلك من أغراض الشعر. وقد أشرنا[391] إلى حال ما بقي من الأوزان.

389 ـ انظر حوله الثعالبي، (2)3، 154 ـ 181.
390 ـ انظر 219.
391 ـ انظر 238.

6 ـ **تنويـــر:** وممّا يبيّن لك أنّ لكلّ وزن منها طبعا، يصير نمط الكلام مائلا إليه، أنّ الشاعر القويّ المتين الكلام إذا صنع شعرا على الوافر اعتدل كلامه وزال عنه ما يوجد فيه مع غيره من الأعاريض القويّة من قوّة العارضة وصلابة النبع. واعتبر ذلك بأبي العلاء المعرّي فإنّه إذا سلك الطويل[392] توعّر في كثير من نظمه حتّى يتبغّض، وإذا سلك الوافر[393] اعتدل كلامه وزال عنه التوعّر. وما شئت أن تجد شاعرا إذا قال في المديد والرمل ضعف كلامه وانحطّ عن طبقته في الوافر كانحطاطها في الوافر عن الطويل إلاّ وجدت. فهذا يدلّك على صحّة ما ذكرته. فأمّا الضعفاء فكلامهم في الوافر وما أشبهه من الأعاريض المتوسّطة أقلّ قبحا. فأمّا الأعاريض الطويلة التي تفضل عن المعاني فيعبّرون فيها بركاكة الحشو وقبح التذييل وتخاذل بعض أجزاء الكلام عن بعض لطوله. وأمّا الأعاريض القصيرة التي تفضل المعاني عنها فيضطرّون فيها إلى التكلّف والحذف المخلّ، فلذلك كان حالهم في نظم الشعر مضادا الحال الأقوياء من الشعراء.

7 ـ **إضـــاءة:** فيجب لما ذكرته أن يعْتبر الكلام الواقع في كلّ عروض بحسب ما اعتيد فيه أن يكون نمط الكلام عليه، وألاّ يفضّل شاعر وجدت له قصيدة في الطويل والكامل مائلة إلى القوّة على شاعر وجدت له قصيدة في المديد أو الرمل مائلة إلى الضعف. فقد يجيء شعر الشاعر الأضعف في الأعاريض التي من شأنها أن يقوى فيها النظم مُسَاويا لشعر الشاعر الأقوى في الأعاريض التي من شأنها أن يضعف فيها النظم، ليس ذلك إلاّ لشيء يرجع إلى الأعاريض لا إلى الشاعرين. وإنّما يطرأ هذا إذا لم يكن بين الناظمين كبيرُ تفاوت. وكذلك

---

392 ـ اعتبر ذلك في الطويل بمثل قصيدته التي مطلعها:

طَربْنَ لضوءِ البارقِ المتعالي ... ببغداد وهْناً ما لهن ومالي

وفي الوافر بمثِل قصيدته التي افتتح بها ديوانه **السقط** والتي مطلعها:

أَعَن وخْد القلاص كشفت حالا ... ومن عند الظلام طلبت مَالاَ

المعري: **التنوير**،٢، 52 ـ 63. 1، 21ـ43.

393 ـ نفس المصدر السابق.

الشاعران المتساويان إذا قال أحدهما في وزن من شأن الكلام [103 ـ أ] أن يقوى فيه والآخر في وزن من شأن الكلام أن يضعف فيه ظهر شعر أحدهما أقوى من شعر الآخر من جهة أنّ عروضه أقوى لا من جهة أنّ طبقته ارتفعت فوق طبقة صاحبة.

8 ـ **تنويـــر:** وإنّما يحكم بتفضيل أحد الشاعرين على الآخر إذا عرف أنّ كليهما نظم شعره على حال واحدة من النشاط وقوة الباعث وانفساح والوقت. وكانا قد سلكا مسلكًا واحدًا وذهبا من المقاصد مذهبًا مفردًا أو كان مذهب أحدهما مقاربا المذهب الآخر ومنَاسبا له، وكان شعرهما في عروض واحد أو عروضين غير بعيد نمط الكلام في أحدهما عن نمطه في الآخر، ثمّ يقاس ما بين الكلامين من البعد بما بين النمطين، فيظهر الترجيح أو المساواة عند ذلك. وللمفاضلة بين الشعراء أحكام كثيرة وشروط تأتي(394) في القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله.

هـ ـ معلم دالّ على طرق العلم بما قصد في أبنية القول من أنحاء التناسب وذهب فيها من مذاهب البلاغة التي يكون لها بها تحصين في الوضع وتحسين في السمع.

فأمّا ما يجب اعتماده في وضع القوافي وتأصيلها فإنّ النظر في ذلك من أربع جهات: الجهة الأولى جهة التمكّن، الثانية جهة صحّة الوضع، الثالثة جهة كونها تامّة أو غير تامّة، الرابعة جهة اعتناء النفس بما وقع في النهاية لكونها مظنّة اشتهار الإحسان أو الإساءة.

ولكون القافية يجب أن يتحفّظ فيها من هذه الجهات الأربع قال بعض العرب لبنيه: «أطيلوا الرماح فإنّها قرون الخيل، وأجيدوا القوافي فإنّها حوافر الشعر،

394 ـ راجع 337ـ 341.

أي عليها جريانه واطّراده، وهو مواقفه. فإن صحّت استقامت جِرْيته وحسنت مواقفه ونهاياته».

1 ـ **إضــاءة:** فأمّا من جهة تمكّن القافية فقد ألمعتُ بالوجوه الموصّلة إلى ذلك **[103 ـ ب]** في ما تقدّم[395].

2 ـ **تنويــر:** وأمّا جهة صحّة الوضع في القافية فالنظر فيها مستند إلى المعرفة بعلم القوافي. وأنا أشير إلى ما يرشد إلى ذلك مجملا بعون الله. فأقول: إنّ القوافي لا بدّ فيها من التزام شيء أو أشياء. وتلك الأشياء حروف وحركات وسكون. فقوافي الشعر يجب فيها ضرورة، على كلّ حال، إجراء المقطع وهو حرف الروي على الحركة أو السكون.

3 ـ **إضــاءة:** والذي يجب اعتماده في مقاطع القوافي أن تكون حروف الرويّ في كلّ قافية من الشعر حرفا واحدا بعينه غير متسامح في إيراد ما يقاربه معه. وقد وقع ذلك لبعض من لا يُحفل به من العرب، الذين كانت بضاعتهم في الشعر مزجاة[396]. وممّا يوجبه الاختيار أيضاً أن تكون حركات حروف الرويّ من نوع واحد لا يجمع بين رفع وخفض ولا غير ذلك. وقد وقع الجمع بين ذلك للفصحاء[397] على قبح.

4 ـ **تنويــر:** ومن ذلك أيضاً وجوب التزام حروف العلة الواقعة سواكن بين أقرب متحرّك يتلوه ساكن إلى الرويّ وبين حرف الرويّ. واختصاص الألف بأوّل محلّ من ذلك. وهو ما كان بينه وبين حرف الرويّ حرف. وتلك الألف المختصّة بذلك المَوضع تسمّى تأسيسًا. [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

---

395 ـ انظر لذلك مثلا 132 ، ف 5.

396 ـ هذا العيب يسمى الإكفاء، ومنه ما أنشده أبوعبيدة لامرأة من خثعم عشقت رجلا من عقيل:

فليت سماكيا يحار ربابه ... يقاد إلى أهل الغضا بزمام
فيشرب منه جحوش ويشيمه ... بعيني قطاميّ أغرّ يماني

انظر المرزباني، 19 ـ 20

397 ـ هذا العيب يسمى الإقواء، وقع للنابغة ولدريد بن الصمة وأمثالهم. انظر المرزباني، 18 ـ 1.

كليـــني لهـــمّ يا أميمـــة ناصـــب[398]

وقد وقع ما فيه الألف مع ما ليس فيه على قبح[399]. وأكثر ما وقع من هذا أيضاً ما كان الحرف المتحرّك الذي بين التأسيس والرويّ فيه مفتوحًا أو مضمومًا. وهما صيغتان غير عريقتين في الوضع التأسيسي، إذ الوضع العريق في التأسيس أن يكون المتحرّك بين التأسيس والرويّ مكسورًا، وأن يكون حرف التأسيس وحرف التأسيس وحرف الرويّ من كلمة واحدة، فإن كانا من كلمتين جاز أن يقع ما فيه صورة التأسيس مع ما ليس فيه تأسيس في قافية واحدة، ولم يقبح ذلك.

5 ـ **إضـــاءة:** فأمّا المحلّ الأقرب إلى القافية من مظانّ وقوع الحروف التي تلتزم ـ وهو ما يلي حرف الرويّ ـ فتتعاقب فيه الياء مكسورًا ما قبلها والواو مضمومًا ما قبلها ويتواردان **[104 ـ أ]** على قافية واحدة وكذلك أيضاً يتواردان مفتوحا ما قبلهما معا. هذا على الوجه المختار الذي عَليه العمل. وقد جاء ضمّ ما قبل حرف العلّة وفتحه معا، وكذلك كسره وفتحه، كلّ ذلك على قبح. ويسمّى سنادا.

6 ـ **تنويــر:** قد يجيء أيضاً مع الياء والواو المفتوح ما قبلهما ما ليس فيه ياء ولا واو على قبح أيضاً. فأمّا إذا كانت الواو مضموما ما قبلها والياء مكسورا ما قبلها فلا يرد معهما ما ليس فيه حرف علّة للطول الذي فيهما، إذ كانت حركة ما قبل كليهما من جنسه. فيصير حكمهما حكم الألف في ذلك الموضع في كونها

398 ـ البيت مطلع قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها عمرو بن الحارث، وتمامه:
وليل أقاسيه بطيء الكواكب، **الديوان**، 9.

399 ـ ويسمّى هذا سنادًا ومنه قول العجاج:

يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي

ثم قوله: بسـمسم أو عـن يميـن سمسـم

ثم قـال: فحـنـدف هامـة هـذا العـالـم

وقد نبه الروسي إلى سقوط البيت الذي فيه الشاهد، ونضيف إلى ذلك قولهم «وكان رؤبة يعيب هذا على أبيه، قال: وذكروا أن قومًا همزوها، فإن همزوها فليست بتأسيس». لأنها تصبح :(العأ لم) مثل القافيتين السابقتين.

لا بدّ من إعادتها. ونخصّ الألف في ذلك أنّها لا يجوز أن يدخل معها غيرها من حروف العلّة. وتسمّى الألف المتميّزة عن غيرها في هذا الموضع والياء والوار المتواردتان مع أردافا.

7 ـ **إضـــاءة:** ويستحسن في القوافي المقيّدة أن تكون حركة ما قبل الرويّ إما فتحة ملتزمة وإمّا ضمّة وكسرة متعاقبتين. وقد وردت الفتحة معهما في مقيّدات شعراء الإسلام. فأمّا شعراء الجاهليّة فيقلّ ذلك في قوافي أشعارهم.

معهما في مقيّدات شعراء الإسلام. فأمّا شعراء الجاهلية فيقلّ ذلك في قوافي أشعارهم.

8 ـ **تنويـــر:** ويستحسن أيضاً في ما كان من كافات الضمائر وتاءات التأنيث مقطعَ الشعر أن يلتزم قبلها حرف بعينه، ويلتزم فيه حركة بعينها. ويجوز أن لا يلتزم قبل ذلك حرف. فإن لم يلتزم كان الوجه أن تُلتزمَ حركة بعينها، لئلاّ ينضاف إلى كَوْن الرويّ ليس بمقطع كلمة وإنّما هو حرف زائد يعاد مع كلم مختلفة المقاطع أن يكون ما قبله متغيّرا بأنواع الإعراب، فتبعدُ مقاطع الأبيات بذلك عن التناسب ويقع فيها اختلاف.

وممّا التزمت الحركة فيما قبله من ذلك قول الحسين ابن الضحّاك:

[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

سقى اللهُ بالقاطول مَطرحَ طرفكا   وخـصّ بسـقياه مناكـب قصـركا
ولا زالـت الأقـدارُ فـي كلِّ حالة   عُداةً لمن عاديت سـلما لسِلْمكا[400]

400 ـ البيتان من قصيدة يمدح بها الشاعر الخليفة الواثق، والبيت الثاني مفصول عن الأول بأبيات كثيرة، وروايته بلفظ مسرح بدل مطرح، ورواية البيت الثاني بلفظ لمن عاداك بدل عاديت. **الأغاني**،(3) 7، 158.

وقد أجازوا وقوع التغاير بأنواع الحركات وما قبل هذه الحروف الروادف **[104 ـ ب]** المقفّى بها. ولعلّ ذلك قياس لا سماع، وهو قبيح كيف ما كان.

فأمّا هاءات الضمائر وهاءات التأنيث المسكّنة وهاءات السكت فلا يكون جميعها إلاّ صلات لمجاري القوافي، ومجرى القافية هي حركتها. وإذا كانت القافية مطلقة ولم توصل بشيء من هذه الحروف الرّوادف فإنّما تكون صلاتها حروفَ مدّ ولين من جنس حركة القافية، وقد يكون إطلاقا القافية بالتنوين.

9 ـ **إضـــاءة:** وللقوافي من جهة ما يكون ترتيب الحركات والسكنات فيها صور خمسة، وهي:

ـ 1 ـ أن يتوالى في القافية ساكنان من غير فصل بحركة ويسمّى المترادف نحو : قالْ بتسكين اللام.

ـ 2 ـ وأن يتوالى فيها ساكنان مفصول بينهما بحركة ويسمّى المتواتر نحو: أيها الطلل البَالي.

ـ 3 ـ وأن يتوالى فيها حركتان نحو منزل ويسمّى المتدارك[401].

ـ 4 ـ وأن يتوالى فيها ثلاث متحرّكات نحو السَنَد ويسمّى المتراكب

ـ 5 ـ وأن يتوالى فيها أربع حركات ولا يكون ذلك إلاّ في الرجز.

والقافية هي ما بين أقرب متحرّك يليه ساكن إلى منقطع القافية وبين منتهى مسموعات البيت المقفّى.

فهذه إشارة إلى بعض أحكام القوافي وما يجب في مقاطع الأبيات من جهة كونها قوافي.

---

401 ـ يبدو أن في الكلام نقصًا، وان لم يشتمل الأصل هنا على بياض أونحوه مما يدل عليه وهو أن يضاف إلى آخر النوع الثالث من القوافي: نحو:(...إنك مرجلي). وإلى النوع الخامس: ويسمى المتكاوس نحو(زلت به إلى الحضيض قدمه)

انظر القرطاجني: **رسالة القوافي** مخط 146 ، س 4، فان ديك، 117 وانظر ميزان الذهب للسيد أحمد الهاشمي ص 121 ـ 122

10 ـ **تنويــر:** فأمّا ما يجب في القافية من جهة عناية النفس بما يقع فيها واشتهار ما تتضمّنه ممّا يحسن أو يقبح، فإنّه يجب ألاّ يوقع فيها إلاّ ما يكون له موقع من النفس بحسب الغرض، وأن يتباعد بها عن المعاني المشنوءة والألفاظ الكريهة ولا سيما ما يقبح من جهة ما يتفاءل به. فإنّ ما يكره من ذلك إذا وقع في أثناء البيت جاء بعده ما يغطّي عليه ويشغل النفس عن الالتفات إليه، وإذا جاء ذلك في القافية جاء في أشهر موضع وأشدّه تلبّسا بعناية النفس وبقيت النفس متفرّغة لملاحظته والاشتغال به ولم يعقها عنه شاغل، ومثل هذا قول الصاحب في عضد الدولة:[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

ضممتَ على أبناءِ تَغْلِبَ تَـاءَها فتَغْلِبُ، ما كرَّ الجديدان، تُغْلَبُ[402]

[105 ـ أ] فقال له عضد الدولة: «يقي الله»!

11 ـ **إضـــاءة:** فأمّا ما يجب فيها من جهة كونها مستقلّة منفصلة عمّا بعدها أو متّصلة به فلا يخلو الأمر في هذا من أن تكون الكلمة الواقعة في القافية غير مفتقرة إلى ما بعدها ولا مفتقر ما بعدها إليها[403]، أو يكون كلاهما مفتقرا إلى الآخر، أو تكون هي مفتقرة إلى ما بعدها ولا يكون ما بعدها مفتقرا إليها، أو يكون ما بعدها مفتقرا إليها ولا تكون هي مفتقرة إليه.

فالقسم الأول هو المستحسن على الإطلاق. والأقسام الثلاثة أشدّها قبحا مناقض القسم المستحسن. ويسمّى افتقار أوّل البيتين إلى الآخر تضمينا لأنّ تتمّة معناه في ضمن الآخر.

12 ـ **تنويــر:** والتضمين يكثر فيه القبح أو يقلّ بحسب شدّة الافتقار أو ضعفه. وأشدّ الافتقار افتقار بعض أجزاء الكلمة إلى بعض.

وربّما صنع شعر قوافيه على هذا الوضع ليعمّى موضعُ القافية وهو قبيح

402 ـ راجع 132 تع 214.
403 ـ بالأصل إليه.

جدا. ويتلوه في شدّة الافتقار افتقار أحد جزأي الكلام المركّب المفيد إلى الآخر. وأمّا افتقار العمدة إلى تتمّة الفضلة والفضلة إلى الاستناد إلى العمدة فأقلّ قبحا من ذلك، وإنّما يكون هذا حيث تقوم الدلالة على المراد بالإضمار. وافتقار المعطوف إلى ما يعطف عليه إذا كان المعطوف كلاما تامّا أخفّ من ذلك وأقلّ قبحا، فإن كان المعطوف ناقصا كان أمر الإضمار أسهل.

13 ـ **إضـــاءة:** وإذا اجتمع الإضمار والعطف وكان المعطوف تامّا سهُل الأمر فيه من جهة العطف وصعب أمر الإضمار. فإن أظهر المضمر لم يعدّ ذلك تضمينا ولا افتقارا وإن كان الكلام عطفا لأنّ الكلام يستقلّ بتقدير حذف الحرف العاطف، وأيضا فقد يعطف على المقدّر فيقع الحرف العاطف صدرا.

14 ـ **تنويــر:** ولكون إظهار المضمر يُصيّـرُ الكلام مستقلا غير مفتقر إلى ما قبله قد يحتملون ما في التكرار من ثقل، وذلك مثل قول الخنساء: [البسيط ـ ق ـ المتواتر]

وإنّ صخـــرا لواليـــــنا وسيّـــدُنـــا ... وانّ صخـــرا لتأتَـــمُّ الهُـداةُ بـه

[105 ـ ب] وإنّ صخـــرا إذا نشتو لنحّار ... كأنّـهُ علـمٌ في رأسـه نَـــارُ[404]

ولو قالت (وإنّه لتأتمّ الهداة به) فأضمرت لكان البيت ناقصا مفتقرا. فإنّما أظهرت لفظ صخر ثانيا وثالثا تباعدا بالكلام عن الافتقار، وقصدا لتعديل أقطاره وحسن تفصيله وتقديره. وهذا يعرف ممّا تقدّم. وربّما بسط عذر الشاعر في مثل هذا أيضاً كونه يستعذب اسم محبوبه ويريد الإشادة باسم ممدوحه فلا يستثقل ذلك. وهذان أمران لا يحسّنان التكرار وإنّما يبسطان العذرفيه فقط.

---

404 ـ البيتان من قصيدة طالعها:

قـذى بعينـك أم بالعـين عـوار ... أم ذرفت إذ خلـت من أهلهـا الـدار

الديوان، 69 ـ 70.

و ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بتأصيل القوافي وبناء ما قبلها عليها وبنائها على ما قبلها.

لا يخلو الشاعر من أن يكون يبني أوّل البيت على القافية أو القافية على أوّل البيت. وكلا صاحبي هذين المذهبين لا يخلو أن يكون ممّن يعتمد أن يقابل بين المعاني ويناظر بينها أو ممّن لا يقابل بين شيء منها اعتمادا.

1 ـ إضاءة: فأمّا معتمد التقابل الذي صدور أبياته مبنيّة على القوافي فإنّه يتأتّى له حسن النظم لكون الملاءمة بين أوائل البيوت وما تقدمها ـ التي هي واجبة في النظم ـ متأتيّة له في أكثر الأمر، إذ لكلّ معنى معان تناظره وتنتسب إليه على جهات من المماثلة والمناسبة والمخالفة والمضادّة والمشابهة والمقاسمة. فإذا وضع المعنى في القافية أو ما يلي القافية وحاول أن يقابله ويجعل بإزائه في الصدر معنى على واحد من هذه الأنحاء لم يبعد عليه أن يجد في المعاني ما يكون له علقة بمعنى القافية وانتساب إليه من بعض هذه الجهات، وعلقة بما تقدّم من معنى البيت الذين قبله، أو بأن يقدّم على المعنى المقابل لمعنى القافية ما يكون له علقة بما تقدّم، يبني نظمه متلائما بهذا.

2 ـ **تنويـــر:** وأمّا معتمد التقابل الذي قوافيه مبنيّة على الصدور فإنّه يضع المعنى في أوّل البيت ثم ينظر **[106 - أ]** فيما يمكن أن يكون بنفسه قافية أو ما يمكن أن توصل به قافية ممّا يكون له زيادة إفادة في المعنى، فيقابل به المعنى الأوّل. لكنّ صاحب هذا المذهب، وإن وسّع على نفسه أوّلا، في كونه يختار ما يضعه في صدر بيته ويبني عليه كلامه ممّا له علقة بما تقدّم، فقد ضيّق على نفسه بكونه لا يمكن أن يقابل المعنى المتقدّم من المعاني المتناظرات إلاّ بما مقطع عبارته وصيغتها موافق للرويّ أو بما يمكن أن يوصل بما يصلح للرويّ بالصيغة والمقطع. والأوّل معوز جدّا، والثاني قريب منه في العوز. فكثيرا ما يتكلّف هذا ويسامح نفسه في أخذ المنافر على أنّه مخالف أو مناسب، ونحو من هذا قول المتنبي: [الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

كاثَــرَتْ نَائِــلَ الأمـــيرِ منَ المـــا　　　لِ بما نَوَّلَـــتْ منَ الإيـــرَاق[405]

3 ـ **إضـــاءة:** وقليلا ما يذهب هذا المذهب مَن تنبّه لحسن تقابل المعاني وتَفَطّنَ إلى طريق الوضع فيها واعتمده، أعني أن يبني أعجاز البيوت على صدورها لأنّه أصعبُ شيء بالنسبة إلى وضع التقابل كما أن الأمر في بناء صدور البيوت على أعجازها بالنسبة إلى وضع التقابل أسهلُ شيء لأنّ وجودَ مناظر أو صلة لمناظر ملتزم أن يكون مقطعه حرفا معيّنا في صيغة معيّنة أعزُّ من وجود مناظر أو صلة له غير ملتزم أن يكون مقطعُها حرفا معيّنا بل لا نسبة لأحدهما إلى الآخر في اليسر والعوز والكثرة والقلّة.

4 ـ **تنويــر:** وإنّما يتّفق هذا، أعني بناء العجز على الصدر لمعتمدي التقابل في الشعر المروّى إذا كملت لهم فصول القصائد وحاولوا أن يصلوا بعض الفصول التي لم يتّفق أن توصل بدءً[406] ببعض فعند ذلك تتقارب هذه الأحوال في الصعوبة لأنّ القوافي قد انحصرت له وضاقَتْ عليه. فإذا بنى على القافية ووضع فيها معنى قد اضطرّه إليه كون عبارته موافقة للقافية، وكونها لم تتقدّم في قوافي القصيد، فقد يكون ذلك المعنى بعيدا من جملة نهايات فصول القصيدة فضلا عن الموضع الذي اضطرّ فيه إليه. فلا يجد له مُناظرا ولا صلة يكون له أو لها علقة بما تقدّم **[106 ـ ب]** إلاّ على سبيل التكلّف. فربّما خالف في هذا الموضع عادته في البناء، فبنى آخر الكلام على أوّله، فوضع المعنى المقابل للمعنى المتقدّم قريبا من القافية، ثم تطلّب ما يصله به ممّا يصلح أن يكون قافية، ويكون مع ذلك لمعنى البيت الذي يلي تلك القافية ويأتي إثرها علقة بها أو بمقابلها أو بما وقع حشوا بينهما أو بمجموع ذلك، فيبني البيت حينئذ على غير ما عادته أن يبنيه عليه. وربّما ترك ملاحظة التقابل في هذا الموضع بالجملة ونظر طريقا آخر يؤدّيه إلى القافية غير هذا الطريق.

---

405 ـ البيت من قصيدة بديعة يمدح بها أبا العشائر الحسن بن علي بن حمدان العدوي، وطالعها:

أتراهــا لكـــثرة العشـــاق　　　تحســب الدمــع خلقــة في المــآقي

البرقوقي، (1) 1، 498.

406 ـ في الأصل بلا همزة.

5 ـ **إضـــاءة:** فأمّا من لا يقابل بين الكلام ومَن شأنه أن يبني صدور البيوت على أعجازها فإنّه يتطلّب للكلمة التي يريد وضعها قافيةً معنى يمكن أن يكون للكلام به علقة بما تقدّم، ثمّ يحتال في زنة العبارة ووضع أوّلها وضعًا يليق بما تقدّمه ويناسبه.

6 ـ **تنويــر:** ومن كان من شأنه أن يبني أواخر الأبيات على أوائلها فإنّه يتطلّب معنى يناسب ما تقدّم ويمكن في عبارته مع ذلك أن يتأتّى في ما يلائم تلك القافية منها أن تؤخّر فتكون القافية. وكثيرا ما تتبع معاني من شأنُه هذا ألفاظه في القوافي، وذلك عيب.

7 ـ **إضـــاءة:** وقد تختلف حال من يبني أوائل الكلام على آخره بحسب ما يعرض من أحوال الخاطر. فتارة يبني على القافية جميع البيت، وتارة شطره أو أكثره، ثمّ يسدّ الثملة الباقية بما يناسب الكلام وما تقدّمه. وكذلك من يبني آخر الكلام على أوّله قد يعرض له نقيض هذه الحال فيبني الكلام من أوّله إلى آخره إذا سنحت له القافية بيسر، أو يكمّل بناء الشطر الأوّل أو أكثر من الشطر، ثمّ يتمّ الباقي بما تتيسّر له فيه القافية.

8 ـ **تنويــر:** فقد تبيّن أنّ الشعراء لهم مذهبان في بناء الشعر، وأنّ كلّ مذهب له ثلاثة مآخذ.

فالمذهب المختار ـ وهو بناء البيت على القافية ـ يحسن فيه بناء البيت بأسره على القافية إذا لم يحتج فيه إلى مناسبة متقدّم، أو إذا احتيج وتيسّر وجه المناسبة، ويحسن أن يبني عليها من أوّل الشطر **[107 ـ أ]** الثاني أو ما يتّصل به ممّا قبله حيث يكون البيتُ وُصْلة بين فصلين أو طرفي فصل، ثم يبنى الشطر الأوّل بعد عدَم صعوبة القافية على عبارة تليق بما يتقدّم عليها وتأخّر عنها، وذلك غير عزيز.

9 ـ **إضــاءة:** فأمّا بناء أكثر البيت على القافية فيقع فيه التكلّف كثيرا، لأنّه لا يخلو من أن يكون الطرف المتقدّم في المبني من المعنى مناسبا للبيت الذي قبله فيكون ما يقدّم عليه لتكميل البيت فضلا لا يحتاج إليه، وإن لم يكن مناسبا لما تقدّم فبعيد أن تقع قبله لفظة أو لفظتان تنتسب إليه وإلى ما تقدّم انتسابا قويّا، فيقع التكلّف أيضاً.

10 ـ **تنويــر:** وأمّا المآخذ الثلاثة في المذهب الثاني فقلّ ما تخلو من التكلّف. وأشدّها إعراقا في التكلّف ما بني أكثر البيت على أوّله ثمّ استؤنف بعد ذلك النظر في القافية.

11 ـ **إضــاءة:** وقد يعرض للخواطر في حال جمامها نهزَ في نظم الكلام فينتظم البيت كلّه دفعة في غاية السهولة والبعد عن التكلّف. واتّفاقُ مثل هذا للمطبوعين كثير. ووجوهُ اجتلاب الخواطر للكلام وطروّه عليه كثيرة. وإنّما ذكرت منها ما تيسّر.

ز ـ معلم دالّ على طرق العلم بما يجب في المطالع والمقاطع على رأي من قال: هي أوائل البيوت وأواخرها وعلى رأي من قال هي استهلالات القصائد وأواخرها.

فأمّا ما يجب في المطالع على رأي من يجعلها استهلالات القصائد فمن ذلك ما يرجع إلى جملة المصراع. وهو أن تكون العبارة فيه حسنة جزْلة، وأن يكون المعنى شريف تامّا، وأن تكون الدّلالة على المعنى واضحة، وأن تكون الألفاظ الواقعة فيه لا سيّما الأولى والواقعة في مقطع المصراع مستحسنة غير كريهة من جهة مسموعها ومفهومها. فإنّ النفس تكون متطلّعة لما يستفتح **[107 ـ ب]** لها الكلام به. فهي تنبسط لاستقبالها الحسن أولا، وتنقبض لاستقبالها القبيح أوّلا أيضاً.

1 ـ **إضـــاءة:** ومن ذلك ما يرجع إلى الكلمة الواقعة في مقطع المصراع. ويجب أن تكون مختارة متمكّنة حسنة الدلالة على المعنى تابعة له. ويحسن أن يكون مقطعها مماثلا لمقطع الكلمة التي في القافية، وأن يكون ما بين أقرب ساكن منها إلى المقطع من الحركات عددُ ما بين أقرب ساكن من كلمة القافية وبين نهايتها من الحركات أيضاً، وأن يكون ملتزما فيها من حركة المجرى أو التقييد أو التأسيس والردْف والوصل بالضمائر وحروف الإطلاق وغيْر ذلك ممّا يلزم القوافي مثلُ ما التزم في كلمة القافية وسائر قوافي القصيدة التي ذلك المصراع أوّلها، ليكون البيت بوجدان الشروط التي ذكرت مصرّعا.

فإنّ للتصريع في أوائل القصائد طلاوة وموقعا من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغي العروض والضرب وتماثل مقطعهما لا تحصل لها دون ذلك. وقد قال حبيب: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وتقْفوا إلى الجَدْوَى بجدوى وإنّمَا   يُرُوقُكَ بيتُ الشعْر حين يُصرّعُ [407]

2 ـ **تنويـــر:** ويجب أن يلاحظ فيها جميع ما يجب أن يلاحظ في الكلمة الواقعة قافية على ما أذكره بعد[408]، إن شاء الله.

ويكره أن يكون مقطع المصراع الأوّل على صيغة يوهم وضعُها أنّها مصراع ثُمّ تأتي القافية على خلاف ذلك، فيخلف ظنّ النفس في القافية لذلك. وقد سمّي هذا تجميعاً.

فهذه إشارة إلى ما يجب في اللفظة الواقعة في مقطع المصراع.

3 ـ **إضـــاءة:** فأمّا ما يرجع إلى مفتتح المصراع فأن يكون دالا على غرض

---

407 ـ البيت من قصيدة يمدح بها أبا سعيد بن يوسف الثغري طالعها:

أمـا إنّــه لـولا الخليــط المــودع   وربــع عــفا منــها مصيــف ومربــع

التبريزي، ٢، 322

408 ـ انظر لذلك 255 ف 6.

القصيدة، وأن يكون مع ذلك عذبَ المسموع، ولا يكون ذلك ممّا تردّد على ألسنة الشعراء في المطالع حتّى أخلق وذهبت طلاوته كلفظة خليليّ، أو ممّا اختص به شاعر ولم يتعرّض أحد لأخذه منه، كقول امرئ القيس: «قِفا نبْك».

4 ـ **تنويـــر:** ويستحسن أن يقدّم في صدر المصراع ما يكون **[108 ـ أ]** لطيفًا محرّكاً بالنسبة إلى غرض الكلام كالمناجاة والتذكّر في النسيب وما جرى مجراهما، وإن قرن ذلك بمعنى من المعاني التي هي أحوال تعتري الإنسان كالتعجّب والتشكّك نحو قول حبيب: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

يا بُعدَ غاية دَمْعِ العَيْنِ إنْ بَعدوا[409]

[الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

وقول المتنبي:

أتَــرَاهَـــا لِكَـــثْرةِ العُشّــاقِ   تَحْتَسِـبُ الدّمْعَ خِلْقَــةً في المآقِي؟[410]

كان ذلك منزعا بديعا ومَأخذًا حسناً.

5 ـ **إضـــاءة:** ويجب أن يكون المصراع الثاني مناسبا للمصراع الأوّل في حسن عبارته وتمامها وشرف معناه بالجملة، ويكون مقطعه على ما ذكرته وأشرت إليه في مقطع المصراع الأوّل. فأمّا صدر المصراع الثاني فلا يشترط فيه كثير ممّا يشترط فيما جاء في صدر المصراع الأوّل، وإنّما حكم صدر المصراع الثاني حكم الألفاظ الواقعة حشواً. وأعني بالحشو هنا ما ليس بمبدأ ولا نهاية قد تميّز كلاهما بأحكام تخصّه.

فهذا إلماع بما يجب في المطالع على الرأي الأوّل.

409 ـ تمام البيت: هي الصبابة طول الدهر والسهد. والشاهد طالع قصيدة في مدح محمد ابن يوسف الطائي. **الديوان**، (1)،49.
410 ـ انظر 255 تع 405.

6 ـ **تنويــر:** فأمّا ما يجب في المقاطع على ذلك الاعتبار وهي أواخر القصائد فأن يُتَحرّى أن يكون ما وقع فيها من الكلام كأحسن ما اندرج في حشو القصيدة، وأن يتحرّز فيها من قطع الكلام على لفظ كريه أو معنى منفِّر للنّفس عمّا قَصَدت إمالتَها إليه أو مُميلٍ لها إلى ما قصَدت تنفرّها عنه. وكذلك يتحفّظ في أوّل البيت الواقع مقطعا للقصيدة من كلّ ما يكره ولو ظاهره وما تُوهِمُه دلالة العبارة أوّلا وإن رَفعت الإيهام آخرا ودلّت على معنى حسن، ومن هذا قول المتنبّي: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

فلا بَلَغَـــتَ بهـــا إلاّ إلى ظَـفَرٍ ولا وصَلْـتَ بِهَا إلاّ إلى أمَـلِ[411]

وإنّما وجب الاعتناء بهذا الموضع لأنّه منقطع الكلام وخاتمته.

فالإساءة فيه مُعَفّيَة على كثير من تأثير الإحسان المتقدّم عليه في النفس.

ولا شيء أقبح من كدَر بعد صفو وترميد بعد إنضاج.

فهذا ما يجب في المطالع **[108 ـ أ]** والمقاطع بهذا الاعتبار على المذهب المختار.

7 ـ **إضـــاءة:** ومن الشعراء من يأخذ في النقيض من هذا فلا يعتني بالمبدإ ولا المقطع. فيختم كيفما اتّفق ويبدأ كيفما تيسّر له. ويعتمد هذا مَن يريد إعفاء خاطره، أو من يريد أن يظهر أنّه لم يعتمد الرويّة والتنقيح في كلامه وإنّما أخذ الكلام أخذا اقتضابيا على الصورة التي عنّ له فيها أوّلا. فلا يحفل بعدم التصريع

411 ـ يروى البيت:

فلا هجمـت بها إلا على ظـفـر ولا وصلت بـها إلا إلى أمـل

وهو من قصيدة طالعها:

أعلى الممالـك ما يبنى على الأسـل والطعن عند محبيهن كالقبل

وبهذه الرواية التي نشير إليها في البيت ورد البيت في نسخ **الديوان**، العكبري،(1) ٢، 47، البرقوقي(1)،٢، 43، **الديوان**، 181.

ولا يبالي بوقوع خرم في صدر البيت إن وقع له، ليُوهم بذلك أنّه أعفى قريحته وأنّ في قوّته أن يقول أحسن ممّا قال.

8 ـ **تنويـــر:** فأمّا ما يجب في المطالع والمقاطع على رأي من يقول إنّها أوّل الأبيات وأواخرها فإنّ مطالع الأبيات يجب أن تكون سالمة من الخرم، غير مفتقرة إلى ما قبلها افتقارًا يجعلها غير مستقلّة بأنفسها أو في قوّة المستقلّة. وأمّا ما يستحبّ فيما كان منها رأس فصل أو خاتمة فإنّي أذكره بعد ـ إن شاء الله ـ في الكلام في تأسيس الفصول وترتيبها.

ومحاشاةُ مطالع الأبيات من كلّ ما يكره من جهتي المسموعات والمفهومات مستحبّة لأنّها أوّل ما يقرع السمع. فهي رائد ما بعدها إلى القلب. فإذا قبلتها النفس تحرّكت لقبول ما بعدها، وإن لم تقبلها كانت خليقة أن تنقبض عمّا بعدها. وعلى نحو ما يشترط فيها من جهة المسموع يشترط فيها من جهة المفهوم. فإنّ النفس تكون مترقبة لما يرد عليها في استئناف كلٍّ فيقبضها ما تستقبله من كراهة المسموع أو المفهوم أوّلا عن كثير من نشاطها بما يرد بعد. ويحسن ألاّ تتكرّر الألفاظ والواقعة في المطالع على قرب ما أمكنت المندوحة عن ذلك.

وأمّا ما يجب في المقاطع التي هي أواخر الأبيات فقد ألمعنا من الكلام في ذلك بلمحة دالّة وقدّمنا ذَروا من القول فيه، فليتصفح هنالك، وبالله التوفيق.



ـ [109 ـ أ] المنهج الثالث في الإبانة عمّا يجب في تقدير الفصول وترتيبها ووصل بعضها ببعض وتحسين هيآتها، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائمًا للنفوس أو منافرًا لها.

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بأحكام مباني الفصول وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض.

اعلم أنّ الأبيات بالنسبة إلى الشعر المنظوم نظائر الحروف المقطّعة من الكلام المؤلّف، والفصول المؤلّفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلّفة من الحروف، والقصائد المؤتلفة من الفصول نظائر العبارات المؤلّفة من الألفاظ. فكما أنّ الأبيات إذا حسنت حسنت الفصول المؤلفة منها إذا رتّبت على مايجب ووُضع بعضها من بعض على ما ينبغي كما أنّ ذلك في الكلم المفردة كذلك. وكذلك يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسان إذا كان تأليفها منها على ما يجب. وكما أنّ الكلم لها اعتباران: اعتبار راجع إلى مادتها وذاتها، واعتبار بالنسبة إلى المعنى الذي تدلّ عليه، كذلك الفصول تعتبر في أنفسها وما يتعلّق بهيآتها ووضعها، وتعتبر بحسب الجهات التي تضمّنت الفصول الأوصاف المتعلّقة بها.

وقد تقدّم[412] التعريف بالجهات وأنحائها. وأنَا أخصّ هذا المعلم بالقول فيما يجب اعتماده في الفصول من جهة ما يرجع إلى موادّها، وإلى هيآتها في أنفسها وما يجب في وضعها وترتيب بعضها من بعض. وأفرد للكلام في ما يتعلّق بذلك من جهة اشتمالها على أوصاف **[109 ـ ب]** الجهات وعلى الأقاويل المخيّلة والمقنعة معرفا أقفو به هذا المعلم.

---

412 ـ انظر 68.

1 ـ **إضـــاءة:** والكلام في ما يرجع إلى ذوات الفصول وإلى ما يجب في وضعها وترتيب بعضه من بعض يشتمل على أربعة قوانين.

القانون الأوّل: في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها.

القانون الثاني: في ترتيب الفصول والموالاة بين بعضها وبعض.

القانون الثالث: في ترتيب ما يقع في الفصول.

القانون الرابع: في ما يجب أن يقدّم في الفصول وما يجب أن يؤخّر فيها وتختتم به.

2 ـ **تنويـــر:** فأمّا القانون الأوّل في استجادة موادّ الفصول وانتقاء جوهرها، فيجب أن تكون متناسبة المسموعات والمفهومات حسنةَ الاطّراد غير متخاذلة النسج غيرَ متميّز بعضها عن بعض المتمييزَ الذي يجعل كلّ بيت كأنّه منحاز بنفسه لا يشمله وغيره من الأبيات بنْية لفظيّة أو معنويّة يتنزّل بها منه منزلة الصدر من العجز أو العجز من الصدر. والقصائد التي نسْجها على هذا ممّا تستطاب. وينبغي أن يكون نمط نظم الفصل مناسبا للغرض. فتعتمد فيه الجزالة في الفخر مثلاً والعذوبة في النسيب، وأن تكون الفصول معتدلة المقادير بين الطول والقصر. وتقصيرُ الفصول سائغ في المقطّعات والمقاصد التي يُذهب بها مذهب الرشاقة، وتطويلُها مستثقل في ذلك. فأمّا القصائد المطوّلة والمقاصد التي يذهب بها مذهب التهويل والتفخيم فإنّ تطيل الفصول سائغ فيها ومحتمل لموافقته مقصد الكلام وكونِ القصيدة فيها رحبٌ لذلك وسعة.

3 ـ **إضـــاءة:** فأمّا القانون الثاني وهو ترتيب بعض الفصول إلى بعض، فيجب أن يقدّم من الفصول ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام. وكون مع ذلك متأتّيا فيه حسن العبارة اللائقة بالمبدإ. ويتلوه الأهمّ فالأهمّ إلاّ أن تتصوّر الْتفاتة ونسبة بين فصلين تدعو إلى تقديم غير الأهمّ على الأهمّ. فهناك يُترك القانون الأصلي في الترتيب.

[110 ـ أ] 4 ـ **تنويــر:** وتقديم الفصول القصار على الطوال أحسن من أن يكون الأمر بالعكس.

5 ـ **إضــاءة:** فأمّا القانون الثالث في تأليف بعض بيوت الفصل إلى بعض، فيجب أن يبدأ منها بالمعنى المناسب لما قبله، وإن تأتّى مع هذا أن يكون ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل والذي له نصاب الشرف كان أبهى لورود الفصل على النفس، على أنّ كثيرا من الشعراء يؤخّرون المعنى الأشرف ليكون خاتمة الفصل. فأمّا من يردف الأقوال الشعريّة بالخطابيّة فإنّ الأحسن له أن يفتتح الفصل بأشرف معاني المحاكاة ويَختِمه بأشرف معاني الإقناع. وإلى هذا كان يذهب أبو الطيب المتنبي ـ رحمه الله ـ في كثير من كلامه.

6 ـ **تنويــر:** ويَحسُن أن يُصاغ رأس الفصل صيغة تدلّ على أنّه مبدأ فصل، وإن تمكّن مع هذا أن يُناط به معنى يحسن موقعُه من النفوس بالنسبة إلى الغرض كالتعجّب والتمنّي والدّعاء وتعديد العهود السوالف وما أشبه ذلك فهو أحسن.

7 ـ **إضــاءة:** ويشترط في المذهب المختار أن يكون لمعنى البيت، مع كون أوّله مبدأ كلام ومصدّرا بكلمة لها معنى ابتدائي، أن يكون لمعنى البيت علقة بما قبله ونسبة إليه.

8 ـ **تنويــر:** ويجب أن يردف البيت الأوّل من الفصل بما يكون لائقا به من باقي معاني الفصل مثلَ أن يكون مقابلا له على جهة من جهات التقابل أو بعضُه مقابلا لبعضه، أو[413] يكون مقتضى له مثل أن يكون مسبّبا عنه، أو تفسيرا له، أو محاكى بعضُ ما فيه ببعض ما في الآخر، أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر. وكذلك الحكم في ما يُتلى به الثاني والثالث إلى آخر الفصل.

---

413 ـ بالأصل أن يكون بدون أو.

9 ـ **إضـــاءة:** وربّما ختم الفصل بطرف من أغراض الفصل الذي يليه أو إشارة إلى بعض معانيه.

10 ـ **تنويـــر:** فأمّا القانون الرابع في وصل بعض الفصول ببعض فالتأليف في ذلك على أربعة أضرب:

ـ 1 ـ ضرب متّصل العبارة والغرض.

ـ 2 ـ وضرب متّصل العبارة دون الغرض.

ـ 3 ـ وضرب متّصل الغرض دون العبارة.

ـ 4 ـ وضرب منفصل الغرض والعبارة.

[110 ـ ب] 11 ـ **إضـــاءة:** فأمّا المتّصل العبارة والغرض فهو الذي يكون فيه لآخر الفصل بأوّل الفصل الذي يتلوه علقة من جهة الغرض وارتباط من جهة العبارة، بأن يكون بعض الألفاظ التي في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ الي في الآخر من جهة الإسناد والربط.

12 ـ **تنويـــر:** وأمّا المتّصل الغرض المنفصلُ العبارة فهو الذي يكون أوّل الفصل فيه رأس كلام، ويكون لذلك الكلام علقة بما قبله من جهة المعنى.

وهذا الضرب، إذ نيط برأس الفصل فيه معنى تعجيبيّ أو دعائيّ أو غير ذلك ممّا أشرنا إليه، هو أفضل الضروب الأربعة، لكون النفوس تنبسط ويتجدّد نشاطها بإشعارها الخروج من شيء إلى شيء واستئناف كلام جديد لها مع ما يشفع به إليها في قبول الكلام من نياطة ما ذكرناه من تعجيب أو دعاء أو غير ذلك ممّا له بالمعنى علقة بالكلام وتصديره به. وهذا الضرب على كلّ حال أفضل الضروب الأربعة. وقد يقرن الحرف الرابط بهذا النحو فلا يغضّ من طلاوته ولا ينقص ممّا تجده النفس من حلاوته.

13 ـ **إضـــاءة:** فأمّا الضرب الثالث وهو ما كان منفصل الغرض متّصل العبارة فإنّه منحطٌّ عن الضربين اللذين قبله.

14 ـ **تنويـــر:** فأمّا الضرب الرابع وهو الذي لا توصل فيه عبارة بعبارة ولا غرض بغرض مناسب له، بل يهجم على الفصل هجوما من غير إشعار به ممّا قبله ولا مناسبة بين أحدهما والآخر، فإنّ النظم الذي بهذه الصفة متشتّت من كلّ وجه. وإنّما تسامح بعض المجيدين في مثل هذا عند الخروج من نسيب إلى مديح. وربّما فعلوا ذلك عند خروجهم منه إلى الذمّ.

وهذا القدر من الإشارة إلى ما يجب في الفصول، وإن كان قولا إجماليّا، مقنع لمن له فكر متصرّف يستدلّ به بما ذكر على ما لم يذكر.

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما يجب [111 ـ أ] اعتماده في الفصول من جهة اشتمالها على أوصاف الجهات التي هي مسانح اقتناص المعاني ومعاضدة التخييل فيها بالإقناع على الوضع الذي يليق بذلك ويحسن به موقعه من النفوس.

إنّ من الشعراء من يقصد المبالغة في تكثير الأوصاف المتعلّقة بالجهة التي القول فيها، فيستقصي من ذلك ما كانت له حقيقة، وربّما تجاوز ذلك إلى أن يخيّل أوصافا يوهم أنّ لها حقيقة في تلك الجهة من غير أن يكون كذلك في الحقيقة بل على أنحاء من المجاز والتمويه ليبالغ بذلك في تمثيلها للنفس على أحسن أو أقبح ما يمكن بحسب عرض الكلام من حمد أو ذمّ، ويكون في ذلك بمنزلة من يقصد في المحاكاة والاقتصاصات الكلم التي تعطي المبالغة في الوصف، ومنهم من يقصر في أوصاف الجهات على الحقيقة وما قاربها، كما أنّ فيهم من لا يدلّ بألفاظه إلاّ على الحقيقة أو ما قاربها، ومنهم من يتوخّى تضمين الفصل لحقيقة مّا في الجهة، كما فيهم من يتوخّى مطابقة اللّفظ لحقيقة ما يدلّ عليه.

1 ـ **إضـــاءة:** وكما أنّ في الشعراء من يستوعب أركان المعاني كذلك فيهم من يستقصي الأوصاف التي بها يكمل اتّساق الفصول. وكما أنّ فيهم من يكتفي

باستيفاء المقدار الذي منه يلتئم المعنى الذي رتبته في أوّل درجة من الاستقلال وترك ما وراء حدّ الاستقلال ممّا هو كالتتميم والتبيين كذلك فيهم من يأخذ من أوصاف الجهة ما يكون فيه إقناع وكفاية فلا يضمّن الفصل أكثر من هذا المقدار.

2 ـ **تنويـــر:** وكما أنّ فيهم من يخلّ بالمعاني ويترك كثيرا من أركانها، وربّما أدخل ما ليس منها، كذلك فيهم من يتخطّى أوصاف الجهة اللاّئقة بمقصده ويذكر من ذلك ما تيسّر له ـ أكيدًا كان ذلك بالنسبة إلى غرضه أو غير أكيد ـ فيكون قد أخلّ بالفصول بالنظر إلى الجهات، وربّما أقحم فيها ما لا يصلح بها.

3 ـ **إضـــاءة:** وكما أنّ في الشعراء من يجعل أكثر معانيه وألفاظه مخيّلة ولا يعرّج على الإقناع الخطابيّ إلاّ في قليل من **[111 ـ ب]** المواضع، وفيهم من يقصد الإقناع في كثير من معانيه ـ لأنّ صناعة الشعر تستعمل يسيرًا من الأقوال الخطابيّة كما أنّ الخطابة تستعمل يسيرًا من الأقوال الشعريّة لتعتضد المحاكاة في هذه بالإقناع والإقناع في تلك بالمحاكاة. وإنّما يعاب الشاعر إذا كان أكثر أقاويله، أو ما قارب مساواة الباقي بزيادة قليلة أو نقص، خطابيّة، والخطيب إذا كانت أقاويله أو ما قارب المساواة بزيادة قليلة أو نقص، شعريةً. فأمّا إذا استعملَت إحداهما الأقلّ من الأخرى فإنّ ذلك يحسن لاعتضاد إحداهما بالأخرى وإراحة النفس وجمومها لتجدّد الأقاويل الشعرية بعد الخطابيّة والخطابيّة بعد الشعرية عليها وإجمامها بالواحد لتلقى الآخر. ـ فكذلك في الشعراء أيضاً من يجعل أكثر أبياته وما تتضمّنه الفصول بالجملة مخيّلةً ولا يستعمل الإقناع إلاّ في القليل منها، ومنهم من يستعمل الإقناع في كثير من الأبيات التي تتضمنها فصول القصيدة.

وقد كان أبو الطيب يعتمد هذا كثيرًا ويحسن وضع البيت الإقناعي من الأبيات المخيّلة لأنه كان يصدر الفصول بالأبيات المخيّلة ثم يختمها ببيت إقناعي يعضد به ما قدّم من التخييل ويجمّ النفوس لاستقبال الأبيات المخيّلة

في الفصل التالي مكان لكلامه أحسن موقع في النفوس بذلك. ويجب أن يعتمد مذهب أبي الطيب في ذلك، فإنّه حسن.

4 ـ **تنويـــر:** والذي يجب أن يعتمده من له قوّة يتسنّم بها أيّة شاء من رتب الشعراء في إعطاء الفصول حقّها أو فوق حقّها أو دون حقّها في ما هو فيها بالنظر إلى الجهات بإزاء المبالغة والاستيعاب في العبارات بالنظر إلى المعاني، هو الاقتصار في ما كانت موصوفاته في أعلى رتبة من الحسن أو القبح على الحقيقة أو ما قاربها ممّا هو غير مستحيل. هذا إذا قصد تحسين الحسن وتقبيح القبيح.

وما كان في أدنى رتبة منها وقصد تحسينه أو تقبيحه على ذلك النحو فسائغ **[112 ـ أ]** للشاعر أن يلحقه بذي الرتبة العليا ويصفه بمثل ذلك من الأوصاف التي لا يستحيل تصوّرها وإن كانت ممتنعة. والمستحسن أن يكون ذلك من الأمور الممكنة.

وإنّما ساغ في الشعر وقوع الكذب في الممكنات ولم يسغ في المستحيلات لأن الأمر إذا كان ممكنا سكنت إليه النفس وجاز تمويهه عليها، والمحال تنفر عنه النفس ولا تقبله البتة، فكان مناقضًا لغرض الشعر إذ المقصود بالشعر الاحتيال في تحريك النفس لمقتضى الكلام بإيقاعه منها بمحلّ القبول بما فيه من حسن المحاكاة والهيئة بل ومن الصّدق والشّهرة في كثير من المواضع.

5 ـ **إضـــاءة:** وأمّا الاستقصاء فإنه مستحسن في الجهات التي معانيها مع شرفها قليلة.

فأمّا الجهات التي تكثر معانيها وليست كلّها بشريفة بالنسبة إلى المقصد فإنّما يسوغ استقصاؤها في القصائد الطوال كقصائد ابن الرومي. فأمّا في القصائد القصار والمتوسطة فلا يحسن إلا التخطّي إلى الأشرف فالأشرف منها كما وجب التخطّي أيضاً في المعاني المتناظرات إذا كثرت على ما قدّمته. لكن ذلك قد يُستساغ في القصائد الطوال، ولكلّ مقام مقال.

6 ـ **تنويــر:** وقد يكون الفصل مشتملا على معاني جهتين أو أكثر، ويكون تعليق الأوصاف الواقعة في بعضها ببعض على سبيل محاكاة أو التفات أو غير ذلك. وما جاء غير متكلّف من هذا القبيل فهو حسن.

7 ـ **إضـــاءة:** ومن القصائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها على أن يضمنها معاني جزئية تكون مفهوماتها جنسيّة أو نوعيّة، ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المضمّنة إيّاها مؤتلفة بين الجزئيّة والكليّة. وهذا هو المذهب الذي يجب اعتماده لحسن موقع الكلام به من النفس. وأحسن ما يكون عليه هيأةُ الكلام في ذلك أن تصدّر الفصول بالمعاني الجزئيّة وتردف بالمعاني **[112 ـ ب]** الكليّة على جهة تمثّل بأمر عام على أمر خاص أو استدلال على الشيء بما هو أعمّ منه أو نحو ذلك. فكثيرا ما يقع بوضع معاني الفصول على هذه الصفة تعجيبٌ للنفس وانقيادٌ إلى مقتضى الكلام، لكون المعاني الكليّة مظنّة لوقوع الاقتداء والائتساء بها للسامع أو عدمها حيث يقصد التأنيس بوجودهما أو التنفير من فقدان ذلك، ولوقوع المراوحة التي قدّمنا أنّ فيها استجماما للنفوس.

وللكلام في هذا طول لا يحتمله هذا الموضع، إذ قصدنا اقتضاب ما تيسّر من هذه القوانين الكليّة واعتماد ما معرفته أكيدة في هذه الصناعة من ذلك، فلذلك اكتفينا من القول في ما قصدنا الإبانةَ عنه بهذه الإضاءة بهذه اللمحة الدالّة.

ج ـ مأمّ من مذاهب البلاغة المستبانة بهذا المنهج وهو مذهب التسويم.

إنّ الحذّاق من الشعراء ـ المهتدين بطباعهم المسدّدة إلى ضروب الهيئات التي يحسن بها موقع الكلام من النفس من جهة لفظ أو معنى أو نظم أو أسلوب ـ لمّا وجدوا النفوس تسأم التمادي على حال واحدة وتؤثر الانتقال من حال إلى حال، ووجدوها تستريح إلى استئناف الأمر بعد الأمر واستجداد الشيء بعد الشيء، ووجدوها تنفر من الشيء الذي لم يتناه في الكثرة إذا أخذ مأخذًا واحدًا ساذجًا ولم يتحيّل فيما يستجدّ نشاط النفس لقبوله بتنويعه والافتنان في

أنحاء الاعتماد به، وتسكن إلى الشيء وإن كان متناهيا في الكثرة إذا أُخذ من شتّى مآخذه التي من شأنها أن يخرج الكلام بها في معاريض مختلفة واحتيل في ما يستجدّ نشاط النفس لقبوله من تنويعه والافتتان، في أنحاء الاعتماد، به اعتمدوا [414] في [113 - أ] القصائد أن يقسّموا الكلام فيها إلى فصول يُنحى بكلّ فصل منها منحى من المقاصد ليكون للنفس في قسمة الكلام إلى تلك الفصول والميل بالأقاويل فيها إلى جهات شتّى من المقاصد وأنحاء شتّى من المآخذ استراحةٌ واستجداد نشاط بانتقالها من بعض الفصول إلى بعض وترامي الكلام بها إلى أنحاء مختلفة من المقاصد ـ فالراحة حاصلة بها لافتنان الكلام في شتّى مذاهبه المعنويّة وضروب مبانيه النظميّة ـ واعتنوا[415] باستفتاحات الفصول وجهدوا في أن يهّؤوها بهيئات تحسن بها مواقعها من النفوس وتوقظ نشاطها لتلقّي ما يتبعها ويتّصل بها، وصدّروها بالأقاويل الدالّة على الهيئات التي من شأن النفوس أن تتهيّأ بها عند الانفعالات والتأثّرات لأمور سارّة أو فاجعة أو شاجية أو معجبة بحسب ما يليق بغرض الكلام من ذلك، وقصدوا أن تكون تلك الأقاويل مبادىء كلام من جهة ما نُحي بها من أنحاء الوضع أو محكومًا لها بحكم المبادىء وإن وصله بما قبلها واصل لكونها مستقلّة بأنفسها من جهة الوضع الذي يخصّها، فيكون استئناف الكلام على ذلك النحو وصوغه على تلك الهيآت مجدّدا لنشاط النفس ومحسّنا لموقع الكلام منها.

1 ـ **إضـــاءة:** ولمّا كان اعتماد ذلك في رؤوس الفصول ووجوهها أعلاما عليه وإعلاما بمغزى الشاعر فيه، وكان لفواتح الفصول بذلك بهاء وشهرة وازديان حتى كأنّها بذلك ذوات غرر رأيت أن أسمّي ذلك بالتسويم وهو أن يعلّم على الشيء وتجعل له سيمى يتميّز بها. وقد كثر استعمال ذلك في الوجوه والغرر، كما قال ابن الرومي: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

414 ـ خير إن في أول المام.
415 ـ معطوف على الخبر الاول.

سَمَا سَمْوَةً نَحو السَمَاء بِغـــرّةٍ مُسَوَّمةٍ قِدْما بِسِيمَا سُجُـــودِها[416]

فلذلك كان هذا اللقب لائقا بما وضع عليه. وأيضا فإنّا سمّينا تحلية أعقاب الفصول بالأبيات الحكميّة والاستدلاليّة بالتحجيل ليكون **[113 ـ ب]** اقتران صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحوًا من اقتران الغرّة بالتحجيل في الفرس.

2 ـ **تنويـــر:** فإذا اطّرء للشاعر أن تكون فواتح فصوله على هذه الصفة واستوسق له الإبداع في وضع مباديها على أحسن ما يمكن من ذلك صارت القصيدة كأنّها عقد مفصّل، وتألّفت لها بذلك غرر وأوضاح وكان اعتماد ذلك فيها أدعى إلى ولوع النفس بها وارتسامها في الخواطر لامتياز كلّ فصل منها بصورة تخصّه.

3 ـ **إضـــاءة:** وإذا اتّجه أن يكون الانتقال من بعض صدور الفصول إلى بعض على النحو الذي يوجد التابعُ فيه مؤكّدا لمعنى المتبوع ومنتسباً إليه من جهة ما يجتمعان في غرض ومحرّكا للنفس إلى النحو الذي حرّكها الأوّل أو إلى ما يناسب ذلك، كأن ذلك أشدّ تأثيرًا في النفوس وأعون على ما يراد من تحسين موقع الكلام منها.

4 ـ **تنويـــر:** وممّن كان يحسن الاطراء في تسويم رؤوس الفصول على النحو الذي ذكرته أبو الطيب المتنبّي، وذلك نحو قوله: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

أغَالِبُ فيكَ الشوقَ، والشوقُ أغْلَبُ وأعْجَبُ من ذَا الهَجْرِ، والوَصْلُ أعْجَبُ[417]

فضمّن هذا البيت من الفصل الأوّل تعجيباً من الهجر الذي لا يعاقبه وصل، ثمّ أكّد التعجيب في البيت الثاني الذي هو تتمّة الفصل الأوّل، ثمّ ذكر من لجاج الأيّام في بُعد الأحبّاء وقرب الأعداء، وكان ذلك مناسبا لما ذكر في الهجر.

---

416 ـ لم نعثر عليه في غير **المنهاج**.
417 ـ طالع قصيدة للمتنبي في مدح كافور ـ **الديوان**، 1: 301.

5 ـ **إضــاءة:** ثمّ افتتح الفصل الثاني بالتعجّب من وشك بينه وسرعة سيره فقال:

ولله سَــيْري مَـا أَقَــلّ تَئِيَّـــةً   عَشِيَّـــةَ شـرقيّ الحَـدَالَى وغُــرّبُ[418]

فكان هذا الاستفتاح مناسبا للبيتين المتقدّمين من جهة التعجّب وذكر الرحيل، ثم بيّن حَاله وحال من ودّعه عند الوداع.

6 ـ **تنويــر:** ثـمّ استفتـح الفصل الثالـث بتذكّر العهـود السارّة وتعديدهـا **[114 ـ أ]** فقال:

وكــمْ لِظَـلام اللَّيـلِ عنـدك منْ يـدٍ   تُخَـبِّرُ أنّ المَانَوِيَـــةَ تكْــذِبُ

فكان هذا مناسبًا لمفتتح الفصل الثاني في أنّه تذَكّر فيه موطن البين فتلا ذلك بتذكّر موطن الوصل والقرب في صدر هذا الفصل الثالث، ثمّ تمّم هذا الفصل بذكر ما اقترن بذلك الوصل من محاذرة الرقبة.

7 ـ **إضــاءة:** ثمّ استفتح الفصل الرّابع بتذكّر الحال التي حاذر فيها الرقبة عند رحيله عن سيف الدولة، فشبّه اليوم الذي كان فيه ذلك بليل العاشقين في [الطّول][419] وفي أنّهم يحذّرون فيه الرقبة فقال:

ويوم كليــلِ العاشقيـن كمَنْتُــه   أراقِـبُ فيه الشمــسَ أيّـانَ تَغْــرُبُ

ثمّ اطّرد كلامه في هذا الفصل في وصف الفرس وانتقل فيه من معانٍ جزئيّة إلى معانٍ كليّة يمكن معها أن يعتقد في الكلام أنّه فصل واحدً، وأن يعتقد أنّه فصلان ويكون رأس الفصل الثاني قوله:

ومـا الخيـلُ إلاّ كالصديـق قليلـةٌ   وإن كـثرت في عين من لا يُجَـرِّبُ

---

418 ـ البيت الثالث من نفس القصيدة.

419 ـ بالأصل بياض مقدار كلمة.

8 ـ **تنويــر:** ثمّ استفتح الفصل الخامس أو السادس على الاعتبار الثاني بذمّ الدنيا وما تؤول إليه أحوالها وتعقب به صروفها من مثل ما قدّم من ذكر الفراق والبعاد والهجر ومكابدة الأعداء، وتوجّع ممّا يصيب كلّ بعيد الهمّ فيها فقال:

لحى الله ذي الدُنيا مُناخـها لراكـبٍ   فكلُّ بعيدِ الهمِّ فيـها معـذَّبُ[420]

فاطّرد له الكلام في جميع ذلك أحسن اطّراد، وانتقل في جميع ذلك من الشيء إلى ما يناسبه وإلى ما هو منه بسبب ويجمعه وإيّاه غرض. فكان الكلام بذلك مرتّباً أحسن ترتيب ومفصّلاً أحسن تفصيل وموضوعًا بعضه من بعض أحكم وضع.

فعلى هذا النحو يجب أن تكون المآخذ في استفتاحات الفصول ووضع بعضها من بعض. وهذا الفنّ من الصناعة ركن عظيم من أركان الصناعة النظميّة لا يسمو إليه إلاّ من قويت **[114 ـ ب]** مادّة وفاق طبعه. وقد أرشدنا إلى السبيل المؤديّة إلى حسن التصرّف في ذلك. فمن ائتمّ بما رسمته في ذلك لم يضلّ إن شاء الله.

د ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة ممّا تقدّم أيضاً، وهو مذهب التحجيل.

وإذا ذيّلت أوخرُ الفصول بالأبيات الحكميّة والاستدلاليّة واتّضحت شيّات المعاني التي بهذه الصفة على أعقابها ـ فكان لها ذلك بمنزلة التحجيل ـ زادت الفصول بذلك بهاء وحسنًا ووقعت من النفوس أحسن موقع.

1 ـ **إضــاءة:** ولا يخلو المعنى الذي يقصد تحلية الفصل به وتحجيله من أن يكون مترامیًا إلى ما ترامت إليه جملة معاني الفصل إن كان مغزاها واحدًا

---

420 ـ هذا البيت وما قبله من الأبيات الباقية التي أولها: أغالب فيك الشوق والشوق أغلب، من قصيدة للمتنبي يمدح بها كافورا. البرقوقي،(1)1، 123 ـ 124.

أو يكون متراميًا إلى ما ترامى إليه بعضها، فيورد على جهة الاستدلال على ما قبله أو على جهة التمثيل. ويكون منحوّاً به منحى التصديق أو الإقناع، مقصودًا به إعطاء حكم كلّي في بعض ما تكون عليه مجاري الأمور التي للأغراض الإنسانية علقة بها ممّا انصرفت إليه مقاصد الفصل ونحي بها نحوه. فيكون في ورود البيت الأخير الذي يتضمّن حكما أو استدلالا على حكم، إثرَ المعاني التي لأجلها بُيّن ذلك الحكم أو الاستدلال عليه، إنجادٌ للمعاني الأول وإعانة لها على ما يراد من تأثّر النفوس لمقتضاها. فكان ذلك من أحسن ما يعتمد في الفصول وأزينه لها.

2 ـ **تنويــر:** وهذا الفنّ من صناعة النظم شريف جداً. وينبغي أن يكون اللفظ والتركيب فيه سهلا جزلا، وأن تورد القافية فيه متمكّنة. وإن كانت مراعاة هذه الأشياء واجبةً في غير ذلك من أبيات الشعر فإنّها في هذه الأبيات **[115 ـ أ]** التي تجعل اختتامات للفصول ونصولاً على عواملها أوجب.

3 ـ **إضــاءة:** وممّن سبق إلى وضع هذه المعاني المذهوب بها مذهب الحكمة والتمثّل في نهايات الفصول ومقاطع القول فيها وسبَك القول فيها أحسن سبك زهير، نحوُ ما تمثّل به في آخر مذهّبته: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

أمِــنْ أمِّ أوفى دمـنـة لـم تكـلّــم[421]

ونحو ما ختم به آخر فصل من قصيدته اللاّمية، وذلك قوله:

[الطويل ـ ق ـ المتواتر:

---

421 ـ صدر البيت الذي بدا به معلقته وعجزه: (بحومانة الدراج، فالمتثلّم؟) انظر الأعلم،2، وانظر جميع المعلقات وشروحها وشرح القصائد العشر للتبريزي، ص 126، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، سنة 1307 هـ ـ 1987 م.

فما يك من خير أتوه فإنّما تـوارثـه آبـاء آبـائـهـم قبل
وهل ينبت الخطّي إلاّ وشيجُه وتُغْرَسُ إلاّ في منابتها النخلُ؟(422)

ثم جاء أبو الطيب المتنبّي في المولّدين فولع بهذا الفنّ من الصنعة وأخذ خاطره به حتّى برّز في ذلك وجلّى وصار كلامه في ذلك منتمياً إلى الطراز الأعلى.

4 ـ **تنويـر:** وينبغي ألاّ يسرف في الاستكثار من هذا الفنّ من الصنعة، فإنّه مؤدٍ إلى التكلّف وسآمة النفس. ولكن يلمع بذلك في بعض نهايات الفصول دون بعض، بحسب ما يعنّ للخاطر من ذلك ويسنح من غير استكراه ولا تكلّف في وزن أو قافية أو هيأة نظاميّة بالجملة.

وإنّما يجب أن يقتضب الخاطر من ذلك ما ناسب الغرض ووسعه مقدار الشعر وتمكّن فيه رويّه ولم يكن قلقا في موضعه من جهة لفظ ولا معنى.

وإنّما يسنح الكلام على هذا في بعض المواضع.

فلذلك كان اعتماد التمثّل والحكمة على أعقاب كلّ فصل دليلا على التكلف وداعيا إليه. ولذلك عيب كلام قوم من قدماء المولّدين حيث اعتمدوا ذلك في أكثر كلامهم، فدلّ على ذلك التكلّف وأوقع في السآمة، ولم يُبق للحكمة جدّة ولا طراءة.

وإنّما يحسن الكلام بالمراوحة بين بعض فنونه وبعض، والافتنان في مذاهبه وطرقه، فيزداد حبّ النفس لما يرد عليها من ذلك إذا كانت زيارته غبّا.

422 ـ البيتان من قصيدة يمدح بها سنان ابن أبي حارثة المُرّي مطلعها:
صحـا القلـب من سلمى وقد كان لا يسلو وأقفر من سلـمـى التعانيـق والثقـــل
وفي هذا البيت بالديوان تحريف بآخره، انظر الأعلم 23.

[115 ـ ب] المنهج الرابع في الإبانة عن كيفيّة العمل في إحكام مباني القصائد وتحسين هيآتها، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائمًا للنفوس أو منافرًا لها.

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بإحكام مباني القصائد وتحسين هيآتها وما تجب العناية بالتأنّق فيه من ذلك وما تتأكّد العناية به وما تتأكّد فيه عند قوم ولا تتأكّد عند آخرين.

إنّ من القصائد ما يقصد فيه التقصير، ومنها ما يقصد فيه التطويل، ومنها ما يقصد فيه التوسّط بين الطول والقصر.

فأمّا المقصّرات فإنّ القول فيها إذا كان منقسمًا إلى غرضين لم يتّسع المجال للشاعر لأن يستوفي أركان المقاصد التي بها يكمل التئام القصائد على أفضل هيئاتها، وربّما استوفى ذلك الحذّاق مع ضيق المجال عليهم باقتضاب الأوصاف الضرورية في الجهات بالنسبة إلى الغرض والتلطّف في إبداع النقلة من بعضها إلى بعض على الوجوه الملائمة الموجزة.

فأمّا المتوسّطات والمطوّلات فالمجَال فيها متّسع لما يراد من ذلك.

1 ـ **إضـــاءة:** والقصائد: منها بسيطة الأغراض ومنها مركّبة. والبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحًا صرفًا أو رثاء صرفًا. والمركّبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح. وهذا أشدّ موافقة للنفوس [116 ـ أ] الصّحيحة الأذواق لما ذكرناه من ولع النفوس بالافتنان في أنحاء الكلام وأنواع القصائد.

2 ـ **تنويـــر:** فأمّا كيفية العمل في القصائد المشتملة على نسيب ومديح فإنّ كلّ قول نسيبيّ لا يخلو من أن يكون متعلّقاً بوصف المحبوب ومحاكاته أو وصف بعض أحواله وما له بذلك علقة من زمان أو مكان أو غير ذلك، أو يكون

متعلّقا بوصف المحبّ أو وصف بعض أحواله وما له بذلك علقة، أو يكون متعلّقا بوصف حال تقاسماها معاً.

فأكثر ما تبدأ القصائد الأصيليّة بما يرجع من ذلك إلى المحبّ: كالوقوف على الربوع والنظر إلى البروق ومقاساة طول الليل.

وأكثر ما تبدأ بعد هذا بما يرجع إلى المحبّ والمحبوب معا مّما يسوء وقوعه كوصف يوم الفراق وموقف الوداع.

والافتتاحُ بما يخصّ المحبوب أقلّ من ذلك.

3 ـ **إضـــاءة:** ويستحسن إرداف ما يرجع إلى المحبّ والمحبوب معا ممّا يشجو وقوعه بذكر بعض ما هو راجع إليهما ممّا يسرّ وقوعه، إذ في ذلك ضرب من المقابلة وتدارك للنفوس من إيلامها بالشاجي الصرف، بأن تعرض عليها المعاني التي تلتذّ بتخيّل ما يعنى بها وإن آلمها مغيبه أو انقضاؤه.

4 ـ **تنويــر:** وأحسن ما ابتدئ به من أحوال المحبّين ما كان مؤلما من جهة، ملذّا من أخرى كحال التذكّر والاشتياق وعرفان المعاهد. فإنّ هذه الأحوال، وإن كانت مؤلمة للنفوس، فإنّ لكثير من النفوس في تخيّل ما يتذكّر ويشتاق إليه ويحنّ إلى عهده لذّة مّا وتشفّيا، يكاد ينقع الغلّة من حيث أذكاها ويُسر النفس من حيث أشجاها وأبكاها. ثمّ يتدرّج من ذلك إلى ذكر ما يلذ من بعض الأحوال التي لها علقة بهما معا، ثم إلى ذكر ما يلذّ من الأحوال التي لها بهما أيضاً علقة، ثمّ ينتقل من ذلك إلى ما يخصّ المحبوب من الأوصاف والمحاكاة، ثمّ يحتال في عطف أعنّة الكلام إلى المديح، فهذا هو الموضع التامّ المتناسب. وهو الذي يعتمده امرؤ القيس في كثير من قصائده **[116 ـ ب]**. ولا يحسن أن يبدأ بالمؤلم المحض. وقد يقع ذلك لكثير من الشعراء. ويكون الترتيب على غيرما ذكرته، لكنّ الذي ذكرته أحسن.

5 ـ **إضـــاءة:** فأمّا المديح المتخلّص إليه من نسيب فالوجه أن يصدّر بتعديد فضائل الممدوح، وأن يُتلى ذلك بتعديد مواطن بأسه وكرمه وذكر أيّامه في أعدائهم. وإذا كان للممدوح سلف حسن تشفيع ذكر مآثره بذكر مآثرهم ثمّ يختتم بالتيمّن للممدوح والدعاء له بالسعادة ودوام النعمة والظهور على الأعداء وما ناسب ذلك.

والمحدثون أكثر اعتمادًا لهذا في مقاطع القصائد من القدماء، وإن كان ذلك أيضاً موجودًا في أشعارهم.

6 ـ **تنويـــر:** فأمّا القصائد البسيطة فأحسن ما تبدأ به وصفُ ما يكون في الحال ممّا له إلى غرض القول انتساب شديد كافتتاح مدح القادم من سفر بتهنئته بالقدُوم والتيمّن له بذلك، وكافتتاح مدح من ظفر بأعدائه بوصف ذلك وتهنئته به، ثمّ يتبع ذلك بذكر فضائل الممدوح ونشر محامده، ويستمرّ في الأغراض التي تعنّ على الأنحاء التي لا يوجد للكلام معها اضطراب ولا تنافر.

7 ـ **إضـــاءة:** ويجب أن تكون المبادئ جزْلة، حسنة المسموع والمفهوم، دالّة على غرض الكلام، وجيزةً، تامّة. وكثيرًا ما يستعملون فيها النداء والمخاطبة والاستفهام ويذهبون بها مذاهب من تعجيب أو تهويل أو تقرير أو تشكيك أو غير ذلك ممّا تقدّمت[423] الإشارة إليه فيما سلف.

8 ـ **تنويـــر:** إضاءة ويجب أن يكون صدر المديح حسنَ السبك، عذبَ العبارات، مستطابَ المعاني، ليناسب ما اتّصل به من النسيب. ويجب أن تعتمد فيه مع ذلك الجزالة والمبالغة في الأوصاف.

9 ـ **إضـــاءة: [117 ـ أ]** وممّا يجب اعتماده حيث يقع وصف الحرب أن تُفخَّم العبارات وتُهوّل الأوصاف ويحسن الاطّراد في اقتصاص ما وقع من

423 ـ راجع 253 وما بعدها.

ذلك، وأن تراح النفوس حيث يقع التمادي في ذلك بإيراد معاني تستطيبها وتبسط ما قبض منها تهويل وصف الحرب. وتحسن الإحالة على التواريخ في هذا الموضع.

10 ـ **إضـــاءة:** فأمّا الاختتام فينبغي أن يكون بمعان سارّة فيما قصد به التهاني والمديح، وبمعانٍ مؤسية فيما قصد به التعازي والرثاء. وكذلك يكون الاختتام في كلّ غرض بما يناسبه. وينبغي أن يكون اللفظ فيه مستعذبا والتأليف جزلا متناسباً، فإنّ النفس عند منقطع الكلام تكون متفرّغة لتفقّد ما وقع فيه غير مشتغلة باستئناف شيء آخر.

11 ـ **تنويـــر:** فأمّا ما تجب العناية بالتأنّق فيه على الوجه المختار فتحسين المبدإ والتخلّص.

وأمّا ما تتأكد به العناية ولا سيّما عند من أخذ بمذهب أيمّة المحدثين فتحسينُ البيت التالي للبيت الأوّل من القصيدة ليتناصر بذلك حسن المبدإ.

ومثل هذا قول أبي تمّام:

شهدتُ لقد أقْوَتْ مغانيكمُ بعْدي ... ومَحّتَ كما محَّتْ وشَائعُ من بُرْدِ
وأنجدتـمُ مـن بعـد إتهـامِ داركُمْ ... فيا دمعُ أنجدْني على سَاكِنِي نَجْد[424]

ومن ذلك قول أبي الطيّب المتنبّي: [البسيط ـ ق ـ المتواتر]

مَـن الجـآذِرُ فـي زِيِّ الأعَاريـبِ ... حُمْرَالحُلَى والمَطَايا والجَلاَبِيبِ؟؟
إن كنْـتَ تسـألُ شـكّاً فـي معارِفِهَـا ... فمَـنْ بـلاكَ بتسـهيد وتعذيـبِ؟[425]

424 ـ البيتان بدأ بهما قصيدة يمدح بها أبا المغيث الرافقي ويعتذر إليه راجع التبريزي 7، 159 وديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي م 1 ص109.

425 ـ مطلع قصيدة في مدح كافور والبيت الثاني يروى بلفظ شكا في **الديوان** بدل مثلا. البرقوقي، (1) 1، العكبري(1) 103.

وقوله: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

لعينكِ ما يلقَى الفؤادُ وما لَقِي ... وللحُبِّ ما لم يَبْقَ منِّي وما بَقِي

وما كنتُ ممّن يَدخلُ العشقُ قلبه ... ولكنَّ من يُبْصِرْ جُفُونَكَ يَعْشَقِ[426]

وقوله: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

فراقٌ ومن فارقتُ غيرُ مذمَّم ... وأَمٌّ ومن يمَّمتُ خير مُيَمَّم

وما منزلُ اللذّاتِ عندِي بمنزلٍ ... إذا لَمْ أبجَّلْ عندهُ وأكرَّمِ[427]

وأكثر ما يتوخّون هذا إذا كان البيت الثاني تتمّة الفصل الأول. فأمّا **[117 ـ ب]** إذا كان الفصل الأوّل أكثر من بيتين فإنّهم يوجّهون العناية إلى تحسين نهاية الفصل. وكلّما قرب ذلك إلى المبدإ فكان ثانيا أو ثالثا كان أحسن مثل قول أبي تمّام الطائي ـ رحمه الله ـ: [الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

أيُّها البرقُ بتْ بأعلى البُراقِ ... واغدُ فيها بوَابلٍ غيدَاقِ

وتعلَّم بأنَّهُ ما لأنوَا ... ئكَ إنْ لَمْ تُروِّها مِنْ خلَاقِ

دِمَنٌ طالما التقتْ أدمُع المزْ ... نِ عليهَا وأدْمُعُ العشَّاقِ[428]

وإذا لم يكن البيت الثاني مناسبا للأوّل في حسنه غضّ ذلك من بهاء المبدإ وحسن الطليعة، وخصوصا إذا كان فيه قبح من جهة لفظ أو معنى أو نظم أو أسلوب، وذلك نحو قول أبي الطيّب المتنبّي: [الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

أتراها لكثرةِ العُشّاقِ ... تحسبُ الدَمْعَ خلقةً في المآقي

كيْفَ ترثي التي رأت كلَّ جفن ... راءَها غيرَ جفنها غيرَ راق؟[429]

---

426 ـ مطلع قصيدة في مدح سيف الدولة. البرقوقي، (1) 457 ـ 458.

427 ـ البيتان بدأ بهما قصيدة في مدح كافور. البرقوقي، (1) ٢، 389 العكبري، (1) ٢، 366 وفي الأصل (خير ميمّم).

428 ـ 1)راجع 40، تع 54.

429 ـ تقدم ذكر البيتين والإشارة اليهما في 279 تع 1 وفي 284، والإحالة في التعليق عدد 2 على التعليق السابق.

وتحسين البيت التالي لبيت التخلّص إلى المدح يجري من بيت التخلّص مجرى تحسين البيت الثاني من البيت الأوّل في أنّ إتباع تحسين أحدهما بتحسين الآخر أكيد.

فأمّا ما تتأكّد به العناية عند قوم ولا تتأكّد عند آخرين فمقاطع القصائد وأبياتها الأواخر، وذلك من جهة ما يرجع إلى هيئات الوضع والتأليف والاطّراد في الألفاظ والمعاني والنظام والأسلوب، فأمّا من جهة وقوع لفظ مكروه أو معنى مشنوءٍ في منقطع الكلام فالرأي فيه واحد في أنّ التحفّظ منه واجب على كلّ ناظم أو ناثر.

فهذه مذاهب الحذّاق المطبوعين: تحسين هيئات القصائد وتحصين مبانيها قد أبنتها، فمن سلك ذلك السبيل وذهب ذلك المذهب فقد سار على سواء المنهج من هذه الصناعة، إن شاء الله.

ب ـ مأمّ من مذاهب البلاغة المستشرقة [118 ـ أ] بهذا المعلم وهو مذهب الإبداع في الاستهلال.

وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالّة على ما بعدها المتنزّلة من القصيدة منزلة الوجه والغرّة، تزيد النفس بحسنها ابتهاجا ونشاطا لتلقّي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك. وربّما غطّت بحسنها على كثير من التخوّن الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وَلِيَهَا.

1 ـ **إضـــاءة:** ولا يخلو الإبداع في المبادي من أن يكون راجعًا إلى ما يقع في الألفاظ من حسن مادّة واستواء نسج ولطف انتقال وتشاكل اقتران وإيجاز عبارة وما جرى مجرى ذلك ممّا يستحسن في الألفاظ، أو إلى ما يرجع إلى المعاني من حسن محاكاة ونفاسة مفهوم وتطبيق مفصل بالنسبة إلى الغرض وما جرى

مجرى ذلك ممّا يستحسن في المعاني، أو إلى ما يرجع إلى النظم من إحكام بنية وإبداع صيغة ووضع وما ناسب ذلك ممّا يحسن في النظم، أو إلى ما يرجع إلى الأسلوب من حسن منزع ولطيف منحى ومذهب وما جرى مجرى ذلك ممّا يستحسن في الأساليب.

2 ـ **تنويــر:** وملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلّم من جميع جهاته. فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم، وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقّة وعذوبة من جميع ذلك، وكذلك سائر المقاصد. فإنّ طريقة البلاغة فيها أن تفتتح بما يناسبها ويشبهها من القول من حيث ذكر.

3 ـ **إضـــاءة:** وممّا تحسن به المبادئ أن يصدّر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو أن يشرب ما يؤثّر فيها انفعالاً ويثير لها حالاً من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك ممّا تقدّمت الإشارة إليه.

4 ـ **تنويــر:** وفي الكلام ما له صورة يصير بها لائقا أن يكون رأسَ كلام ومفتتح قول، ومنه ما لا **[118 ـ ب]** يليق بالمبادي ولا يكون له هيأة تصلح لها.

ويجب أن يجتلب القول للمبادئ من المعدن الأوّل.

5 ـ **إضـــاءة:** وأحسن المبادي ما تناصر فيه حُسن المصراعين وحسن البيت الثاني على ما تقدّم ذكرُه في المعلم قبل هذا.

وأكثر ما وقع الإحسان في المبادئ على هذا النحو للمحدثين. فأمّا العرب المتقدّمون فلم يكن لهم، بتشفيع البيت الأوّل بالثاني، كبير عناية. وكثيرا ما كانوا يتسلسلون فيه في ذكر المواضع نحو قول امرئ القيس:

[الطويل ـ ق ـ المتواتر]

فغَولٍ، فحلَيتٍ، فنفـءٍ فمنعجٍ إلى عاقل، فالجُبِّ ذي الأمرات[430]

والرتبة الثانية في حسن المبادي أن يتناصر الحسن في المصراعين دون البيت الثاني، نحو قول أبي الطيب: [الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

أتـــراها لكـــثرة العـــشـــاق تحسب الدمع خلقـــة في المـــآقي[431]

والرتبة الثالثة أن يكون المصراع الأوّل كامل الحسن، ولا يكون المصراع الثاني منافرا له وإن لم يكن مثلَه في الحسن. ومثل هذا يوجد كثيرًا.

6 ـ **إضـاءة**[432]: وقد تكون المبادي، التي حسن فيها المصراع الأوّل وكان ما وليه نمطا وسطا في الكلام، من الشرف بما وقع فيها بحيث تفوق المبادي التي تناصر الحُسن في مصراعيها والبيت التالي لهما، وذلك نحو قول امرئ القيس: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بقسط اللّوى بين الدخول فحومل[433]

فالمصراع الأوّل في غاية الإبداع ونهاية الانطباع، وليس المصراع الثاني كذلك، وإن كان له قسط من الفصاحة لأنّ كثيرا من الشعراء الفحول يجاريه في مثل صيغة المصراع الثاني ويتمّم مبدأه بمثل ما تمّمه به، وليس يجاريه أحد في كمال المصراع الأوّل وشرف ما وقع فيه بالنظر إلى ما يجب أن يفتتح به القول في البكاء على الديار.

---

430 ـ البيت من قصيدة يصف فيها الوحوش وصيده لها، طالعها:

غشيت ديار الحي بالبكـــرات فعارمـــة فبرقـــة العيـــرات

السندوبي، (3) 73.

431 ـ راجع 251 تع، 405.

432 ـ الوجه أن يعنون لهذه الفقرة بتنوير، مخالفة للفقرة قبلها، ولعل ذلك ذهول من الناسخ أو المؤلف.

433 ـ السندوبي، (3)، 143.

7 ـ **تنويــر:** وليس يجب أن يعتبر في حسن المبادي ما وقع الإحسان في مصراعه الثاني إذا كان المصراع الأوّل قبيحاً.

8 ـ **إضـــاءة:** وممّا اختير من المبادي قول النابغة: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

[119 ـ أ] كليني لهَمّ يا أميمةُ ناصب(434)

وقول الأعشى: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

كفى بالذي تولينه لو تحَبّبا(435)

وقول القطامي: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

إنّا مُحَيُّوكَ فاسلَم أيُّها الطَلَلُ(436)

وقول بشّار: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

أبى طلل بالجزع أن يتكلّما(437)

وقول حبيب: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

يابُعدَ غايةِ دمعِ العين إن بَعدوا(438)

وقول البحتري: [الرجز ـ ق ـ المتدارك]

عارَضْنَنَا أُصُلا فقلنا الربرب(439)

---

434 ـ 272 التع 3.

435 ـ البيت مطلع قصيدة للأعشى الأكبر، وتمامه: شفاء لسقم بعدما كان أشيبا. انظر الديوان، (3)، 113 عدد14.

436 ـ ورد هذا الشطر مفردًا. **الأغاني**(3)، ٣، 128.

437 ـ هذا صدر أحد يتبين وتمامه: وماذا عليه لو أجاب متيما؟ **الأغاني**، (3) ٣، 148.

438 ـ تقدم تمام البيت 255 تع عدد 409.

439 ـ صدر البيت مطلع قصيدة في مدح اسحاق بن إبراهيم وتمامه: حتى أضاء الاقحوان الأشنب **الديوان**.٢، 681.

ومن المراثي قول الشاعر: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

أيا جَارَتَا من يجتمع يتفـرّق ومنْ يكُ رهنا للحـوادث يغلَـقِ[440]

وقول أوس بن حجر: [المنسرح ـ ق ـ المتراكب]

أيّتها النفسُ أجْمِلِي جَزَعا[441]

وقول حبيب: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

أيُّ القلوبِ علَيْكُم ليس ينصَدِعُ[442]

9 ـ **تنويــر:** وممّا أستحسنه أنا قول منصور النّمري:

[البسيط ـ ق ـ المتراكب]

ما تنقضي حسرةٌ منِّي ولا جَزَعُ إذا ذكرت شبابا ليس يُرتجـع[443]

وقول أبي الطيب [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

أغالبُ فيك الشوقُ والشَّوقُ أغْلبُ[444]

---

440 ـ أول خمسة ابيات وردت في الأمالي نسبها القالي إلى عمارة بن صفوان الضبي عن روايتين من رواة الشعر، وقال البكري في «التنبيه على أوهام أبي على في اماليه» المطبوع إثر «كتاب ذيل الأماني والنوادر» ص 94 بعد أن ذكر هذا البيت:(والصحيح أن هذا الشعر لزميّل بن أبرد الفزاري قاتل سالم بن دارة، لا لعمارة، وكلاهما شاعر إسلامي، وكذلك سالم، وكان هجا زميلا فقتله وقال:(محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا).

وقال: أنـا زميـل قاتـل ابن داره ثم جعلـت عقلـه البكـاره

الصواب ما نقلناه عن المصدر السابق الذي قال أيضا: وقد يروى البيت لطارق بن صفوان الضبي أو لعمارة بن صفوان.

441 ـ صدر البيت من طالع قصيدة مشهورة له يرثي بها فضالة الأسدي، وتمامه: إن الذي تحذرين قد وقعا. المعري: **الغفران**، 444، المرصفي، 8، 173، شيخو، ق٤، 492.

442 ـ صدر البيت من طالع قصيدة في رثاء بني حميد بن قحطبة تمامه: وأي نوم عليكم يمتنع. **الديوان**، (2)، 371.

443 ـ هذا طالع قصيدة له في مدح الرشيد، أورد قطعًا منها ابن المعتز. **الطبقات**، 245.

444 ـ انظر 270، تع420.

وقول أبي عمر بن درّاج القسطلّي: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

أَهَلَّ بالبيْنِ، فانهلَّتْ مدامعُه[445]

وقول يوسف بن هارون: [الكامل ـ ق ـ المترادف]

مَن حاكِم بيني وبيْن عذولي[446]

وقول أبي إسحق بن خفاجة: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

لكَ اللهُ من برق تراءى فَسلَّما[447]

ولو قال قائل: «إنّه لم يُستفتَح في قافية الهمزة بأحسن من قول أبي جعفر بن وضّاح: [كامل ـ ق ـ المتواتر]

يا سرحــة العلمــين من تيمــاء   حدبت عليـك روائمُ الأنــواء[448]»

لكان حقيقا أن يصدّق وأن يسلّمَ له في ما قال.

ج ـ مَعرَف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء التخلّصات من حيّز إلى حيّز وعطف أعنَّة الكلام من جهة إلى أخرى ومن غرض إلى غرض.

[119 ـ ب] اعلم أنّ الانعطاف بالكلام من جهة إلى أخرى أو غرض إلى آخر لا يخلو من أن يكون مقصودا أوّلاً، فيذكر الغرض الأوّل لأن يستدرج منه إلى الثاني وتجعل مآخذ الكلام في الغرض الأوّل صالحة مهيّأة لأن يقع بعدها الغرض الثاني موقعا لطيفا وينتقل من أحدهما إلى الآخر انتقالا مستطرفا، أوْ

445 ـ البيت طالع قصيدة تمامه: وآنس الفقر فاستكت مسامعه. **الديوان**، 137 عدد 41.

446 ـ صدر البيت من طالع قصيدة له مدح بها أبا علي إسماعيل بن القاسم عند دخوله الأندلس وتمامه: الشجو شجوي والعويل عويلي. الحميري، 347.

447 ـ هذا الصدر من طالع قصيدة له أثبتها كرم البستاني وعنون لها بسرحة واد: وتمام البيت: وصافح رسما بالعذيب وسلما. **الديوان**، 136.

448 ـ لم نعثر عليه في غير **المنهاج**.

لا يكون قُصد أوّلا في غرض الكلام الأوّل أن يجعل ذكره سببًا لذكر الغرض الثاني ولا توطئة للصيرورة إليه والاستدراج إلى ذكره بل لا ينوي الغرض الثاني في أوّل الكلام، وإنّما يسنح للخاطر سنوحا بديهيّا ويلاحظه الفكر المتصرّف بالتفاتة إلى كلّ جهة ومنحى من أنحاء الكلام.

فما كان من قبيل هذا القسم الثاني فإنّه الذي يعرف بالالتفات. وأمّا القسم الأوّل فإنّ منه ما يكون بصورة الالتفات، ومنه ما لا يكون بتلك الصورة. وفي ما لا يبنى الكلام عليه أيضاً من أوّل ما لا يكون بصورة الالتفات.

1 ـ **إضـــاءة:** والصورة الالتفاتـيّة: هي أن يجمع بين حاشيتي كلامين متباعدي المآخذ والأغراض، وأن ينعطف من إحداهما إلى الأخرى انعطافا لطيفا من غير واسطة، تكون توطئة للصيرورة من أحدهما إلى الآخر على جهة من التحوّل.

والانعطاف غير الالتفاتي يكون بواسطة، بين المنعطف منه والمنعطف إليه، يوجَد الكلام بها مهيّئا للخروج من جهة إلى أخرى، وسببٍ يجعل سبيلا إلى ذلك يشعر به قبل الانتهاء إليه.

2 ـ **تنويـــر:** وأصناف الالتفاتات كثيرة. وأكثر ما يعني المتكلّمون في البديع، من ضروبه، ثلاثة أصناف:

ـ 1 ـ ممّا أوهم ظاهره أنّه كريه وهو مستحب في الحقيقة فيلتفت الشاعر إلى ذكر ما يزيل ذلك، نحو قول عوف بن محلّم: [السريع ـ ق ـ المترادف]

إنّ الثمــانيــن وبلغــتَـــها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان[449]

449 ـ البيت من قصيدة قالها عوف بن محلم الشيباني لعبد الله الطاهر. ذلك أن عبد الله دخل عليه وسلم فلم يجبه عوف، ولما أعلم بذلك دنا منه وأنشده هذا البيت من قصيدة طالعها:

يا ابن الذي دان له المشرقـــان ... طرا وقد دان له المغربـــان

الصفدي: **الغيث**، 2، 57، العباسي، (2)، 1، 362، عدد 68.

ـ 2 ـ الثاني أن يلتفت الشاعر عند ذكر شيء إلى ما له في نفسه من غرض جميل أو **[120 ـ أ]** غير ذلك، فيصرف الكلام إلى جهة ذلك الغرض،

نحو قول جرير: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

طرب الحَمامُ بذي الأراك فهاجني　　　لا زلت في غلل وأيك ناضر[450]

ـ 3 ـ الثالث أن يلتفت إلى نقض خفيّ داخل عليه في مقصد كلامه أو يخشى تطرّق النقض إليه، فيحتال في ما يرفع النقض ويزيل التطرّق، ويشير إلى ذلك ملتفتا كقول طرفة: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

فسقى ديـارك غير مفسـدهـا　　　صوبُ الربيع وديمـةٌ تَهـمي[451]

وقول ابن المعتزّ: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

صَببنا عليها، ظالمين، سياطنَا　　　فطـارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجـلُ[452]

3 ـ **إضــاءة:** وإذ قد تبيّن أنّ ما قصد به الاستدراج أوّلا، أو سنح فيه الالتفات آخرا، كلاهما منه ما يترامى فيه من الغرض الأوّل إلى الثاني من بعد على سبيل التدرّج، ومنه ما يُخلَص فيه إلى الشيء ممّا يليه من الكلام بغير تدرّج، فلنذكر الآن مآخذ الشعراء فيما يتدرّجون إلى مدحه أو ذمّه، أو يخلصون إليه خلوصا التفاتيّا على جهة الاستطراد، أو لا يتدرّجون إليه ولا يستطردون بل يهجمون على المدح أو الذمّ هجوما.

وأهل البديع يسمّون ما كان الخروج فيه بتدرّج تخلّصا، وما لم يكن بتدرّج

450 ـ البيت طالع قصيدة له. **الديوان**، 304.

451 ـ هذا آخر بيت من قصيدة لطرفة يمدح بها قتادة بن سلمة الحنفي، طالعها:

إن امرأ سرف الفـؤاد يرى　　　عسـلا بماء سحابه شتـمي

الأعلم، 90 ـ 93 عدد 71، شيخو، 316.

452 ـ لبيت من قصيدة له طالعها:

أهاجك أم لا بالدّويرة منزل　　　يجد هبوب الريح فيه ويهزل

الديــوان، 59.

ولا هجوم ولكن بانعطاف طارئ على جهة من الالتفات استطرادا، ومثله قول حسّان: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

إن كنت كاذبـةَ الذي حدّثتــني   فنجوت منجى الحارث بن هشام[453]

وربّما اجتمع التخلّص والاستطراد، كقول مسلم: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

أجـدّك لا تدريـن أن ربّ ليلـة   كأنّ دجاهـا مـن قرونـك تنشـر
أرِقـت لهـا حتّـى تجلّـت بغـرّة   كغـرّة يحيـى حيـن يُذكـرُ جعفـرُ[454]

فتخلّص إلى مدح يحيى واستطرد منه إلى ذكر جعفر.

وإنّما أخذ هذا اللقب من استطراد الفارس، وهو أن يريَك أنّه فرّ وإنّما يريد بذلك **[120 ـ ب]** اغترارَ من ينقطع في طلبه، فيسرع الكرّ إذ ذاك عليه.

ولا ينبغي أن يشترط في الاستطراد ألاّ يرجعَ فيه إلى وصف المستطرد منه، بل كيف ما وقع الكلام المتحوّل فيه عن جهة إلى أخرى على النحو الذي ذكرناه مرجوعا فيه إلى وصف المستطرد منه أو غير مرجوع، مستطردا فيه من المستطرد إليه وإلى غيره ومن ثان من المستطرد إليها إلى ثالث أو مقتصرا على واحد من المستطرد إليها، فإنّه استطراد يتنوّع بحسب ما يتوجّه الكلام بعده إليه.

4 ـ **تنويــر:** وشعراء المحدثين أحسنُ مأخذًا في التخلّص والاستطراد من القدماء، لأنّ المتقدّمين إنّما كانت قُصاراهم في الخروج إلى المديح أن يقول: دع ذا، وعدّ القول في هذا، أو يصف ناقته ويذكر أنّ إعمالها إنّما كان من أجل قصد الممدوح، وعلى أنّهم كانوا معتمدين في الخروج على تعدية القول أو تعدية العيس فقد ندر لهم من التخلّص ما يستحسن ومن الاستطراد ما لا ينكر

---

453 ـ البيت من قصيدة له يذكر فيها الحرث بن همام المخزومي، وهزيمته يوم بدر، ثم حسن السلامة، وطالع القصيدة:

نبلت فؤادك في المنام خريــدة   تسقي الضجيع ببارد بســـام

الديـوان، 84.

454 ـ البيتان مفردان في مدح يحيى بن خالد، والرواية بصبرت بدل أرقت. **الديوان**، 316.

الإبداع فيه. وقد كان في المحدثين من يعفي خاطره في الخروج إلى المديح اقتداء بالمتقدّمين فيهجم على المديح من غير توطئة له كقول البحتري:

[الكامل ـ ق ـ المتدارك]

تأبى رُباه أن تجيب، ولم يكن مستخبرٌ ليجيب حتّى يفهما

ثم قال:

الله جار بني المدبّر كلّما ذُكر الأكارمُ ما أعفّ وأكرما[455]

5 ـ **إضاءة:** وكلا ضربي الخروج إلى المديح ـ متّصلة بما قبله ومنقطعة ـ لا يخلو من أن يقفّي البيت فيه باسم الممدوح أو المذموم، أو اسم الأب، أو يوضع ذلك في تضاعيف البيت ويقفى البيت بغير ذلك.

وكلّما أمكن وضعُ الاسم في القافية كان أحسنَ موقعا وأبلغَ في اشتهار الاسم، والناس يسمّون هذا النوع الشقّ على الاسم، كقول البحتري:

[الكامل ـ ق ـ المتواتر]

ولو انّني أعطيت فيهنّ المنى لَسَقَيْتُهُنَّ بكفِّ إبراهيما[456]

6 ـ **تنوير:** فالذي يجب أن يعتمد في الخروج من غرض إلى غرض أن يكون **[121 ـ أ]** الكلام غير منفصل بعضه من بعض، وأن يُحتال في ما يصل بين حاشيتي الكلام ويجمعُ بين طرفي القول حتّى يلتقي طرفا المدح والنسيب أو

455 ـ البيتان متواليان من قصيدة في مدح أحمد وإبراهيم ابني المدبّر طالعها:

أمحلتيْ سلمى بكاظمة اسلما وتعلما أن الجوى ما هجتما

الديوان، 1، 229.

456 ـ البيت في الديوان مفتتح بفاء لا بواو، وهو من قصيدة له في مدح إبراهيم بن الحسن بن سهل طالعها:

أحرى الخطوب بأن يكون عظيما قول الجهول ألا تكون حليما؟

المرجع السابق، 1، 286.

غيرهما من الأغراض المتباينة التقاء محكما، فلا يختلّ نسق الكلام ولا يظهر التباين في أجزاء النظام، فإنّ النفوس والمسامع إذا كانت متدرّجة من فنّ من الكلام إلى فنّ مشابه له، ومنتقلةً من معنى إلى معنى مناسب له، ثمّ انتقل بها من فنّ إلى فنّ مباين له من غير جامع بينهما وملائم بين طرفيهما وجَدت الأنفسُ في طباعها نفورا من ذلك ونَبَت عنه، وكانت بمنزلة المُستمرّ على طريق سهل، بينَا هو يسير فيه عفوا إذ تعرّض له في طريقه ما ينقله من سهولة المسلك إلى حزونته ومن لينه إلى خشونته. وكذلك النفوس والأسماع إذا قرعها المديح بعد النسيب دُفعةً من غير توطئة لذلك، فإنّها تستصعبه ولا تستسهله، وتجدُ نبوةً مّا في انتقالها إليه من غير احتيال وتلطّف في ما يجمع بين حاشيّي الكلام ويصلُ بين طرفيه الوصلَ الذي يُوجد للكلام به استواءٌ والتئامٌ.

د ـ مأمٌّ من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعرَف وهو مذهب الإبداع في التخلّص والاستطراد.

وطريقة التخلّص ينحى بها أبدا نحوان: نحو يُتدرّجُ فيه إلى ما يراد التخلّص إليه وينتقل بتلطّف إليه ممّا يناسبه ويكون منه بسبب، ونحو لا يكون التخلّص فيه بتدرّج وانتقال من الشيء إلى ما يناسبه ويشبهه ولكن بالتفات الخاطر حيّزًا من حيّز وملاحظته طَرفا من طرف، فينعطف إلى ما يريد التخلّص إليه بما يكون **[121 ـ ب]** مناقضا له أو مخالفا أوشك انعطاف من غير مقدّمة تُشعر بذلك أو واسطة تنظم بين الطرفين ولكن بالخروج من أحدهما والتخلّي عنه دفعة إلى الآخر على جهات من المآخذ. وذلك بأن يلاحظ في المتخالفين صفة يجتمعان فيها من حيث لا يشعر فيكون ذلك طريق النقلة من أحدهما إلى الآخر على سبيل تشبيه أو محاكاة، أو بأن يضرب عن أحدهما في مقصد ويعتدّ بالآخر فيه، أو بأن يسلب عن أحدهما ما أوجب للآخر، وقد يكون المأخذ في ذلك على غير هذه الأنحاء ممّا يعرف في مواضع أخر من هذا الكتاب.

1 ـ **إضـــاءة:** ولا يخلو التخلّص من أن يكون في شطر بيت أو في بيت بجملته أو في بيتين. وكلّما قرب السبيل في ذلك كان أبلغ.

وقد يستحسن التخلّص الواقع في البيت بأسره ويقع من النفوس أحسن موقع، وذلك حيث يقصد التفخيم وزيادة المعنى بها. فربّما قدّرت العبارة لذلك على المعاني تقديرا إضافيا، فحسُن ذلك.

2 ـ **تنويـــر:** ولا يخلو المتخلّص إليه من أن يَرد في مبنى القافية ونهاية الكلام الموزون، أو يقع حشوا وتكون التقفية بمعنى آخر.

وإذا وقع ما يراد التخلّص إليه في القافية كان أشهر له وأحسن موقعا من النفس. وليس يحسن ما وقع حَشوا من ذلك حُسنَ ما وقع نهاية. وإذا قُفّي البيت بما يكون تتميما لما وقع من ذلك حشوا كان أحسنَ من أن يقفّى بما ليس له إليه نسبة. وإذا وقع الشيء المتخلّص إليه في القافية فهو الذي يسمّيه الناس الشقّ على الاسم، وقد تقدّم ذكره[457].

3 ـ **إضـــاءة:** ولا يخلو الاسم في ذلك من أن يكون بسيطا أو مركّبا. والمركّب لا يخلو من أن يكون في أدنى تركيب، أو يكون في أقصى ما تحتمله الأوزان في ذلك، أو يكون في رتبة وسط بين الطرفين.

وما كان في أقصى الرتب من ذلك وما يليها من الأوساط فهو الذي يسمّى الاطّراد **[122 ـ أ]**، نحو قول دريد بن الصمة: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

قتلنا بعبـد الله خيرَ لداتـــه ... ذُؤابَ بن أسماءَ بن زيد بن قاربِ[458]

---

457 ـ انظر 287.

458 ـ البيت ثالث أبيات ثلاثة أولها:

جـزيـنـا بـنـي عـبـس جـزاءمـوفـرا ... بمقتل عـبـد الله يـوم الـذنـائـب

ولـولا سـواد الليل أدرك ركضنا ... بذي الرمث والأرضى عياض بن ناشب

شيخو، ق، ٥، 761.

وربّما كان الاطّراد على أنحاء أخر من التسلسل في الكلام المتعلّق بعضُه ببعض، ولا يقال إلاّ في ما يحسن من ذلك.

4 ـ **تنويــر:** والأمور التي يجب اعتمادها في التخلّص هي التحرّزُ من انقطاع الكلام ومن التضمين والحشو والإخلال واضطراب الكلام وقلّة تمكّن القافية والنقلة بغير تلطّف والاضطرار في ذلك إلى الكناية عمّا يجب التصريحُ به والإبانةُ عنه، والتلطّفُ في ما يوقع الكلام أحسنَ مواقعه ويُجريه على أقوم مجاريه من أضداد هذه الأشياء.

5 ـ **إضــاءة:** وممّا يجب اعتماده في التخلّص: أن يجهد في تحسين البيت التالي لبيت التخلّص، فإنّه أوّل الأبيات الخالصة للحمد أو الذمّ، وأوّل منقلة من مناقل الفكر في ما تخلّصت إليه، فيجب أن يعتمد فيه ما يكون محرّكا للنفس لتستأنف هزّة ونشاطا لتَلقّي ما يرد، فإنّ العناية بهذا البيت نحوٌ من العناية بالبيت الثاني من مطلع القصيد، بل ربّما كانت الحاجةُ إلى استثارة الهزّة عند الانعطاف آكد منها في استثارة ذلك عند المبدإ، ليكون صدر القصيدة وسماعه يَذهب بقسط من نشاط النفس ربّما لم يكن يسيرًا، فكانت الحاجةُ إلى استثارة النشاط عند أخذه في الضعف آكدَ من الحاجة إلى استثارته في حال توفّره وجمومه.

6 ـ **تنويــر:** وقد قسّم الناس الخروج من جهة ما ينحى به منحى التدرّج، أو الانعطاف من غير تدرّج، إلى تخلّص واستطراد. وتخيَّروا ممّا وقع للشعراء في ذلك فصولاً وأبياتاً.

فممّا اختاروه من باب التخلّص قول البحتري: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

[122 ـ ب]

شـقائـق يحملن النـدى فكأنّــه   دمـوع التصابي في خدود الخرائد

كأنّ يـد الفتـح بن خاقـان أقبلت   تليهـا بتلـك البارقـات الرواعـد[459]

459 ـ 1) البيتان في القصيدة ليسا على التوالي، وبينهما أربعة أبيات، والقصيدة في مدح الفتح بن خاقان وابنه، وطالعها:

مثالك من طيف الخيال المعــاود   ألم بنـا من أفقــه المتباعـــد

الديوان، 1، 54.

وقول محمد بن وهيب: [الكامل ـ ق ـ المتراكب]

ما زال يلثمني مراشفه ويعلّني الإبريقُ والقدحُ
حتّى استردّ الليل خلعته وبدا خلالَ سواده وضَحُ
وبدا الصباح كأنّ غرّته وجهُ الخليفة حين يُمتدح[460]

وممّا ذُهب به مذهب الاستطراد من ذلك قول همّام بن غالب الفرزدق:

[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وركبٍ كأنّ الريح تطلب عندهم لها ترة من جدبها بالعصائب
سرَوا يخبطون الريح وهي تلفّهم إلى شُعب الأكوار ذات الحقائب
إذا أنسوا نارا يقولون: ليتها، وقد خصرت أيديهم، نارُ غالب[461]

ومّما اختير من ذلك قول جرير: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

لمّا وضعت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل[462]

ومن جيّد الاستطراد قول حبيب في وصف الفرس:

[البسيط ـ ق ـ المتواتر]

---

460 ـ الأبيات من قطعة شريفة له يمدح به المأمون، طالعها:
العذر إن أنصفت متضح وشهيد حبك أدمع سفح
الأغاني، (3) ١٧، 148.

461 ـ يروى البيت الثاني بلفظ الليل مكان الريح، وبعلى شعب الأكوار من كل جانب بدل إلى شعب الأكوار ذات الحقائب. والبيت الثالث بلفظ إذا ما رأوا إذا أنسوا وبين البيت الأول والثاني بيت ساقط هنا مثبت بالديوان.
يعضون أطراف العصي كأنّها تخزم بالأطراف شوك العقارب
الديوان، ١، 30 ـ 31.

462 ـ البيت يروى وضعا البعيث بدل وعلى، وهو من قصيدة يهجو بها الفرزدق طالعها:
لمن الديار كأنها لم تجلل بين الكناس وبين طلح الأعزل
الديوان، 443.

فلو تراه مشيحا والحصَى زِيَمٌ	ما بين رجليه من مثنى ووحدان
أيقنتَ إن لم تثبّت أنّ حافره	من صخر تَدمُر أو من وجه عثمان[463]

هـ ـ معلَم دالّ على طرق العلم بالفرق بين المقصّد والمقطّع.

إذا كان[464] الشاعر مقتدرا على النفوذ من معاني جهة إلى معاني جهة أو جهات بعيدة منها من غير ظهور تشتّت في كلامه، وكان حسن المأخذ في ما يعضد به المعاني التي هي عمدة في كلامه من الأشياء التي يحسن اقترانها بها، بصيرا بأنحاء التدرّج من بعض الأغراض والمعاني إلى بعض، بالغا الغاية القصوى في التهدّي إلى أحسن ما يمكن أن تكون **[123 ـ أ]** بنية غرضه وكلامه عليه من المعاني الشديدة العلقة بغرضه والانتساب إلى مقصده وإلى أحسن ما يمكن أن يزيّن به تلك المعاني المعتمدة ويبهّيها ممّا يكون فيه إفادة مناسبة لما أفادته تلك المعاني فيكون في ذلك تقويَةٌ وتكميلٌ لما اعتمد من المعاني الأول أو حياطة لها من الضعف والنقص. ويكون مع ذلك موفّيا للمعاني المعتمدة وما بني عليها وألحق بها حقّها من المبالغات وحسن الوضع، وكان مع ذلك مقتدرا على وضع العبارات عن جميع ذلك على أحسن ما يمكن أن توضع عليه حتّى يتناصر إبداعه في المعاني بإبداعه في العبارات عنها، قيل[465] فيه إنّه بعيد المرامي. وهذا إنّما يتّفق بقوّة العارضة ومعانة الطبع وكمال تصرّف

463 ـ البيتان من قصيدة في عثمان بن ادريس السامي، طالعها:

وسابح هطل التعداء هتان	على الجراد أمون غير خوان

ورواية البيتين مخالفة لما في الأصل، وهي بهذا الوجه:

فلو تراه مشيحا والحصا قلق	بين السنابك من مثنى ووحدان
حلفت إن لم تثبت أن حافره	من صخر تدمر أو من وجه عثمان

الديوان، (1) 201.

464 ـ فعل إذا وجوابها يأتي عقب المعطوفات عليه.

465 ـ جواب إذا في أول المعلم.

الفكر. وهؤلاء هم المقصّدون من الشعراء المقتدرون على تعليق بعض المعاني ببعض واجتلابها من كلّ مجتلب.

1 ـ **إضـــاءة:** فأمّا من لا يقوى من الشعراء على أكثر من أن يجمع خاطره في وصف شيء بعينه ويحضر في فكره جميع ما انتهى إليه إدراكه من صفاته التي تليق بمقصده ثم يرتّب تلك المعاني على الوجه الأحسن فيها ويلاحظ تشكّلها في عبارات منتشرة ثمّ يختار لتلك العبارات من القوافي ما تجيء[466] فيها متمكّنة ثمّ ينظم تلك العبارات المنتشرة من غير أن يستطرد من تلك الأوصاف إلى أوصاف خارجة عن موصوفها، فهذا لا يقال فيه بعيد المرامي في الشعر، وهؤلاء هم المقطّعون من الشعراء.

466 ـ بالأصل تجد.



الأســـــلوب

بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد [123 ـ ب]

* * * *

القسم الرابع في الطرق الشعرية وما تنقسم إليه وما ينحى بها نحوه من الأساليب، والتعريف بمآخذ الشعراء في جميع ذلك وما تعتبر أحوال الكلام المخيّل المقفّى الموزون في جميع ذلك، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها من القوانين البلاغيّة.

ـ المنهج الأوّل في الإبانة عن طرق الشعر من حيث تنقسم إلى جدّ وهزل، وما تعتبر به أحوالها في كلّ ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.

والشعر ينقسم أوّلا إلى طريق جدّ وطريق هزل. وله قسمة أخرى من جهة ما تتنوّع إليه المقاصد والأغراض، سأذكرها[467] بعد إن شاء الله.

فأمّا طريقة الجدّ فهي مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مُروءة وعقل بنزاع الهمّة والهوى إلى ذلك.

وأمّا طريقة الهزل فإنّها مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مجون وسخف بنزاع الهمّة والهوى إلى ذلك.

وأنا أذكر ما تختصّ به كلتا الطريقتين، وما يسوغ في كلّ واحدة منهما ممّا هو خاصّ أو كالخاصّ بالأخرى.

467 ـ راجع تفصيل ذلك في ق، 4، 2، أ، 304 ـ 308.

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في طريقة الجدّ.

[124 ـ أ] فأمّا يجب في طريقه الجدّ فألاّ يُنحرف في ما كان من الكلام على الجدّ إلى طريقة الهزل كبير انحراف، أولا ينحرف إلى ذلك بالجملة، لأنّ الكلام المبنيّ على الجدّ إنّما قُصد به إلقاؤه بمحلّ القبول من أهل الجدّ. وكثير من أهل الجدّ يكره طرق الهزل، ومن لا يكرهها منهم كبير كراهة لا ينغّصه خلوّ الكلام منها، فكان وجودها في الكلام منغّصا على بعضهم وفقدانها غير منغّص على جميعهم، فلذلك يجب ألاّ يُتعرّض إليها كبير التعرّض، أو لا يتعرّض إليها بالجملة في طرق الجدِّ.

1 ـ **إضــاءة:** وجملة ما يجب أن يُتجنّب في ذلك هي الجهات المختصّة بالهزل، والمعاني الواقعة في تلك الجهات، والعبارات عن تلك المعاني، والجزء الواحد من العبارة الواقعة في ذلك إذا كانت قد وقعت لشهرة بجهة من جهات الهزل.

ويجب أيضاً أن يُتحفّظ بالنظم الجِدِّي من أن يكون التأليف فيه على صيغة تأليف قد اشتهر وقوعه في طريقة هزليّة كأنّما قد حذي بذلك حذو هذا.

وجملة الأمر ألاّ يتعرّض فيها إلى منحى من مناحي الهزل ـ ولو بإشارة ـ إلاّ حيث يليق ذلك بالحال والموطن، فيتصوّر إذ ذاك العرّض إلى ما خفّ من الهزل، ولكلّ مقام مقال.

2 ـ **تنويــر:** وتختصّ الطريقة الجديّة بأن يجتنب فيها الساقط من الألفاظ والمولّد، ويقتصر فيها على العربيّ المحض وعلى التصاريف الصريحة في الفصاحة المطّردة في كلامهم. ولا يعرّج من ذلك على ما لا يدخل في كلامهم إلاّ بوجوه تستضعف ويُتسامح في إيراد الحوشيّ والغريب فيها في بعض المواضع.

3 ـ **إضـــاءة:** ويجب في معاني الطريقة الجديّة أن تكون النفس فيها طامحة إلى ذكر ما لا يشين ذكره ولا يسقط من مروءة المتكلّم، وأن تكون واقفة دون أدنى ما يحتشِم من ذكره ذو المرءة أو يُكبر نفسه عنه، وأن تطرّح من ذلك ما له ظاهر شريف في الجِدّ وباطن خسيس في الهزل.

[124 ـ ب] 4 ـ **تنويـــر:** وممّا تختصّ به العبارات في الطريقة الجديّة أن يُتحرّى فيها المتانة والرصانة كما تُتحرّى في طريقة الهزل الحلاوة والرشاقة. وقد تأخذ الطريقة الجديّة بطرف من الرشاقة كما تأخذ الطريقة الهزلية بطرف من المتانة.

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما يجب أن يُعتَمد في طريقة الهزل

لمّا كان[468] أهل طريقة الهزل يشاركون أهل طريقة الجدّ في كثير من المعاني والعبارات ويستعملون ذلك في كلامهم وطريقتهم بساطا إلى ما يريدونه من معاني الهزل التي هي غاية طريقتهم، وتلك المعاني والعبارات المشترك فيها هي التي هي في أنفسها كلام جدّي ليس فيه تعرّض لما يقدح في الطريقة الهزلية، ولم يحتج في طريقة الجدّ إلى شيء يكون لها بساطا من معاني الهزل، وكانت طريقة الهزل بجملتها منافية لأهل طريقة الجدّ، ولم تكن طريقة الجِدّ بجملتها منافية لأهل طريقة الهزل وجب[469] أن تَأخذ طريقة الهزل من طريقة الجدّ أخذا خاصّا، وألاّ تأخذ طريقة الجدِّ من طريقة الهزل شيئا ـ اللهم ـ إلاّ أن يشير مشير إلى غرض من أغراضها ممّا لا يقدح في طريقة الجدّ كبير قدح وتكون مع ذلك إشارته في المظنّة اللاّئقة بها، فإنّ ذا الجدّ قد يأتي من الهزل بما يخفّ في بعض المواضع ـ فإنّ الكريم قد يطرب، وقد يحتاج إلى إطرابه، ولكلّ مقام مقال ـ لكنّه يحتاج من بَنى كلامه على الجدّ ـ ثمّ أراد أن يُلمّ بشيء

---

468 ـ فعل لما وجوابها يأتي بعد المعطوفات على فعلها الأول.
469 ـ جواب لما في أول المعرف.

من الهزل ـ أن يتلطّف في التدرّج من الجدّ إلى الهزل، وأن يشعر بأنّ ما ألمّ به من ذلك شيءٌ لا حقيقة له، وإنّما هو على جهة المزح والدعابة ليبسط بذلك من النفوس ويحرّك. فكثير من معاني الهزل تحرّك ذا الجدّ وتطربه وإن لم يكن من شأنه. وقد **[125 ـ أ]** قال ابن الرومي معتذرا عن شيء وقع له من الهزل في قصيدة مدحيّة: [الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

وأرى أنّ معشرا سيقولون سخيف من الرجال لعوب
أين عنه، وأين ما يدّعيه من علوم لحامليها قطوب
ولعمري إنّ الحكيم وقور ولعمري إنّ الكريم طروب[470]

وقد قال سقراط: «حكاية الهزل لذيذة سخيف أهلها، وحاية الجدّ مكروهة، وحكاية الممزوج منهما معتدل. ولا يُقبل شاعر يحكي كَل جنس، بل نَطرده وندفع ملاحته وطيبه، ونُقبل على شاعرنا الذي يسلك مسلك الجدّ فقط».

1 ـ **إضـــاءة:** وممّا تختصّ به طريقة الهزل ويجب اعتماده فيها أن تكون النفس في كلامها مُسفّة إلى ذكر ما يقبح أن يوثر، وألاّ تقف دون أقصى ما يوقع الحشمة، وألاّ تكبر عن صغير ولا ترتفع عن نازل، وألاّ تطرّح ما له باطن هزلي وإن كان له ظاهر جدّي، وأن تردّ ما يفهم منه الجدّ إلى ما يفهم منه الهزل بتخليص ذلك إلى حيّز الهزل بما يجعل مخلصا إلى ذلك من توطئة أو غير ذلك. ويقع مثل هذا بتضمين، ويقع بغير تضمين. وأكثر ما يتّفق هذا مع اللفظ المشترك.

ومن هذا النوع تضمين بعضهم قول مهلهل: [الطويل ـ ق ـ المتواتر]

470 ـ يروى صدر البيت الثاني بلفظ أين عنه وقار ما يدعيه، والأبيات من قصيدة مطولة كتب بها ابن الرومي إلى القاسم بن عبيد الله، طالعها:

سيدي أنت شاخص مصحـــــوب وضياعي إليكم منســـــوب

الديوان، 2، 1، 539.

فلولا الريـح أسمَعَ من بنجـد صليـلَ البيـض تُقرع بالذّكـور[471]

أبيات هجاء، فصرف البيت إلى غير مقصد مهلهل حيث وجد الألفاظ المشتركة صالحة لأن يدلّ بها على ذلك.

2 ـ **تنويـــر:** ومن ذلك أن تتحرّى في عباراتها الرشاقة، وألاّ يتسامح في كثير من التكلّف المتسامح فيه في طريقة الجدّ.

3 ـ **إضـــاءة:** ومن ذلك شيوع استعمال العبارات الساقطة والألفاظ الخسيسة ككثير من ألفاظ الشطّار المتماجنين وأهل المهن والعوام والنساء والصبيان على الوجه الذي تَقبل به الطريقةُ ذلك، وربّما أوردوا ذلك على سبيل الحكاية. وهذا موجود[472] في مجون أبي نواس كثيرا وغير منقود عليه، ذلك لأنّه لائق بالموضع الذي أورده فيه من أشعاره التي يقصد بها الهزل. وليس يسوغ إيراد شيء من ذلك **[125 ـ ب]** ولا حكايته لمن طريقته الجدّ. فقد عاب بعض المتكلّمين[473] في هذه الصناعة قول أبي نصر ابن نباتة: [الوافر ـ ق ـ المتواتر]

وقال لنا الزمان: ظلمتـموهم فقلنا للزمـان: دعِ الفضـولا[474]

لأنّ هذا ليس من نمط ما بنى عليه كلامه من الجدّ، وهو أشبه بكلام الشطّار. ولو ورد مثل هذا في شعر ابن حجّاج وأضرابه من أهل الهزل والمجون لكان مرضيا مختارا بالنسبة إلى طريقته.

---

471 ـ البيت من قصيدة، طالعها:

أليلتنا بذي حسم أنـــيري إذا زنت انقضيت فلا تحـــوري

شيخو، 170.

472 ـ راجع **الديوان**، 2، 567، وغير هذا كثير حذفه الناشر.

473 ـ يريد النقاد والأدباء.

474 ـ البيت من قصيدة طويلـة له يمدح بها سيف الدولة لانتـصاره في بعض وقائـعه وذلك سنة 355 هـ. وطالع هذه القصيدة.

أقـم في القـول من نفسي دليـــلا لأن الصـــدق ما زرع القبـــولا

وأكـدار المشـارب ليــس يشـــني غليل فـتى يعـاف السلسبيـلا

الديوان، مخط.و.12، س6، 7.

4 ـ **تنويــر:** ويستساغ في طريقة الهزل استعمال التصاريف التي شاعت في ألسن الناس وتكلّم بها المحدثون وإن لم تقع في كلام العرب إلاّ على ضعف وقلّة. فأمّا العبث في العبارات والزيادة في حروف الكلم على ما سمع من العرب كقول بعضهم: [هزج ـ ق ـ المتواتر]

شَرِبرِبْـــتُ بمــاخـــور عـــلى دُفٍّ وطنبـــور(475)

فليس يقع مثل هذا لمن يقصد أن يكون كلامه عربيّا. وإنّما لمن قصده العبثُ وشوب الفصاحة باللّكنة والعروبة والعُجمة، فليس على مثل هذا كلام.

ج ـ معلم دالّ على طرق العلم بما تأخذه طريقة الجِدّ من طريقة الهزل.

فأمّا ما تأخذه طريقة الجدِّ من طريقة الهزل فهي المعاني التي في ذكرها، في بعض المواضع، إطراب وبسط للنفوس ومذهب في ما خفّ من الإحماض بحسب الأحوال التي تكون بها مستعدّة لقبول ذلك.

1 ـ **إضـــاءة:** وهذه المعاني منها ما لا يقدح في طريقة الجدِّ كبير قدح، ومنها ما يقدح فيها أعظم القدح.

ومزايا القدح يختلف اعتبارها بحسب ما تكون عليه النفوس من التصميم في الجدّ أو الاقتصاد والاعتدال فيه. فيجب عند تسامح من طريقته الجدّ **[126 ـ أ]** في الإحماض أن يورد من المعاني اللاّئقة بذلك مقدار ما يناسب طبع المخاطب، فربّما عظم ما لم يكن فيه كبير قدح عند المصمّم في الجدِّ، وربّما صغر عند المقتصد في الجدِّ والمعتدل فيه ما قدحُه كبير في ذلك. ولكن يجب على من طريقته الجدّ أن يكون ما يلمّ به من الإحماض في تفاريق كلامه والفلتات من أحواله ممّا لا يعظم قدحه في طريقة الجدّ. فيجب أن يضرب بها

475 ـ محل الشاهد فيه اللفظ الأول بما وقع فيه من زيادة وتغيير في استعمالات العامة. وأصله في غير الغناء شربت.

عن الإلمام بالمعاني العظيم قدحُها، وعن التعرّض لجهات تلك المعاني، وقد تقدّم معنى الجهة في ما تقدّم[476].

2 ـ **تنويــر:** وتشارك طريقة الجدّ طريقةَ الهزل في أن ينحى بعباراتها نحو الرشاقة في المواضع التي يحسن ذلك فيها، أو يقال إنّ طريقة الجدّ تأخذ هذا من طريقة الهزل لأنّ طريقة الهزل به أخلق وهو بها أوْلى وأليق.

3 ـ **إضـــاءة:** وكلّ كلام اعتمدت فيه المراوحه بين المعاني الجديّة وما لا ينافيها كلّ المنافاة من معاني الهزل فإنه من القسم الممتزج من جِدّ وهزل. وهو الذي تقدّمت الإشارة إليه في قول سقراط[477].

د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجـــدِّ.

فأمّا ما تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجدِّ، فتأخذ منها المعاني التي ليس فيها تعرّض للقدح فيها وجميع ما يتعلق بها من جهات وعبارات ليجعل ذلك بساطا للتدرّج إلى الهزل.

1 ـ **إضـــاءة:** وقد تأخذ من معانيها أيضاً ما يقدح فيها لكن على جهة حكايتها والردّ عليها والتفنيد لها بعد التقرير. وأمّا أخذ جميع ذلك على جهة صرفه إلى طريقة الهزل بما في العبارة الجديّة لذلك من الاحتمال بكون العبارة الجديّة يمكن فيها أكثر من مفهوم من قبل اشتراك يكون في بعضّ **[126 ـ ب]** العبارات أو إيهام اشتراك يعرض في التركيب أو غير ذلك من الوجوه التي لا يكون الكلام بها نصّا على معنى واحد فسائغ فيها.

476 ـ راجع 61، 1. ولا تلتبس عليك معاني الجهات بالنسبة للمعاني بمعاني الجهة بالنسبة إلى اللفظ أو القافية المبحوثين في 192 وفي 198 ـ 200.
477 ـ انظر 298.

2 ـ **تنويــر:** وممّا تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجدّ أيضاً إيراد بعض المعاني العلميّة على نحو من الإحالة عليها ببعض معاني الهزل والمحاكاة بها، كقول أبي نواس: [سريع ـ ق ـ المتواتر]

صرت له رفعا على الابتداء   وصار لي نصبا على الحال[478]

3 ـ **إضــاءة:** وتشارك طريقة الهزل طريقة الجدّ في الأخذ بطرف من المتانة، أو يكون ذلك ممّا تأخذه طريقة الهزل منها لأنّه أليق بطريقة الجدّ وأنجعُ فيها وأكثر استصحابا لها.

4 ـ **تنويــر:** فهذه قوانين مقنعة فيما يتعلّق بالطريقة الجديّة وما يتعلّق بالطريقة الهزلية وما يتعلّق بهما معا. ومعرفتها أكيدة في صناعة النقد والبصيرة بطرق الكلام وما يجب فيها. فكثير من وجوه النقد والنظر في هذه الصناعة يتعلّق بها. وأيضا فإنّه إذا أريد الحكم بين شاعرين متماجنين أيّهما أشعر أو بين جادّ وماجن أيّهما أمضى في طريقته وأبرع فيها لم يكن بدّ من معرفة هذه القوانين في الطريقتين، إذ بها يتبيّن نمط كلامه وإعراقه في الطريقة التي هو مبنّي عليها وسلامته بحسب ما يجب فيها.

فلهذا ألمعت إلى ما يجب في الطريقتين ببعض القول. فمن تفهّم ذلك وكان اعتباره بحسبه يُصب إن شاء الله.

478 ـ البيت غير موجود فيما جمع من شعر أبي نواس. وقد ورد منسوبا تغليطا للفرزدق في اختراع **الخراع** للصفدي، وهو مسبوق ببيت ونصهما.

إن زارني يوما على خلوة أو   زرته في موضع خــال
قمت له رفعا على الابتــدا   وقام لي نصبا على الحال

انظر الصفدي. مخط. العاشورية، 103 ب س. 26 ـ 104 أس 1.

- المنهج الثاني في الإبانة عن طرق الشعر من حيث تنقسم إلى فنون الأغراض، وما تعتبر به أحوال الشعر في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.

[127 - أ] أ- معلم دالّ على طرق العلم بما ينقسم إليه الشعر بحسب ما قصد به من الأغراض.

اختلف الناس في قسمة الشعر. فقسّمه بعض من[479] تكلّم في ذلك إلى ستّة أقسام: مدح وهجاء ونسيب ورثاء ووصف وتشبيه.

وقال بعضهم[480]: الصحيح أن تكون أقسامه خمسة لأنّ التشبيه راجع إلى معنى الوصف.

وممكن أيضاً أن يقول قائل: إنّ قسم الوصف أيضاً داخل في قسم الحمد أو قسم الذمّ، وإن كان جاعل الوصف قسما إنّما يعني الأوصاف التي ليس بالإنسان حاجة إلى حمد موصوفاتها ولا إلى ذمّها ولا هي أيضاً يصل إليها من ذلك شيء، وإنّما القصد بوصفها سبر الخواطر ورياضتها. وقد يكون الباعثَ على ذلك اعتبار أو استغراب.

وقال بعضهم[481]: أركانُ الشعر أربعة: الرغبة والرهبة والطرب والغضب».
وقال بعضهم[482]: «الشعر كلّه في الحقيقة راجع إلى معنى الرغبة والرهبة».

وهذه التقسيمات كلّها غير صحيحة لكون كلّ تقسيم منها لا يخلو من أن يكون فيه نقص أو تداخل.

---

479 ـ قدامة، (3)، 23.

480 ـ هو قول الرماني. انظر ابن رشيق، 1، 78.

481 ـ انظر ابن رشيق، 1، 77.

482 ـ انظر ابن رشيق، 1، 78.

وأنا أذكر الوجه الصحيح والمأخذ المستقيم في القسمة التي لا نقصَ فيها ولا تداخل.

1 ـ **إضــــاءة:** فأمّا طريق معرفة القسمة الصحيحة التي للشعر من جهة أغراضه فهو أنّ الأقاويل الشعريّة، لمّا كان[483] القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع المضارّ ببسطها النفوس إلى ما يراد من ذلك وقبضِها عمّا لا يراد بما يخيّل لها فيه من خير أو شرّ، وكانت الأشياء التي يرى أنّها خيرات أو شرور منها ما حصل ومنها ما لم يحصل. وكان حصول ما من شأنه أن يطلب يسمّى ظفرا، وفوته في مظنّة الحصول يسمّى إخفاقا، وكان حصول ما من شأنه أن يُهرب عنه يسمّى أذاة أو رزءا، وكفايته في مظنّة الحصول تسمّى نجاة، سمّي[484] **[127 ـ ب]** القول في الظفر والنجاة تهنئة، وسمّي القول بالإخفاق إن قصد تسلية النفس عنه تأسّيا، وإن قصد تحسّرها تأسُّفا، وسمّي القول في الرزء إن قصد استدعاء الجَلد على ذلك تعزية، وإن قُصد استدعاء الجزع من ذلك سمّي تفجيعا. فإن كان المظفور به على يدي قاصد للنفع جوزي على ذلك بالذكر الجميل وسمّي ذلك مديحا، وإن كان الضارّ على يدي قاصد لذلك فأدّى ذلك إلى ذكر قبيح سمّي ذلك هجاء، وإذا كان الرزء بفقد شيء فندب ذلك الشيء سمّي ذلك رثاء.

2 ـ **تنويــــر:** ولمّا كانت[485] المنافع كأنّها تنقسم إلى ما يكون بالنسبة والملاءة مثل ما يوجد من مناسبة بعض الصور لبعض النفوس فيحصل لها بمشاهدة تلك الصورة المناسبة لها نعيم وابتهاج ـ وذلك الابتهاج نوع من المنافع لتلك النفس ـ وإلى ما يكون بالفعل والاعتماد مثل ما يعتمده الإنسان من إسعاف آخر بطلبته فيكون في إسعافه بها منفعةٌ له، وإلى ما يكون منفعة بالقوّة والمال أو بتشفّي النفس فقط مثل ما تحلّ مضرّةٌ بعدوّ إنسان فتنفع ذلك الإنسان بأن تضعفه له وتقوّيه على مقاومته والانتصاف منه، وربّما لم ينتفع من ذلك إلاّ بسرور التشفّي

483 ـ فعل لما وبعده سائر المعطوفات عليه.

484 ـ جواب لما.

485 ـ فعل لما، وجوابها يأتي بعدما عطف على الفعل الأول من قوله بعد وكانت المضار.

فقط، وكانت المضارّ أيضاً تنقسم إلى أضداد ما ذكرته اقتضى[486] ذلك انقسام الذكر الجميل إلى ما يتعلّق من المنافع بالأشياء المناسبة لهوى النفس وسمّي ذلك نسيبا، وإلى ما يتعلّق بالأشياء المستدعية رضى النفس وسمّي ذلك كما تقدّم مديحا، وكان ما يتعلّق من الذكر القبيح بالأشياء المنافرة لهوى النفس والأشياء المباعدة عن رضاها كلاهما داخل تحت قسمة واحدة وهي الهجاء.

3 ـ **إضـــاءة:** فالطرق قد تختلف بحسب اختلاف المنافع وكذلك بحسب اقتران الأحوال التي للقائلين والمقول فيهم، مثل أن يقترن في القول وصفُ حال **[128 ـ أ]** مرتاح بحال مرتاح له أو حال مكترث بحال مكترث له، فتختلف الطرق أيضاً بحسب اختلاف ذلك. ألا ترى أنّ الميزة بين المديح والنسيب إذا لم يَتَعرّض المشبّب لوصف حاله إنّما هو بأنّ النسيب يكون بأوصاف مناسبة لهوى النفس ويكون مع ذلك مقترنا به وصف حال توجّع المشبّب في كثير من الأمر، والمديح يكون بأفعال شريفة دالّة على كمال الإنسان مستدعية لرضى النفوس من غير أن يقرن بذلك من صفة حالِ القائل ما اقترن بالتشبيب. والفرق بين النسيب المقترن به وصف حال توجّع القائل ورثاء النساء المقترن به حال توجّعه أيضاً أنّ النسيب بمَوجودٍ والرثاء لمفقود. فهذه أيضاً من الجهات التي تختلف الطرق بها.

4 ـ **تنويــر:** ولمّا كان ما يهرب منه قد يقع ممّن يحتمل منه ذلك ولو أدنى احتمال ـ فلا يؤاخذَ به جملة أو لا يؤاخذ به كبير مؤاخذة، ومنهم من يؤاخذ به أشدّ المؤاخذة ـ سمّي ما يتعلّق من القول بذلك بحسب طبقات من يقع ذلك منهم ونسبتهم إلى القائل معاتبةً وتعديدا وتوبيخا وتقريعا. فإن صدر ما يكون منه الهرب من القائل إلى المخاطب ثمّ أعفاه منه وتعلّق القول بذلك سمّي إعتابا. فإذن تنقسم الأقوال فيها حصل ممّا شأنه أن يطلب أو يهرب عنه إلى تهانٍ وما معها، وتعازٍ وما معها، ومدائح وما معها، وأهاجٍ وما معها.

486 ـ جواب لما كانت المنافع في أول التنوير وكانت المضار المعطوفة عليها.

5 ـ **إضـــاءة:** ولا يخلو الشيء الحاصل ممّا شأنه [أن] يطلب أو يهرب عنه من أن يكون ذو العناية به واحدا ـ كان القائل أو غيره ـ ويكون هو حاكيا ذلك عنه، أو يكون قد عُني به متنازعان في استجلابه أو مدافعته ـ كان القائل أحد المتنازعين أو لم يكن ـ غير أنّه يحكي حالهما أو يكون حاكما بينهما، فيكون الكلام على هذا إمّا اقتصاصا وإمّا مشاجرة وإمّا فصلا في مشاجرة، وقد تكون المشاجرة والفصل فيها متعلّقين بما يستقبل.

[128 ـ ب]6 ـ **تنويـــر:** فأمّأ الأمور التي لم تحصل ممّا شأنه أن يطلب أو يُهرب عنه فلا يخلو من أن يكون المتكلّم هو الطالبَ لها أو الهاربَ منها من تلقاء السامع، أو يكون السامع هو الطالبَ لها أو الهاربَ عنها من تلقاء المتكلّم. فما كان من المتكلّم إلى السامع ممّا شأنه أن يطلب يسمّى إذا لم يُعلم رأيُه فيه عرضا، وما كان من تلقاء السامع إلى المتكلّم وكان طلبا جزما سمّي اقتضاء، فإن كان بتلطّف سمّي استعطافا، وإن كان يرى أنّه قد جاوز الوقت الذي كان يجب فيه سمّي استبطاء، فإن كان ممّا شأنه أن يهرب منه وأنْذَر به المتكلّم من تلقاء نفسه أو من غيره سمّي ذلك إيعادا وتهديدا وإنذارا وتخويفا ونحو ذلك. فإن خافه من تلقاء السامع واستدفعه إيّاه سمّي ذلك استعفاء أو استقالة أو ترضيّا أو نحو ذلك.

فقد حصل بهذا الاعتبار إذن أقاويلُ عرضيات وترهيبات وتخويفيات واستدفاعيات ومنها الإطماعيات أيضاً ومقابلتها وهو ما أطمع القائل فيه أو أيأس منه.

7 ـ **إضـــاءة:** وقد يكون الشيء المطلوب أو المهروب منه أحدَ شيئين فيشتكل على القائل أو السامع فيما يجب أن يطلب وأيّهما يجب أن يهرب منه. أوْ يشتكل الطريق الهادي إلى ذلك فيشير القائل على غيره بالواجب طلبه من ذلك أو يستشير غيره فيكون الكلام على هذا إشارة أو استشارة. وقد يستشير أيضاً في الفصل بين المتنازعين فينقسم القول على هذا إلى قصص ومشاجرة

وحكم وإشارة واستشارة وغرض واقتضاء وكفاية واستكفاء وترغيب وترهيب وإطماع وإياس. وفي كلّ نحو من هذه المقاصد يطلب ما يجلب سرورًا أو حمدًا أو يهرب ممّا يجتلب حزنا أو ذمّا.

فقد تبيّن أنّ أمّهات الطرق الشعرية أربع، وهي التهاني وما معها، والتعازي وما معها، والمدائح وما معها،[129 - أ] والأهاجي وما معها، وأنّ كلّ ذلك راجع إلى ما الباعث عليه الارتياح، وإلى ما الباعث عليه الاكتراث، وإلى ما الباعث عليه الارتياح والاكتراث معًا.

ب ـ مَعرف دالّ على طرق المعرفة بما يوجد لبعض الخواطر من قوّة على التشبّه فيما لا يجري على السجيّة ـ من تلك الأغراض ـ بما يجري على السجيّة من ذلك.

1 ـ **إضـــاءة:**[487] اعلم أنّ خير الشعر ما صدر عن فكر وَلَع بالفنّ والغرض الذي القول فيه، مرتاح للجهة والمنحى الذي وجّه إليه كلامه لإقباله بكليّته على ما يقوله وتوفير نشاط الخاطر وحدّته بالانصباب معه في شعبه والميل معه حيث مال به هوه. ولهذا كان أفضل النسيب ما صدر عن سجيّة نفس شجيّة وقريحة قريحة. وكذلك الإخوانيات والمراثي وما جرى هذا المجرى.

2 ـ **تنويـــر:** وقد توجد لبعض النفوس قوّة تتشبّه بها في ما جرت فيه من نسيب وغير ذلك على غير السجيّة بما جرى فيه على السجيّة من ذلك، فلا تكاد تفرّق بينهما النفوس ولا يُماز المطبوع فيها من المتطبّع، فإذا اتفق مع هذا حسن النظم تناصر الحسن في النظام والمنحى واعتمّ فلم يكن فيه مقدح.

---

487 ـ يظهر تبعا لتصحيح ورد في الأصل يقتضي أن تكون الفقرة الموالية تنويرا أنه وقعت الغفلة على العنونة هنا بلفظ إضاءة.

3 ـ **إضـــاءة:** واعلم أنّ المنحى الشعري نسيبا كان أو مدحا أو غير ذلك فإنّ نسبة الكلام المقول فيه إليه نسبة القلادة إلى الجيد، لأنّ الألفاظ والمعاني كاللآلي، والوزن كالسلك، والمنحى الذي هو مناط الكلام وبه اعتلاقه كالجيد له. فكما أنّ الحُليّ يزداد حُسنه في الجيد الحسن، فكذلك النظم إنّما يظهر حسنُه في المنحى الحسن. فلذلك وجب أن يكون مَن له قوّة التشبّه المذكورة أكملَ في هذه الصناعة ممّن ليست له تلك القوّة.

4 ـ **تنويـــر:** وكلّ من قويت فيه هذه القوّة فلا يبعد عليه أن يلتفت إلى بعض مناحي شُكاة الهوى في **[129 ـ ب]** أشعارهم الجارين على سجاياهم ممّا لطُف أسلوبه وظَرُف منزعه، وإن وقع ما كان بهذا الوصف تفاريقَ في تلك الأشعار، فيُحضر ما كان بهذا الوصف في خاطره، ويسلّط الفكر والتصوّر على استبانة الطرق التي من أجلها حسُن الكلامُ في منحاه وأسلوبه ومَنزعه. فإذا استبان تلك الطرق، على ما بها من الخفاء على كثير من الأفكار، استَظهَر بالقوّة التشبيه على انتهاج مثل تلك الطرق في كلامه، ونصَبَ ما قام بخاطره من تصوّرها تمثالا يصوغ كلامه بحسبه ومنوالا ينسج نظامه عليه، جاء كأنّه هو.

5 ـ **إضـــاءة:** ورُبّما اقتفى من له هذه القوّة في منحى كلامه وأسلوبه ومنزعه آثارَ شعراء لم يتواطأوا في مجموع ذلك، لكن حسُنَ منحى كلام هذا ولطف أسلوب كلام ذلك ومنزعُ كلام الآخر، فأخذ هو من كلّ واحد منهم ما اختصّ به وبنى على مجموع ذلك كلامه، وما أجدر أبا الحسن مهيارا الديلمي بأن تكون هذه صفته.

6 ـ **تنويـــر:** وهذه القوّة تتفاوت في الشعراء. فمنهم من لهُ قوّة على التشبه في جميع كلامه أو أكثره، ومنهم من لا ينسحب تأثير تلك القوة على جميع كلامه ولا أكثره بل يكون ذلك في بعضه على سبيل الإلماع والندور أو فوق ذلك قليلاً.

7 ـ **إضـــاءة:** فأمّا من ينسحب تأثير تلك القوّة على جميع كلامه أو أكثره فهم الذين لا تحتاج فيهم تلك القوّة إلى معاونة من أمر خارج عن الذهن من الأمور الباعثة على قول الشعر، لتوفير تلك القوّة فيهم على كلّ حال. ومن أيمة هذا الصنف: الشريف ومهيار وابن خفاجة.

وأمّا من لا ينسحب تأثير تلك القوّة التشبيهية إلاّ على الأقلّ من كلامه فهم الذين تحتاج تلك القوّة فيهم إلى معاونة بالأمور الباعثة على قول الشعر.

فقد توجد تلك البواعث وقد لا توجد، وقد تتوفّر في **[130 ـ أ]** وقت وقد تقلّ في وقت.

8 ـ **تنويــر:** واعلم أنّ هذه القوّة لا تُدرك بحرص ولا تُنال بجُهد بل قد يُمنعُها الحريصُ ويُمنَحُها غيرُ الحريص. واعتبر ذلك بجرير والفرزدق ـ فإنّ جريرا على عفّته، نسيبه في غياة الرقّة وحسن الأسلوب، والفرزدق على عهره وشدّة ولوعه بالنساء، نسيبُه في نهاية الجفاء وقبح الأسلوب، مع حرصه على أن يُرقّه ويُحسّن أسلوبه ـ وحسَده لجرير حيث أنشد له فصولا من نسيب منها: [الوافر ـ ق ـ المتواتر]

متى كان الخيام بذي طلــوح　　　سقيت الغيث أيتها الخيــام[488]

فقال: «قاتله الله! ما كان أحوجَني مع فسقي إلى رقّة شعره وما كان أحوجَه مع عفّته إلى خشونة شعري!». وكان الفرزدق قد أجّل عاما في أن يصنع بيتا رقيقا في النسيب، فقال بعد حول: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

يا أخت ناجية بن مرّة إنّني　　　أخشى عليك بَنيّ إن طلبوا دمي[489]

فغلبه بعد هذه المطاولة طبعُه واعتاص عليه ما ليس في قوّته.

488 ـ البيت طالع قصيدة له، **الديوان**، 512.
489 ـ البيت طالع قصيدة له، وهو في الديوان بلفظ ابن سامة. **الديوان**، 2، 778.

9 ـ **إضـــاءة:** وقد تحصل بحفظ الكثيب ممّا حسن منحاه وأسلوبه ومنزعه، وريّ الذكر من ذلك، وتعليل النفس به أبدا، ومطارحتها القولَ على نحو من ذلك، والترامي بالخاطر أبدا إلى جهات من المعارضة لذلك، دربةٌ يوصل بها أيضاً إلى التشبّه، ولا سيما إذا تُفهّم ما قلته في الوجوه التي بها تحسين الأساليب والمنازع. فكانت تلك الوجوه متحصّلة في ذهنه. فهذه بعض منافع القول في الأساليب والمنازع. لكنّ من لم يتوصل إلى التشبّه إلاّ بالدربة من غير أن تكون له القوّة التي ذكرت فربّما وقع له ما يعدّه ذو القوّة البصيرُ بطرق النقد متكلّفا أو فاترا، وإن خَفي ذلك على أكثر الناس.

ج ـ معلم دال على طرق العلم بما ينقسم إليه [130 ـ ب] الشعر بحسب اختلافات أنحاء التخاطب.

لمّا كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفهمها بحسب احتياجهم إلى مُعاونة بعضهم بعضا على تحصيل المنافع وإزاحة المضارّ وإلى استفادتهم حقائق الأمور وإفادتها وجبَ أن يكون المتكلّم يبتغي إمّا إفادة المخاطب، أو الاستفادة منه. إمّا بأن يلقي إليه لفظا يدلّ المخاطب إمّا على تأدية شيءٍ من المتكلّم إليه بالفعل أو تأديّة معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول، وإمّا بأن يلقي إليه لفظا يدلّه على اقتضاء شيء منه إلى المتكلّم بالفعل أو اقتضاء معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول، وكان الشيء المؤدّى بالقول لا يخلو من أن يكون بيّنا فيقتصر به على الاقتصاص أو يكون مشتكلا فيؤدّى على جهات من التفصيل والبيان والاستدلال عليه والاحتجاج له.

فكلام المكلّم فيما يؤدّيه قسمان: قسم يقع فيه الاستدلال وقسم الاستدلالُ فيه.

وكلامه فيما يقتضيه من المخاطب قسم واحد في أكثر الأمر، لأنّ الإجابة بالاستدلال أو عدمها في ذلك للمخاطب. وليس ذلك من كلام المتكلّم إلاّ أن

يحكي ما دار بينه وبين مخاطبه، فيكون ذلك كالتركيب من القسمين، وليس به على الحقيقة لكون ذلك ليس من كلام واحد.

1 ـ **إضـــاءة:** ولا يخلو في ما حكاه من ذلك أن يكون مُسلّما أو محاجّا. فإن كان مسلِّما فهو الذي أشرنا إليه، وإن كان محاجّا كان ذلك من باب المشاجرة. وهو متركّب من تأديّة المخاطب نقيضَ ما أدّاه المتكلّم، والمتكلّم نقيضَ ما أدّاه المخاطب، كما أنّ باب الإشارة أيضاً مركّب من تأديّة واقتضاء، لأنّ المتكلّم يؤدّي إلى المخاطب رأيَه ويقتضي قبوله.

2 ـ **تنويـــر:** وجملة ما ينقسم إليه الكلام من جهة ما يقع فيه من تأدية واقتضاء باعتبار البساطة فيهما والتركيب **[131 ـ أ]** ستّة أقسام:

- 1 ـ تأدية خاصّة.
- 2 ـ أو اقتضاء خاصّة.
- 3 ـ أو تأدية واقتضاء معا.
- 4 ـ وتأديتان من المتكلّم والمخاطب.
- 5 ـ أو اقتضاء منهما: فكان هذا يكون على جهة من الحيدة بأن يقتضي المتكلّم من المخاطب شيئا فيقتضي المخاطب من المتكلّم شيئا آخر قبل أن يؤدّي إلى المتكلّم ما اقتضاه.
- 6 ـ أو يكون مركّبا من اقتضاء المتكلّم تتبَعه تأديةٌ من المخاطب على جهة السؤال والجواب.

فإذا حكى المتكلّم كلامَ المخاطب مع كلامه، أو حكى كلامَهما معا غيرُهما، وُجد الكلام ينقسم على هذا الاعتبار بحسب البساطة التركيب ستّة أقسام.

د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما ينقسم إليه الشعر بحسب إيقاع الحيل الشعريّة فيه.

والأقاويل الشعريّة أيضاً تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه أو التي هي أعوان للعمدة. وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه، أو ما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع إلى المقول فيه، أو ما يرجع إلى المقول له. والحيلة فيما يرجع إلى القول وإلى المقول فيه وهي محاكاته وتخييله بما يرجع إليه أو بما هو مثال لما يرجع إليه هما عمودا هذه الصناعة، وممّا يرجع إلى القائل والمقول له كالأعوان والدعامات لها.

1 ـ **إضـــاءة:** وتفصيل هذه الجملة أنّ القول في شيء يصير مقبولا عند السامع في الإبداع في محاكاته وتخييله على حالة توجب ميلا إليه أو نفورا عنه بإبداع الصنعة في اللفظ وإجادة هيأته ومناسبته لما وضع بإزائه وبإظهار القائل من المبالغة في تشكيّه **[131 ـ ب]** أو تظلّمه أو غير ذلك وإشراب الكآبة والروعة وغير ذلك كلامه ما يوهم أنّه صادق. فيكون ذلك بمنزلة الحال فيمن ادّعى أنّ عدوّا وراءه وهو مع ذلك سليب ممتقع اللون، فإنّ النفوس تميل إلى تصديقه وتقنعها دعواه، أو بأن يحتال في انفعال السامع لمقتضى القول باستلطافه وتقريظه بالصفة التي من شأنها أن يكون عنها الانفعالُ لذلك الشيء المقصود بالكلام ومدحه إيّاه بأنّ تلك عادته وأنّها من أفضل العادات.

2 ـ **تنويـــر:** وقد تُعضد هذه الأشياء باستدلالات خطبيّة محضة أو موجود فيها شروط الشعر والخطابة معا بكون المحاكاة توجد فيها مع الإقناع، وما كان بهذه الصفة فهو أفضل موقعا في الشعر، والصنف الآخر أيضاً قد يقع في الشعر ولا يقدح ذلك فيه لأنّ صناعة الشعر لها أن تستعمل شيئا من الإقناع كما أنّ صناعة الخطابة لها أن تستعمل شيئًا يسيرًا من المتخيّلات.

3 ـ **إضـــاءة:** وإذ قد تبيّن أنّ الكلام يهيّأ للقبول من جهة ما يرجع إليه وما يرجع إلى القائل وما يرجع إلى المقول فيه والمقول له فواجب أن يُعلم أنّ للكلام في كلّ مأخذ من تلك المآخذ التي بها تغترّ النفوس لقبوله هيآت من جهة ما يلحقه من العبارات وما يتكرّر فيه من المسموعات الدّالة على مأخذ مأخذ من ذلك. فربّما أدّى على نحو من ذلك إلى تكرار يستثقل ويزول به طيب الكلام. وأنا أنبّه على ما يكثر في مأخذ مأخذ من ذلك.

4 ـ **تنويـــر:** فأمّا المأخذ الذي من جهة الحيلة الراجعة إلى القائل فمن شأنه أن تقع معه الكلم المستندة إلى ضميري المتكلّم كثيرا. فأمّا ما يرجع إلى السامع من ذلك فكثيرا ما تقع فيها الصيغ الأمريّة وما بإزائها. وبالجملة تكثر فيها المسموعات التي هي أعلام على المخاطبة.فأمّا ما يرجع إلى المقول به فكثيرا ما تقع **[132 ـ أ]** فيها الأوصاف والتشبيهات، وأكثر مايستعمل ذلك مع ضمائر الغيبة. وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلّم أو ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك أيضاً يتلاعب المتكلّم بضميره فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه وتارة يجعله كافا أو تاء فيجعل نفسه مخاطبا وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب، فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلّم أو مخاطب لا يستطاب، وإنّما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض.

5 ـ **إضـــاءة:** وكذلك لا ينبغي أن يستمرّ في كلام طويل على وصف حالة ساذجة، بل التركيبُ في الأحوال واقتران بعضها ببعض ممّا يجب أن يعتمد، مثل اقتران وصف حالة المحبّ بوصف حالة المحبوب، فإنّ الترامي بالكلام إلى أنحاء شتّى في جهةٍ جهةٍ وتركيبٍ تركيبٍ وصيغةٍ صيغةٍ وضرب بعضه ببعض على الهيآت الملائمة في كلّ مذهب يذهب فيه ونحو ينحى به ألذّ وأطيب من الجمود به على حالة واحدة في كلّ نحو من أنحاء الكلام.

6 ـ **تنويـــر:** وبحسب الميل به إلى نحوٍ نحوٍ من جميع ما ذكرناه من أنحاء الأقاويل الشعرية وما توجّه إليه وتجري عليه من الجهات والمجاري التي

أشرت إليها اختلفت طرقُ الناس في الشعر، ووُجد لكلّ شعر ذوق يخصّه وسمةٌ يمتاز بها من غيره. فتباينت طرق الناس وأساليبهم ومنازعهم ومآخذهم في جميع ذلك، لأنّ طرق التركيب في جميع ذلك لا تنحصرُ، فلذلك ينبغي أن يقتصر من قسمة الشعر على أربعة الأقسام[490] التي ذكرنا. وأمّا من قسّمه إلى مديح ونسيب وهجاء ورثاء فإنّما قسّمه بحسب الأهمّ فالأهمّ والأوقع فالأوقع من الأغراض التي هي أصول بأنفسها أو فروع عن غيرها، لأنّ وقوع الأقاويل الشعرية في هذه الأغراض أكثر من وقوعها في **[132 - ب]** غيرها.

7 _ **إضـــاءة:** ولمّا كان الأكثر وقوعاً من أغراض الشعر(..............)[491] مقاصدهم أشدّ كان من تلك الأغراض ما يكثر وقوعه وما يقلّ وما يتوسّط. فأمّا ما كثر وقوعه فكالنسيب والمديح والرثاء [وأمّا ما قلّ فكالمنافرات ومشا] جرات الأعداء ومفاخرتهم ومهاجاتهم، على أنّ بعضهم قد يُكثر من هذا، وأمّا ما توسّط فكالمعاتبات والاستعطافات والاستعذارات.

هـ ـ معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في كلّ غرض من أغراض الشعر المتقدّم تقسيمُه إليها.

قد أشرنا إلى كيفيّة انقسام الشعر بحسب البساطة والتركيب، ولم يمكن استقصاء أنواع التركيب إذ لا جدوى لذلك. وإنّما الواجب أن يعرف الإنسان طرق التركيب، وأن يعرف أمّهات تلك الطرق، ويعرف جميع ما يجب في ذلك بالنظر إلى بساطته أو إلى تركيبه ولما هو متركب منه، فيُجري كلاّ على ما يجب فيه ويَعتبر فيه ما يليق به.

1 _ **إضـــاءة:** فممّا يجب تأصيله في هذا المعلم إعطاء قانون فيما يحسن وما يقبح من الجمع بين كلّ غرضين متضادّين من هذه الأغراض. ويقبح من

---

490 _ انظر 308، س 1 _ 4.

491 _ بياض مقدار ثلاث كلمات.

ذلك أن يكون الغرضان المتضادّان كالحمد والذمّ أو الإبكاء والإطراب قد جمع بين أحدهما والآخر من جهة واحدة ونيطَا بمحلّ واحد وكان ظاهرهما وباطنهما متساويين في التناقض، مثل أن يحمد الإنسان شيئا ويذمّه من جهة واحدة ويكون ظاهر الكلام يعطي الحمد والذمّ معا، وكذلك باطنُه.

2 ـ **تنويـــر:** وأمّا ما يسوغ ويحسن في كثير من المواضع فأن يكون المقصدان غيرَ منصرفين إلى محلّ واحد أو غيرَ منبعثين من محلّ واحد.

3 ـ **إضـــاءة:** وأمّا ما يحسن من ذلك ويعدّ بديعا فأن يكون أحد المتضادّين يُقصد به في الباطن غيرُ ما **[133 ـ أ]** يقصد به في الظاهر، فيكون في الحقيقة موافقا لمضادّه فيما يدلّ عليه على جهة من المجاز والتأويل، وذلك نحو قول النابغة: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب[492]

فجمع بين الحمد وما يوهم أنّه ذمّ، وهو في الحقيقة مدح.

ونقيضه قول ابن الرومي: [الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

خيرُ ما فيهمُ. ولا خيرَ فيهـــم، أنّهم غير آثمي المغتـــاب[493]

فجمع بين الذمّ وما أوهم قبل استيفاء العبارة بصفته، أنّه حمد وهو في الحقيقة من أكبر الذمّ.

4 ـ **تنويـــر:** وأنا أشير إلى بعض ما يجب اعتماده في ما يكثر استعماله من أغراض الشعر وتتعاوره القرائح من فنون الطرق الشعرية البسيطة والمركّبة، وأذكر في غرضٍ غرضٍ من ذلك طرفا يستدلّ به على ما سواه.

فمن ذلك طريقة المدح، ويجب فيها السموّ بكلّ طبقة من الممدوحين إلى ما يجب لها من الأوصاف، وإعطاء كلّ حقّه من ذلك، ويجب أن يتوسّط في مقادير

---

492 ـ البيت من قصيدة له سبقت الإشارة إلى طالعها 245 تع 398، 281 تع 434، **الديوان**، 11.
493 ـ البيت من مطولة له قالها في أبي سهل بن نوبخت. **الديوان**، (2) 1، 442.

الأمداح التي لا يحتاج فيها إلى إطالة في وصف فتح وما يجري مجرى ذلك ممّا قد تحتمل الإطالة فيه، فإنّ الإطالة مدعاة إلى السآمة والضجر، وخصوصا إذا كان الممدوح من غلبة نعيم الدنيا عليه بحيث يقلّ احتماله لذلك ويتأذّى به، ويجب ألاّ يمدح رجل إلاّ بالأوصاف التي تليق به، ويجب أن تكون ألفاظ المديح ومعانيه جزلة مذهوبا بها مذهب الفخامة في المواضع التي يصلح بها ذلك، وأن يكون نظمه متينا، وأن تكون فيه مع ذلك عذوبة.

5 ـ **إضـــاءة:** وأمّا النسيب فيحتاج أن يكون مستعذب الألفاظ حسن السبك حلو المعاني لطيف المنازع سهلا غيرَ متوعّر، وينبغي أن يكون مقدار التغزّل قبل المدح قصدا لا قصيرا مخلاّ ولا طويلا مملاّ.

6 ـ **تنويـــر:** وأمّا الرثاء فيجب أن **[133 ـ ب]** يكون شاجيَ الأقاويل مُبكي المعاني مثيرا للتباريح، وأن يكون بألفاظ مألوفة سهلة في وزن متناسب ملذوذ، وأن يستفتح فيه بالدلالة على المقصد ولا يصدّر بنسيب لأنّه مناقض لغرض الرثاء، وإن كان هذا قد وقع للقدماء نحو قصيدة دريد يرثي أخاه التي أوّلها: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

أرَثَّ جديدُ الوصــــل من أمّ معبــــد[494]

وقصيدة النابغة يرثي بعض آل جفنة: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

دعاكَ الهوى واستجهلتك المنـازل[495]

وقصيدة عديّ بن زيد يرثي ولده علقمة: [السريع ـ ق ـ المتدارك]

أعَرفتَ أمـــس من لميـــس طلـــلْ[496]

494 ـ تمام البيت: بعاقبة أم أخلفت كل موعد. شيخو، 756.

495 ـ تمام البيت: وكيف تصابي المرء والشيب شامل. **الديـوان**، (2)، 87.

496 ـ الرواية في **الأغـاني**:

تعرف أمس من لميسَ الطللْ　　　مثل الكتاب الدارس الأحولْ

الأغاني، (3) ٢، 153. وهي إلى الكامل الأحذ أقرب.

7 ـ **إضـــاءة:** فأمّا الفخر فجار مجرى المديح ولا يكاد يكون بينهما فرق إلاّ أنّ الافتخار مدح يعيده المتكلّم على نفسه أو قبيله، وأنّ المادح يجوز له أن يصف ممدوحه بالحسن والجمال ولا يسوغ للمفتخر أن يصف نفسه بذلك.

8 ـ **تنويــر:** فأمّا طرق الاعتذار والمعاتبات والاستعطافات وما جرى مجراها فملاك الأمر فيها التلطّف والإثلاج إلى كلّ معتذر إليه أو معاتب أو مستعطف من الطريق الذي يعلم من سجيّته أو يقدّر تأثّره لذلك.

9 ـ **إضـــاءة:** وطريق الهجاء أيضاً يقصد فيه ما يعلم أو يقدّر أنّ المهجوّ يجزع من ذكره ويتألّم من سمعه ممّا له به علقة.

10 ـ **تنويــر:** فأمّا طرق التهاني فيجب أن تعتمد فيها المعاني السارّة والأوصاف المستطابة، وأن يستكثر فيها من التيمّن للمهنّإ، وأن يؤتى في ذلك بما يقع وفقه، ويتحذّر من الإلمام بما يمكن أن يقع منه في نفس المهنّإ شيء، ويجتنب ذكر ما في سمعه تنغّص له. ويحسن في التهاني أن تستفتح بقول يدلّ على غرض التهنئة، فإنّ موقع ذلك حسنٌ من النفوس.

فهذه إشارة إلى بعض ما يجب في الطرق الشعرية اكتفينا بها عن بسط الكلام في ذلك، إذ لا يخفى **[134 ـ أ]** على من له أدنى نظر في هذه الصناعة أنّ ذلك محوج إلى إطالة كثيرة، وكلّ ما أدّى إلى ذلك فإنّما أشرنا إليه بقوانين كلّية، يَعْرِف بها أحوالَ الجزئيات من كانت له معرفةٌ بكيفيّة الانتقالات من الحكم في بعض الأشياء إلى الحكم به في بعض، إذا كان المتنقل إليها ممّا يشتمل عليه المنتقل منه، أو كانا مشتركين في علّة الحكم، أو كانا متماثلين أو متناسبين أو متشابهين. فإنّه يحكم للشيء بمثل حكم مماثله، وبمناسب حكم مناسبه، وبمشابه حكم مشابهه، وكذلك بمضادّ حكم مضادّه. فعلى هذه الأنحاء يجب أن تكون نقلة الناظر في هذه الصناعة ممّا ذكرناه إلى ما لم نذكره، وبالله التوفيق.

ـ المنهج الثالث في الإبانة عن الأساليب الشعرية وأنحاء الاعتمادات فيها، وما يجب أن تعتبر به أحوالها في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.

أـ معلم دالّ على طرق العلم وبالأساليب الشعرية وما تتنوّع إليه، وينحى بها نحوه.

إنّ أساليب الشعر تتنوّع بحسب مسالك الشعراء في كلّ طريقة من طرق الشعر، وبحسب تصعيد النفوس فيها إلى حزونة الخشونة أو تصويبها إلى سهولة الرقّة أو سلوكها مذهبا وسطا، بين **[134 ـ ب]** ما لان وما خشن من ذلك.

فإنّ الكلام منها ما يكون موافقا لأغراض النفوس الضعيفة الكثيرة الإشفاق ممّا ينوبها أو ينوب غيرها، ومنه ما يكون موافقا لأغراض النفوس الخشنة القليلة المبالاة بالأحداث، ومنه ما يكون موفقا للنفوس المقبلة على ما يبسط أنسها المعرضة عمّا (......)[497] به كلا الفريقين.

1 ـ إضـــاءة: فللكلام، بحسب هذه الأنحاء المتركّبة في الأسلوب ثلاثة أساليب ينحى بالكلام فيها بحسب البساطة والتركيب عشرة أنحاء يختلف الناس فيما تميل بهم أهواؤهم إليه من ذلك بحسب اختلاف طباعهم وتلك الأنحاء هي: ـ 1 ـ أن يكون أسلوب الكلام مبنيّا على الرقّة المحضة، ـ 2 ـ أو على الخشونة المحضة، ـ 3 ـ أو على المتوسّط بينهما، ـ 4 ـ أو يكون الكلام مبنيّا على الرقّة ويشوبه بعض ما هو راجع إلى الأسلوب الوسط، ـ 5 ـ أو يكون مبنيّا على الوسط ويشوبه بعض ما هو راجع إلى الرقّة، ـ 6 ـ أو بعض ما هو راجع إلى الخشونة، ـ 7 ـ أو يكون مبنيّا على الخشونة ويشوبه بعض ما يرجع

497 ـ كلمة غير واضحة بالأصل.

إلى الأسلوب الوسط، ـ 8 ـ أو يكون مبنيّا على الرقّة ويشوبه بعض خشونة، ـ 9 ـ أو على الخشونة ويشوبه بعض رقّة، ـ 10 ـ أو يكون مبنيّا على الأسلوب المتوسّط ويشوبه بعض ما هو راجع إلى الطرفين.

2 ـ **تنويــر:** فأمّا الأنحاء الثلاثة الأخيرة وهو التي وقع في جميعها الجمع بين الطرفين بأن تسلّط الطرفان أعني الخشونة والرقّة على شيء واحد، وكان انبعاثهما من ضمير واحد، فإنّ هذا يقبح مثل إرداف الرقّة في الحبّ بالخشونة فيه، فإن انصرف أحدهما إلى غير ما انصرف إليه الآخر، وتعلّق بغير ما تعلّق به ساغ ذلك، مثل مانجمع بين التغزّل والحماسة في شعر واحد. وذلك يكون على ثلاثة أنحاء:

1 ـ مقابلة معنى بيت أو شطر **[135 ـ أ]** بيت غزليّ بمعنى بيت أو شطر بيت حماسيّ.

2 ـ والنحو الثاني على جهة الالتفات، وذلك أن يكون مثلا يتغزّل ويصف نفسه بالإفراط في الرقّة والصبابة، فيتوقّع أن يظنّ ظانّ أنّ ذلك لضعف نفس منه، فيلتفت إلى ما يدرأ عنه ذلك الظنّ ويشير إلى ما يدلّ على ذلك بلفظ مختصر يُلحقه في تضاعيف كلامه أو عقبه، وذلك مثل قول الشريف: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

مالوا على شعب الرحال وأسندوا   أيدي الطعان إلى قلوب تخفق[498]

فأشار إلى الشجاعة أثناء الوصف بالرقّة بأوجز لفظ وهو قوله: «أيدي الطعان».

3 ـ والنحو الثالث، أن يتحوّل الشاعر عمّا له فيه رقّة إلى ما له فيه خشونة،

498 ـ البيت روايته خروا بدل مالوا، وهو من قصيدةله في الخليفة القادر بالله، طالعها:
لمن الحــدوج تهزهنّ الأنيــق   والركب يطفو في السراب ويغرق
الديوان، ٢، 541.

وينصرف عن أحد الغرضين إلى الآخر بالجملة، فيصيّره غرضَ كلامه.

فبهذه القوانين يعتبر أسلوب الكلام، فإنّ كلّ كلام شعريّ لا ينفك عن أحد هذه الأنحاء. فمن يتأمّلها يجدها كما ذكرت، إن شاء الله.

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما ينحى بالأساليب نحوه من جهة ما يقصد حسن موقعها من النفوس.

لمّا كان[499] الناس بحسب تصاريف أيّامهم وتقلّب أحوالهم كأنّهم ثلاثة أصناف: ـ 1 ـ فصنف عظمت لذّاته، وقلّت آلامه حتّى كأنه لا يشعر بها، ـ 2 ـ وصنف عظمت آلامه، وقلّت لذّاته حتّى كأنّه لا يشعر بها ـ 3 ـ وصنف تكافأت لذّاتهم وآلامهم، [و] كانت[500] أحوال الصنف الأوّل أحوالا مُفرحة وأحوال الصنف الآخر أحوالا مُفجعة وأحوال الصنف الوسط في كثير من الأمر شاجية، وجب[501] أن تكون الأقاويل منقسمة بهذا الاعتبار بحسب البساطة والتركيب إلى سبعة أقسما: ـ 1 ـ أقوال **[135 ـ ب]** مفرحة ـ 2 ـ وأقوال شاجية ـ 3 ـ وأقوال مفجعة ـ 4 ـ وأقوال مؤتلفة من سارّة وشاجية ـ 5 ـ ومن سارّة ومفجعة ـ 6 ـ ومن شاجية ومفجعة ـ 7 ـ ومؤتلفة من الثلاث، وكانت[502] النفوس تختلف فيما تميل إليه من هذه الأقسام بحسب ما عليه حالها، فإنّها ليست تميل إلاّ إلى الأشبه بما هي فيه، فيجب[503] أن يُمال بالقول إلى القسم الذي هو أشبه بحال من قُصد بالقول وصُنع له، وإن لم يقصد به قصد إنسان فليقتصر به على ذكر الأحوال السارّة المستطابة والشاجية، فإنّ أحوال جمهور الناس

499 ـ فعل لما وما عطف عليه.

500 ـ فعل لما وما عطف عليه.

501 ـ جواب لما.

502 ـ فعل مستأنف للما.

503 ـ جواب لما مقترن بالفاء.

والمتفرّغين لسماع الكلام حائمةٌ حول ما ينعم أو يشجو.

1 ـ **إضـــاءة:** فأمّا ما يجب اعتماده في تحسين موقع الأسلوب من النفوس فذكر أفضل الأحوال الطيّبة والسارّة وأجدرها ببسط النفوس، وذكر أعلق الأحوال الشاجية بالنفوس وأجدرها بأن ترقّ لها النفوس، وذكر أدعى الأحوال الفاجعة إلى الإشفاق والجزع حيث يُقصد قصدُ ذلك.

2 ـ **تنويـــر:** والأحوال المستطابة هي التي تكون فيها المُدْركات مُنعِّمة. والتي عليها مدار الشعر من ذلك هي مدركات الحسّ، مثل أن يذكر العناق واللثم وما ناسب ذلك من الملموسات، والماء والخضرة وما يجري مجراهما من المُبصَرات، ونسيم الطيب والروض ونحو ذلك من المشمومات، وذكر الخمر ونحوها من المطعومات، وذكر الغناء والزمر والعزف ونحو ذلك من المسموعات. وهذه تدخل في الأحوال السارّة.

3 ـ **إضـــاءة:** والأحوال السارّة نحو مجالس الأنس ومواطن السرور ومشاهد الأعراس والأعياد والمواسم وما ناسب ذلك.

4 ـ **تنويـــر:** والأحوال الشاجية: منها أحوال أعقبت فيها الوحشة من الأنس والكدر من الصفاء، نحو إعْقاب التنعّم بالحبيب بالتألّم لفراقه **[136 ـ أ]** وإعقاب التنعّم بالشبيبة بالتألّم لفراقها وإعقاب التنعّم بالوطن المؤنس بالتألّم لفراقه، وإعقاب التنعّم بالزمن المُسعد بالتألّم لفراقه، ومنها أحوال كان الجور فيها وضع موضع العدل والإساءة موضع الإحسان، فهي شاجية أيضاً. ومن هذا تشكّي جور الزمان وخون الإخوان وجري الأمور على غيرها ما يلائم ذا الفضل.

وكثيرًا ما كان أبو الطيّب المتنبّي يقصد هذا الضرب والذي قبله من الشاجية. فكان ذلك ممّا حسُن موقعه من النفوس، إذ أكثر الناس لا يخلو عن بعض هذه الأحوال.

5 ـ **إضـــاءة:** والأحوال المفجعة هي التي يذكر فيها الإنسان ما يلحق العالم من الغِيَر والفساد ومآل بني الدنيا إلى ذلك.

وكان أبو العتاهية يلمّ بذكر هذه الأحوال كثيرا في شعره، بل كان يعتمدها وذلك كثير موجود في شعره.

6 ـ **تنويـــر:** ويجب أن تؤنَس النفوس عند استجمامها من توالي المعاني التي من شأنها أن تقبضها بمعان يناسب بينها وبين تلك ممّا شأنه أن يبسطها.

وكذلك لا ينبغي أن يُنحى بالمعاني أبدا منحى واحدا من التخييل أو الإقناع ولكن تردف التخييليّة في الطريقة الشعرية بالإقناعيّة، والإقناعية في الخطابة بالشعريّة.

فبالتصرّف في المعاني على هذه الأنحاء يحسن موقع الأساليب من النفوس. فمن نحا هذا النحو وحمّل كلتا الصناعتين من الأخرى ما تحتمله، وسلك في الطرق والأساليب المسالك المؤثّرة المتقدّم ذكرها، وذهب بها المذاهب الملائمة للأغراض، وآنس بعض المعاني ببعض، ورواح بينها على النحو المشار إليه، كان جديرا أن ترتاح النفوس لأسلوبه وأن يحسن موقُعه منها.

ج ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بهذا المعرف [136 ـ ب] وهو مذهب تأنيس المعاني بعضها ببعض.

إنّه إذا تمادى استمرار الشاعر في الأسلوب على معانٍ من شأن النّفس أن تنقبض عنها وتستوحش منها فقد يحقّ عليه أن يؤنس النفوس من استيحاشها ويبسطها من قبضها بمعان يكون حالُ النفس بها غيرَ تلك الحال لكونها ملائمة للنفوس باسطة لها. فيميل بالأسلوب في صغوها ويلتفت من جهات تلك المعاني الموحشة إلى جهات هذه المونسة ويتلطّف فيما يجمع بين القبيلين من بعض الوصل والمآخذ التي بها ينتقل من بعض المعاني إلى بعض، على ما تقدّمت الإشارة إليه في مواضع.

1 ـ **إضــاءة:** وإنّما تتوالى المعاني الموحشة في الأساليب التي تذكر فيها أحوال لا تستطاب إلاّ لغرض. وذلك مثل ما يذكر من أحوال الخطوب وأوصاف الحروب. فقد يستطيب الإنسان ذكر إيقاع له بأعدائه، وليس كلّ إنسان يتشفّى بذلك تشفيّه، وكذلك المراثي قد يقع الإفراط في ذكر المعاني المفجعة فيها من خُلصان الموثي أشفى موقع.

2 ـ **تنويــر:** وليس يستعمل الكلام بالنظر إلى من قصد بالقول أولاً ممّن اتّفق له بالعرض سُكونُ نفس إلى ما لا تسكن النفوسُ إليه خاصّة بل بالنظر إليه وإلى غيره ممّن يقدّر مرور ذلك الكلام على سمعه عامّة. فلذلك ينبغي أن يشعشع المعاني الموحشة من جهة ما يُراد إلقاؤه بمحلّ القبول من كلّ سامع بمعانٍ مؤنسة تتعلّق بغير الجهة التي تعلّقت الموحشة بها، لكن يتلطّف فيما يجمع بين القبيلين على النحو الذي أشرنا إليه أوّلا، حتّى لا يكون الكلام بذلك منافرًا من قَصَد به قصدًا أوّليّاً خاصّاً أو قصدًا ثانياً عامّاً.

ومثل هذا قول المتنبّي في ما تعلّق بصفة الحرب: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

ما زال طِرفُك يجري في دمائهم حتّى مشى بك مَشَي الشارب الثمِل[504]

[137 ـ أ] ومن ذلك تصوير الشريف الرضي ما يبسط النفس من ذكر الكون والنشء والحمل والرضاع في مظنّة ما يقبضها من حالي البلى والهمود،

وذلك قوله: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

أرسَى النسيمُ بواديكم، ولا بَرحت حوامل المزن في أجداثكم تضَع
ولا يزال جنينُ النبت ترضعه على قبوركم العرّاصة الهمعُ[505]

504 ـ تقدمت الإشارة إلى موضع هذا الشاهد، 256.

505 ـ البيت الثاني للعراضة بدل العراصة، والبيتان من قصيدة في الرثاء طالعها:

قف موقف الشك لا يأس ولا طمع وغالط العيش لا صبر ولا جزع

الديوان، 1، 493.

3 ـ **إضـــاءة:** وينبغي ألاّ يطّرد في هذه المعاني المؤنسة اطّرادا كثيرا، فإنّه خروج بالأسلوب عن مهيعة، ولكن يؤتى من ذلك بالمعنى والمعنيين ونحو ذلك في الفصل بعد فصل ويُلمَع كذلك في الموضع بعد الموضع.

د ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بالمعلم المتقدّم أيضاً، وهو مذهب المراوحة بين المعاني الشعريّة والمعاني الخطابيّة.

قد تقدّم الكلام في أن التخييل هو قوام المعاني الشعريّة والإقناع هو قوام المعاني الخطابيّة(506). واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعريّة سائغ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضع بعد الموضع. كما أنّ التخاييل سائغٌ استعمالُها في الأقاويل الخطابيّة في الموضع بعد الموضع. وإنّما ساغ لكليهما أن يستعمل يسيرا فيما تتقوّم به الأخرى، لأنّ الغرض في الصناعتين واحد، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحلّ القبول لتتأثّر لمقتضاه. فكانت الصناعتان متآخيتين لأجل اتّفاق المقصد والغرض فيهما.

فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقلّ من كلامه، وللخطب أن يشعر لكن في الأقلّ من كلامه.

1 ـ **إضـــاءة:** ولمّا كانت النفوس تحبّ الافتنان **[137 ـ ب]** في مذاهب الكلام، وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض، ليتجدّد نشاطها بتجدّد الكلام عليها، وكانت معاونةُ الشيء على تحصيل الغاية المقصودة به بما يجدي في ذلك جدواه أدعى إلى تحصيلها من ترك المعاونة، كانت المراوحة بين المعاني الشعريّة والمعاني الخطابيّة أعودَ براحة النفس، وأعونَ على تحصيل الغرض المقصود. فوجب أن يكون الشعر المراوَحُ بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحةَ فيه، وأن تكون الخطبةُ التي وقعت المراوحةُ بين معانيها أفضلَ من التي

---

506 ـ انظر 55 ـ 62.

لا مراوحة فيها. ولتواخي الصناعتين وتداخل أقاويل كلتيهما على الأخرى قال القائل: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وما الشعر إلاّ خطبة من مؤلّف يجيء بحقّ أو يجيء بباطل[507]

2 ـ **تنويـــر:** وينبغي أن تكون الأقاويل المُقنعة، الواقعة في الشعر، تابعةً لأقاويل مخيِّلة، مؤكّدة لمعانيها، مناسبة لها في ما قُصد بها من الأغراض، وأن تكون المخَيِّلةُ هي العمدة. وكذلك الخطابَة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيِّلة الواقعةُ فيها تابعةً لأقاويل مقنعةٍ مناسبةٍ لها مؤكِّدةٍ لمعانيها، وأن تكون الأقاويل المقنعةُ هي العمدةَ.

3 ـ **إضــــاءة:** وينبغي ألاّ يستكثر في كلتا الصناعتين ممّا ليس أصيلا فيها كالتخييل في الخطابة، والإقناع في الشعر، بل يؤتى في كلتيهما باليسير من ذلك على سبيل الإلماع.

4 ـ **تنويـــر:** فإن ساوى بعض الناس بين المخيّلات والمقنعات في كلتا الصناعتين، أو حام حول مساواة المخيِّلات بالمقنعات في الشعر أو مساواة المقنعات بالمخيلات في الخطابة، كان قد أفرط في كلتا الصنعتين في الاستكثار ممّا ليس أصيلا فيه ولا (.......)[508] مع ذلك مقبولا.

5 ـ **إضــــاءة:** فإن جاوز حدّ التساوي في كلتيهما، فجَعَلَ عامّة الأقاويل **[138 ـ أ]** الشعريّة خطابيّة، وعامّة الأقاويل الخطابيّة شعرية، كان قد أخرج كلتا الصناعتين عن طريقتهما، وعدل بها سواء مذهبها، ووجب ردُّ قوله (.........)[509] ولنسبة كلامه إلى ما ذهب به من المذاهب المعنوية، لا إلى ما

507 ـ البيت للأحوص في الأغاني 251-251/ 9 دار الكتب المصرية كما تفضل الروسي، مع مصدرين آخرين أحدهما مخطوط ونضيف أن القصيدة في الأغاني 259:9 دار الثقافة ببيروت والدار التونسية للنشر 1983.

508 ـ بياض مقدار كلمتين بالأصل.

509 ـ بياض مقدار كلمتين بالأصل.

هيّأه به من الهيئات اللفظيّة. وأن تعدّ الخطابة في ذلك شعرا، والشعر خطابة، فيكون ظاهر الكلام وباطنه متدافعين، وهو مذهب مذموم في الكلام.

وكان أبو الطيّب المتنبّي يعتمد المراوحة بين معانيه. ويضع مُقنعاتها من مخيِّلاتها أحسنَ وضع، فيتمّم الفصول بها أحسن تتِمّة، ويقسم الكلام في ذلك أحسن قسمة. ويجب أن يؤتمّ به في ذلك، فإنّ مسلكه فيه أوضحُ المسالك.

هـ- معلم دالّ على طرق العلم بكيفيّة الاستمرار في الأساليب والاطّراد عليها وما يحسن اعتماده فيها.

لمّا كانت[510] الأغراض الشعريّة يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد، وكانت[511] لتلك المعاني جهات فيها توجَد ومسائلُ منها تقتنى كجهة وصف المحبوب وجهة وصف الخيال وجهة وصف الطول وجهة وصف يوم النوى وما جرى مجرى ذلك في غرض النسيب، وكانت[512] تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات والنقلة من بعضها إلى بعض وبكيفيّة الاطّراد في المعاني صورةٌ وهيأة تسمّى الأسلوب، وجب[513]أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبةَ النظم إلى الألفاظ، لأنّ الأسلوب يحصل عن كيفيّة الاستمرار في أوصاف جهة جهة من جهات غرض القول وكيفيّة الاطّراد من أوصاف جهة إلى جهة. فكان بمنزلة النظم في الألفاظ الذي هو صورة كيفيّة **[138 - ب]** الاستمرار في الألفاظ والعبارات والهيئة الحاصلة عن كيفيّة النقلة من بعضها إلى بعض وما يُعتمَد فيها من ضروب الوضع وأنحاء الترتيب. فالأسلوب هيأة تحصل عن التأليفات المعنويّة، والنظمُ هيأة تحصل عن التأليفات اللفظيّة.

---

510 - أفعال لما.
511 - أفعال لما.
512 - أفعال لما.
513 - جواب لما.

1 ـ **إضــاءة:** ولمّا كان الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ وجب أن يلاحظ فيه من حُسن الاطّراد والتناسب والتلطّف في الانتقال عن جهة إلى جهة والصيرورة من مقصد إلى مقصد ما يُلاحَظ في النظم من حُسن الاطّراد من بعض العبارات إلى بعض ومراعاة المناسبة ولطف النقلة.

2 ـ **تنويــر:** وممّا يجب أن يكون حال الأسلوب فيه على نحو ما يكون النظم عليه ملاحظةُ الوجوه التي تجعلهما معا مخيّلين للحال التي يريد تخيّلها الشاعرُ من رقّة أو غلظة أو غير ذلك.

فإنّ النظام اللطيف المآخذ، الرقيق الحواشي، المستعمل فيه الألفاظ العرفيّة في طريق الغزل، تخيّل رقّة نفس القايل. ولو وقع ذلك مثلا في طريقة الفخر لم تُخيّل الغرضَ، بل تخيّل ذلك الألفاظُ الجزلةُ والعباراتُ الفخمة المتينةُ القويّةُ. وكذلك لطف الأسلوب ورقّته يخيّلان لك أنّ قائله عاشق، وخشونة الأسلوب وجفاؤه لا يخيّلان ذلك نحو أسلوب الفرزدق في النسيب.

3 ـ **إضــاءة:** وإنّما وجب أن يستعمل في كلّ طريق الألفاظ المستعملة فيه عرفا، لأنّ ما كثر استعماله في غرض مّا واختصّ به أو صار كالمختصّ لا يحسن إيرادُه في غرض مناقض لذلك الغرض، ولأنّه غير لائق به لكونه مألوفا في ضدّه وغيرَ مألوف فيه، وذلك مثل استعمال السالفة والجيد في النسيب، واستعمال الهادي والكاهل في الفخر والمديح ونحوهما، واستعمال الأخدع والقذال في الذمّ.

[139 ـ أ] المنهج الرابع في الإبانة عن المنازع الشعريّة وأنحائها وطرق المفاضلة بين الشعراء في ذلك وغيره من أنحاء التصاريف في هذه الصناعة وما يعتبر به أحوال الكلام وأحوال القائلين في جميع ذلك.

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في المنازع الشعريّة التي يكون للكلام بها حسنُ موقع من النفوس.

ومنازع الشعراء في الشعر تختلف. ويجب أن نبيّن أوّلا ما المنزع؟ ثم نبيّن مذاهب الشعراء في ذلك. فأقول:

إنّ المنازع هي الهيئات الحاصلة عن كيفيات مآخذ الشعراء في أغراضهم، وأنحاء اعتماداتهم فيها، وما يميلون بالكلام نحوه أبدا، ويذهبون به إليه، حتّى يحصل بذلك للكلام صورة تقبلها النفس أو تمتنع من قبولها. والذي تقبله النفس من ذلك ما كانت[514] المآخذ فيه لطيفة، والمقصدُ فيه مستطرفا، وكان للكلام به حسن موقع من النفس. والمعين على ذلك أن ينزع بالكلام إلى الجهة الملائمة لهوى النفس من حيث تسرّها أو تعجبها أو تشجوها، حيث يكون الغرض مبنيا على ذلك، نحو منزع عبد الله ابن المعتزّ في خمرياته، والبحتري في طيفياته، فإنّ منزعهما، فيما ذهبا إليه من الأغراض، منزع عجيب.

1 ـ **إضـــاءة:** والذي لا تقبله النفس من ذلك ما كان بالضدّ ممّا ذكرته.

والناس يختلفون في هذا. فيستحسن بعضهم من المنازع ما لا يستحسنه آخر. وكلّ منهم يميل إلى ما وافق هواه.

2 ـ **تنويـــر:** ومن الشعراء من يمشي على نهج غيره في المنزع ويقتفي في ذلك **[139 ـ ب]** أثَر سواه، حتّى لا يكون بين شعره وشعر غيره ممّن حذا حذوه

514 ـ بالأصل كان بالتذكير.

في ذلك كبيرُ ميزة، ومنهم من اختصّ بمنزع يتميّز به شعره من شعر سواه، نحو منزع مهيار ومنزع ابن خفاجة.

وهذا الامتياز يكون بأحد طريقين: إمّا بأن يؤثر في شعره أبدا الميلَ إلى جهة لم يوثر الناس الميلَ إليها ولم يأخذوا فيها مأخَذه، فيتميّز شعرُه بهذا عن شعرهم، وإمّا بأن لا يسلك أبدا في جميع الجهات التي يميل بكلامه إليها مذهبَ شاعر واحد ولكن يقتفي أثَرَ واحد في الميل إلى جهة وأثَر آخر في الميل إلى جهة أخرى، وكذلك في جهةٍ جهةٍ يأخذُ بمذهب شاعرٍ شاعرٍ, فتكونُ طريقته طريقةً مركّبةً،فيتميّز كلامه بذلك وتصيرُ له صورة مخصوصة.

3 ـ **إضـــاءة:** وقد يعنى بالمنزع أيضاً كيفيةُ مأخذ الشاعر في بنية نظمه وصيغة عباراته وما يتّخذه أبدا كالقانون في ذلك كمأخذ أبي الطيّب في توطئة صدور الفصول للحكَم التي يوقعها في نهاياتها، فإنّ ذلك كلَّه منزع اختصّ به أو اختصّ بالإكثار منه والاعتناء به.

وقد يعنى بالمنزع غير ذلك إلاّ إنّه راجع إلى معنى ما تقدّم، فإنّه أبدًا لطف مأخذ في عبارات أو معان أو نظم أو أسلوب.

ويستحسن من جميع ذلك ما حسن موقعه من النفوس. ولا يحسن ما كان بالضدّ من ذلك.

4 ـ **تنويــر:** ولا يخلو لطف المأخذ في جميع ذلك من أن يكون ـ 1 ـ من جهة تبديل ـ 2 ـ أو تغيير ـ 3 ـ أو اقتران بين شيئين ـ 4 ـ أو نسبة بينهما ـ 5 ـ أو نقلة من أحدهما إلى الآخر ـ 6 ـ أو تلويح به إلى جهة وإشارة به إليه.

وهذه الأنحاء الستة من التصرّف لا يخلو من أن تكون متعلّقة ـ ممّا يرجع إلى المعاني الذهنيّة ـ بالتصوّرات منها، أو بالنسبة الواقعةِ بين بعضها وبعض، أو بالأحوال المنوضة بها، أو بجهة الأحكام فيها، أو بالمحدّدات لها، أو بأنحاء التخاطب المتعلّق بها.

وقد تقدّم ذكر ذلك **[140 ـ أ]** كلّه[515].

5 ـ **إضـــاءة:** وهذه الأنحاء التي ينزع بالمعاني إليها: منها ما يتيسّر التهدّي إليه على أكثر الشعراء، ومنها ما لا يتيسّر التهدّي إليه إلاّ على بعضهم.

والذي لا يتهدّى إليه إلاّ بعضهم: منه ما يَشتَرك فيه العربيُّ والمحدث، ومنه ما لا يكاد يوجد إلاّ في شعراء المحدثين. وذلك مثل إسنادهم وإضافتهم ضدَّ الشيء إليه، وكإعمالهم الشيءَ في مثله، وكإقامتهم الشيءَ مقام ضدِّه وتنزيلِهم له منزلتَه على جهة من الاعتبار.

فأمّا إضافة ضدّ الشيء إليه، فنحو قول أبي الطيّب رحمه الله.

[الخفيف ـ ق ـ متواتر]

صلةُ الهجر لي، وهجر الوصال[516].

وأمّا إعمالهم الشيء في مثله فنحو قوله أيضاً: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

أَسَفي على أَسَفي الذي دَلّهتني ... عن علمـه فبـهِ عليّ خفاءُ[517]

وقوله: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

لبست لها كدر العجــاج كأنّـما ... ترى غير صاف أن ترى الجوّ صافيا[518]

ومن قول الشيباني: [الرجز ـ ق ـ المتواتر]

---

515 ـ راجع 192 وما بعدها.

516 ـ البيت طالع قصيدة في مدح عبد الرحمان بن المبارك الأنطاكي. وهو بتمامه:

صلة الهجر لي وهجر الوصال ... نكساني في السقم نكس الهلال

العكبري، (1)، ٢، 141.

517 ـ البيت من قصيدة يمدح بها أبا علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب، طالعها:

أمن ازديارك في الدجى الرقباء ... إذ حيث كنت من الظلام ضياء

العكبرى، (1)1، 11.

518 ـ البيت من قصيدة في مدح كافور طالعها:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا

المرجع السابق، (2) ٤، 291.

واصدُد كصدّي عن طويل الصدِّ[519]

وأمّا تنزيل الشيء منزلة ضدّه على جهة من الاعتبار، فنحو قول المتنبّي

[الكامل ـ ق ـ المتواتر]

وشكيّـتي فقدُ السقـام، لأنّـه قد كان لمّا كـان لي أعضـاء[520]

ومنه قول الحُسَين بن الضحّاك: [مجزوء الخفيف ـ ق ـ المتدارك]

كبـدي في هـواك أسـ ـقم من أن تقطّـعـا
لمـ تـدع سَـورة الضنا فـيّ للسقـم موقـعـا[521]

وكان أبو الطيّب المتنبّي يستعمل هذه الأنحاء الثلاثة في المعاني ويقصدها في مواضع كثيرة من شعره.

6 ـ **تنويـر:** فأمّا إسناد الفعل إلى ما اشتقّ منه نحو قول المتنبّي:

[الطويل ـ ق ـ المتواتر]

أماتَ الموت؟ أم ذعر الذعرُ ؟[522]

فإنّه يوجد في كثير من كلام العرب.

519 ـ لم نعثر عليه في غير **المنهاج**.
520 ـ البيت من القصيدة المشار إليها في التع: 1 فلتراجع في المصدر نفسه.
521 ـ يروي البيت الاول بلفظ من هواك بدل في هواك والبيت الثاني بلفظ موضعا يدل موقعا.
وهما من قطعة صغيرة ذات أربعة أبيات أولها:
لا وحبيـك لا أصـا فـح بالدمـع مدمعـا
الأغاني، (3) ٧، 175.
522 ـ تمام البيت:
تمرست بالآفـات حتى تركتـها تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
وهو من قصيدة في مدح علي بن أحمد الأنطاكي. طالعها:
أطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر
البرقوقي(2)٢، 2ـ3.

وأكثر ما يقع أيضاً في كلام العرب أن يوصف المصدر بالصفة المشتقّة لفاعله، وذلك على جهة الاتساع والتجوّز كقولهم شعر شاعر. وقد تصف العرب المصدر بصفة نقيضة نقيضه أو بصفة فاعل نقيضه نحو قول (..........)[523]: [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

ألا يا لقــومي للرقــاد المسهّـــد[524]

فيكون هذا على أنحاء من التأويل: إمّا أن يريد للرقاد المصيّر سهاداً، **[140 ـ ب]** وإمّا أن يريد للرقاد (.........)[525] وقطع به اتّصاله، وإمّا أن يريد للرقاد الذي شرّد وسهّد صاحبه فيكون في الكلام حذف مضاف.

وهذا التأويــل (.........)[526] سائغ في ماقبله.

7 ـ **إضـــاءة:** ويجب أن يستعمل من هذه المجازات وأن يذهب من هذه المذاهب في (......)[527] بعيدا من الفهم ولا قلقا في التصوّر.

وإن لم يكن من شأن العرب أن تستعمل ذلك، لأنّ المعنى إذا تصوّر وكان صحيحا ساغَ أن يستعمل في الكلام المصوغ على قوانين العرب، وإن لم يكن لذلك المعنى نظير في كلامهم.

وإنّما يجب أن يلتزم في الكلام الجاري على قانون كلام العرب أن تكون مجاري أواخر الكلم وتصاريفها وإسناداتها على حدّ ما وقعت عليه في كلام

---

523 ـ بياض مقدار كلمة في الأصل.

524 ـ لم نقف على بقية البيت ولا على قائله في الطبعتين السابقتين، وهو مطلع قصيدة لإسماعيل بن يسار [النسائي] وعجزه:«وللماء ممنوعا من الحائم الصدي» الأغاني 4 : 406 ـ 4 : 421 والقصيدة ذات أربعة عشر بيتا في الأغاني وغنى منها يونس أربعة أبيات، وزعم يحيى بن علي أنها للغول بن عبد الله بن صفيّ الطائي.

525 ـ بياض مقدار ثلاث كلمات.

526 ـ بياض بمقدار كلمتين ونصف.

527 ـ بياض بمقدار كلمتين.

العرب بحسب موضع موضع، وأن يوقع كلّ منها على ما أوقعته العرب، وأن يكون متّصلا بما وصلته العرب، إن كان ممّا شأنه أن يوصل بغيره.

فيتحرّز من مثل ما يقع لكثير من أهل هذا الزمان من استعمالهم الباء في مثل قولهم: استبدل كذا بكذا أو أبدل كذا بكذا في غير موضعها، فإنّ الناس يدخلون الباء على الشيء الذي هو بدل من الآخر، والعرب ليس تدخل الباء في مثل هذا إلاّ على المبدل منه لا على البدل نحو قوله: [المتقارب ـ ق ـ المتواتر]

تبدّل بالأنس صوت الصدا ... وسجع الحمامة تدعو هديلا[528]

وعلى مثل هذا استعمله فحول المحدثين كقول أبي تمّام:

[الكامل ـ ق ـ المتواتر]

فاسلم أمير المؤمنين لأمّة ... أبدلتها الإمراع بالإمحال[529]

ومن تتبّع مثل هذا الاستعمال ممّا انحرف الناس فيه عن الاستعمال العربيّ وجده، فليتحرز من ذلك.

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة [141 ـ أ] بالمآخذ اللطيفة في المنازع التي ربّما خفي الوجه الذي لأجله حسن الكلام بها.

وحسن المآخذ، في المنازع التي يُنزع بالمعاني والأساليب نحوها، يكون بلطف المذهب في الاستمرار على الأساليب والاطّراد في المعاني والإثلاج إلى الكلام من مدخل لطيف. فيوجد للكلام بذلك طلاوة وحسن موقع من النفس لا توجد مع وضعه على خلاف تلك الهيأة والإثلاج إليه من غير ذلك

---

528 ـ كثير عزة أورد الأصفهاني للبيت رواية أخرى:

تبـدّل بالحيّ صـوت الصـدى ... ونـوح الحمامـة تدعـو هديـلا

الأغاني: 8 / 373.

529 ـ البيت من قصيدة طويلة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الخرمية، طالعها:

آلت أمـور الشـرك شـر مـآل ... وأقر بعـد تخمـط وصيـال

التبريزي، 3، 144.

المدخل. وهذا النوع من الكلام لا يكاد يميّزه إلاّ الناقد البصير الجيّد الطبع.

ولك أن تعتبر حسن المأخذ في المعاني والعبارات عنها بقول أبي تمّام:

[البسيط ـ ق ـ المتراكب]

يا بعــد غايــة دمــع العــين إن بعــدوا[530]

فلو أخلى المعنى من التعجّب واقتصر على إيجاب بعد غاية الدمع لبعدهم لم يكن له من حسن الموقع ما له في هذه العبارة التي أورده فيها. وكذلك أيضاً لو عبّر عن معنى التعجّب بغير هذه العبارة فقال: «ما أبعد غاية دَمع العين إن بعدوا» لم يكن له من حسن الموقع ما له في هذه العبارة التي أورده فيها باقتران التعجّب بالمعنى في صورة النداء حسنُ منزع في الكلام ولطف مأخَذ فيه.

1 ـ **إضـــاءة:** وقد يرد من حسن المأخذ ما لا يقدر أن يعبّر عن الوجه الذي من أجله حسن ولا يعرف كنهه، غير أنّه يعرف أنّه مأخذ حسن في العبارة من حيث إنّك إذا حاولت تغيير العبارة عن وضعها والإثلاج إليها من غير المهيع الذي منه أثلج واضعُها وجدَت حسن الكلام زائلا بزوال ذلك الوضع والدخول إليه من غير ذلك المدخل، واعتبر ذلك بقول أبي سعد المخزومي:

[البسيط ـ ق ـ المتراكب]

ذنبي إلى الخيل كَرّي في جوانبها إذا مشى الليث فيها مشي مُختتل[531]

[141 ـ ب] فإنّك لو غيّرت صيغة هذا البيت وأزلتها عن موضعها، فقلت مثلاً: «كم أذنبتُ إلى الخيل بكرّي في جوانبها» أو غيّرته غير هذا التغيير لم تجد له من حسن الموقع من النفس، ما له في صيغته ووضعه الذي وضعه عليه المخزومي:

530 ـ تقدم الشاهد 255 تع 1.

531 ـ الأعلم الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، 410 ـ 476.

2 ـ **تنويـــر:** وقد جارانا الكلامَ في هذا الباب الفقيه العلامة أبو الحسن سهل بن مالك، وكان إلماما في هذه الصناعة، وهناك الكاتب الأبرع أبو المطرّف ابن عميرة نسيجُ وحده في البلاغة.

فقال أبو الحسن: «إنّ من المعاني المعبّر عنها بالعبارات الحسنة ما تُدرك له مع تلك العبارة حسنا لا تدركه له في غيرها من العبارات ولا تقدِرُ أن تعبِّر عن الوجه الذي من أجله حُسن إيراد ذلك المعنى في تلك العبارة دون غيرها ولا تُعرب عن كنه حقيقته، إنّما هو شيء يدركه الطبع السليم والفكر المسدّد ولا يستطيع فيه اللّسان مجاراة الهاجس». قال: «وهكذا يتّفق في المحسوسات، فإنّي شهدت ذات مرّة مناداةً على جارية، وقد بلغت مئتي دينار، فتواقف الناس فيها عن الزيادة، وظهر من الحاضرين فيها بعض زهادة، فدنا إليها سيّدها فأسّر إليها كلاما فمالت عنه متلفّعة بِرُدْنها وازدادت بما فعلته حسنا إلى حسنها، فأبدت من الحسن كلّ سرّ لطيف، واتّقت بأحسن من يدِ المتجرّدة عند إسقاط النصيف[532]، فعَلَت بما فَعَلَت قيمتُها وزادت، حتّى تضاعفت أو كادت، ليس إلاّ لحسن ذلك الدَلِّ والإشارة. وذلك شيء وإن أدركه الحس فغيرُ معربة عن كنهه العبارة».

فقال أبو المطرّف: «لو سمع منك هذا أبو الفرج الجوزي لصنع في ذلك فصلاً وركّب على عامله نصلاً».

3 ـ **إضـــاءة:** قد أشرنا إلى بعض ما ينحو الشعراء نحوه فيما يرجع إلى أمور لفظيّة أو معنويّة أو نظميّة أو أسلوبيّة. وأومأت **[142 ـ أ]** إلى مذاهبهم في ذلك. وكان ما تعلّق من ذلك بالأسلوب هو المعتمدَ ذكرُه في هذا العرف. وكان ذكر ما ليس راجعًا إلى الأسلوب من ذلك على جهة التبعيَّة، وذكر الشيء مع ما يناسبه جريا على عادتنا في مواضع كثيرة من هذا الكتاب. فإنّا قد نلمع في المعلم الواحد بالإشارة إلى مذاهب جمّة من مذاهب البلاغة، ونومئ إلى كلّ

532 ـ الأعلم الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، 410 ـ 476.

مذهب من ذلك بقول كلّي، إذ لو أفردنا لكلّ مذهب منذلك تبويبا وترجمة عليه، وسرّحنا عنان الكلام في مذهب مذهب من ذلك بعض تسريح لاتّسع مجالُ القول وعظُم حجمُ الكتاب، ولم نقصد ذلك، وإن كنّا قد بلغنا به مبلغا[533] كاد أن يخرج بنا إلى الإرباء على ما يجب، إذ أوقاتُ التخلّي والنظر لا تنفسح لاستقصاء العلوم. ولكن يجب، أن تناط العناية منها بالمتأكّد فالمتأكّد. فلذلك اكتفينا من هذا العلم بما لم يكن بدّ من معرفته لمن أراد النظر فيه.

ج ـ معلم دالّ على طرق العلم بما يجب أن يعتقد ويقال في المفاضلة بين الشعراء، بحسب اختلاف الأزمنة والأحوال المهيّأة لقول الشعر والباعثة عليه.

إنّ المفاضلة بين الشعراء الذين أحاطوا بقوانين الصناعة وعرفوا مذاهبها لا يمكن تحقيقها، ولكن إنّما يُفاضل بينهم على سبيل التقريب وترجيح الظنون. ويكون حكم كلّ انسان في ذلك بحسب ما يلائمه ويميل إليه طبعُه، إذ الشعر يختلف في نفسه بحسب اختلاف أنماطه وطرقه، ويختلف بحسب اختلاف الأزمان وما يُوجد فيها ممّا شأن القول الشعريّ أن يتعلّق به، ويختلف بحسب اختلاف الأمكنة وما يوجد فيها ممّا شأنُه أن يوصف، ويختلف بحسب الأحوال **[142 ـ ب]** وماتصلح له وما يليق بها وما تحمل عليه، ويختلف بحسب اختلاف الأشياء فيما يليق بها من الأوصاف والمعاني، ويختلف بحسب ما تختصّ به كلّ أمّة من اللغة المتعارفة عندها الجارية على ألسنتها.

1 ـ **إضـــاءة:** ولأنّ الشعر يختلف بحسب اختلاف أنماط وطرقه نجد شاعرا يُحسن في النمط الذي يقصد فيه الجزالة والمتانة من الشعر ولا يحسن في النمط الذي يقصد به اللطافة والرقّة، وآخرَ يُحسن في النمط الذي يقصد به اللطافة والرقّة ولا يحسن في النمط الذي يقصد به الجزالة والمتانة. ونجد

533 ـ إشارة من المؤلف إلى فراغه بهذه الفصول من تأليفه.

بعض الشعراء يحسن في طريقة من الشعر كالنسيب مثلا ولا يحسن في طريقة أخرى كالهجاء مثلا، وآخرَ يكون أمره بالضدّ من هذا.

2 ـ **تنويــر:** ولأنّ الشعر أيضاً يختلف بحسب اختلاف الأزمان وما يوجد فيها وما يولع به الناس ممّا له علقة بشؤونهم، فيصفونه لذاك ويكثرون رياضة خواطرهم فيه، نجد أهل زمان يعنون بوصف القيان والخمر وما ناسب ذلك ويجيدون فيه، وأهلَ زمان آخر يعنون بوصف الحروب والغارات وما ناسب ذلك ويجيدون فيه، وأهل زمان آخر يعنون بوصف نيران القرى وإطعام الضيف وما ناسب ذلك ويجيدون فيه.

3 ـ **إضــاءة:** ولأنّ الشعر أيضاً يختلف بحسب اختلاف الأمكنة وما يوجد فيها ممّا شأنه أن يوصف من الأشياء المصنوعة أو المخلوقة ـ وكلّ يدخل تحت المخلوقة ولكن الناس قد فرّقوا هذه التفرقة ـ نجد بعض الشعراء يحسن في وصف الوحش، وبعضهم يحسن في وصف الروض، وبعضَهم يحسن في وصف الخمر، وكذلك في وصف شيء شيء فإنّهم يختلفون في الإحسان فيه ويتفاوتون في محاكاته ووصفه على قدر قوّة ارتسام نعوت الشيء في خيالاتهم بكثرة ما ألفوه وما تأمّلوه.

4 ـ **تنويــر:** ولأنّ الشعر **[143 ـ أ]** أيضاً يختلف بحسب اختلاف أحوال القائلين وأحوال ما يتعرّضون للقول فيه، وبحسب اختلافهم في ما يستعملونه من اللغات، نجد واحدا يُحسن في الفخر ولا يحسن في الضراعة، وآخرَ يحسن في الضراعة ولا يحسن في الفخر، ونجد واحدا يحسن في مدح الطبقات الأعلَيْنَ وآخرَ لا يحسن إلاّ في أمداح الطبقات الأدنَيْنَ، ونجد واحدا يحسن في النظم المصوغ من الألفاظ الحُوشية والغريبة وآخرَ لا يحسن إلاّ في نظم اللغات المستعملة.

5 ـ **إضــاءة:** وإذا كان الأمر على ما قدّمته فواجبٌ أن يضاعف الثناء على الشاعر إذا أحسن في وصف ما ليس معتادا لديه ولا مألوفا في مكانه ولا هو من

طريقه ولا ممّا احتنك فيه ولا ممّا ألجأته إليه ضرورة، وكان مع ذلك متكلّما باللّغات التي يستعملها في كلامه. وبالجملة إذا أخذ في مأخذ ليس ممّا أَلِفه ولا اعتاده فإنّ الشاعر إذا أخذ في مأخذ ليس ممّا أَلِفه ولا اعتماده فساوى في الإحسان فيه من قد ألفه واعتاده، كان قد أربَى عليه في الفضل إرباء كثيرا، وإن كان شعرهما متساويا.

6 ـ **تنويــر:** فتحرّي الحقيقة في الحكم بين شعراء الأعصار والأمصار ممّا لا يتوصّل إلى محض اليقين فيه، ولكن يرجّحُ بعضُهم على بعض على سبيل التقريب. وكذلك الحكم بين شاعر وشاعر، فإنّه مُعْيٍ على من طالب نفسه بتحرّي التحقيق وتحصيل اليقين فيه. فإنّ أحدهما قد يُساعدُه الزمانُ والمكان والحال والباعث على التغلغل إلى استثارة تخاييل ومحاكاة في شيء لا يساعد الآخرَ شيءٌ من ذلك عليه. وقد تكون حالُ الآخر في غير ذلك الشيء بمنزلة حال صاحبه في ذلك الشيء. وقد تختلف حالاهما في اللغة. وتختلف حالاهما في الرويّة، ومقدارِ جمام خاطر كلّ واحد منهما ونشاطه للقول في حال الرويّة. ولذلك قد يعسر الحكم في **[143 ـ ب]** المفاضلة بين الشاعرين في جودة الطبع وفضل القريحة، ولكن تُمكن المفاضلة بين قولهما إذا اجتمعا في غرض ووزن وقافية.

7 ـ **إضــاءة:** ولِمَا في المفاضلة بين الشعراء من الإشكال وتوعّر سبيل التوصّل إلى التحقيق في ذلك اختلفت آراء العلماء في ذلك، وتوقّف بعضهم عن القطع فيه بحُكمٍ لا تبقى له معه شبهة ولا مِرْية، حتّى أنّ أمير المؤمنين عليا ابن أبي طالب، رضي الله عنه، لم يقض في ذلك قضاء جزما. وحسبك برأي أفصح الأمّة وأعلمها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم. وإمَاما يقتدى به وعَلَما يُهتدى عليه. وأنا أورد خبره، رضي الله عنه، في ذلك.

قال أبو الفرج الأصبهاني: أخبرني عمّي، قال: حدّثنا جعفر بن محمد العاصمي قال حدّثني عينية بن المنهال قال حدّثني شدّاد بن عبيد الله قال حدّثني عبيد الله بن الحر العنزي القاضي عن أبي عَرادة قال:

«كان عليّ عليه السلام يُفطر الناس في شهر رمضان، فإذا فرغ من العَشاء تكلّم فأقلّ وأوجز وأبلغ. فاختصم الناس ليلة حتّى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس.

ـ فقال عليّ لأبي الأسود الدؤلي: قل يا أبا الأسود!

ـ فقال أبو الأسود، وكان يتعصّب لأبي دؤاد: أشعرُهم الذي يقول:

[الخفيف ـ ق ـ المتواتر]

ولقد أغتدي يُدافع ركني ... أحوذيٌّ ذو ميعة، إضريجُ
مخلَطٌ مزيلٌ مكرٌّ مفرٌّ ... منفَح مِطرَح سبوح خروجُ
سَلْهَبٌ سَرجَب كأنّ رماحا ... حملتْه، وفي السَّراة دُموج

فأقبل عليّ ـ عليه السلام ـ فقال: كلّ شعرائكم محسن، ولو جمَعهم زمان واحد وغايةٌ واحدة ومذهبٌ واحد في القول لعلمنا أيّهم أسبق إلى ذلك. وكلّهم قد أصاب الذي أراد وأحسن، فإن يكن أحد فضلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر، فإنّه كان أصحَّهم **[144 - أ]** بادرة وأجودَهم نادرة»(534).

فانت ترى كيف جعل عليّ، رضي الله عنه، اختلافَ الأزمنة وتفاوتَ الغايات وتباين المذاهب عائقةً عن التوصّل إلى التحقيق في ذلك.

8 ـ **تنوير:** فأمّا من يذهب إلى تفضيل المتقدّمين على المتأخّرين بمجرد تقدّم الزمان فليس ممّن تجب مخاطبته في هذه الصناعة، لأنّه قد يتأخّر أهلُ زمان عن أهل زمان ثمّ يكونون أشعَر منهم لكون زمانهم يحوش عليهم من أقناص المعاني بسفوره لهم عن أشياء لم تكن في الزمان الأوّل، ولتوفّر البواعث فيه

534 ـ الأبيات لأبي دؤاد الإيادي: الأغاني دار الثقافة والدار التونسية للنشر 16:296 وفيها: مزيد بدل مزيل وشرحب بدل سرحب. الأغاني (3) ١٥. 97.

على القول وتفرّغ الناس له، كالحال في إجادة الشعراء[535] الذين كانوا في زمان ملوك آل جفنة[536] وملوك لخم، ومن كان في زمانهم من ملوك العرب[537] وأجودها[538]، فإنّ تلك الحلبة تقدّمت بالإحسان مَن تقدّمها[539] بالزمان، والسبب في ما ذكرته. وهذه الحلبة هي حلبة زهير والنابغة والأعشى ومن جرى مجراهم وانخراط في سلكهم.

وقد وقعت في المفاضلة بين الشعراء أقوال لا [يعتدّ لها] وآراء لا يحسن الاشتغال بذكرها والردّ عليها عمّا هو أهمّ من ذلك. فإنّ تلك الآراء أظهرُ فسادا لمن له أدنى معرفة بهذه الصناعة من أن يُحتاج في ذلك إلى تكلّف حجّة أو استدلال، وإنّما الرأيُ الصحيح الذي عليه [المعوّل] من أنّ للشعر اعتبارات في الأزمنة والأمكنة والأحوال، فلا يجب أن يقطع بفضل شاعر [على آخر] بأنّه ساواه في جميع ذلك، ثمّ فضَله بالطبع والقريحة، وهذا أمر يتعذّر تحرّى [اليقين فيه، وإنّما] يمكن التقريب والترجيح بينهما بحسب ما يغلب على الظنّ.

9 ـ **إضــاءة:** فأمّا المفاضلة بين جماهير شعراء توفّرت لهم الأسباب المهيّئة لقول الشعر والأسباب الباعثة على ذلك، وقد أومأت إليها في صدر الكتاب[540]، وبين جماهير شعراء لم تتوفّر لهم الأسباب المهيّئة ولا البواعث، فلا **[144 ـ ب]** يجب أن نتوقّف فيها بل نحكم حكما جزما أن الذين توفّرت لهم الأسباب المهيّئة والباعثة أشعرُ من الذين لم تتوفّر لهم. وذلك كما نفضّل شعراء العراق على شعراء مصر. ولا نتوقّف في ذلك، إذ لا مناسبة بين الفريقين في الإحسان في ذلك، كما لا تناسب بينهم في توفّر الأسباب، وإن كان أكثر تلك الأسباب أيضاً في الصقع العراقي قد تغيّر عمّا كان عليه في الزمان المتقدّم.

535 ـ انظر بلاشار، 86 ـ90، نللينو، 40 ـ 61.

536 ـ انظر بلاشار، 86 ـ90، نللينو، 40 ـ 61.

537 ـ النعمان بن المنذر وعمرو بن هند وأمثالهم.

538 ـ منهم حاتم بن عبد الله الطائي.

539 ـ حول الشعراء المتقدمين انظر وهب بن منبه.

540 ـ انظر 37 ـ 38.

د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بمبلغ هذا الكتاب من أصول هذه الصناعة.

قد تكلّمنا من هذه الصناعة في جملة مقنعة. وبقيت أشياء لا يمكن تتبّعها لكثرة تشعّبها وتعذّر استقصائها، وأشياءُ يمكن استقصاؤها أو استقصاء عامّتها بعد طول.

فأمّا ما يعزّ استقصاؤه فذكرُ ما به يكون كمال الشعر وتفصيل القول في المهيّئات له والأدوات والبواعث عليه. ومن ذلك اعتبار كلّ نمط من أنماط اللفظ بكلّ نمط يوقع فيه من أنماط المعاني والنظام والأساليب والأوزان، واعتبارُ كلّ نمط من المعاني بكلّ نمط يصلح به من أنماط اللفظ والنظام والأساليب والأوزان، واعتبارُ كلّ نمط من النظم بما يصلح به من أنماط اللفظ والمعاني والأساليب والأوزان. واعتبار كلّ نمط من أنماط الأساليب بما يصلح به من أنماط الألفاظ والمعاني والنظام والأوزان، واعتبار كلّ نمط من أنماط الأوزان بما يصلح به من أنماط اللفظ والمعنى والنظم والأسلوب، والتمييز بين ما يكون ملائما لما وضع بإزائه من جميع ذلك وما يكون منافرا لوضعه[541] (.........)

541 ـ هذا آخر النسخة. وللكلام بقية قليلة يتم بها تصوير الغرض من التأليف الذي يصرح حازم بتمام إنجازه ووصوله فيه إلى الغاية من ذلك.



ملحـــــق



من كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي[542].

1 ـ قال حازم في المنهاج:

«الضرائر الشائعة منها المستقبح وغيره، وهو ما لا تستوحش منه النفس، كصرف ما لا ينصرف، وقد تستوحش منه النفس في البعض كالأسماء المعدولة، وأشدّ ما تستوحشه النفس تنوين أفعل منه، وممّا لا يستقبح قصر الجمح الممدود، ومدّ الجمع المقصور، ويستقبح منه ما أدّى إلى التباس جمع بجمع مثل ردّ مطاعم إلى مطاعيم أو ردّ مطاعيم إلى مطاعم، فإنّه يؤدّي إلى التباس مطعم بمطعام. وأقبح ضرائر الزيادة المؤدّية لما ليس أصلا في كلامهم كقوله: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

من حوثما نظروا أدنو فأنْظَورُ[543]

أي أنظر، أو الزيادة لما يقلّ في الكلام كقول امرئ القيس في بعض الرّوايات: [طأطأت شيمالي][544]، أراد شمالي. وكذلك يستقبح النقص المجحف كقول لبيد:

---

542 ـ اعتمد السبكي في شرحه كثيرًا من كتب البلاغة والنقد، من بينها كتاب حازم وسماه **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، انظر الشرح، 35، 26.

543 ـ عجز بيت لم أهتد إلى قائله وإلى صدره.

544 ـ من قصيدة لامرئ القيس مطلعها:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟

والبيت تمامه:

كأني بفتخاء الجانحين لقوّة صيود من العقبان طأطأت شملالي

وفي الأصل: طأطأت شمالي والصواب ما في ديوان امرئ القيس ص 38.

درس المنـــا بمُتالـــع فأبـــــان[545] [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

أراد المنازل، وكذلك العدول عن صيغة لأخرى كقول الحطيئة[546].

[البسيط ـ ق ـ المتواتر]

فيها الزجـاج وفيهـا كـلّ سابغـة جدلاء محكمة من نسج سـلاّم

أراد سليمان عليه السلام[547].

السبكي، 1، 88 س 14 ـ 89 س 7.

2 ـ قال حــــازم:

«المفرط في القصر ما كان على مقطع مقصور، والذي لم يفرط ما كان على سبب، والمتوسّط ما كان على وتد أو على سبب ومقطع مقصور أو على سببين والذي لم يفرط في الطول ما كان على وتد وسبب، والمفرط في الطول ما كان على وتدين أو على وتد وسببين».

السبكي، 1، 91 س 12 ـ 15.

3 ـ قـال حـازم أيضاً:

«إنّ الطول تارة يكون بأصل الوضع وتارة تكون الكلمة متوسّطة فتطيلها الصلة وغيرها، كقول المتنبّي: [الكامل ـ ق ـ المتدارك]

---

545 ـ مطلع قصيدة طويلة تمامه: وتقادمت بالحبس فالسوبان «ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص 206، دار صادر، بيروت.

546 ـ من قصيدة مدح بها الحطيئة أبا موسى الأشعري حين توليه العراق مطلعها:

هل تعرف الدار من عامين أو عـــام دار لهند بجزع الحرج فالـــدام

وفيه: فيه الرماح، والزجاج في الأصل بكسر الزاي جمع زجّ بضمها سنان الرماح. الأغاني 12 132 دار الثقافة، بيروت، والدار العربية للكتاب 1983.

547 ـ هذا النص منقول بتصرف، انظر السيوطي: المزهر، (2)1، 188 س 19 ـ 189 س 11 الاقتراح مخط. 73 آس 11 ـ 12.

خلتِ البلادُ من الغزالـةِ ليلَـها فأعاضهـاك الله كي لا تحـزنَا[548]

وقول أبي تمام: [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

ورفعت للمستنشدين لوائي»[549]

السبكي، 1، 91 س 15 ـ 19.

4 ـ وفي بيت المتنبّي: [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

عِـش ابـقَ اسـمُ سُـدْ قُـدْ جُـدْ مُرانْهَ رفِ اسْر نَـلْ

غِـظ ا رْمِ صـب احْمِ اغْزُاسْبِ رُعْ زع دِلِ اثْنِ نُـل[550]

قال حازم:

«إنّ بيت المتنبّي إنّما قبح لقصر كلماته المتوالية التي على حرفين. وينبغي أن يذكر هذا في شروط فصاحة الكلام».

السبكي، 1، 93 س 6 ـ 9.

5 ـ قسّم حازم في المنهاج الابتذال والغرابة. فقال ما ملخّصه:

---

548 ـ آخر بيت من قصيدة في مدح بدر بن عمار مطلعها:

الحب ما منع الكلام الألسنـا وألذّ شكوى عاشق ما أعلـنا

549 ـ عجز البيت صدره: وإلى محمد ابتعثت قصائدي.

وهو من قصيدة في مدح محمد بن حسان الضبيّ، وكان مدح بها يحيى بن ثابت ومطلعها:

قَدْك اتّئب أربيت في الغلواء كم تعذلـون وأنتم سجـرائي!

550 ـ أنشد المتنبي البيت الأخير من قصيدة في مدح سيف الدولة وهو:

أقل أذل أن صن احمل علّ سلّ أعد زد هشّ بشّ هب اغفر أدن سرّ صل

على البحر البسيط مطلعها:

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلـل دعا فلباه قبل الركب والإبل

ولما رآهم يعدّون ألفاظه ويستكثرون الحروف فيه قال بيت الشاهد وزاد فيه:

والملاحظ أن الروي يويهم بأن الأبيات من نفس القصيدة، لكن روي الأبيات التي منها الشاهد ساكن وبحرها الطويل، وقد أضاف المتنبي إلى بيت الشاهد:

وهذا دعاء لو سكَتُّ كفيتـه لأني سألت الله فيك وقد فعـل

وبيت الشاهد معيب إذ لا يقرأ بسهولة (انظر البرقوقي م2 ج 3 ص 212 ـ 213).

«الكلمة على أقسام:

الأوّل: ما استعملته العرب دون المحدثين، وكان استعمال العرب له كثيرا في الأشعار وغيرها، فهذا حسن فصيح.

الثّاني: ما استعملته العرب قليلا، ولم يحسن تأليفه ولا صيغته، فهذا لا يحسن إيراده.

الثّالث: ما استعمله العرب وخاصّة المحدثين دون عامّتهم، فهذا حسن جدّا، لأنّه خلص من حوشية العرب وابتذال العامّة.

الرّابع: ما كثر في كلام العرب وخاصّة المحدثين وعامّتهم، ولم يكثر في ألسنة العامة، فلا بأس به.

الخامس: ما كان كذلك، ولكنه كثر في ألسنة العامّة، وكان لذلك المعنى اسم استغنت به الخاصّة عن هذا، فهذا يقبح استعماله لابتذاله.

السّادس: أن يكون ذلك الاسم كثيرا عند الخاصّة واالعامّة، وليس له اسم آخر، وليست العامّة أحوج إلى ذكره من الخاصّة، ولم يكن من الأشياء التي هي أنسب بأهل المهن، فهذا لا يقبح وليس يعدّ مبتذلا مثل لفظ الرأس والعين.

السّابع: أن يكون كما ذكرناه إلاّ أنّ حاجة العامة له أكثر، فهو كثير الدوران بينهم كالصنائع، فهذا مبتذل.

الثّامن: أن تكون الكلمة كثيرة الاستعمال عند العرب والمحدثين لمعنى، وقد استعملها بعض العرب نادرا لمعنى آخر، فيجب أن يجتنب هذا أيضاً.

التّاسع: أن يكون العرب والعامّة استعملوها دون الخاصّة، وكان استعمال العوامّ لها من غير تغيير، فاستعمالها على ما نطقت به العرب ليس مبتذلا، وعلى التغيير قبيح مبتذل[551]».

---

551 ـ هذه نهاية كلام حازم. انظر السبكي، 1، 93 س 24.

السبكي، 1، 93 س 12 ـ 24.

ثمّ اعلم أن الابتذال في الألفاظ وما يدل عليه ليس وصفا ذاتيّا ولا عرضا لازما، بل لاحقا من اللواحق المتعلّقة بالاستعمال في زمان دون زمان وصقع دون صقع[552].

6 ـ قال حازم في **المنهـــاج**:

«شرط في جواز عكس التشبيه أن يجتمع في المتشابهين أوصاف ثلاثة أو اثنان منها، وهو المقدار واللون والهيئة».

السبكي، 3، 410 س4،5.

7 ـ وقال أيضاً:

«إنّه إذا استويا في وجه الشبه، وأحدهما في نفسه عظيم والآخر حقير، شبّه الحقير بالعظيم عند إرادة التعظيم وشبّه العظيم بالحقير عند إرادة التحقير».

السبكي، 3، 410 س 6، 7.

8 ـ قال أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم في كتاب **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**:

«التشبيه، بغير حرف شبيه بالاستعارة في بعض المواضع. والفرق بينهما أنّ الإستعارة، وإن كان فيها معنى التشبيه فتقدير حرف التشبيه لا يسوغ فيها، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك، لأنّ تقدير حرف التشبيه واجب فيه، ألا ترى إلى قول الوأواء الدمشقي:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضّت على العناب بالبرد

يسوغ لك أن تقدّره وعضّت على مثل العناب بمثل البرد. وكذلك سائر ما في البيت، ولا يسوغ ذلك في الاستعارة نحو قول ابن نباتة:

552 ـ هذه الجملة ألحقها السيوطي في المزهر بكلام حازم، (2) 1، 191 س 11ـ13 وليست منه، ولكنها تعقيب من السبكي، وقد نقل الفقرة كلها في هذا المكان من **المزهر**.

حتى إذا بـهر الأباطـح والـربى نظرت إليـك بأعين النـوار

لأنّه لا يصحّ أن تقدّر نظرت إليك بمثل أعين النوارّ

السبكي، 4، 57 س 3 ـ 58 س 3.

ملاحظـة:

يضاف إلى مثل هذه الأنقال الكثيرة التي ذكرناها للسبكي علن كتاب **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** لحازم إحالات له عليه. فمن ذلك:

1 ـ استهجان حازم في **المنهاج** تتابع الكسرات وحروف العلّة نحو الكيمياء. السبكي 1، 94 س 5

2 ـ وسيأتي في التكرار والتصريح من كلام حازم في **المنهاج** بأنّ ما لعلّه يعزى لهذا البيت من ا لثقل إنّما هو من التكرار في أمدحه وفي لُمته.

السبكي، 1، 101 س 2 ـ4

3 ـ ونقل حازم عن جماعة أنّ التكرار يحسن في مواضع الشوق والمدح والهجاء.

السبكي، 1، 117 س 15.

من كتاب البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري:

1 ـ وحكى حازم في **منهاج البلغاء** خلافًا غريباً فقال:

«وللناس في الكلام المنثور من جهة تقطيعه إلى مقادير تتقارب في الكميّة، وتتناسب مقاطعها على ضرب منها، أو بالنقلة من ضرب واقع في ضربين أو أكثر، إلى ضرب آخر مزدوج، في كلّ ضرب ضرب منها أو يزيد على الازدواج، ومن جهة ما يكون غير مقطع، إلى مقادير يقصد تناسب أطرافها، وتقارب ما بينها في كميّة الألفاظ والحروف ثلاثة مذاهب:

منهم من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف، غير متقاربة في الطول والقصر لما فيه من التكلّف، إلاّ ما يقع به الإلمام في النادر من الكلام.

والثاني أنّ التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قوالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكيد جدّاً.

والثالث ـ وهو الوسط ـ أن السجع لمّا كان زينة للكلام، فقد يدعو إلى التكلّف، فرأيي ألاّ يستعمل في جملة الكلام، وأن لا يخلى الكلام بالجملة منه أيضاً، ولكن يقبل من الخاطر فيه ما اجتلبه عفوا، بخلاف التكلّف، وهذا رأي أبي الفرج قدامة.

قال حازم: وكيف يعاب السجع على الإطلاق! وإنّما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب، فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلام العرب، وإنّما لم يجئ على أسلوب واحد، لأنّه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرّا على نمط واحد، لما فيه من التكلّف، ولما في الطبع من الملل عليه. ولأنّ الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع، وبعضها غير متماثل».

الزركشي: النوع الثالث معرفة الفواصل
ورؤوس الآي: 1، 59س 10 ـ 60 س 15.

2 ـ وقال حازم في كتاب **منهاج البلغاء**:

«وأمّا الحكم والأمثال، فإمّا أن يكون الاختيار فيها بجري الأمور على المعتاد فيها، وإمّا بزوالها في وقت عن المعتاد، عن جهة الغرابة أو الندور فقط، لتوطّن النفس بذلك على ما لا يمكنها التحرّز منه، إذ لا يحسن منها التحرّز من ذلك، ولتحذر ما يمكنها التحرّز منه ويحسن بها ذلك، ولترغب فيما يجب أن يرغب فيه، وترهب فيما يجب أن ترهبه، وليقرب عندها ما تستبعده، ويبعد لديها ما تستقربه، وليبين لها أسباب الأمور، وجهات الاتفاقات البعيدة الاتفاق بها. فهذه قوانين الأحكام والأمثال، قلّما يشذّ عنها من جزئياتها شيء».

الزركشي: النوع الحادي والثلاثون
معرفة الأمثال الكائنة فيه، 1، 491 س 3 ـ 9

3 ـ العاشر: وهو قول حازم في **منهاج البلغاء**:

«إن الإعجاز فيه من حيث استمرّت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارا لا توجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب ومن تكلّم بلغتهم لا تستمرّ الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلاّ في الشيء اليسير المعدود، ثم تعرض الفترات الإنسانية، فتقطع طيب الكلام ورونقه، فلا تستمرّ لذلك الفصاحة في جميعه، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه[553]. والفترات في الفصاحة تقع للفصيح، إمّا بسهو يعرض له في الشيء من غير أن يكون جاهلا به، أو من جهل به، أومن سآمة تعتري فكره، أو من هوى للنفس يغلب عليها فيما يحوش عليها خاطره، من اقتناص المعاني سمينا كان أو غثّا. فهذه آفات لا يخلو منها الإنسان الفاضل الطبع الكامل[554]، وهو قريب ممّا ذكره ابن الزملكاني وابن عطيّة».

الزركشي: بيان الأقوال المختلفة
في وجوه الإعجاز، 2، 101 س 1 ـ 9

---

553 ـ اقتصر السيوطي على نقل هذه الفقرة من هذا النص، **الإتقان**.2، 119 س 20 ـ25.

554 ـ يبدو أن كلام حازم ينتهي هنا، الجملة بعد هذا تعليق من الزركشي، فليُتأمل.

4 ـ وقال الإمام في **نهايــة الإيجــاز**:

«اشترك الكاف وكأنّ في الدلالة على التشبيه، وكأنّ أبلغ. وبذلك جزم حازم في **منهاج البلغاء**. وقال: وهي إنّما تستعمل حيث يقوى الشبه، حتى يكاد الرائي يشك في أنّ المشبّه هو المشبّه به أو غيره، ولذلك قالت بلقيس: (كأنّه هو)».

الزركشي: فصل في أدوات التأكيد

2، 408 س 5 ـ 8.

5 ـ ومنه زيادة «أصبح» قال حازم:

«إن كان الأمر الذي ذكر أنّه أصبح فيه لم يكن أمسى فيه، فليست زائدة، وإلاّ فهي زائدة، كقولك: أصبح العسل حلوا».

الزركشي: القسم السادس والعشرون

الزيادة، 3، 71 س 9 و10.

6 ـ ومنها التفخيم والإعظام، قال حازم في **منهــاج البلغــاء**:

«إنّما يحسن الحذف ما لم يشكل به المعنى، لقوّة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال. قال: وبهذا القصد يؤثّر في المواضع التي يراد بها التعجّب والتهويل على النفوس، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة: (حتّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) فحذف الجواب، إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدّر ما شأنه، ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك، لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

الزركشي: أسباب الحذف، 3،

105 س 20 ـ ص 106 س 8.

7 ـ وفي كونه [أي القلب] من أساليب البلاغة خلاف، فأنكره جماعة، منهم حازم في كتاب **منهاج البلغاء** وقال: «إنّه ممّا يجب أن ينزّه كتاب الله عنه، لأنّ العرب إن صدر ذلك منهم فبقصد العبث أو التهكّم أو المحاكاة أو حال اضطرار، والله منزّه عن ذلك».

الزركشي: القلب، 3، 288 س 2ـ4

8 ـ قال حازم في **منهـاج البلغـــاء**:

«وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلّم أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة. وكذلك أيضاً يتلاعب المتكلّم بضميره فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافا فيجعل نفسه مخاطبا وتارة يجعله هاء، فيقيم نفسه مقام الغائب. فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلّم والمخاطب لا يستطاب، وإنّما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض. وهو ثقل معنويّ لا لفظيّ، وشرطه أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه، ليخرج نحو أكرم زيدا، وأحسن إليه، فضمير (أنت) الذي هو (في) (أكرم) غير الضمير في (إليه)»[555].

الزركشي: الالتفات، 3، 314 س 8 ـ 15.

9 ـ وقال حازم في **منهاجـــه**:

«يبدأ في الحسن بما ظهور الحسن فيه أوضح، وما النفس بتقديمه أعنى، ويبدأ في الذمّ بما ظهور القبح فيه أوضح، والنفس بالالتفات إليه أعنى، ويتنقّل في الشيء إلى ما يليه من المزية في ذلك، ويكون بمنزلة المصوّر الذي يصوّر أوّلا ما حلّ من رسوم تخطيط الشيء، ثم ينتقل إلى الأدقّ فالأدقّ»[556].

الزركشي: نفي الشيء، رأسا، 3، 407 س 2 ـ 5.

---

555 ـ ق4، المنهج 2 معرف د، تنوير 4، 348 س 4ـ9 وكلام حازم في نص المنهاج ينتهي بقوله: إلى بعض ولعل ما ذكر بعد ذلك إنما هو تعقيب من الزركشي.

556 ـ ق، 2، المنهج 3 معرف و، تنوير4، 89.

ملاحظـــة:

بالإضافة إلى الأنقال التي أوردناها من كتاب **البرهـان** نذكر مكاناً وقع التصريح فيه أيضاً باسم مؤلّف حازم كاملاً:

10 ـ «ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع، وقد صنّف النّاس في ذلك تصانيف كثيرة، وأجمعها ما جمعه الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب في مجلّدين قدّمهما أمام تفسيره، وما وضعه حازم الأندلسي المسمّى **بمنهـاج البلغـاء وسراج الأدبـاء**».

الزركشي: النوع الحـادي والعشرون
معرفة الكون اللفظ والتركيب أحسن
وأفصـح، 1، 311 س ـ 5.

«انتهى ملحق المنهاج»



معجم المصطلحات والألفاظ الغريبة

ـ أ ـ

الجذر	المصطلح	التعريف
أ ث ر	تأثّر	11 = انفعال بأثر الشيء، نفوذ أثر إلىٰ الوجدان.
أ خ ذ	مآخذ	و. مأخذ. متد. = منهج، طريقة، مهيع.
أ خ و	إخوانيات	12 . 341 = نوع من الأشعار والرسائل الأدبية يدور بين الأصدقاء والإخوان، فيه ضروب من المؤانسة والملاطفة والتشوّق.
أ د و	الأداة	ج. الأدوات = 13 = الصيغة 37 = العلوم المتعلقة بالمعاني، أو المتعلقة بالالفاظ.
أ د ي	التأدية	32 = مق. الاقتضاء. الايصال.
أ س س	التأسيس	244 = اسم يطلق علىٰ الألف الملتزمة في القافية قبل حرف الروي بحرف.
أ س ف	التأسّف	11 . 305 = غرض شعري يصفُ القولُ فيه الاخفاق مع قصد التحسّر.
أ س و	التأسّي	11 . 305 = غرض شعري يصفُ القولُ فيه الإخفاق مع قصد تسلية النفس عنه.
أ ص ل	الأصيل	143 = العريق. 21 . 23 = مق. دخيل. وصف يلحق المعاني والاستعمالات الشعرية المؤثّرة، ويطلق علىٰ المعاني الجمهوريّة.
أ ط ل	الأيطل	143 = الخاصرة.
أ م م	مأم	متد. = مقصد، مطلب، فصل من باب، أطلق إزاء لفظ معلم ومعرف.
أ ن س	التأنيس	323 = الجمع بين المعاني بصورة تدفع الوحشة عن النفس.
أ و ل	أول وثوان	قال حازم: والمعاني الشعريّة منها ما يكون مقصودًا في نفسه بحسب غرض الشعر ومعتمدًا إيراده، ومنها ما ليس بمعتمد إيراده ولكن يورد علىٰ أن يحاكىٰ به ما اعتمد من ذلك، أو يحال به عليه أو غير ذلك. ولنسمّ المعاني التي تكون من متن الكلام ونفس غرض الشعر المعاني الأُوَل، ولنسمّ المعاني التي ليست من متن الكلام ونفس الغرض ولكنها أمثلة لتلك أو استدلالات عليها أو غير ذلك لا موجب لإيرادها في الكلام غير محاكاة المعاني الأوّل بها أو ملاحظة وجه يجمع بينهما علىٰ بعض الهيآت التي تتلاقىٰ عليها

المعاني ويُصار من بعضها إلىٰ بعض المعاني الثّواني. فتكون معاني الشعر منقسمة إلىٰ أوائل وثوان.

وهي، بما قدمناه، تختلف عمّا ذكره عبد القاهر الجرجاني في تعريفه للمعنيين. ت. محمد الطاهر ابن عاشور، نقل كلام الجرجاني في هذا الموضع بنصّه: 56.

- ب -

ب أ ي	بأي	25 = فخر وتعاظم.
ب د أ	مبادي	و. مبدأ = 10 أصول. 178 ـ 184 = أوائل، طوالع.
ب د ع	إبداعات	و. إبداع. متد. = تصرّفات رائعة مستملحة.
	بديع	11 = نهاية في الحسن. 284 = فن بلاغي تطلب فيه المحسنات اللفظية والمعنوية.
ب د ل	تبديل	46 = تخالف وضع الالفاظ لتخالف في وضع المعاني. وهو ضرب من ضروب المطابقة في النسب يجري مجرى المطابقة في الألفاظ المفردة.
ب ر س	برسام	البرسام مرض من أمراض الذوق.
ب ر هـ ن	البرهان	62 = القياس المؤلف من اليقينيات سواء كانت ابتداء وهو الضروريات أو بواسطة وهي النظريات. والحدّ الأوسط فيه لا بد أن يكون علّة لنسبة الأكبر إلىٰ الأصغر فإذا كان مع ذلك علّة لوجود تلك النسبة في الخارج أيضاً فهو برهان لميّ، وإن لم يكن كذلك بل لا يكون علّة للنسبة إلا في الذهن فهو برهان إنّي.
ب س ط	بسيط	209 = وزن مركب من ثمانية أجزاء خماسية وسباعية وهو متداخل الشطر والخامس يسبق فيه السابع، ملتزم فيه الخبن. وأصل شطره مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن.
ب ع ث	باعث	ج. بواعث. 37 ـ 224 = الأطراب والآمال، وهي المحرّكات للنظم.
ب ل غ	بلاغة	202 = علم اللسان الكلّي الذي تندرج تحت تفاصيل كليّاته ضروب التناسب والوضع.
ب أ ي	بأى	و. مبالغة. متد. = غلوّ، إسراف.
ب ن ي	مبالغات	و. بنية. متد. = صيغ. قوالب. أوزان.
	أبنية	و. مبنىٰ. متد. = أشكال، هيآت الألفاظ مؤلّفة.

ب ي ت — مباني — ج، بيوت، متد. = الخباء، بيت الشعر. ومنه بيت الشعر.

- ت -

ت ب ع — بيت — 15 = حمل كلمة علىٰ سابقتها في الإعراب أو في حكمه.

ت س ع — إتباع تساعيـ(ات) — 202 . 204 = وصف للتفعيلة، وهي الجزء من العروض، إذا كانت متألّفة من تسعة أحرف.

ت ل و — 66 = مق. مقدّم.

ت م م — تال تتميمات — 14 . 190 = أجزاء جملة يكمّل بها معناها أو يصير بها واضحا بيّنا.

- ث -

ث ب ت — إثبات — متد. = مق. سلب. وهو الحكم بثبوت شيء. ويوصف به السياق والصيغة.

ث ن ي — ثواني — و. ثان. 13 . 22 . 183 = مق. الأول.
وهي المعاني التي ليست من متن الكلام ونفس الغرض ولكنّها أمثلة لتلك أو استدلالات عليها أو غير ذلك، الواقعة ثانية بعد الأوائل. ومنه الأبيات الاوائل وهو الطوالع، والأبيات الثواني وهي التالية لها.

اثنينية — 65 = اقتران شيئين في وصف جامع علىٰ حدّ من الحدود المعروفة لدى الناطقة.

استثناء(ات) — 57 . 58 = صورة من صور القياس وحالة من حالاته. ومنه القضية الاستثنائية الشرطية. وهي التي يدل القياس فيها علىٰ النتيجة أو علىٰ نقيضها بالفعل لا بالقوة.

ث و ب — أثيّاب — 27 = تصغير علىٰ غير قياس اللفظ أثواب ج. ثوب.

- ج -

ج ث ث — مجتثّ — 212 = وزن من أوزان الشعر يتركب من ستة أجزاء مختلفة سباعية، وشطره مستفعلن فاعلاتن، بتغيير يلحق الجزء الأخير.

ج د ل — جدل — 62 = القياس المؤلف من المشهورات والمسلّمات. والغرض منه

		إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدّمات البرهان.
ج ر ر	جرّ	15 = الحكم الإعرابي اللاحق للأسماء بسبب إضافتها أو دخول بعض الحروف عليها.
ج ر ى	مجاري	و. مجرى 108 ـ 247 = مجرى القافية ومجرى الآخر حركته.
ج ز أ	أجزاء	و. جزء 205 ـ 225 = يتركّب الشيء منه ومن غيره. وفي العروض عبارة عمّا من شأنه أن يكون الشعر مقطّعاً به. وهو التفعيلة.
	جزئية	31 = مق. كلّية. وصف لما يندرج تحت ما هو أعمّ منه.
	تجزئة	متد. = تقسيم.
	جزع	11 = عدم الصبر علىٰ الملمّات.
ج ز ع	جزالة	200 = استحكام قوّة الألفاظ ومجانبتها الرقّة بما يكون من شدّة
ج ز ل		التطالب بين الكلمة وما يجاورها.
ج ز أ	مجزوء	187 = وصف للبيت الذي يلحق ضربه وعروضه نقص جزء.
ج ز و		194 = مق. تفريق.
ج م ع	جمع	254 = إيهام الكلمة الواقعة مقطع المصراع الاول أنّها مصراع ثمّ
	تجميع	تأتي القافية علىٰ خلافها.
ج م ل	تجمّل	11 = صبر علىٰ صروف الدهر من غير إظهار الجزع.
ج م هـ ر	جمهوريّة	19 ـ 23 = وصف للمعاني التي في مقدور عامة النّاس إدراكها. المعاني الأصيلة.
ج ن س	جنس	12 ـ 82 = لفظ حكمي من اصطلاحات المناطقة. وهو الاسم الدّال علىٰ كثيرين مختلفين بالأنواع. وَحّده. هو كلي مقول علىٰ كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو من حيث هو كذلك. وهو نوعان قريب إن كان الجواب عن الماهية وعن بعض ما يشاركها في ذلك الجنس كالحيوان بالنسبة للإنسان، والنوع الثاني وهو خلاف السابق وهو البعيد وذلك كالجسم النامي بالنسبة للإنسان.
ج ن س	تجنيس	77 = وهو أنواع منها تجنيس المعتل وتجنيس المقصور وتجنيس التنوين وتجنيس الإشارة، والتجنيس في الصفة الواحد فلا يجوز أن يقع بين أكثر من لفظين وأن لا يعزز بثالث. السبكي، عروس الأفراح: 3 / 433.

ج و هـ ر	الجوهر	169 = مق. العرض. ما قام بنفسه. ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع. وهو منحصر في خمسة الهيولة والصورة والجسم والنفس والعقل.

- ح -

ح ج ج	الاحتجاج	55 = إقامة الحجة.
ح ج ل	تحجيل	268 ـ 270 = تحليه أعقاب الفصول من القصيدة بأبيات حكمية أو استدلاليّة.
ح د ث	محدث(ون)	202 ـ 275 = مق. قدامى.
ح د د	حدّ	57 = قول دال على ماهية الشيء. وهو طريق من طرق التعريف. يشتمل على ما به الاشتراك وعلى ما به الامتياز.
ح ذ ذ	الحذّ . الحذذ	230 = حذف وتد مجموع مثل حذف علُن من مُتَفاعلن ليبقى متفا، فينقل إلى فَعِلن ويسمى أحذّ. ويذهب بعض العروضيين إلى أنّ الحذذ يلحق مستفعلن فيصير الرجل مستف.
ح ر ك	محرّك(ات)	12 = العوامل الدافعة لقول الشعر. والقول الشعري نفسه بسبب ما يحدثه من انفعال في نفس السامع.
ح س س	حـس	27 ـ 35 = قوّة ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة. والحواس هي الطرق التي يقع عن طريقها التقاط الجزئيات المحسوسة.
ح س ن	تحسين(ات)	64 ـ 93 = تجميل وتزيين. وهي نوعان تحسين قبيح وتحسين حسن.
ح ش و	حشو	16 ـ 22 ـ 54 = الزائد الذي لا طائل تحته. 285 الوسط، الأثناء.
ح ص ر	حاصـر	13 = وصف لمن يثبت حكمًا لشيء وينفيه عمّا عداه. وتوصف القضية بالمحصورة وتسمى مسوّرة.
ح ف ظ	حافظـة	38 = قوّة تحفظ ما تدركه القوّة الوهميّة وتذكرها. وتسمى الذاكرة.
ح ق ق	حقيقـة	14 = اسم لما أريد به ما وضع له، كل لفظ يبقى على موضوعه. الشيء الثابت قطعًا ويقيناً.
ح ك م	حكمة	36 ـ 38 = الكلام الذي يقل لفظه ويجلّ معناه.

ح ك ي | يحاكي | متد. = يثابه، يقلّد.

محاكاة | متد. = يثابه، يقلّد.

متد. = تقليد ومشابهة. ومنها في صور الكلام الشعري المحاكاة التشبيهيّة، ولها بغير هذا الاعتبار صور كثيرة.

ح م س | حماسة | 320 = غرض من أغراض الشعر يتناول في الغالب الفخر والاعتداد بأوصاف الشجاعة والقوّة والبسالة.

ح م ل | حمليـ(ات) | 57 = وصف يلحق القضيّة التي طرفاها مفردان أو في قوّتهما. وهي علىٰ نوعين كليّة وشخصيّة.

ح و ش | حوشي | متد. = وصف يلحق الكلام الغريب الوحشي.

ح ي ز | حيز | متد. = المكان الذي يشغله الجسم.

ح و ل | أحوال | متد. = الأوصاف والأوضاع

وحالات

استحالة | 67 = الامتناع البات، كون الشيء لا يصحّ وقوعه في وجود ولا تصوّره في ذهن.

- خ -

خ ب ب | خبب | 204 = وزن من أوزان الشعر يتركّب من أجزاء تساعيّة. وأصل شطره متفاعلاتن متفاعلاتن، تلحقه تغايير يصير بها الجزء متفاعلتن ثم مفعولاتن

خ ب ر | خَبَار | النقع. القسطل.

خ ب ن | خبن | 205 . 209 = حذف الثاني الساكن في فاعلن في جزئي العروض والضرب مع تصريع وغير تصريع.

خ ر م | خرم | 184 . 234 . 257 = حذف ثواني الأسباب الثقيلة وأوائل الأوتاد المجموعة في صدور البيوت. ومثاله حذف الميم من مفاعيلن ليبقىٰ فاعيلن فينقل إلىٰ مفعولن.

خ ز م | خزم | 236 = زيادة أقلّ من خمسة أحرف في متون الأوزان أوائل البيوت.

خ ص ص | خاصّة | 31 = مق. عامّة.

خ ط ب | خطابة | 18 = فنّ تعتمد أقاويله الإقناع.

مخاطبات | متد. = أقوال موجّهة. خطب.

خ ف ف	خفيف	216 = وزن من أعاريض الشعر يتركب من ستة أجزاء مختلفة سباعيّة. شطره فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن.
خ ل ع	مخلّع	213 = ضرب من مجزو البسيط يعتري مستفعلن في عروضه وضربه القطع، فينقل إلىٰ مفعولن، والقطع والخبن، فينقل إلىٰ فعولن.
خ ل ق	اختلاق(ات)	67 . 69 = هو الذي لا يعلم كذبه من ذات القول مع عدم موافقته الخارج.
خ م س	خماسيّات	202 = وصف يلحق أجزاء أعاريض الشعر المتألّفة من خمسة أحرف.
خ ي ل	خيال	متد. = إحدى قوى العقل التي يتخيّل بها الأشياء.
	تخييل (ات)	متد. = إيهام الصورة، إيحاء، تشبيه.
	مخيّلة	20 = وصف الأقوال التي يسطاع بها الإيهام والتشبيه.
	تخيّل(ات)	متد. = تشبّه، تصوّر.

ـ د ـ

د ب ي ت	دبيتي	217 = أحد أوزان الشعر التي اخترعها المحدثون في الشرق. يتألّف كلّ مصراع منه من ثلاثة أجزاء تساعي وسباعيين، ويلحق الجزء الثالث فيه غالبا في كلّ واحد من المصراعيين نقص بحذف يرد مستفعلن إلىٰ مفتعلن أو مفعولن، وقد يكون التغيير بزيادة فيصير مفعولاتن.
د خ ل	دخيل(ة)	21 . 23 = مق. المتصوّرات أو المعاني الأصيلة. المتصوّرات أو المعاني الدخيلة ما لم يوجد لها فرح أو ترح أو شجو في خطرة النفوس ومعتقداتها العادية. فلا يتألّف منها كلام عال في البلاغة.
	تداخل	50 . 136 = اختلاط شيء يبلغ حدّ الالتباس وفناء أحد الشيئين في الآخر.
د ر ج	استدراج(ات)	56 . 193 = خداع يعين علىٰ بلوغ غاية. إدناء الشيء من الشيء علىٰ تدريج، أي مرحلة بعد مرحلة.
د ر ك	متدارك	247 = وصف للقافية متىٰ توالىٰ فيها متحركان واسم البحر

الجذر	المصطلح	التعريف
		السادس عشر الذي تداركه الأخفش علىٰ الخليل وهو مقلوب المتقارب.
د ف ع	تدافع	116 = اختلاف، تقابل.
د ل س	الدُلسة	63 = الظلمة.
د ل ل	استدلال(ات)	متد. = تقرير الدليل لاثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلىٰ المؤثّر أو بالعكس أو من أحد الأثرين إلىٰ الآخر. ويكون الاستدلال تمثيليّا وذلك متىٰ كان طريقه القياس. ويحصل بإثبات حكم واحد في جزئيّ، لثبوته في جزئيّ آخر، لمعنىٰ مشترك بينهما.
د و ر	دائرة	متد. = في العروض الوزن بما يتضمّنه من أعاريض وأضرب. وفي الأصل الأشكال التي حصر بها الخليل أشطار الأوزان الشعرية.

ـ ذ ـ

الجذر	المصطلح	التعريف
ذ ك ر	تذكّرات	12 = غرض من أغراض الشعر يقترن غالبا بالأشواق.
ذ م م	ذمّ	11 = مق. مدح.
ذ ن ب	مذانب	و. مذنب 127 = مسيل الماء إلىٰ الأرض.
ذ هـ ن	ذهن	متد. = ما به الشعور بالظواهر النفسيّة المختلفة. ويراد به التفكير وقوانينه، ومجرد الاستعداد للإدراك.
ذ و ت	ذات	متد = الجسم، الشيء نفسه، حقيقته.
	ذاتيّة	35 = التي تخصّ الذات، وتميّزها عن جميع ما عداها.
ذ ي ل	أذيال الإذالة	34 = أطراف الاطّراح أو الإهمال والإغفال.
	إذالة	220 = زيادة حرف ساكن في وتد مجموع مثل مستفعلن زيد في آخره نون آخر بعد ما أبدلت نونه ألفا فصار مستفعلان. ويسمىٰ مذالا.

ـ ر ـ

الجذر	المصطلح	التعريف
رأس	رأس الوتد	269 = أوّل حرف من الوتد.
ر ث ي	رثاء	متد. = ما يقال من الشعر لندب شيء عند الرزء بفقده.
ر ج ح	ترجيح	31 = تغليب، حكم بزيادة أو غلبة شيء علىٰ آخره.

ر ج ز	رجَز	203 = وزن شعري يتألّف من ستة أجزاء بسيطة سباعيّة، يقبل الصيرورة إلى خمسة وأربعة أجزاء بسبب التغيير بالتنقيص. وأصل شطره مستفعلن مستفعلن مستفعلن.
ر ج ل	الرجل	ج. الأرجُل 211 . 228 = المقطع أو المقاطع التي يأتلف منها السبب أو الوتد. وأصناف الأرجل ستة.
ر ج ل	ارتجال	190 = عدم إعمال الرويّة في الكلام. إرسال القول على عواهنه.
ر ج و	رجاء	11 = الارتياح لأمر سار مستقبل.
ر خ م	ترخيم	165 = حذف آخر الاسم تخفيفا.
ر د د	ترديد	77 = إعادة اللفظ بمعنى آخر.
ر د ف	إرداف	77 . 153 = التعبير عن المعنى لا بلفظه الموضوع له، ولا بلفظ الإشارة الدّال على المعاني الكثيرة، بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه. مثاله وقضي الأمر.
ر د ف	أرداف	و. ردف 246 = حرف لين. وقد يقع قبل الرويّ متصلا به. ويطلق الردف على الألف الملتزمة وعلى الواو والياء المتواردتين على المحلّ.
	المرادف	182 = مق المشترك. ما كان مسماه واحدا وأسماؤه كثيرة.
ر س م	رسم	25 = تمثيل، تشخيص.
ر ص ع	ترصيع	83 = السجع الذي في إحدى القرينتين أو أكثر مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتوافق على الحرف الآخر. ويكون ذلك في الشعر وفي النثر.
ر ف ل	ترفيل	220 = زيادة سبب خفيف مثل متفاعلن زيدت فيه نن بعدما أبدلت نونه ألفا فصار متفاعلاتن. ويسمى مرفّلا.
ر ك ب	تركيب(ات)	متد. = الصيغ المؤتلفة.
	متراكب	247 = القافية التي تتوالى فيها ثلاث متحرّكات.
ر ك ن	ركن	ج. أركان 225 . 228 = من البيت زاويته. ومن الوزن الشعريّ السواكن مطّردة كانت أو غير مطّردة.
ر م ل	رمَل	183 . 204 = وزن شعريّ يتألّف من ستة أجزاء بسيطة سباعية. وأصل شطره فاعلاتن ثلاث مرات.
ر هـ ب	ترهيب	308 = كلام مُخيف.

ر هـ ج	رهج	120 = الغبار.
ر و ى	مُروّى	190 ـ 191 = مق. مرتجل. القول الصادر عن إعمال فكر.
ر و ي	رويّ	متد. = النظر والتفكير في الأمور.
		متد. = الحرف الذي تبنىٰ عليه القصيدة.

- ز -

ز ح ف	زحاف(ات)	210 = تغييرات تلحق ثاني السبب الخفيف أو الثقيل.

- س -

س ب ب	سبب	211 = رجل يتألّف منه ومن الوتد الجزءُ المتكوّن من الوزن الشعريّ في البيت.
س ب ع	سباعي(ات)	202 = وصف يطلق علىٰ جزء البيت الذي يتألّف من سبعة أحرف.
س ب غ	إسباغ	220 = انظر إذالة.
س ج ع	أسجاع	و. سجع. متد. = تواطؤ الفاصلتين من النثر علىٰ حرف واحد في الآخر، وله أنواع كثيرة.
س ج ي	سجيّة	178 = طبيعة.
س د ر	سدر	39 = تيه.
س ذ ج	ساذجة	203 ، 15 = مق. مختلفة، متغايرة. بسيطة.
س ر ح	منسرح	218 = اسم للوزن الوحيد الذي وضعت العرب شطره علىٰ ثلاثة أجزاء متغايرة ومتفاوتة تصاعدا تساعي فسباعي فخماسي. والتزموا الخبن في الضرب. وهو جزء القافية. وبناء شطره علىٰ مستفعلاتن مستفعلن فاعلن. (عند حازم).
س ر ع	سريع	211 = وزن من أوزان الشعر يتركب من أجزاء سباعيّة متغايرة. وبناء شطره علىٰ ثلاثة أجزاء مزدوجان ومفرد. وشطره مستفعلن مستفعلن فاعلن.
س ر ق	سرقه	172 = نقل الشاعر المعنىٰ النادر من شاعر آخر من غير زيادة واضحة أو أخذه المعنىٰ الذي قلّ في نفسه أو بالإضافة إلىٰ غيره من غير تركيب عليه أو زيادة فيه.
س ل ب	سلب	الأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية، والنظم هيئة تحصل

الجذر	المصطلح	التعريف
	أسلوب	عن التأليفات اللفظية. منهاج 364. متد. = طريق، منهج.
س ل و	تسلّي	11 = انظر تأسّي.
س ن د	سناد	245 = عيب من عيوب القافية. وهو اختلاف ما يراعىٰ قبل الرويّ من الحروف والحركات. وسببه الردف أو التأسيس.
	إسناد	متد. = إضافة شيء إلىٰ آخر. وفي علم العربية ضمّ إحدى الكلمتين إلىٰ الأخرى علىٰ وجه الإفادة التامّة.
س هـ م	تسهيم	83 = ضرب من ضروب البديع يقرب من التصدير. وهو أن يكون ما تقدّم من الكلام دليلا لفظيا علىٰ ما يتأخّر منه أو العكس.
س و ر	سور	ج. أسوار 57 = ما دلّ علىٰ كميّة أفراد الموضوع كلّها أو بعضها. وأقسامه أن يقع بكلّ أو ببعض أو بلا شيء أو بليس بعض ونحوها من الصيغ المرادفة لها في دلالاتها.
س و م	تسويم	266 = تعليم علىٰ الشيء واتخاذ سيمىٰ له يتميّز بها. ويطلق في فنّ الشعر علىٰ ضرب من ضروب الزينة يحصل باعتماد إشارات محرّكة ومؤثّرة في رؤوس الفصول ووجوها إعلاما علىٰ موضوعاتها وأغراضها وإعلاما بمغزى الشاعر فيها.
س و ي	مساواة	65 = عند المناطقة اتحاد في الكم، بين الشعراء اتفاق في الدرجة والمنزلة.

- ش -

الجذر	المصطلح	التعريف
ش ب ب	تشبيب	متد. = ذكر أيّام اللهو والشباب ووصف محاسن المحبوب.
ش ب هـ	مشابهة	65 = اتّحاد في الكيف.
	تشبيه	متد. = الدلالة علىٰ مشاركة أمر لآخر في المعنىٰ. وفي البلاغة اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه.
	متشابهات	40 = أشياء متقاربة بحكم اشتركها في بعض الأوصاف.
ش ج و	شجو	الشاجية هي التي تذكر فيها استطابات قد انصرمت فيلتذ لتخيلها ويتألم لفقدها. منهاج 22.
ش ر ط	شرط	متد. = تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني.
	الشرطيـــــة	57. 58 = القضيّة التي يرتبط أحد طرفيها بالآخر بحكم وجود أداة

(المتصلة) شرط ارتباطا يقضي باتصال الطرفين صدقا ومعيّة.

ش ر ك اشتراك 133 = تنازع الطرق الكثيرة أو الألفاظ إفادة واحدة.
171 = تساوي تأليفي شاعرين في ذلك.

ش ط ر مشطور 230 = البيت الباقي على مصراع واحد.

ش ع ث تشعيب 205 = حذف حرف متحرّك من وتد فاعلاتن ووتد عِلا، إما اللام كما هو مذهب الخليل فيبقى فاعاتن فينقل إلى مفعولن أو العين كما هو مذهب الأخفش فيبقى فالاتن فينقل إلى مفعولن.

ش ك ل مشاكلة 65 = اتحاد في النوع.
اشتكال 155 . 156 = التباس الشيء في نفسه.

ش و ر المشوريات 75 = الأقاويل الشعريّة المتضمّنة في طريقي الصدق والكذب إدارة آراء أو إشارة بوجوه الحيل والمكائد والتدابير لما يستقبل ويتوقع.

ـ ص ـ

ص د ر الصدر متد. = المصراع الأوّل من البيت.
المصدر متد. = الاسم الذي اشتقّ منه الفعل وصدر عنه.

ص د ق الصدق متد. = مطابقة الحكم للواقع.
تصديق(ات) متد. = نسبة الصدق بمحض الاختيار إلى المخبر.

ص ر ع مصراع 253 = شطر بيت.
تصريع 254 = مماثلة الكلمة الواقعة في مقطع المصراع للكلمة التي في القافية بأن يكون ما بين أقرب ساكن منها إلى المقطع من الحركات عدد ما بين أقرب ساكن من كلمة القافية وبين نهايتها من الحركات أيضاً، وأن يكون ملتزما فيها من حركة المجرى والتقييد والتأسيس والردف والوصل والضمائر وحروف الإطلاق وغير ذلك ممّا يلزم القوافي مثلُ ما التزم في كلمة القافية وسائر قوافي القصيدة التي ذلك المصراع أولها.

ص غ و صغوى 68 . 75 . 323 = بالأصل ميل. وهنا بمعنى استعمال وصوغ.

ص ن ع صانعة ضمّ بعض أجزاء الألفاظ والمعاني والتركيبات النظمية والمذاهب الأسلوبية إلى بعض والتدرّج من بعضها إلى بعض.

ص و ت مصوّتة 108 = التي لها صوت، المتحرّك من الحروف.

ص و ر | تصوّر(ات) | 13 = حصول صورة الشيء في العقل، إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات.

- ض -

ض د د | التضاد | 121 = التخالف. وهو عند قدامة بين المعنيين تكافؤ.

ض ر ب | ضرب | ج. ضروب، أضرب. متد. = نوع، شبه. 209 = آخر جزء من المصراع الثاني من البيت.

ض ر ر | ضروري | 115 = ما لا يتسم الغرض إلاّ به.

| ضرائر | ضرورات الشعر.

ض رع | مضارع | 219 = الوزن الثاني عشر المفصّل في كتب العروض. وقد ذهب الأخفش والزّجاجي إلىٰ القول بعدم وجوده عند المتقدّمين من الشعراء. وأنكر حازم وجوده إطلاقا مصرّحا بأنّه من القياسات الفاسدة التي لا يجاريها الذوق العربي.

ض م ر | الإضمار | 249 = الإخفاء. 205 . 226 = إسكان الحرف الثاني كالتاء من متَفاعلن في الكامل. فيصير متْفاعلن وينقل إلىٰ مستفعلن.

ض م ن | تضمين | 39 276 = إدخال الشاعر أو الناثر شيئا من كلام غيره في كلامه. 209 = الإقحام، وضع بعسر. تعلّق قافية البيت بما بعده علىٰ وجه لا يستقل بالإفادة، وهو عيب.

ض و أ | إضاءة | متد. = رأس فقرة.

- ط -

ط ب ع | طبع | متد. = جبلّة، استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعريّ أن ينحىٰ به نحوها.

ط ب ق | المطابقة | المماثلة. وضع أحد المعنيين المتضادين أو المتخالفين من الآخر وضعا متلائما. وهذا غير التكافؤ الذي فسّرها به قدامة.

ط ب ي | اطّباء | التحبّب إلىٰ القلوب وتقريبها.

ط ر د | اطّراد | 289 = تضمين ما كان مركّبا من الأسماء أقصىٰ تركيب أو أوسطه في الأوزان الشعرية حتىٰ يصير قافية.

| استطراد(ات) | متد. = ترام في القول من غرض إلىٰ غرض يكون الخلوص إليه

خلوصا التفاتيا أو بتدرّج.

ط ر غ	طرغوذيا	69 = مأساة. فنّ من فنون الشعر القديم معروف عند اليونانيين (تراجيديا).
ط ر ي	طراءة	76 . 113 = لين.
ط ل ع	مطالع	و. مطلع. متد. = أول بيت في القصيد.
ط ل ق	إطلاق	247 = استعمال حرف المد رويّا.
ط و ل	طويل	208 = وزن من أوزان الشعر العربي يتألّف من أجزاء ثمانية متغايرة خماسية وسباعية وبناء شطره فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن.
ط و ي	طي	56 = حذف.

- ظ -

ظ ن ن	ظن	متد. = إدراك الشيء مع ترجيحه وبدون يقين.
	المظان	56 = المواضع التي يظن وجود الشيء فيها.
ظ هـ ر	ظواهر	و. ظاهرة. متد. = مق. ما عليه الشيء في ذاته. ما يبدو من الشيء. بسائط المدركات.

- ع -

ع ت ب	إعتاب	306 = تعلّق القول بما من شأنه أن يصدر الهرب فيه من القائل إلىٰ المخاطب مع إعفائه منه.
ع ج ب	تعجّب	261 = حصول ميل وظهور انفعال لأمر بسبب ما فيه من إمتاع أو لقلّة اعتياده.
ع د ل	تعديل	102 = حكاية الأعظم حالا في الفعل أو المقدار بالأحقر في ذلك أو هذا، إذا كان التحقير في الأعظم مستحسنا بالنسبة إلىٰ ما يراد منه.
ع د ي	تعدية	متد. = تصيير القاصر اللازم متعدّيا.
ع ر ض	عرض	متد. = الموجود الذي يحتاج في وجوده إلىٰ محلّ يقوم به. وهو أنواع، منها اللازم وهو ما يمتنع انفكاكه عن الماهية.
	عروض	204 . 209 = آخر جزء من الشطر الأول من البيت.

	معارضة	متد. = مقابلة. في الشعر نظم أبيات أو قصيد مقابلة لأثر معين يراد مجاراته أو التفوّق عليه مع الاتحاد في الغالب في الوزن والرويّ بين الأصل والنص المعارض له.
ع ر ف	معرف	متد. = فصل، وهو علىٰ حد قولهم في التقسيم مطلب أو مقصد. وهنا يجري إزاء التعبير بمعلم ومأم.
ع ز ر	تعزير	12 = لوم
ع ز ي	تعزية	305 = القول في الرزء عند قصد استدعاء الجلد.
ع ش ر	عشّار	27 = من يأخذ علىٰ السلع مكسا.
ع ص ب	عصب	226 = إسكان لام مفاعلَتن في عروض الوافر وردّه إلىٰ مفاعيلن.
ع ط ف	استعطاف	307 = ما شأنه أن يطلب بتلطّف من تلقاء السامع إلىٰ المتكلّم.
ع ط ي	معطيات	13 = الأشياء المسلّمة التي يتوصّل بها إلىٰ العلم بأشياء مجهولة.
ع ف و	استعفاء	307 = ما شأنه أن يخاف من تلقاء السامع فيهرب منه ويستدفعه.
ع ق ب	اعتقاب	108 = اختلاف، تداول.
ع ق م	عقم	172 = وصف للمعاني النادرة التي لا يوجد لها نظير، وهي الموضوعة في الرتبة العليا بحيث لا يستطاع طلابها من عامة الشعراء لكونها مقصورة علىٰ بعض الأفكار وموجودة لها في بعض الأحوال دون بعض.
ع ل ل	إعلال	230 = إدخال التغيّر اللاحق بالأسباب والأوتاد في الأعاريض والضروب خاصة، اللازم لها.
ع ل م	معلم	متد. = عنوان فصل كمعرف ومأم. وهو علىٰ حد قولهم مقصد ومطلب.
ع م د	عمدة	14 . 184 = مق. فضلة. ما لا يصحّ حذفه من الكلام.
	عمود	225 . 225 = الوضع الذي يبنىٰ عليه منتهىٰ شطر البيت وينقسم البيت عنده نصفين.
ع م ل	إعمال	331 = جعل الكلمة أو اللفظ مقتضيا حكما إعرابيا فيما يليه من الكلم.
ع و م	عامة	31 = شاملة

ع و ر	استعارة	77 = ادعاء معنىٰ الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبّه.

- غ -

غ ر ب	غرابة	متد. = غموض، خفاء.
	إغراب	63 = إتيان المتكلّم بما يندّ عن الفهم لندرته أو بعد جهاته وقلّة اعتياده.
غ ر ض	غرض	ما يقصد الشاعر إلىٰ القول فيه كالمدح والهجاء والغزل والرثاء ونحو ذلك، والمقصود ما يخدم الأغراض وينسب إليها من المعاني.
غ ز ل	تغزل	متد. = الحديث في الغزل، في ذكر المرأة والتودّد إليها.
غ ل ب	تغليب	91 = إيثار أحد اللفظين علىٰ الآخر في الأحكام العربية إذا كان بين مدلوليهما علقة أو اختلاط.
غ ل و	غلوّ	101 ـ 128 = مجاوزة الحدّ، مبالغة.
غ م ض	إغماض	152 = جعل الكلام غامضًا.

ـ ف ـ

ف ج ع	تفجيع	305 = قول في الرزء عند قصد استدعاء الجزع.
ف خ ر	فخر	متد. = غرض من أغراض الشعر الجديّة يتباهىٰ المتكلّم فيه بما له وما لقومه من المحاسن.
ف ر ض	فرض	متد. = تقدير، احتمال وجود.
ف ر ط	إفراط	67 = غلوّ في الوصف يخرج بالمتكلم من حدّ الإمكان إلىٰ حدّ الامتناع أو الاستحالة.
ف ص ح	فصاحة	الفصاحة هي الإبانة والظهور وسلامة الألفاظ من الإبهام وسوء التأليف. وذكر السبكي لها شروطاً وصوراً وأحوالاً نقلها عن حازم، وهي عند حازم أخص من البلاغة، عروس الأفراح، 1 / 75، 1 / 19.
ف ص ل	فاصلة	205 = ثلاثة أو أربعة أحرف متحرّكة يليها حرف ساكن.
ف ض ل	مفاضلة	53 = موازنة ترمي إلىٰ الحكم بالفضل لأحد الشيئين علىٰ الآخر.

ف ع ل | فعل | متد. = عمل. كلمة دلّت علىٰ عمل وزمن.

| انفعال(ات) | متد. = هيئة تحصل للمتأثّر عن غيره بسبب التأثير.

ف هـ م | استفهام | 275 = استعلام ما في ضمير المخاطب.

- ق -

ق ب ح | تقبيح | 64 = تصيير غير القبيح قبيحا. تنبيه أو بيان لأوجه القبح.

ق ب ض | قبض | 209 = حذف الخامس الساكن مثل ياء مفاعيلن ليبقىٰ مفاعلن.

ق ب ل | مقابلة | متد. = معارضة، أن يؤتىٰ بمعنيين أو أكثر ثمّ يؤتىٰ بما يقابل ذلك علىٰ الترتيب.

ق د م | تقديم | متد. = مق. تأخير.

| مقدّم | 58 = مق. تال. الجزء الأول في الذكر من القضيّة المنفصلة، والأوّل في الرتبة من المتصلة. وهو مدخول أداة الشرط في هذه.

| مقدّمات | 58 = قضايا، جمل.

ق ذ ف | تقاذف | 31 = سرعة استعمال للمعاني في الجهات وللعبارات في الأنحاء التي يقصد التعبير عنها أو الأداء فيها.

ق ر ب | متقارب | 203 = وزن شعريّ يتركّب من ثمانية أجزاء ساذجة خماسيّة، وأصل شطره فعولن مكرّر أربع مرّات.

ق ر ح | قريحة | 178 = ملكة يستطاع بها ابتداع الكلام وإبداء الرأي.

ق ر ر | تقرير | 275 = إيضاح، تحقيق.

ق س ط ل | قساطل | و. قسطل 120 = غبار الموقعة.

ق ص ر | مقصّر(ات) | 183 = وصف يلحق الأوزان بعد تغيير بالحذف يصيّرها قصيرة.

ق ص ص | اقتصاص(ات) | 55 . 263 = رواية الخبر مفصّلا علىٰ وجهه.

ق ض ب | مقتضب | 209 = وزن من أوزان الشعر المركّبة من أجزاء متغايرة خماسيّة وسباعيّة. وشطره فاعلن مفاعلتن فاعلن مفاعلتن.!

ق ض ي | قضيّة | متد. = جملة. عند المناطقة قول مؤلّف من موضوع ومحمول يحتمل الصدق والكذب لذاته، ويصحّ أن يكون موضوعا للبرهنة.

| اقتضاء | 307 = ما كان من الأمور التي لم تحصل مما ما شأنه أن يطلب من تلقاء السامع إلىٰ المتكلّم، وكان الطلب فيه جزما.

ق ط ر | قطر | متد. = توالي متحركين أو ثلاثة أو أربعة في أبنية الأوزان الشعريّة.

والأوّل القطر الأصغر، والثاني الأوسط، والأخير الأكبر.

ق ط ع | قطع | 205 = حذف ساكن الوتد المجموع ثم إسكان متحرّكة مثل إسقاط النون وإسكان اللام من فاعلن ليبقىٰ فاعلْ فينقل إلىٰ فعْلن.

| مقطع | متد. = آخر البيت.

| مقطّع | 292 = مق. مقصّد. وهو الشاعر الذي يقف عند حدود الشيء الموصوف يجمع فيه خاطره ويقصّد إلىٰ التّعبير عنه في أبنية وعبارات متمكّنة من غير استطراد في الأوصاف يكون بها بعيدَ المرمىٰ.

| مقطّع(ات) | 260 = مق. القصائد المطولة. القطع من الشعر.

ق ف و | قافية | متد. = قصيدة. الحروف التي تبدأ بمتحرك يليه آخر ساكنين في آخر البيت. الرويّ.

ق ل ب | قلب | 158 = كون المعنىٰ متحرّفا بغرض الكلام عن مقصده الواضح معدولا إليه عمّا هو أحق بالمحلّ منه حتىٰ يوهم المعنىٰ أنّ المقصود به ضدّ ما يدلّ عليه اللفظ المعبّر به عنه.

ق ن ع | إقناع | متد. = حمل الغير علىٰ الرضا.

ق و ي | قوّة | متد. = طاقة.

ق ي د | مقيّدة | 246 = مق. مطلقة. القافية يستعمل الرويّ فيها ساكنا أو محرّكا من غير مدّ.

ق ي س | قياس | متد. = قول مؤلف من قضايا إذا سلّمت لزم عنها لذاتها قول آخر.

ـ ك ـ

ك س ر | كسور | و. كسر. 225 = جانب البيت.

ك ف أ | تكافؤ | 43 = عند قدامة تضادّ المعنيين.

ك ل ل | كلّيّ | متد. = ما لا يمنع تصوّره من وقوع الشركة فيه.

ك ل م | متكلّمون | 169 = أهل صناعة علم الكلام.

ك م ل | كامل | متد. = وزن من أوزان الشعر الساذجة يتألّف من ستة أجزاء سباعيّة، وشطره متفاعلن ثلاث مرّات.

ك ن ي | كناية | متد. = لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنىٰ الأصلي لعدم

الجذر	المصطلح	التعريف
		وجود قرينة صارفة عن إرادته.
ك و س	متكاوس	247 = وصف يلحق القافية متىٰ توالت فيها أربع متحركات. ولا يكون ذلك إلاّ في الوجز.

- ل -

الجذر	المصطلح	التعريف
ل ح ق	لاحق	230 = وزن من أوزان الشعر المستحدثة يضارع مخلّع البسيط. ويتألّف من أربعة أجزاء سانجة تساعيّة وبناء شطره مستفعلاتن مستفعلاتن.
ل ح ن	لحن	210 = الصوت الموسيقي.
ل ز م	لازمة	49 = مرتّبة في الوجود حتما عن الشيء، ونتيجة له.
ل ط ف	استلطاف	12 = استدفاع المخوف المستقبل.
لفت	التفات	178 = التصرّف في الكلام بالخروج من حيز إلىٰ حيّز، 320 = العدول عن الغيبة إلىٰ الخطاب أو التكلم أو العكس.
ل م ع	يلمع	متد. = يشير.

- م -

الجذر	المصطلح	التعريف
م ث ل	مثَل	متد. = جملة من القول مقتطعة من كلام أو مرسلة بذاتها، تنقل ممن وردت فيه إلىٰ مشابهه بدون تغيير.
	تمثيل	59 = تقدير، تشبيه.
	تماثل	14 = تساوي.
م د ح	مدح	متد. = ثناء، غرض من أغراض الشعر الجديّة يصف فيه الشاعر محاسن ومحامد الغير.
م د د	مادّة	متد. = أصل. عنصر.
	مديد	209 = وزن من أوزان الشعر المركّبة من ثمانية أجزاء متغايرة سباعيّة وخماسيّة. ويُرَدّ هذا الوزن في تأليفه إلىٰ ستة أجزاء أصغرها أوسطها. وشطره الذي يبنىٰ عليه فاعلاتن فاعلن فاعلاتن.
م ع ن	معانة	292 = خصب.
م ك ن	تمكن	(القوافي) 179 = بناؤها علىٰ أوفق الصور والأشكال.
م ن ع	ممتنع	67 = ما لا يقع في الوجود، وإن كان متصوّرا في الذهن.

م هـ ي	ماهية	متد = ما به الشيء هو هو.
م و هـ	تمويه(ات)	28 = لبس، خداع.

- ن -

ن ت ج	نتيجة	57 = أثر ما تفضي إليه مقدّمات الحكم.
ن ح و	ناحية	متد. = جانب، جهة.
	منحىً	متد. = اتجاه.
ن د م	تندّم	11 = انظر تأسّف.
ن د ي	نداء	275 = دعاء.
ن ز ع	منزع	ج. منازع 329 = الهيآت الحاصلة عن كيفيات مآخذ الشعراء في أغراضهم وأنحاء اعتماداتهم فيها وما يميلون بالكلام نحوه أبدا ويذهبون به إليه حتىٰ يحصل بذلك للكلام صورة تقبلها النفس أو تمتنع من قبولها.
	نزاع	(إلىٰ) 12 = ميل، حنين.
	نزوع	(عن) 12 = بُعد، تحوّل.
ن ز ل	تنزيل	332 = إقامة الشيء مقام غيره.
ن س ب	نسبة	متد. = علاقة، إيقاع المعلّق بين الشيئين.
	نسيب	متد. = رقيق الشعر المتغزّل به في النساء.
ن ص ف	منصوف	209 = وصف يلحق المقتضب من أوزان الشعر. وذلك لالتزام حذف النصف فيه من كلّ شطر.
ن ط ق	منطق	56 = علم عملي آلي تعصم مراعاة قوانينه الذهن عن الخطإ في الفكر.
ن ظ م	نظم	متد. = الألفاظ المرتّبة المسوقة المعتبرة دلالتها على ما يقتضيه العقل. ترتيب الألفاظ. شعر.
ن ف ي	نفي	متد. = مق إيجاب، إثبات، سلب.
ن ق ح	تنقيح	188 = تهذيب، إصلاح.
ن ق ل	مناقل	و. منقل 96 = طريق مختصر. تحوّل.
ن هـ ج	منهج	متد. = باب.
ن و ر	تنوير	متد. = فقرة، مثل إضاءة.

ن و ط	ناط	متد. = علّق
	مناط	متد. = موضع التعليق.
	منوط	متد. = معلّق.
ن و ع	نوع	متد. = كلّي مقول علىٰ واحد أو علىٰ كثيرين متفقين في الحقائق في جواب ما هو، صنف.

- هـ -

هـ ب ي	أهباء	و. هباء 120 = التراب الذي يطيره الريح ويلزق بالأشياء أو ينبث في الهواء فلا يبدو إلا في ضوء الشمس.
هـ ج و	هجاء	متد. = غرض من أغراض الشعر تعرض عن طرقه المعايب.
هـ ز ج	هزج	204 = وزن من أوزان الشعر الساذجة يتألّف من ستة أجزاء سباعيّة. ويُردّ إلىٰ أربعة أجزاء. ويكون شطره مفاعيلن مفاعيلن.
هـ ز ل	الهزل	متد. = مق. الجدّ.
هـ ل ل	استهلال(ات)	253 = افتتاحات.
هـ ن أ	تهنئة	305 = القول في الظفر والنجاة.
هـ و و	هُوَهُوَ	65 = اتحاد في الشيء من اثنين يجعل اثنين في الوضع تصير به اثنينيتها اتحادًا بنوع من الاتحادات الواقعة بين اثنين.
هـ و ل	تهويل	275 = مبالغة.
هـ ي أ	هيآت	و. هيأة. متد. = حالة.
	مهيّآت	36 = الاستعدادات الحاصلة عن حسن النشأة من جهتي المناخ والبيئة.
هـ ي ع	مهيع	متد. = الطريق البين.

- و -

و ت د	وتِد	205 . 207 . 227 . 211 = أحد الأرجل. وهو جزء من التفعيلة العروضية يتألّف من ثلاثة أحرف وله ثلاثة أضرب وتد مفروق، وتد مجموع، وتد متضاعف.
وت ر	متواتر	255 = وصف للقافية إذا توالىٰ فيها ساكنان من غير فصل بحركة.

و ج ب	إيجاب	متد. = مق. سلب ونفي. إثبات.
و ج ز	إيجاز	154 = أداء المقصود بأقلّ من العبارة المتعارفة.
و ج ه	جهة	متد. = الناحية والطريق المسلوك في النظم أو في التخييلات الشعرية.
و ح د	اتحاد	65 = تصيير الذاتين واحدة. وهو في الجنس مجانسة وفي النوع مماثلة وفي الخاصة مشاكلة وفي الكيف مشابهة وفي الكم مساواة وفي الأطراف مطابقة وفي الإضافة مناسبة وفي وضع الأجزاء موازاة.
و ز ع	وزع	متد. = كف، زجر.
و ز ن	وزن	ج. أوزان. متد. = الأعاريض التي يتألّف منها القول الشعري.
و ز ي	موازاة	65 = اتحاد في الوضع.
و ش ح	توشيح	83 = في القرآن تقدم معنى الفاصلة في صدر الآية، وفي الشعر أو النثر تقدم معنى مقطع الكلام في أوله.
و ش ي	شيات	ج. شية 270 = علامة.
و ص ف	وصف	متد. = غرض من أغراض الشعر يعتمد التصوير والمحاكاة.
و ص ل	الوُصَل	323 = الطرق الواصلة.
و ض ع	وضع	متد. = جعل اللفظ بإزاء المعنى، تخصيص شيء بشيء متى أطلق أو أحس الشيء الأول فهم منه الشيء الثاني، هيئة عارضة للشيء بسبب نسبتين نسبة أجزائه بعضها إلى بعض ونسبة أجزائه إلى الأمور الخارجة عنه.
و ط أ	تواطؤ	متد. = توافق.
و ط ن	موطن	ج. مواطن. متد. = موضع.
و ع د	إيعاد	307 = تهديد، إنذار، تخويف.
و ف ر	وافر	متد. = وزن من أوزان الشعر يتألّف في الأصل من ستة أجزاء سباعيّة متماثلة. وبناء شطره على مفاعلتن ثلاثا.
و ف ق	اتفاق	28 . 207 = حصول عن غير قصد.
و ق ر	توقّرات	209 = تصدّعات، مقاطع نغم.
و ل د	مولّد	متد. = محدث.
و ل ع	إيلاع	متد. = إغراء.



فهـــــارسُ

الأعـــلام
القـــوافي
أنصـــاف الأبيـــات
الآيات والأحاديث والأمثال
الموضُوعـــات

فهـــــرس الأعـــلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهـــــرس القـــوافـــي

صدر البيت	قافيته	بحره	
وإنّا	بالمعالق	الطويل	48
يطعنهم	اعتنقا	البسيط	137
فلو أني	يفرق	الوافر	163
فديت	أطيق	الوافر	163
قال لي	حقا	الخفيف	169
وتنفست	فعرقا	الخفيف	169
أكسبها	والحدق	المنسرح	194
كاثرت	الإيراق	الخفيف	251
أتراها	المآقي	الخفيف	280 . 227
لعينيك	بقي	الطويل	277
وما كنت	يعشق	الطويل	277
أيها	غيداق	الخفيف	277
وتعلم	من خلاق	الخفيف	277
كيف	راق	الخفيف	277
أيا جارتا	يغلق	الطويل	282
مالوا	تخفق	الكامل	320

(ك)

لا تعجبي	فبكىٰ	الكامل	43
أنت	فالمال لك	الرمل	46
أهزّ	الأوارك	الطويل	48
يا أبا	قفاكا	الخفيف	134
سقىٰ	قصركا	الطويل	346
ولا زالت	لسلمكا	الطويل	346



فهرس أنصاف الأبيات مرتّبة حسب أوائل كلماتها

(أ)

(ت)

(ح)

(د)

(ي)



فهـــرس الآيـــات والأحاديـــث والأمثـــال

فهـــرَس المـــوضُـــوعَـــات

الإنـجاز الفنـي:

مخابر: الدار العربية للكتاب

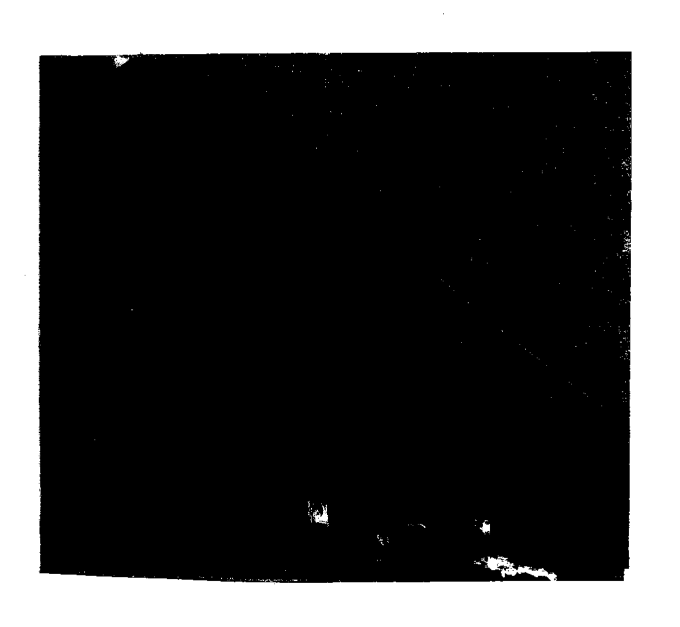
4، شارع محيي الدين القليبي ـ 2092 - المنار 2 ـ تونس

الهاتف: 255 888 71 216 + - الفاكس: 365 888 71 216 +

البريد الالكتروني: E-mail: mal@gnet.tn

الطباعـــة:

مطبعـــة دار الشباب - مقريـــن - تونـــس





وزارة الثقافة والمحافظة على التراث
سلسلة «الذاكرة الحية»
الأعمال الكاملة
للدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة
منهاج البلغاء وسراج الأدباء
صنعة
أبي الحسن حازم القرطاجني
**
قصائد ومقطعات
صنعة
أبي الحسن حازم القرطاجني
*
مقاصد الشريعة الإسلامية
لشيخ الإسلام الإمام الأكبر
محمد الطاهر ابن عاشور
*****
بين علمي
أصول الفقه
و
مقاصد الشريعة الإسلامية
****
شيخ الإسلام الإمام الأكبر
محمد الطاهر ابن عاشور
***

2